

GABRIEL GARCIA MARQUEZ



غابرييل غارسيا ماركيز مئة عام من العزلة

www.liilas.com/vb3

^ RAYAHEEN ^



طبعة
ثانية

ترجمة: د. محمد الحاج خليل





ملكة عالم من العزلة



■ قليلة هي الروايات التي تغير حياة الناس ، وهذه واحدة من تلك الروايات .

« و. ل. و. ب / الغارديان »

■ هذه رواية كاسحة تنسم بالألق الفوضوي ، وهي أقرب إلى الشعر منها إلى النثر ، بل هي ملحمة موسيقية لا متناهية .

« التيمز »

■ هذه الرواية عمل أدبي غني ، مكثف كالأدغال ، حافل بالوهم التوضيع ، زاخر بالفعل ، ثري بالمرح الخزين ، يتفق بالأحداث والفلسفة والتأمل ، حتى ليدفعك إلى العجب .

« صنداي تايمز »

■ تصحو ، بعد قراءة هذه الرواية الرائعة ، كمن يصحو من حلم : عقلك وخيالك جاثمان بل ملتبهان .. وأمامك غابرييل غارسيا ماركيز العملاق كخياله وجبرته وعظمته ؛ فهو الرواية مدهشان .

« نيويورك تايمز »

■ هذه خيرة لا تعدلها ، في الغنى ، خيرة أخرى .

« فاينانشال تايمز »

■ هذه الرواية من أجمل ما قرأت ، وهي على الرغم من سمة العزلة التي تنسحب عليها حتى اختارها لها كاتبها اسماً ، وعلى الرغم من الختمية التي ينظر بها المؤلف للأمور من زاويته ، أشبه ما تكون بالحياة : شائقة وشائكة ، بسيطة ومعقدة ، متشائمة ومتشائمة ، حلوة ومررة إنها ككل الأدب الرفيع جديرة بأن تقرأ ، وتكمل الحياة تستأهل أن تعيش .

« د. محمد الحاج خليل »

ISBN 9953-36-701-9



لقد كان الفن والإبداع دائماً فعل عطاء وتضحية ، وموقفاً ضد الظلم . وكان دائماً دعوة للمعرفة والحرية والحق والخير والجمال . ومن هنا كانت إنسانية الإبداع ، ومن هنا كان تعلق البديعين ولكن ، هل يقتصر الإبداع على الأعمال التي تتناول الشجارات والخبرات الإنسانية الكبرى ؛ كالحب والحرب والجوع والمرض وسواها؟ ألا يمكن للمبدع أن ينطلق من تجربة أو خسارة أو بيضة ضيقة محدودة ، فيعالج الأحداث ، والمشاعر والأمزجة ، والأمال والآلام ، والمطامح والتوازن والرهبات ، لدى شخص أو هذه التجربة أو الخبرة أو الببشة؟ قالنا هم الناس في كل الأصقاع . وأمالهم وآمالهم ومطامعهم ورغائبهم تكاد تكون واحدة .

ألم يبلغ الأديب العربي الكبير ، نجيب محفوظ ، مرتبة العالمية والإنسانية في قصصه ورواياته ، التي أنشأها حول الناس من أهله ومعارفه في مصر والبلاد العربية؟ أفلا يصدق ما نذهب إليه على رواية نجيب محفوظ «الثلاثية» الرائعة : «بين القصرين - قصر الشوق - السكرية»؟

وتلك هي حال أديبنا الكولومبي الكبير ، غابرييل غارسيا ماركيز . فقد أنشأ هذا الكاتب روايته الرائعة «مئة عام من العزلة» حول مسيرة حياة عائلة (بونديا) في قرية (ماكوندو) ، ابتداءً من إنشاء



غابرييل غارثيا ماركيز

القرية ذاتها على يد (خوزيه أركاديو بونديا) الجد الأول (أورسولا) الجدة الأولى ، وانتهاء بحفدائهم . وتابع ماركيز سلالة هذه الأسرة وما ومن يحيط بها . فحرض بصير لا ينقد ، ودقة غير متناهية ، تفاصيل حياتهم بنظفها ورفاهها ، بأحلامها ومطامحها ، وآلامها وآمالها ، بتقاليدها المحافظة وعلاقاتها الإباحية المحمومة ، بتدثيها ومجونها ، ومقاومتها للظلم والظالمين والغرياء الطامعين ، وتصديها لعناصر الطبيعة القاسية التي لا ترحم ، في سياق ملحمي يفوق التصور والخيال .

صحيح أن من تتسع آفاقه وتكثر خبراته يكون مهتماً للإبداع في نقل الخبرات الإنسانية الشاملة الكبرى ، ويقترب بإبداعه من العالمية والإنسانية .

ولكن ، صحيح أيضاً أن من يغوص في تجربته ، مهما ضاقت بيئتها ، ويتفحص جرائبها بتحرر وتمقن واعين ، يكون قادراً على خلق الشعور من الخصوص ، والعالمية من الفردية ، والإنسانية من الذاتية . ذلك أن الجواهر تلتقي ، في نهاية المطاف ، عند بوابة واحدة ، هي من الضفر بحيث تكاد لا ترى .

فكيف إذا اجتمع الأمران كلاهما لماركيز : سعة الأفق وغنى الخبرات ، والقدرة على الغوص ، وحتى الأعماق ، في تجربة يعيشه المحدود ، فينقلها من الضيق والمحدودية إلى العالمية والإنسانية ، بإبداع يندر أن يجارى!!

فمن أحضان التقاليد الأدبية الراسخة التي وعها ماركيز ، انطلق هذا الأديب من حياة أسرة واحدة في بقعة صغيرة ، هي قرية (ماكوندو) الجديدة ، مستفيداً من متجزئات الرواية المعاصرة ولراء ما وعته الأجيال من موروث شعبي وأدب مفول ، ليشيد صرح عالم روائي أسر بما فيه من جماليات العمل الفني ، ولا سيما تصوير جمال القبح ، وما يزر به من العلاقات ، فبحيله كوناً هائلاً يتحقق فيه قوله : «كل رواية جيدة هي سبر لأغوار العالم» ، كما يقول كامل يوسف حسين في مقدمة ترجمته لقصة ماركيز «في ساعة نحس» .

إنه عالم يضح بالحبوبية والثائق ، ويستقطب الاهتمام في بعده البارزين : الزمن والعزلة .

فالزمن عند ماركيز ينساب في إطار مفهوم الدورة الزمنية . وعجلة الزمن تبطئ الشام عن احتمال نهاية السلالة ، ولكن ليس عن نهاية دورة الحياة لأنها تجعل الحاضر قلزكاً على نحو ما سيكون عليه المستقبل ، أو كما يقول أين غيلدون : «الآنني أشبه بالماضي من القطرة بالقطرة» .

إن العزلة في رواية ماركيز تمتد عام من العزلة تتجاوز كونها حالة معزولة . فهي تضرب جذورها عميقاً في أرض الواقع ، لتغدو طريقة حياة في مواجهة الظلم والأحوال السياسية والاقتصادية والأطماع الخارجية . ولا تتلاش العزلة إلا حين يتصاعد الصراع فيغدو تطاحناً حتى الموت في مواجهة الاغتراب عن الطبيعة

والآخرين وعن الذات إن تهتم القوقعة ، كما يقول كامل يوسف حسين ، لا يحدث إلا في حالة واحدة : حين يفقد بداخلها كائن آخر مختلف نوعاً عن سابقه ، كائن ينجح في أن يحدث في وجهه اغترابه .

إن تاريخ هذه العائلة كلفة على عجلة ، لا يمكنها تجنب الدوران والتكرار . فهي عجلة يمكن لها أن تستمر في الدوران إلى ما لا نهاية . أما تاريخ الأفراد من سلالة خوزيه أركاديو بوينديا وأورسولا ، من العقيد أوريليانو وأخيه خوزيه الابن وأمارانتا وروبيكا وفيرناندا حتى أوريليانو الأخير وأمارانتا - أورسولا ، فملكيدادس والفجر ، فلا يعدو أن يكون تجميعات على شتى ضروب العزلة . فهذا التاريخ رحلة طويلة ، ابتدأت بالجدتين الكبيرتين وانتهت بحفداء الحفداء ، لمهر العزلة والاعتراب . وقد انتهت في فياني الفناء بحكم القصور الذاتي ولكنها تظل تشير إلى مشارف الأدغال ، حيث ترعيف أوراق الشجر بشهوة البقاء ورعدة انتظار الحياة من جديد .

فأول السلالة مقيد ومربوط إلى شجرة الكستناء ، والأخير منها فان ... يلتهمه التعل . ولكن الحياة باقية . . . وتستمر . لا يحدثها قيد . ولا يقلبها فناء .

د محمد الحاج خليل

(١)

مضى زمن طويل ، والآن أمام فريق الإعدام ، يتذكر الكولونيل أوريليانو ذلك اليوم البعيد . كان الوقت عصراً عندما اصطحبه أبوه ليكتشف الجليد .

كانت (ماكوندو) يومئذ قرية تضم نحو عشرين بيتاً مبنياً من الطين ، على شفة نهر صغير ، مياهه صافية تنساب في مجرى تغطي أرضه حصى ملساء متلألئة ، يفضاء كبيرة الحجم ، كأنها هي من يفض ما قيل التاريخ .

وكان العالم حديثاً ، حتى إن كثيراً من الأشياء كانت بلا أسماء ، وفي شهر آذار / مارس من كل عام ، كانت تصل عائلة شجرية فقيرة ، فتقيم خيامها قرب القرية . وعلى أصوات الأبواق العالية وهدير الطيور الصاخبة ، تقوم العائلة يعرض الخشخشات الجديدة .

بدأ الفجر بإحضار الغناطيس . وقد وقف شجري ضخم الجسم ، كث اللحية ، له يدان كالصفيحة الدوروي ، يقدم نفسه باسم (ملكيادس) . وقد عرض الرجل ما أسماه هو نفسه الأعجوبة الثامنة من أعاجيب علماء الكيمياء في (مقدونيا) . وانطلق الرجل يتجول في القرية ، من بيت إلى بيت ، يجتر خلفه سبيكتين من اللصن . وما للذهول الذي أصاب الناس وهم يرون القدور والأطباق والملاقط والمواقد تتساقط من مواضعها ، ويرون الأعمدة تتشقق وتتخلع من مساميرها وبراعيتها ، حتى الأشياء التي كانت ضائعة منذ زمن طويل بدأت تظهر في الأماكن التي طالما بحث الناس عنها فيها ، ثم راحت هذه الأشياء

جميعاً تتسحب مضطربة وراء المعدن السحري الذي كان ملكيادس يجره خلفه .
وكان التجري يهتف بصوت عال أجش ، قائلاً : «لأشياء حياتها الخاصة بها .
وما القضية سوى إيقاظ أرواحها» .

وتفكر خوزيه أركاديو بوينديا ، وكان رجلاً ذا خيال جموح يتجاوز
حدود عبقرية الطبيعة ، بل يذهب إلى ما هو أبعد من معجزات السحر ،
أن بالإمكان الانتفاع من هذا الاختراع في استخراج الذهب من باطن
الأرض . ولكن (ملكيادس) ، وكان رجلاً أميناً ، حذره قائلاً : «إنه لا
يصلح لذلك» . ولكن خوزيه أركاديو بوينديا لم يكن ، عداً ، يؤمن
باستقامة العجز وأمانتهم . وهكذا قابض السيكتين المغطتين يفلح وزوج
من ماعوز . ولم تفلح زوجته أورسولا إيجواوان في رده عن قراره . وكانت
تعتمد على هذه الحيوانات لتحقيق هدفها في زيادة ممتلكات العائلة . فقد
كان رده : «غداً سيكون لنا من الذهب ما يزيد على حاجتنا لتبليط أرض
البيت» . وقد بدله خلال بقعة أشهره جهداً مضنياً وهو يحاول أن
يثبت صحة نظريته . فراح يطوف بالسيكتين في أرض المنطقة مستكشفاً ،
فلم يدع تسيراً دون أن ينقبه ، حتى نقب مجرى النهر نفسه ، مردداً
بصوت عال تعويذة ملكيادس . ولكن الشيء الوحيد الذي استطاع فعله
هو الكشف عن درج من القرن الخامس عشر ، وقد التحت أجزاؤها بما
علاها من الصدا ، ويصدر من جوفها زئير كما لو كانت يقطنة ضخمة
محشوة بالحصى . وبعد أن فكك خوزيه أركاديو بوينديا ، ورفاق حملته
الأربعة ، تلك النوع إلى أجزائها ، وجدوا في داخلها هيكل عظمياً
متكلساً ، وقد تدلت من عنقه علية (عليه صغيرة) نحاسية فيها خصلة
من شعر امرأة .

وعاد الضجر في آذار (مارس) . وقد حملوا معهم هذه المرة منظاراً

وعديمة مكبرة بحجم طبل . وقد عرضوهما بوصفهما آخر مكتشفات
يهود أمستردام . وضعوا امرأة شجيرة في طرف القرية ، وركزوا المنظار في
مدخل الحيمة في طرف القرية الآخر . وهكذا جعل الناس ، مقابل خمسة
ريالات للشخص ، ينظرون بالمنظار فيشاهدون المرأة العجيرة البعيدة على
بعد ذراع منهم .

وكان ملكيادس يهتف قائلاً : «لقد أغنى العلم المسافات ، ولن يضي وقت
طويل حتى يستطيع الإنسان أن يرى ما يحدث في أي مكان في العالم دون أن
يغادر منزله» .

وفي تلك الظهيرة القائظة بشمسها المحرقة ، قتم الضجر عرضاً مذهلاً للعنسة
الكبيرة الضخمة . جمعوا كومة من القش اليابس في وسط الطريق ، وأشعلوا
فيها النار بتجميع أشعة الشمس وتركبها عليها .

أما خوزيه أركاديو بوينديا ، وهو الذي لم ييسر بعد من آثار فشله في
المنطاديس ، فقد تراءت له فكرة استعمال هذا الاختراع سلاحاً للحرب . وحاول
ملكيادس ، مرة أخرى ، أن يثنيه عن رايه . ولكنه قيل أخيراً أن يبائله العنسة
بالمسيكتين المغطتين وثلاث قطع من العملة الاستعمارية . وبكت أورسولا
المسكينة ، فقد كان ذلك المال من صندوق القطع النعيرية التي جمعها أبوها
طوال عمر قضاءه في الحرمان ، ودفتها هي تحت سريرها ، على أمل الإنتفاع بها
في فرصة مناسبة . ولم يحاول خوزيه أركاديو بوينديا استرضاءها . فقد استغرقته
تجاربه التكتيكية ، فأنكر ذاته كما يفعل العلماء ، دون اهتمام بما قد يترتب على
ذلك من مخاطر على حياته . وفي محاولة منه لإظهار أثر العنسة على جنود
العدو ، عرض نفسه لأشعة الشمس المركزة ، فأصيب بحروق تحوكت إلى قروح
استمررت طويلاً قبل أن تشفى . وعلى الرغم من اعتراضات زوجته
 واحتجاجاتها ، وقد أذهلها هذا الاختراع الخطير ، فقد بلغ الأمر به أنه كاد يحرق
بيته . كان يقضي الساعات الطوال في عزلة ، بحسب الاحتمالات

الاستراتيجية لسلالة الجديد، حتى نجح في وضع طيل غاية في وضوحه ولا يقاوم في حجته وإقناعه. وأرسل هذا البحث الدليل إلى الحكومة، مصحوباً بالكثير من التقارير الوصفية حول تجاربه، ووضع صفحات من الرسوم التخطيطية. وقد حمل كل ذلك رسول منه إلى الحكومة، قطع المسافات الطويلة، فسان الجبال، وناه في المستعصيات اللامتناهية، وعبر الأنهار الصاعدة، وكاد يفتنه اليأس المضي، والطاعون، والحيوانات للغترسة، حتى تمكن من العثور على طريق أوصلته إلى الطريق التي تسير عليها بفال المبريد. وعلى الرغم من كون الرحلة إلى العاصمة شبه مستحيلة في ذلك الوقت، تعهد خوزيه أركاديو بونديا بالقيام بها حال توجيه الحكومة أوامرها له بذلك، لكي يقدم بعض العروض العملية لغرضه أمام السلطات العسكرية، ولكي يدرهم نفسه على فن الحرب الشمسية المعقد.

وانتظر الجواب بضع سنوات، حتى إذا سئم الانتظار شكوا أمر إخمافه في المشروع للكيكادس، الذي قدم له البرهان القاطع على أمانته. فقد أعاد له القطع الذهبية، وزوده، علاوة على ذلك، ببعض الخرائط البيرونية وبعض أدوات الملاحة البحرية. وأعد بخط يده مؤلفاً واقعياً عن دراسات الرامب هرمان، وورقه لخوزيه أركاديو يستطيع استعمال الأسطرلاب والبوصلة وآلة السلس^(١).

وقد أمضى خوزيه أركاديو بونديا للشهور الطويلة من الفصل للعطو، معتكفاً في غرفة صغيرة كان قد بناها خلف منزله كي يحول دون أن يزعجه أحد ويشوش تجاربه. وقد أحمل خوزيه واجباته الماثلية كلياً، فراح يقضي الليالي بطولها في ساحة يرتب منها مسارات النجوم، حتى كاد يصاب بضربة شمس وهو يحاول الاهتداء لطريقة صالحة لتحديد وقت الظهيرة، ولما صار خبيراً في استعمال أدواتها ومعالجتها، توصل إلى معرفة بالنضاء مكتته من الطواف في بحار مجهولة، ليزور أقاليم غير مأهولة، وليشفي

(١) آلة خاصة بقياس الزوايا.

علاقات مع مخلوقات عجيبة، دون أن يغادر مكتبه. وعند هذا الحد، تعود خوزيه أن يحدث نفسه، وأن يسير في البيت دون أن يرى أحداً أو يعمي شيئاً، بينما كانت (أورسولا) وأطفالها يكذبون بجذ في البستان، يزرعون الخرز والمناجيا والكاسفا والبطاطا والقرع والبادنجان، وفجأة، ودوناً سابق إنذار، توقف نشاطه المضموم، وحلَّ محلّه نوع من الدهول. وأمضى بضعة أيام كأنها هو مسحور، يردد بصوت ضعيف أوصافاً وأفكاراً مخيعة، غير أنه يعقله وفهمه لما يقول. وأخيراً، وذات يوم ثلاثاء من كانون الأول (ديسمبر)، وعند وقت الغداء، تخلّص خوزيه، دفعة واحدة، من وطأة العذاب الذي كان يعانيه. ولن ينسى الأطفال، طوال حياتهم، كيف اتخذ أبوه مكاناً له على رأس المائدة، يجلسه الوفاة رغم ارتجافه وسهوه العميق وغيباله المضطرب، وكيف أعلن لهم اكتشافه: «الأرض كروية كالبرتقالة».

ونفذ صبر أورسولا، فصاحت به: «إذا كان لا بد لك أن تجن، فجن وحدك. فلا تحاول أن تزور في رؤوس الأطفال أفكارك العجيبة. ولكن خوزيه أركاديو بونديا لم يتأثر بما أصاب زوجته من يأس وغضب، فظل هادئاً. لما كان منها، في هياجها، إلا أن ألقت الإضطراب إلى الأرض فحطمته. ولكن خوزيه بنى واحداً آخر، وجمع رجال القرية في غرفته الصغيرة، وقدم لهم نظريات لم يفهمها أحد منهم، وعرض لهم كيف يمكن أن يعود إلى نقطة انطلاقه من يسافر شرقاً بشكل متواصل، واعتقد أهل القرية جميعاً أن خوزيه أركاديو بونديا قد فقد عقله. ثم عاد ملكيادس ليصوب الأمور. فأتى على الرجل، بين الناس، وامتدح ذكاه لأنه استطاع، بحض تأملاته الفلكية، أن يتوصل إلى نظرية سبق البرهان عليها علمياً، على الرغم من أنها لم تكن معروفة في ماكوندو حتى ذلك الحين. وتعبيراً منه عن إعجابه بخوزيه، قدم له هدية كان لها

أثر عظيم على مستقبل القرية، وهي مخبر الكيمياء.

وكانت الشيخوخة، عندئذ، قد سارعت إلى ملكيادس، فقد كان في رحلته الأولى يبدو في مثل من خوزيه أركاديو بوينديا. ولكن، بينما كان خوزيه لا يزال يحتفظ بقوة الخارقة، فقد كان يطرح الحصان أرضاً إذا أسك بأذنيه، كان الرجل العجري يبدو متعباً منهكاً بسبب مرض غريب ألم به. وكان ذلك المرض، في الواقع، نتيجة لعدة أمراض نادرة، تجتمعت له في رحلته التي لا تحصى حول العالم. وقد ذكر خوزيه أركاديو بوينديا، بينما كان يساعده في إنشاء المخبر، أن المرات كان يلاحظه في كل مكان، يحاوره ويداوره، دون أن يقضي عليه بضربة من مسدس. لقد نجح من كل المصائب والأذى التي أصابت البشرية. فقد سلم من مرض الدرة في بلاد فارس، ومن داء الخسر أو الأسقربوط^(١) في الأرجنتين الملايين، ومن البرص في الإسكندرية، ومن البيرسيري^(٢) في اليابان، ومن ولاء الطاعون في مدغشقر، ومن الهزة الأرضية في صقلية، ومن كارثة تحطم سفينة في مضيق ماجلان.

كان ذلك الإنسان العجيب يزعم أنه يتحكم بمفاتيح نوستراداموس، وكان رجلاً كتيباً تلقه هالة من الحزن، له نظرة أسبوعية توحى بمعرفة الجوانب الأخرى للأشياء. كان يضع على رأسه قبعة سوداء كبيرة تبدو كأنها غراب نشر جناحيه، ويلبس صدفة معملية تحمل آثار القرون الخوالي. ولكنه كان، على الرغم من سعة حكمته وعمق غموضه، يتوهم بعيب إنساني يشده أرضاً ويجعله يغمس في مشكلاته اليومية الصغيرة. فقد كان يشكو من الأم العجز، ويعاني من أبسط المصائب الاقتصادية. وقد توقف عن الضحك منذ أمد بعيد، لأن مرض الأسقربوط كان قد أسقط أسنانه. في تلك الظهيرة الحارقة، ياح ذلك

(١) مرض يصيب اللثة.

(٢) مرض ينشأ من نقص في الفيتامين (ب).

العجري بإسراوه. وعندها أيقن خوزيه أركاديو بوينديا أن تلك اللحظة كانت بداية صداقة عظيمة. وكثيراً ما كان الصغار يلعبون وهم يستمعون إلى قصصه الرائعة.

أما أوريليانو، ولم يكن فوق الخامسة من عمره عند ذاك، فسوف يذكر، طوال حياته، منظر تلك الرجل كما رآه في تلك الظهيرة. كان يدير ظهره إلى النافذة للمعدنية، يوضئها ويهيجها، بينما صوته العميق، كصوت الأرغن، يتوقف بالسامع أقصى حدود الجبال، ويتساب القرق على صدغيه كأنما هو تنقذ من السمح لتدبب الحرارة. وأما خوزيه أركاديو، أخو أوريليانو الأكبر، فسيظل يتقل هذه الصورة المدهشة لأبائه وحفداته كذكرى من ذكرياته المورثة. وحدها أورسولا كانت تحتفظ بذكرى تلك الزيارة. فقد اتفق أن كانت تدخل للفرقة في اللحظة التي كسر فيها ملكيادس، دون انتباه منه، قارورة من بيكلور الزئبق. فقالت أورسولا: «هذه رائحة الشيطان».

لأجاب ملكيادس مصححاً: «لا. فقد ثبت أن للشيطان خصائص كبريتية. وما هذا سوى نتاج كيميائي متصاعد مزعج».

وحكماً، انطلق كعادته، بأسلوبه التعليمي، يعرض علمياً الخصائص الشيطانية للزئبق^(١). ولكن أورسولا لم تكتسرت به، فاصططحت أظفارها للفصاة. ولم تبرح تلك الرائحة المزعجة النفاذة ذاكرتها، وقد ارتبطت بذكرى ملكيادس.

كان المخبر النواة - إضافة إلى مجموعة من القدور والأقماع والقوارير والمرائح والمصابي - يتكوّن من أنبوب ماء يذائي، ودورق زجاجي له عنق طويلة رفيعة، وصورة ليضة الفيلسوف، ومكتف بناء العجر أنفسهم حسب المواصفات الحديثة للإمبيق أو القطر^(٢) ذي الأربع ثلاث المنسوب لماري

(١) كبريتيد الزئبق.

(٢) الإمبيق، أو القطر، هو أداة كيميائية للتقطير.

اليهودية. وقد ترك ملكيادس، إضافة إلى ما سبق، نماذج من المعادن السبعة المقابلة للكواكب السبعة، ومعادلات موسى وزوسيم لمضاعفة كمية الذهب، ومجموعة من المخططات والرسوم المتصلة بعمليات التعليم الكبرى، التي تمكن من يستطيع تفسيرها من صنع حجر الفلاسفة. وقد أغري خوزيه أركاديو بونديا بسهولة المعادلات الخاصة بمضاعفة كميات الذهب، فجعل يغازل أورسولا بضعة أسابيع كي تسمح له باستخراج عملتها الاستعمارية المدفونة، ليضاعفها عدداً من المرات يساوي ما يمكنه تحمزة الزئبق إليه. ورضخت أورسولا، كما كانت تفعل دائماً، أمام عناد زوجها الذي لا يعرف التراجع. وهكذا ألقى خوزيه أركاديو بونديا ثلاث قطع من العملة الإسبانية الذهبية القديمة في مقلاة، وأقابها مع برادة النحاس وكبريتوز الزئليخ والكبريت والرصاص. وقد ترك كل ذلك، يغلي في قدر مملأها بزيت الحوت حتى حصل على سائل كثيف له رائحة قذرة، ويشبه في شكله الكاراميل الرديئة أكثر مما يشبه الذهب الثمين. وبعد عمليات خطيرة ويائسة من التقطير، ذاب الخليط مع المعادن الكوكبية السبعة الممزوجة بالزئبق المضغوط وأملاح قبرص المركزة، والمعاد طبخها بشحم الخنزير لفقدان زيت الفجل. وهكذا ضاع ميراث أورسولا الثمين، إذ تحولت إلى قطعة كبيرة متكلسة، من لحم الخنزير المتشق، ملتصقة بشدة في قعر القدر.

ولما عاد النجر في المرة التالية، كانت أورسولا قد أثارت عليهم أهل القرية جميعاً. ولكن حب الاستطلاع كان أقوى من الخوف. فقد راح النجر، هذه المرة، يطوفون في أحياء القرية وسط ضجعة وصخب شديدين تصدرهما أنواع مختلفة من الآلات الموسيقية. بينما كان النادي يلحن من عرض أعظم اكتشاف خرافي خارق لدى الناسيانيسيين. وتذاع الناس جميعاً إلى الحديقة، ومقابل سنت واحد من كل منهم،

شاهدوا ملكيادس شاباً وقد استعاد قوته وعافيته، فخللا وجهه من الشعاعين، وتلألأت في فمه أسنانه البيضاء. وأصاب الدهول الناس الذين عرفوا لشه المأكلة بمرض الأسقربوط، ووجهه المتجعّد، وشفتيه الداويتين، فجعلوا يرتجفون خوفاً في مواجهة البرهان الساحط على قذرة هذا الغجري الخارقة. ثم تحول الخوف إلى هلع عندما أخرج ملكيادس أسنانه من فمه سليمة مرصوفة، وعرضها على الجمهور لحظة خاطفة. بدأ فيها رجل الماضي المهتم في عجزه - ثم أمادها إلى فمه وأبسم ثانية بكل ثقة الشباب المستعد. حتى خوزيه أركاديو بونديا نفسه اعتبر أن معرفة ملكيادس قد بلغت الحدود القصوى. ولكن الفرح غمره عندما أوضح الغجري له وحده آلية أسنانه الصناعية. فبدأ له الأمر نوعاً من السهل الممتنع في أن معاً، حتى فقد اهتمامه فجأة بتجاربه في الكيمياء. وعاش بعد ذلك أزمة جديدة في معنوياته، واضطرب نظام تناوله الطعام، وصار يقضي اليوم بظوله منتقلاً في البيت على غير هدى. قال لزوجته: هناك أمور لا تصدق تحدث في العالم. فعلى الطرف الآخر من النهر، توجد كل أنواع الآلات السحرية، بينما نعيش نحن هنا حياة الحيرة. ودهش كل الذين عرفوه منذ نشوء ماكوندو، بسبب ما أصابه من تغير بتأثير ملكيادس.

فقد كان خوزيه أركاديو بونديا شاباً حكيماً يعلم الناس كيف يزرعون، ويوجههم كيف يربون أولادهم وحيواناتهم. وكان يمارون مع الناس جميعاً حتى في الأعمال المادية من أجل مصلحة المجتمع. ولما كان ييته، منذ البداية، أفضل بيوت القرية، فقد بشي الآخرون بيوتهم على صورته وشاكلته. وكان البيت يتألف من غرفة جلوس صغيرة حنة الإضاءة، وغرفة طعام خارجية على هيئة شرفة تحيط بها أزهار زاهية، وغرفتين للنوم، وفناء واسع فيه شجرة عملاقة من شجر جوز الهند،

ويحيط به بستان حسن التنظيم، وتلحق به حظيرة يعيش فيها الماعز والخنازير والدجاج بسلام. أما الحيوانات الوحيدة التي كانت ممنوعة - لا في بيته وحده، بل في القرية كلها - فقد كانت الديكة المصارعة.

كانت قدرة أورسولا على العمل مثل قدرة زوجها. كانت امرأة نشيطة دقيقة عنيقة قوية الأعصاب، جادة، لا يذكر أحد أنه سمعها تندن بلحن أو أغنية، تبدو كما لو كانت موجودة في كل مكان في كل آن، منذ الفجر حتى آخر الليل، يلاحقها دائماً حفيف ملابسها الخشنة المنشأة. وكان يعود إليها الفضل في الحفاظ على نظافة أرض الدار غير المبلطة، والجدران غير المطلية، والأثاث الخشبي الصديء الذي صنعه بأيديهم، وفي جعل الصناديق المتينة التي كانوا يحفظون فيها ملابسهم تعبق دائماً برائحة الخبق (١) الدافئة.

وكان خوزيه أركاديو بونديا رجلاً بعيد الهمة، لم تشهد له القرية مثيلاً. فقد أقام بيوت القرية بشكل يمكن السكان جميعاً من بلوغ الجدول وجلب الماء منه، دون أن يبذل أحدهم جهداً يزيد على جهد الآخر. وخطط الطرق بطريقة واعية، تساوى فيها البيوت في التعرض لنور الشمس خلال الوقت الحار من النهار. وخلال بضع سنوات، صارت ماكوندو أفضل القرى المعروفة نظاماً وعملاً، بسكانها الثلاثمئة. لقد كانت، حقاً، قرية سعيدة، لم يتجاوز أحد فيها الثلاثين من عمره، ولم يموت فيها أحد.

ومنذ إنشاء القرية، كان خوزيه أركاديو بونديا قد بنى شراكماً وأقفاصاً. ولم يمض وقت طويل حتى ملأته وميوت القرية كلها بطيور الثروبيال والكناري والوروار وأبي الخناء. وقد شكلت أصوات الطيور الكثيرة المختلفة جوقة، غدت مع الوقت مزعجة، حتى إن أورسولا كانت

(١) نوع من الريحان، كما يسميه بعض الناس في بعض البلدان العربية.

نسبة أدبيها شمع البحر كي لا تعتمد إحساسها بالواقع، ولما وصلت قبيلة
ميكسادس، أول مرة، تباع كرات رجاجة ضد تصداع، نعبت المس
كيف اهتدروا إلى الفقرة الصاعدة في مسات المستعصية. وقد أهدأ لفجر
أهم اهتدروا إلى طريقها برفقة العصافير

ولكن روح لبادرة الاجتماع تلك ثلاثت بعد زمن قصير، حنت
عنها حتى المعاصيس، واختسات العنكية، وأحلام تحويل المعدن
الرحيصة إلى حجارة كريمة، والموافع إلى اكتشاف عجائب ادب
وتعبرت أحوار حورية أركاديو بويديا. فصار كسول الهيئه مهمل
النسب، أشعث سحية، لا تقوى ورسولا على تشديدها، لأجهد ومشقة
وسكن المظيح واعتقد الكثيرون بأنه كان صحية رقية غريبة. ولكن أكثر
للس فتاعاً بحونه تركز أعمالهم وعائلاتهم ونعموه عندما جلب عدته
تصيب الأرض، وصب إلى الخنميين أن يفسحوا الطريق لجعل ماكوندو
على اتصال بالمخترعات والمكتشفات العظيمة.

كان خوزيه أركاديو بويديا جاهلاً تماماً بجغرافية منطقة. كان يعرف
فقط أنه تقع إلى شرق مدينة حبال لا يمكن تسقيها، وتقع حلقها مدينة
ريوهاس القديمة، التي كان السير فرانسيس دريك، منذ زمن سابق -
كما روى له حده أوريبيانو بويديا الأول - يصطاد فيها التماسيح باليداع،
ثم يحشوها قشاً ويحملها إلى الملكة إليزابيث. وقد عثر حورية أركاديو
بويديا تلك الحب، في شانه بصحة رجاله، ومعهم ساؤهم وأولادهم
وأدونهم وأشيائهم لأخرى، بحثاً عن منفذ عن البحر ولكنهم توقفوا
عن حمتهم تلك بعد ستة وعشرين شهراً، ثم أسسوا قرية ماكوندو لكي
لا يعودوا من حيث أتوا. وما كانت تلك الطريق لتعنيه من بعد، ما دامت
تجلب له ذكريات الماضي أما إلى الحروب فتتمتد منطقة موحدة واسعة
تغطيها سادات عسوية، وتلبها منطقة المستنقع الكبير لتروية لأطراف،

طفلاً لما كان يرويه الغجر. وكانت هذه المناطق المستنقعية الهائلة الاتساع، في الغرب، سبخات مائية لا تعرف نهائيتها، وتعيش فيها حوتيات شفافة لها رؤوس اسناء وجذوعها، تقضي على الملاحين بما تشدهم به من سحر أئدائهم وصدورها العريضة. وكان العجر يقضون ستة أشهر لعبور هذه المناطق قبل وصولهم إلى اليابسة حيث تمرّ بفال البريد. كانت الطريق إلى الشمال إذذ، طسناً لحسابات خوربه أركاديو بويشيد، هي الوحيدة التي يمكن أن توصل إلى الحصارة. فلأعطى رفاقه القداس، في بام ماكوندو، أدوات شق الأرض وأسلحة الصيد ووضع في حقييته أدوات التوجيه البحري والخرائط، واستعدّ لبدء المعامرة الطائشة.

مصت الأيام الأولى دون عقيسات تذكر، فقد جدّوا الشاطئ الصخري لنهر حتى ملغوا المكان الذي وجدوا فيه، قبل سنين، الدرع الحربية، ثم تابعوا سيرهم في العابات بين أشجار الرتقل البري في نهاية الأسبوع الأول صادوا غزالاً وشروه، واكتشفوا بأن أكلو نصفه، وملحوا النصف الآخر واحتفظوا به للأيام القادمة، عنهم يؤخروه بنوقت الذي فيه طيور المقو (١) ذات اللحم الأزرق الحشن مسكي لطعم والرائحة. ثم مضت عشرة أيام لم يروا فيها الشمس، وغدت الأرض رحوة رصة كأنها مكسوة برماد بركاني، وتصدت لهم البساتات الكثيفة شراكها المتشابكة، وعابت عنهم أصوات الطيور والسعادين. واشتدت وطأة دلت عليهم، فأصابتهم الكآبة، وادحمت في حراطهم الدكريات في تلك الجنة الرطبة الصامتة، وكأنها أسبق من الخطيئة لأبدية، يسما كانت أحذيتهم تغوص في المستنقعات الرتيبة ويخازنها، وتعمل جواسها الحدة قطعاً في لزناق الدامية وحيوانات السعدل (٢). كانوا يسرون

(١) يبقاه أميركي ضخم طويل الذيل.

(٢) السعدل أو السندر حيوان من الصلديعيات.

صامتين، لا يتبادرون الكلام إلا نادراً، فكأنما هم نائمون أو متوّمون، في عالم قفر لا ضوء فيه إلّا ما يصدر من لمعات خفيفة تصدر عن حشرات موسمورية، وكنت رئاتهم تضيق برائحة دم خانقة ولم يكن ثمة محال سرحوخ، فالطريق التي كانوا يشقونها بصعوبة، سرعان ما تنسدّ خفهم نسات شائت كأنه نبت حديد ينمو وهم يحلقون إليه أما خوزيه أركاديو بونديا فكان يردّد قائلًا: «لا بأس فالمهم ألا نفقد الاتجاه» وتابع قيادة رحلته، معتمداً دائماً على بوصلته، متجهاً إلى الشمال دون معالم هادية، حتى لمجحواً أحياناً في الخروج من تلك الأرض المسحورة. وحلت عليهم ليلة ثقيلة دامسة الظلام، غابت نجومها، ولم يحفف من وحشتها سوى نسيمات من الهواء المعش وأصنامهم السفر الطويل الشاق، فعنقوا أرجيحهم وناموا ملء حفونهم للمرة الأولى منذ أسوعين حتى إذا استيقظوا كانت الشمس في راد الصحن فأصابهم الذهول لما شاهدوا فعلى مرأى منهم، ومن بين نسات السرحس وأشجار النخيل، وعلى صوء النهار الساكن، شاهدوا معبئة إسبانية كبيرة بيضاء قد علاها العبر، وقد جنحت على ميمتها قليلاً، ومالت صواربها السليمة، فتدلّت منها مرق الأشرعة الملصخة فلامست الآلات الأخرى التي بدت بينها نسات الأوركيديا (١) كانت لطحالب تكاد تعطي هيكل السفينة، وقد تبعثرت بينها بقايا حيوانات بحرية قشرية، وقد غاص جانب السفينة بين حجارة الشاطئ. كان كل ذلك في عالم قفر منقطع مسي بعيد عن عاديّات الزمان والطير. وطاف رجال الحملة في داخل السفينة برغبة وحذر، فما عثروا على شيء سوى غابة كثيفة من الرهور.

وقد أقر اكتشاف السفينة الشراعية على دوافع خوزيه أركاديو بونديا، بدّل عليه من قرب البحر. فكأنما قدره يسخرته، فيبحث عن البحر عبثاً، مع كل ما يقدمه من تضحيات وما يلاقيه من عذاب، وفجأة،

(١) نبتة من الفصيلة السحلية

هكذا، يجد البحر مصادفة في طريقه، وكأنما هو شيء لا يقهر.

كنت قد مضت على هذه الحادثة سنون طويلة، حين مرّ الكولونيل أوريليانو في تلك الطريق، وقد أصبحت الطريق التي يسير عليها الريد بانتظام، فلم يجد من السفينة سوى هيكلها الخارجي المعروق وسط حقل من نبات الخشخاش (١). وعندها اقتنع أن القصة لم تكن مجرد خيال من أبيه، وتساءل كيف استطاعت تلك السفينة الوصول إلى تلك البقعة من الأرض. وهو سؤال لم يحير خوزيه أركاديو بويديا، في حينه، عندما وصل إلى البحر بعد مسيرة أربعة أيام، على بعد اثني عشر كيلومتراً من السفينة الجائحة. فقد توقفت أحلامه عند البحر المزيد، بلونه الرمادي العكر، والذي لم يستأهل كل تلك الأخطار والتضحيات التي تكبدها القوم في المغامرة.

لقد صاح خوزيه عندما رأى البحر: «بئس الأمر. ماكوندو محاطة بماء من كل الجهات».

وسدت، حتى زمن طويل بعد ذلك، فكرة كون ماكوندو واقعة في شبه جزيرة، حسب الخارطة الأولية التي رسمها خوزيه أركاديو بويديا لدى عودته من حملته. فقد رسمها وهو مفتاط، وغالي، عن سوء بية، في إظهار مصاعب الاتصال، وكأنما هو يعاقب نفسه لاختياره موقع القرية دون تبصر. وكثيراً ما كان يتدب حظه لأورسولا، قائلاً: «لن تغادر هذا المكان أبداً. وسوف نقضي هنا قبل أن تصلنا خبرات العلوم». وسيطر عليه هذا الاعتقاد شهوراً بحالها، وهو معتكف في مكتبه الذي اتخذته مخبراً، حتى توصل إلى فكرة نقل ماكوندو إلى موقع أفضل. ولكن أورسولا التي توقعت ما سيخرج به، كانت قد أعدت خطة، ون بدت

(١) نبات مخفر.

صعبة، فأخذت تنفذ خطتها بسرية الملة الصغيرة وإصرارها. فآثرت
 ساء لقريه على أهواء أزواجهن حين بدأوا الاستعداد للرحيل. ولم
 يعرف خوربه أركاديو بوينديا قط متى ولا كيف، ولا سر القوة المصادرة
 التي أفسدت عليه خطته، مدأت تواحه الأعداد المضطعة النواحية حياً،
 وانظروف غير المنتصرة حياً آخر، والتخلص من الوعود حيناً ثالثاً. وهكذا
 دوت لحظة، ورأها تتحول إلى ما يشبه الوهم. ودات صباح، أخذت
 أورسولا برق روجها بسرعة وشيء من الشفقة والرثاء، بينما كان يجتر
 أحلام الرحيل ويضع أدواته القبرية في صناديق. راقته حتى انتهى من
 ترتيب أدواته، وسمر الصناديق، وكتب حروف اسمه الأولى عليها بريشة
 محبرة، دون أن تنبس بيت شعة، مع أنها كانت تعرف أنه على علم بأن
 أهل القرية لن يشاركوه في رحيله. فقد سمعته يحدث نفسه بذلك
 بصوت خفيض حتى رآته ينزع باب المكتب من مكانه، فجازت بسؤاله
 عن سبب ما يفعله. فأجاب عماراة وحزن: «سوف نرحل وحدنا، إذا لم
 يكن أحد يريد الرحيل معنا. ولم تتراجع أورسولا ولم تتأثر، فقلت له:
 «لا لن يذهب، بل سوف يبقى هنا، لأننا نحن ما واحدنا من أولادنا».
 قال: «ولكن لم يمت لنا أحد هنا. ولا يتسبب الإنسان إلى أرض لا
 موثي له تحت ثوابها».

فأحاطته بشيء من الحرم: «إذا كان لا بد من ذلك فسوف أموت أنا
 هنا». ولم يكن خوربه أركاديو بوينديا يظن، لحظة واحدة، أن إرادة
 زوجته قوية لا تقهر. فحاول أن يرين لها الأمر، فكشف لها عن كروز
 خياله الموعودة، فوعدها بعالم جديد عجيب، يكفي أن تصب فيه
 السوائل السحرية على الأرض حتى تغلق الأشجار والنباتات ثمارها،
 وحيث تناع بأسعار زهيدة الآلات التي تخفف آلام المزارعين. ولم ترصخ
 أورسولا لأنكاره وآرائه المغربة، فأجابه قائلة:

«بدأ من تفكير مخترعاتك الوهمية، ينبغي لك أن تعني بولدك،
أطرد إلى حالتهما بحرياد في الحقول كالحمير الرثة»

وفكر خوزيه أركاديو مونتيا ملياً في ما قالته زوجته، ونظر من البافذة
ليرى ابنه حافين في البسان الذي تلمحه الشمس بحرارتها. وبدأ له،
لدهلة الأولى، أنهما إنما خلقا في تلك اللحظة، بمض إدراك أورسولا
ودعائها. شيء ما حدث في داخله. شيء غامض وحاسم اقتلعه من
وجوده الحاضر وفصله عن أرجاء مجهولة في ذاكرته. وبسبب راحت
أورسولا تكس بيتها متيقة من أنها لن تغادره أبداً ما دامت حية، كان
روجه غارقاً في تأمل ولديه، ثابت النظر عليهما، حتى اعرورت عيناه
بلمسوع، لمسحها بقفا يده، وبعت تهيدة رضا عميقة، ثم قال .

«حسناً، قل لي لهما أن يأتيا لمساعدتي في إخراج لصديق». كان
خوزيه أركاديو، ابنه الكبر، قد بلغ الرابعة عشرة من عمره. كان ذا رأس
مربع، وشعر كثيف، وله مثل خلق أبيه. وعلى الرغم من أن وتيرة نموه،
وقوته البدنية، تشبهان ما كان لأبيه، فقد بدأ مبكراً أنه كان ضعيف
الخيال. فقد حملته أمه وأرضعته في فترة صعبة، هي فترة عبور الجبال
قبل تأسيس ماكوندو. وقد شكر أبواه الله عندما لم يجدا فيه، لدى
ولادته، أية ملامح حيوانية.

أم ابنة الثاني، أوريليانو، الذي كان أول مولود إنساني في
ماكوندو، فبيلغ السادسة من عمره في شهر آذار (مارس). وكان صامتاً
ومنكفئاً على ذاته. لقد بكى وهو بعد في رحم أمه، وولد مفتوح
العينين، وكان يحرك رأسه ذات اليمين وذات اليسار، وهم يقطعون له
حل الخلاص فكان كأنما هو يتفقد أشياء الغرفة ويتعرف على وجوه
الحاضرين بشيء من الفضول دون أن يبدو عليه أنه يستغربها. ثم ركز
اهتمامه، وكأنه غير معني بمن كانوا يقتربون منه ليتفحصوه، على سطح

أعصان النخيل الأبل للسقوط تحت ضغط المطر الهائل ولم تتمكن أورسولا من تذكر شدة تلك النظرة طوال فترة طويلة من الزمن، إلى أن جاء يوم دخل فيه عليها، وهي على وشك رفع قدر الشوربات العالية عن النار لوضعها على الطاولة. عندها قال الصغير وهو يتردد على عتبة الباب : «سوف تسقط».

كانت القدر ثابتة في وسط الطاولة. لكنها، ما إن نطق الصغير بنسوته، حتى تحركت القدر بثبات في اتجاه حافة الطاولة، كأنها هي مدفوعة بقوة خفية، ثم انقلبت وتدحرجت وتكسرت على الأرض. واضطربت أورسولا، وروت ما حدث لزوجها، ولكنه ألقها بأن ذلك أمر طبيعي. وهكذا كان دائما عريبا عن وجود ولديه، أولا، لأنه كان يرى في الطفولة مرحلة ضعف عقلي، وثانياً، لأنه، كان غارقاً في تأملاته الخيالية.

ولكن، منذ أصبح ذلك اليوم، عندما دعا ولديه لمساعدته في إعادة أدواته اخصرية من الصاديق إلى أماكنها في الخبز، بدأ حوزيه يكرس لهما أفضل وقته. كان يعلمهما القراءة والكتابة والحساب في مكتبته الصغير، الذي بدأت جدرانها تكتسي تدريجاً بالخرائط الغربية والرسوم البيانية الخرافية. ثم أحد يحدثهما عن عجائب العالم، فلا يكتفي بما يعرفه، بل يجمع بخياله إلى أقصى حدود الوهم. وهكذا، تعذب الطفلان أن في أقصى طرف فريقا الجنوبي بشرأ بلعوا من الذكاء والصفاء أنهم يقصون أوقاتهم في التأمل وحسب. وتعلما أن بوسع الإنسان أن يقطع بحر ليجة سيراً على القدمين، وذلك بالقفز من جزيرة إلى أخرى حتى يبلغ مرما سالوتيك. وقد ظلت هذه الحكايات الخرافية المثيرة محصورة في ذاكرة الطفلين، إلى الدرجة التي جعلتها تعود، بعد سنوات كثيرة، إلى ذاكرة أورديانو في اللحظة التي سبقت إصدار الأمر إلى فريق الإعدام بإطلاق

النار ففلي تلك اللحظة ، استعاد صايط القطعات النظامية - الكولوبيل أوريليانو بويديا - ذكرى عصر ذلك اليوم الرائع من آذار، عندما قطع أبوه درس الفيزياء، ووقف مشدوهاً، ويده مرقوعة في الهواء، وعينه حامدتان، يصني لصوت قادم من بعيد لأبواق وطول وصنوج عجيبة فقد كان العجر قادمين، مرة أخرى، إلى القرية لكي يعللوا أحدث الاكتشافات وأكثرها غرابة لدى حكماء عفيين.

كانوا عجراً جديداً هذه المرة، فتيناً وفتيات لا يتكلمون غير لغتهم الخاصة. كنوا نماذج بشرية لطيفة ظريفة، بشراتهم ريشة اللون، وأيديهم رشيقة حائلة. نشرت موسيقاهم، وما رافقها من رقص في الطرقات، هياجاً ومرحاً وطرباً مجنوناً. فالبقاوات الملوثة تردد، لأعاني الإيطالية، والدجاجة التي تبيض مئة بيضة على صوت الطبلة، والقرد المدرب يقرأ أفكار الناس، والآلة متعددة الأعراض التي يمكن أن تحيط الأزرار، وتخفف الحصى، واحهاز الذي يسي المرء ذكرياته السيئة، ودواء قضه انوقت دون عمل، وألف اختراع آخر عجبري وغريب، حتى إن حوزيه أركاديو بويديا كان يود لو كان بوسعه أن يحترع آلة للذاكرة لكي يتذكر تلك الأشياء جميعاً. ووجد أهل ماكوندو أنفسهم صائعين في طرفات قريتهم، وقد أدهمهم ذلك المعرض الحاشد.

كان حوزيه أركاديو بويديا يسير ممسكاً بيدي ولديه، كي لا يصيبها في تلك الرحمة، ويصادف في طريقه مهرجين أسنانهم معلقة بالذهب، ومشمعوذين للواحد منهم ست أذرع، ويكاد يحسنتق من رائحة الروث المحتجرة برائحة الصندل والعائحة من ذلك الحشد. كان يمشي كالمعتوه، باحثاً في كل مكان عن ملكيادس، عله يشرح له أسرار الكابوس العريب. سأل عنه الكثيرين من العجر الجدد، ولكنهم لم يفقهوا لغته ثم توجه إلى المكان الذي اعتاد ملكيادس أن ينصب فيه خيمته. وهناك

وقع بصره على رجل أرمني قليل الكلام، يتحدث بالإسبانية عن إكسبر
 سائل يحول المرء إلى إنسان غير مرئي. وقد أدار في حلقه، جرعة
 واحدة، كأساً كاملة من تلك المادة العسيرة، عندما استطاع خوزيه
 أركاديو بونديا أن يشق طريقه بعنف عبر الجماعات المحتشدة لحضور
 الشهد، فاعرة أمواها واستطاع خوزيه أن يطرح سؤاله وتفحصه
 العجري نظرة باهتة، في ما هو فيه من مظهر محيف، قل أن يحول
 بصره إلى بركة صغيرة من الرفت ينبعث منها دخان كريحه الرائحة، ليظمو
 من فرقها صدى جوابه :

« مات ملكيادس ».

وصنع خوزيه أركاديو بونديا بالإنشأ وحاول أن يتغلب على الحزن
 الذي جلس له هذه الصفعة الرهيبة، بينما تهرق الناس يسبحون من
 الأعيب جديدة، وتبخرت بركة الأرمي الصامت فلم يبق منها شيء،
 وظل خوزيه ذاهلاً في مكانه ثم أكد له غجر آخرون أن ملكيادس قد
 مات بالحق في مستقعات سفاهورة، وأنهم ألقوا بجثته في أعماق مكان
 من بحر جاو. أما ولداه فما كانا ليأبها بذلك الحزن. فقد كانا ينتظران أن
 يأخذهما أبوهما كي يشهدا اختراع حكماء عميس العجيب، الذي كان
 انقجر يعمون عنه عند باب حيمة ادعوا أنها كانت للميث سليمان. وقد
 ألحاً في انطلب حتى رضع خوزيه أركاديو بونديا، ودفع ثلاثين ريالاً،
 وأدخلهما حتى وسط الخيمة، حيث كان يتصب عملاق كثيف شعر
 الخدع، حليق الرأس، علق في أنفه حلقه من نحاس، ووصعت في
 قدميه سلسلة ثقيلة من الحديد، يقوم على حراسة صندوق قرصان. رفع
 لعملاق غطاء الصندوق، فانبعثت منه هبة هواء جليدي، وما كان فيه
 سوى كتنة هائلة شفافة تحوي عدداً لا حصر له من الإبر، تفجرت عليها
 أصواء المساء على هيئة نجوم مختلفة الألوان. وما كان خوزيه أركاديو
 بونديا ليجهن، في حيرته، أن ابنه كانا ينتظران منه شرحاً سريعاً لما

يشاهدان. معجازف بأن تتم لهم فائلاً :
هذه أكبر ماسة في الدنيا.

وصاح الفجري مصححاً : «لا. إنها جليد»

ودون أن يدري خوزيه أركاديو بويديا، مدّ يده إلى الكتلة. ولكن
العملاق دفع يده قائلاً : «حمسة رياللات من أجل لمسها». فدفع خوزيه
أركاديو بويديا الملح، ووضع يده على الخليد بضع دقائق، وقد شمر
بفرح ممروح بالخوف ليجرد ملامسته للسر. ثم دفع، دون أن يدري ما
يقوله، عشرة رياللات أخرى ليتمكن ولديه من تلك الخبيرة العظيمة.
ورمى خوزيه أركاديو الصغير أن يلمسها. أما أوريليانو فتقدم ووضع يده
عليها. ثم سحبها قائلاً : «إنها تعلي». ولم يأنه أبوه بقوله، فقد عمرته
لغطة أمام هذه المعجزة العجيبة الحقيقية، حتى استسلم برهة، ونسي
خيبة أمه في معمراته اليانسة، ونسي جثة ملكيادس التي تركت طعاماً
لحيوانات البحار. ثم دفع حمسة رياللات أخرى، وصاح وهو يصع يده
على تلك الكتلة الكعكة، كمن يشهد مقسماً على الكتاب المقدس : «إنه
أعظم اختراع في زماننا».

(٢)

لما هاجم القرصان فرانسيس دريك ويوهاشا في القرن السادس عشر،
أرعبت أصوات أجراس الإنذار وطلقات المدافع جده أورسولا إيجوارن،
حتى فقدت صوابها، فجلست على من مشتعل. فأحالتها الحروق إلى
زوجة لا نفع لها طوال باقي عمرها. فما كانت تستطيع القعود إلا منحرفة
إلى أحد جانبيها، راكزة نفسها بالوسائد والحشايا. وقد أثر ذلك، كما
يبدو، على مشيتها فجعلها غريبة غير طبيعية، فلم يرها أحد، من بعد،
تسير بين الناس في محفل عام. تخلت هن العادات والعلاقات
الاجتماعية، وسيطرت عليها فكرة أن لجسدها رائحة كريهة. كانت
تقضي الليل بطوله دون نوم خشية أن ترى الإنجليز في منامها، بل أن
يدخلوا عليها من لافذة، بكلابهم المتوحشة، فتعرض للعداب على
أيديهم بالحديد المحمى بالنار. وقد بذل زوجها التاجر الأراغوني، الذي
ولدت منه طفلين، كل جهد ممكن في سبيل البحث عما يهدئ روعها،
فأنفق نصف رأسمال مخزنه ثمناً لأدويتها وسلوها. وانتهى به الأمر،
أخيراً، إلى أن صفى أملاكه، ورحل بعائلته ليعيش بعيداً عن البحر في
قرية هادئة آمنة للمهنود عند سفوح الجبال. وهناك بنى لزوجته غرفة نوم
بلا نوافذ كي لا يصل إليها قرصان كوابسها.

في تلك القرية السائية، كان يعيش، منذ عهد قديم، زارع دخان من
أساء البلاد الأصليين، يدعى دون خوزيه أركاديو بونديا. اتفق معه جده
جده أورسولا على القيام بمشروع ازدهر بعد سنين قليلة ووثر لهما ثروة

كبيرة وبعد قرون من ذلك التاريخ، تزوج حميد حفيد ذلك المواطن المزارع حفيده حفيد التاجر الأراغوني ولذلك، كانت أورسولا، عندما تضيق بنزوات زوجها، ترجع ثلاثة قرون إلى الوراء، وتستعيد الأحداث التي لم تكن متوقعة، وتلعن الساعة التي هاجم فيها فراسيس دريك ريوهاشا ولم يكن ذلك سوى نوع من السلوى ومواساة الذات، لأن ارتباطها بزوجها كان أقوى من الحب، ارتباطاً حتى الموت. فقد كنت وإياه ابني عم، نشأ في القرية التي جعلها أسلافهما، بتعبهما وشقاتهما وصريقة عيشهما، من أحسن القرى في المنطقة. يومذاك، وعلى الرغم من أن كل شيء كان ينسب منذ ولادتهما بأنهما سيكونان زوجين، فقد حاول ذووهم، عندما أعلما رغبتهما في الزواج، أن يصرفاهما عنه. فقد كانوا يحشون أن يعاني هذا الفرعان السليمان من سلالتين، ترواجتا منذ القدم، عبر ولادة تمساح منهما. وهناك سابقة لذلك رهيبة. فقد وضعت عممة لأورسولا تروجت عمّاً لخوزيه أركاديو بوينديا ولذا اضطُر أن يرتدي، طوال حياته، بنطالاً مصفاضاً، ثم مات بعد أن نرف كل دمه وهو في الثانية والأربعين من عمره دون رواج، لأنه ولد وشتّ وله دنب غصروفي لولبي في طرفه خصلة شعر، فلم يجرؤ قط على أن تراه امرأة، ثم انتهى بأن كلفه ذلك حياته كلها عندما تطوّع، ذات يوم، لحام صديق له، فقطعه له بضرية مكين.

ولكن خوزيه أركاديو بوينديا، باستهتار ابن التاسعة عشرة من العمر، حلّ المشكلة بعارته البسيطة. «لا يهمي أن يكون لي أبناء خنازير ما دموا يتكلمون» وهكذا تزوجا، ودام الفرح ثلاثة أيام، لباليهما، حافلة بالموسيقى والغناء والألعاب البارية وكان يمكن لهما أن يظلا سعيدين في حياتهما، لو أن أم أورسولا لم ترعيبها بما روتها لها من نساء سوداء عن سلاتها، حتى وصل الأمر بها إلى تصحها بعدم إتمام الزواج، أي

بمع زوجها من الدخول عليها. وخوفاً من أن ينتهز زوجها القوي الخازم نومها، فيفيض بكارتها، ألبستها بنظلاً سميكاً فصته لها من قماش الأشرعة، وقوته بأشرطة متصالية، وأغلقتة من الأدم بحلقة من حديد. وهكذا عاش خوزيه وأورسولا شهوراً على هذه الحال. فكان هو يرمى في النهار دبكة القتال، وكانت هي تقضي نهارها بالحياكة على النول مع أمها، حتى إذا حلّ الليل نشبت بينهما معركة شديدة دامت عدة ساعات. ولكن هنا النمط من الحياة والعراك حلّ بينهما، على ما يبدو، محل علائق الحب. ثم أدرك الناس أن شيئاً غير طبيعي يسود حياتهما. وبعد سنة من الزواج، انتشر بين الناس خبر أن أورسولا ما زالت عذراء لأن زوجها عيّن ثم تساهى الخبر إلى خوزيه أركاديو بوينديا نفسه.

فقال لزوجته: «أسمعت ماذا يروي الناس يا أورسولا؟» فأجابت: «دعهم وما يقولون. نحن نعرف أن ذلك غير صحيح». واستمرت الحال على ما كانت عليه سنة أشهر أخرى، حتى جاء ذلك اليوم المأساوي. كان يوم أحد، وقد فار خوزيه أركاديو بوينديا في معركة الديوك ضد برودينسيو أجويلار. وغضب ذلك الخسر حتى خرج عن طوره، ولا سيما عندما رأى ديكه دامياً، فأدار ظهره لخوزيه أركاديو بوينديا، كي يمكن الناس المجتمعين من سماع ما يقوله له. وصاح «مبارك عليك. أرجو لهذا الديك أن يقوم بواجبات زوجتك!».

فحمل خوزيه أركاديو بوينديا ديكه هادئاً، وخاطب الناس قائلاً: «سأعود حالاً». ثم وجه كلامه إلى برودينسيو أجويلار قائلاً: «أما أنت فأسرع إلى بيتك، وأحضر سلاحاً لك، لأنني سأبتلك». وبعد عشر دقائق، عاد يحمل رمح جده المثلّم. وكان برودينسيو أجويلار ينتظره عند باب ساحة قتال الديوك، وقد اجتمع نصف أهل

القرية. ولم تتع فرصة كبيرة لبرودينسيو للدفاع عن نفسه، فقد نطلق إليه رمح خوزيه أركاديو بونديا بقوة ثور، وبالمهارة التي كانت تمكن أوريليانو بونديا الأول من قتل غور المنطقة كلها، فغذ الرمح من عنقه.

وفي ذلك المساء، وبينما كان الآخرون يقصون الليل حول جثة القتيل، ظهر خوزيه أركاديو بونديا فجأة في غرفة نومه، بينما كانت زوجته نهم بارتداء بنطال الطهارة. فسدد الرمح إليها، ونهرها قائلاً: «انزعي هذا». ولم تشك أورسولا لحظة في حزم روجها آنذاك فتمتعت قائلة: «أنت المسؤول عما سوف يحدث».

ركز خوزيه أركاديو بونديا رمحه في أرض الغرفة الطيبة، وأجاب: «إذا أظلمت تماسيح فسوف نربي التماسيح. ولكن لن يموت أحد آخر في القرية بسببك».

كانت ليلة جميلة من ليالي حريان، هراوها عليل معش، وقمرها ساطع منير، ببقيا في سريرهما حتى العجبر لاهين غير عائين بالهواء الذي كان يدخل غرفة النوم، حاملاً إليهما نحيب عائدة برودينسيو إجبولار.

وانتهت القصة عند هذا الحد، فقد اعتبرت الحادثة مبارزة شرف. ولكنها خلقت نوعاً من وخز الضمير لدى الزوجين. فقد خرجت أورسولا في تلك الليلة، إلى صحن الدار كي تشرب ماء، فرأت شبح برودينسيو إجبولار قرب الجرة الكبيرة. كان عمتق البون، بغمر وجهه الأسى والحزن، وهو يحاول أن يسد الثقب في عنقه بصماد من الحلفاء. ولم تخف أورسولا، ولكنها أشمقت عليه ورجعت إلى غرفتها فروت لزوجها ما رأت، فلم يعلق، ولم يكثر بذلك، بل قال في نفسه: «هذا يعني أننا لا نقوى على احتمال أوزار ضمائرنا». وبعد ليلتين رأت أورسولا برودينسيو إجبولار، ثانية، في الحمام، يمسح بصماد الحلفاء الدم المنخثر

عسى عنقه ثم رآته في ليلة أخرى ينثره تحت المطر. وارتفع خوريه
أركاديو بونديا من رؤى زوجته فحمل رمحه وحرج إلى صحن الدر.
فوجد الرجل الميت أمامه وعلى وجهه تعابير الحزن. فصاح به خوريه
أركاديو بونديا : «إلى الحبيب، وفي كل مرة تعود سأقتلك من جديد».

ولم يتعد بروديسيو إجويلار، ولم يجرؤ خوريه أركاديو بونديا على
قذفه بالرمح. ومنذ تلك الليلة لم يعد يعرف الراحة. سيطر عليه حزن
الميت العظيم، وهو يرمقه تحت المطر، ويعدده حبيب العميق لعالم
الأحباء، وقلقه وحيرته وهو يبحث في الدار عن قليل من الماء يبلل به
صناد الخلف. وكان يقول لأورسولا : «هل ترين، إنه يتألم كثيراً إنه
يعاني الوحشة» وحزنت أورسولا لذلك، حتى إنها عندما رأت الميت،
في المرة التالية، يرفع أظفبه القدور الموضوعة على الموقد، أدركت مراده،
وجعلت، منذ ذلك اليوم، تصع له بعض الأواني ملأى بالماء في أنحاء
الدر. وقد رآه خوريه أركاديو بونديا، ذات ليلة، يفسل جراحه في
غرفته الخاصة، فما استطاع الاحتمال بعد ذلك.

قال في نفسه : «حسناً، يا بروديسيو، سوف نرحل عن هذه القرية
إلى أبعد ما نستطيع. ولن نعود إليها بعد اليوم. فالآن، تستطيع أن ترحل
عن مطمناً».

وهكذا كان عزمهم على عبور الجبال (١). فقد بدأ عدد من أصدقاء
خوريه أركاديو بونديا، ممن كانوا في مثل عمره من الشباب، بحزم
أمتعتهم. ثم اصطحبوا نساءهم وأولادهم، متجهين إلى تلك الأرض التي
لم يسبق أن وعدهم أحد بها. وقبل الرحيل، دفن خوريه أركاديو بونديا
رمحه في أرض الدار، وقام بذبذب ديكته المقاتلة الجمينة، واحداً بعد
الأخر، مؤمناً بأنه، بهذه الطريقة يمكن أن يدخل الطمأنينة إلى نفس

(١) جبال السيروا.

بروديسو إجويلار. ولم تحمل أورسولا معها عدا صندوق ثياب عرسها
وبعض أدوات المطبخ، والصندوق الصغير الذي كان يحوي القسطع
الذهبية التي ورثتها عن أبيها. لم يصموا للرحلة خطية، ولم يحددوا
اتجاهاً دقيقاً، بل ساروا في اتجاه معاكس لطريق ريوهاشا، كي لا يتركوا
حلقهم أثراً، ولا يلتقوا بأحد يعرفونه.

كانت رحلة غريبة. وبعد أربعة عشر شهراً من السفر، أنهكت حلالها
معدة أورسولا من أكل لحم السعادين وشوريا الأماعي والسلاحف،
وصعدت طفلاً كانت كل ملامحه وأجراء حسده بشرية، فقضت نصف
الطريق محمولة على أرجوحة يرفعها رجلان على كتفيهما، لأن سائقيها
تورمتا، وتفجرت دواليهما كفتاعات الماء. وقد اجتاز الأبطال محن
الرحلة ومخاطرها خيراً من والديهم. فعلى الرغم من أن بطونهم المتفتحة
وعيونهم المشبهة بعيون الموتى كانت تثير الشفقة والحزن، فقد كانت
المعامرة عندهم، في غالب الوقت، صرباً من الدهر.

وبعد نحو ستين من السفر، وذات صباح، اكتشفوا المنحدرات
الغريبة من سلسلة الجبال فكانوا أول من يراها بين البشر. ومن على قمة
اجل المتعينة بين الغيوم، أخذوا يتأملون رفعة ماء المستنقع الكبير التي
كانت تمتد حتى طرف العالم الآخر.

ولكنهم لم يصادفوا البحر. وذات ليلة، وبعد أن هاموا على
وجوههم شهوراً في منطقة موحلة، على بعد سحيق عن آخر من النقا،
بهم من الهنود، سكان البلاد الأصليين، أقاموا خيامهم على صفة نهر
كثير الحصى في مجراء، يشه مازه سيلاً من زجاج متجلى.

وبعد سنين من ذلك التاريخ، وخلال الحرب الأهلية الثانية، حاول
الكولونيل أوريليانو بونديا أن يسلك تلك الطريق لكي يداهم ريوهاشا
على حين غرة. ولكنه أدرك، بعد مسيرة مئة أيام أن خطته كانت أشبه

ثم في تلك المدينة، عندما أقام أبوه ورهضة حيامهم على صفة «سهر»
فقد كان يبدو عليهم كأنهم قوم محوا، بعد لأي، بعد أن غطمت سميتهم،
ولم يبق أمامهم سبيل للنجاة ولكن عددهم كان قد ازداد خلال رحبه
البعور، وكانوا جميعاً منتهين لنلا يموتوا إلا شيوفاً وذلك ما كان فعلاً.
بعد رأى حوريه أركاديو بويديا في ما يرى النائم، في تلك الليلة، أنه
سقوم في ديث لمكان مدينة عظيمة، جدران بيوتها مرابا وسأل ما
تكون تلك المدينة، فأجيب باسم لم يسمع به من قبل، اسم ليس له
معنى، لكنه كان ذا وقع جميل حارق للطبيعة في حلمه : ماكودو وفي
اليوم التالي، أتبع رفقه بأنهم لن يصلوا إلى البحر أبداً، وأمرهم بأن
يقطعوا الشجر، كي يفسحوا في العاية قرياً من مجرى النهر، وفي أكثر
الأمكن برودة على صمته. وهناك أسوا القرية : ماكودو

وسم يتوصل حوريه أركاديو بويديا إلى تفسير حلمه عن بيوت
جدرانها مرابا، حتى اليوم الذي اكتشف فيه الحديد. وعنده ظن أنه أدرك
معناه العميق من أن المستقبل القريب سيشهد صاعقة كتل من الحديد
على مدى واسع، من الماء المتوافر. نشأ منها البيوت الحديدية في القرية
وبذلك تشدل قرية ماكودو من قرية حارة حارقة تتنوى فيها الأفعال
والمصارع بعمل انقيط، إلى مدينة مشتى (١) ولم يثنه عن محاولته
بناء مصنع الحديد إلا أنه منصرف بحماسة لتعديم ولديه، ولا سيما
أوريليو الذي أظهر منذ البداية استعداداً وتبصراً غريبين لتعلم انكيميا
وهكذا يظف خوزيه مخسره، وأعاد قراءة ملاحظات ملكيدس بتركيز
وصفاء ذهن، بعيداً عن الهوس الذي أصابه عندما أطلع عليها للمرة
الأولى وجعل يقضي مع ولديه الجلسات الطوال، محاولاً، بصبر

(١) مدينة دنة يقصد بها التماس لقضاء فصل الشتاء بالارد.

ومثيرة، أن بعض ذهب أورشولا عن نقايا الأخلاط المتفحمة في قعر العدر، ولم يكن حورية أركاديو الأس يشارك بحماسة في تلك الأعمال، ويسمى كان لأب مصبراً يكن حوانه ووجدانه إلى أنومه، كان أنه النكر العبد، والذي كان دائماً يبدو أكثر من سبه، يسمو ويحجوب إلى شاب يبيع ضحكهم الجشعة. وقد تغير صوته إلى شيء من الخشونة، وبدأ بعض العرب يعطي ما شوق شيمه العليا، وفي إحدى «الأمسيات» دخلت أورشولا العرفة، ويسمى كان الفتى يرحب ثيابه عنه استعداداً للغوم، فأجبت بشيء من الشفقة المروجة بالخباء. فقد كان أورشول رجل تراه عذراً بعد رواجها. كانت بينه حومة العدة بمتابة إلى درجة أنه بدأ غير طمعي دوماً.

وحضت أورشولا للمرة الثالثة، بعددتها، لخافها التي عرفها في بفايات وواجها.

وفي تلك الأثناء، كانت تتردد إلى البيت امرأة مريحة دعوت وقحة بعض الشيء، وبذينة البسائ شيرة، وتعرف قراءة المستقبل بورق اللعب. كانت تساعد أورشولا في خدمة البيت، فحدثتها أورشولا عما شاهدته في أسها، وعن ظنومها في أن عدم التناسب في أحجام أعينها ربما كان أمراً غير طبيعي، كدليل الخنزير في ابن عمها. فأطلقت تدك امرأة ضحكة رنانة صاخبة تجاوبت أصداؤه في أرجاء البيت كأنه هي أوران من رجاء يتدحرج ويتكسر، وقالت للألم «على العكس تماماً فسوف يكون محفوظاً وسعيداً في حياته». وبعد أيام، حضت معها ورق اللعب إلى البيت. تثبيت للألم صحة قولها. ثم اختلعت بخوزيه أركاديو الفتى في مستودع الحبوب المتصل بالطبخ من الناحية الخارجية. هودعت أورشولا بأناء وهدهد على طاولة عتيقة، ثم أحدثت تتحدث عن أشياء من هذا وهذاك، يسما الفتى إلى جانبها يرقب ما تفعله شيء من الملل ومجأة.

مدت يدها إليه ولمسته، ثم هتفت قائلة «يا إلهي»، فقد أصابها الدهول فعلاً، هم تقو على قول شيء «حر» أما حورية أركاديو الفتى فقد أحس كذب لو أن عظامه قد طلعت وبدأ، وسيطر عليه خوف شديد ورغبة جامحة في البكاء. ولم تحاول المرأة إثارة غط، ولكنه قضى ليلة كائى يبحث عنها في راتحة الدخان التي انبعثت من صحنوها وأسررت إلى ما تحت حبيبه. كان يود لو أنه يبقى معها طوال الوقت، يود لو أنها كانت له، ولو أنه يظل معها في المستودع، أو لو أنها تلمسه ثانية وتقول له «يا إلهي، يا لك من غريب!»، ولم يتمالك نفسه ذات يوم، فحضر إلى رباتها في منها. كانت رباته رسمية، قبلي في غرفة إجلوس هادئاً دون أن يبس شئت شعرة. ولم يشعر بأنه يشبهها في تلك اللحظة. كانت محتفة تماماً، غريبة عن الصورة التي توحى بها والحتها. وكانها كانت امرأة أخرى. فاحتس قهونه وعاد اليت مكنساً. ولكنه في غمرة أرقه، في تلك اللسة، اشتهاها بشوق ورغبة وحشيش، لا بالهيئة التي عرفها بها في المستودع، بل بالهيئة التي يدت بها عصر ذلك اليوم.

وبعد بضعة أيام دعته المرأة مجلة إلى بيتها، حين كانت وحدها مع أمها. وأدحتة إلى عرفة اليوم يهجة أنها تريد أن تراه مجمعة من ورق اللعب. وهناك راجح تلاصقه بدلال معرط وحرية لا متناهية، حتى أحس بشيء من الوهم بعد الرعدة الأولى، وشعر بالخوف أكثر من العدة. ثم طبت إليه أن يأتي إليها تلك الليلة، فوافق سريعاً لمررد التحلص منها، وهو يعرف أنه لن يستطيع ذلك. ولكنه، م يد حليم الليل حتى أدرك، وهو في سريره الملتهب، أن عليه أن يمضي لرؤيتها، حتى وإن لم يكن قادراً على ذلك. فتمسك ثيابه وارندها، مصباحاً السمع، في الظلام، لنفس أخيه الهادي، المنتظم، وسعاله أیه لجاف في العروة المجاورة، ولهاث الدجاج في ساء النار، ودمعة اللباب، ودفات

ففيه تخافقه، وحركته العالم غير العادية التي لم يحفظها قط في قبل
وهكذا عاود السبب إلى الشارع العامي. وكان يمشي من كل قبله لو أنه
يجد باب يبيته مقلداً وليس مقلداً كما كان قد اتفق. ولكنه وجد الباب
مفتوحاً، فمد يده بأصابعه، فمدت عن مصراع أنه حربه منتظمة
كان لها صدى متجدد في أوعاله. انسحب إلى الداخل محاذراً أن يحدث
صجبه ولو بسيطه. ثم عيبت في أنفه الرائحة التي يميزها. ووجد نفسه
في القاعة التي يعتق فيها إحوة العصابة الثلاثة أو حشهم في وضع يجهه
ولا يمكنه تحميد في الظلام ففهم. وكان عليه أن يعبر القاعة متحسناً
طريقه يديه، حتى إذا وقع باب غرفة النوم تيسر الاتجاه وتخصص عما عليه،
دون أن يعطى السرير. وقد تم له ذلك، ولكنه اعتك بحبال الوجوه
عبرت أعضاها تفرغ، واستند. كان ما يزال يعط في بومه، ويضبط بصوب
غير واضح. كان يوم الأربعاء. وعندما وقع باب غرفة النوم لم يستطع أن
يحسب حوله، حكاكه بأصابعه غير المستوية. وأدرك فجأة، وهو في ظلام
الغرفة الدامس، أنه قد ضل مسيله، وسطر عليه ذلك الشعور الغريب
في تلك الغرفة الصغيرة، كانت تردد الأم وابنتها الأخرى مع ووجه
وابيه، وامرأة أخرى تم يكن من المنظر أن تكون هناك. وكان يمكن له
أن يستل بالرائحة المعهودة، أو أن تلك الرائحة لم تكن لتعني في البيت
كده، فخلعه وفأذة، فحماً كما لو كانت حائله مد انطعت تحت جلده،
فتوقف في مكانه هادداً وفناً طويلاً لا يدي حراكاً، متأملاً، فيما هو فيه
من المذعر الشديد، في الحال التي أوصته إلى هذا الصياغ الرهيب،
عندما لامت وجهه، فجأة، يد تحته بأصابعها الخس، في الظلام
الحالك. وبم يماجه ذلك، كأن كان ينتظره في لا شعوره مستسلم
لنكث البعد، وهو في حالة من الإرهاق الشديد، نقوده إلى مكان غير
واضح المعالم، حيث سرع صه ثيابه ويلقي به كما لو كان كيساً من
الطعام، ويضرب من جانب إلى آخر في ليل دامس لا يدرك غوره ولا

يعيد فيه سلاح. وحيث طعت رائحة الأموب على رائحة مرأة. ولعد
حاول جهداً أن يتذكر وجهها، ولكنه لم يستطع أن يتذكر غير وجه
أورسولا. وكان يشعر شعوراً مبهماً بأنه كان يفعل شيئاً ثمي مد أمد بعيد
بو أنه يستحق له. ولكنه لم يتحلى قط أن يحدث له. في الواقع، كل
ذلك، دون أن يعرف تماماً الذي كان يفعله، بل هو لم يكن يدري
موقع غده من رأسه ولا رأس من من قدم من. فعد، كان يحس أنه غير
قادر على أن يقاوم أكثر من ذلك ثورة كليته الصماء الجليدية، ولا الهواء
ندي كان يصح بهه وأمعده، ولا أخوف ولا الرغبة والشوق الهائجين
والمحجن على المرار، والمحجن في الوقت ذاته على البقاء إلى الأبد في
هد الصمت المطبق النوى وتلك الوحدة الرهيب

كان اسمها بلار تيريزا. وكانت من رهد المهاجرين الذين آل رحيلهم
كثير إلى بهيته بتأسيس ماكوندو. وقد أزعمتها عائلتها على اصطحابها
كي تسعف عن الرجل الذي غتصبها، وهي بعد في الرابعة عشرة من
عمرها، وأحبها حتى بلغت الثانية والعشرين، ولكنه لم يقرر إعلان
علاقته بها على الملأ لأنه كان رجلاً انغريباً مترفداً. وقد وعداها أن يلحق
بها حتى آخر الدبيب، بعد زمن قصير يرتب خلاله شؤونها. وأجهداها
انتظاره والبحث عنه بقصد التعرف إليه بين الكساد والصغار من الرجال،
الشعر والسمر، الذين كان يمدحها الورق بقدمهم، من اصقاع الأرض،
براً أو بحراً، في غضون ثلاثة أيام، أو ثلاثة أشهر، أو ثلاث سنوات.
وفي انتظاره الطويل، فعدت كثرة ودفيده وقوة مخليده ويزور مهدبها
وعاداته الرقيقة النعيفة، وما بقي فيها سيباً غير جنون قلبه المحب

وأصابها الدعبه اللبيلة الجميلة عقل خوربه لوكاديو بالارتياك
والتشوش وما يشبه الحون، فتابعها طويلاً لياليه في مشاة العربة
واتفق، في إحدى المرات، أن وجد الباب مقلداً بالعدسة التي تسده من

الدخول، بطرقه عدة مرات، وهو يعلم أنه ما دام لم يجزأ على الطرق مرة
أولى، فلا بد من أن يتابع الطرق. وبعد انتظار طويل فتحت له الباب
أب في النهار فكان يمضي وشمه بعيداً، مسلماً لأحلامه، داعياً
ميكاسلاً، يستعيد في سريره ذكرى الليلة السابقة ومعناها. وعندما كانت
تأتي إلى بيته مبهجة مفرحة، لا مبالية، رشيقة جريئة حتى حد الرقابة،
فلم يكن يبذل أي جهد لإخماء اضطرابه. أب هي فقد كانت قعقة
صحيحها الصاخبة نزع الحمار في فء الدار. ولم تكن معها تلك القوة
الجمعية التي يعمده كيف يقبض تنكسه ويهيس على تسارع مشقات قلبه
نقد يكتفه من أن يدرك لماذا يخاف الناس الموت.

وهكذا انعم الشاب على نفسه، وانكفاً على ذاته، حتى إنه لم يدرك
سبب الهياج والفرح عنده خارج لأب والأح، بل البيت كله، فرحاً بما
التوصل إلى سحق النقاد، وعدية وفصل أورسولا عن نيت ابتقاء
أجل، لقد نجحوا بعد كضاح وصبر طويلين على العمل الدؤوب
والعمليات المعقدة وسعدت بذلك أورسولا، حتى إنها شكرت الله لأنه
حق الكيمياء وتراحم أهل القرية في الخبر، حيث قدمت لهم أورسولا
مخلو مصبوعة من الحوافه وروائق البسكوت ختصلاً بالاحسراع
العجيب. أب حورية أركاديو بوسيا فقد جعل يعرض عليهم البوتقة
وفيه الذهب، استعداداً كأنما هو الذي اخترعه. وبما كان يعرض ابتكاره
على الجمهور واحداً واحداً، وجد منه فتاة وجهاً بوجه أمام ابنه البكر،
الذي نادراً ما دخل الخبير في الغيرة الأخيرة بطولها. موضع الكتلة الصلبة
الصغراء أمام عييه وسأله «كيف تراه؟» ماأجاب حوزيه أركاديو
بصراحة

أبراز كلاب

فما كان من أبيه إلا أن صمعه بقفا يده صمعة أسالت دموعه ودمعه.

وفي تلك الليلة حرصت يلاز نيريرا على أن تنزع على وجهه الضمادات
والردادات المغموسة بسائل لأرييك، وهي تتعسس في اصطلام الفطش
والقذرة. وقد فعلت معه كل ما كانت تهوى من حب ومباشرة دون
إدراج له، فمارست الحب معه دون أن تدعه يحرك. وقد بلغ من بود
والحب درجة يجعلتهما، من بعد، يتهاصلا دون وعي منهما:

قل يا أريد أن أكون وحيداً معك. وسيأتي يوم يحدث فيه الناس
عن كل شيء. وعنده سمعفي، إلى عبر رجعة، الزمن الذي تسجل
فيه وحسب. خوفاً من الناس
ولم تحاول هي تهنته أو الترية عنه.

فقال «سوف يكون ذلك رائعاً. وعنده بعد وسيدين سوف يدع
المصباح مضطرب، فيرى أحداً، لآخر، ويرى ماذا يفعل. وعنده سأكون
قادرة على الصيغ والصراح بم أشبه وما أود، دون أن يرعجا أحد
وعنده سوف نهمس في أذني بكل الكلام المثير والقدر الذي يدور في
دعش»

وأثره هـ الحديث، إضافة إلى الخقد الذي كان يكنه لأبيه عدد،
وولدت لديه رغبة الشديدة في الحب العنيف الحر شجاعة لا متناهية،
وبطريقة عسوية، دون أي عداد أو تفكير في الأمر، أظنم أحماء على
تفاصيل كل ما كان يجري معه.

في البدء، لم يدرك أورينيانو الصغير من الأمر كله سوى المظاهر التي
تنطوي عليها معمرات أخيه. لم يستطع فهم السحر والخلوة الكاسين
في موضوع. ولكن سرعان ما شتت الشوق وأسرته الهفه. أدهشته
تفاصيل المظاهر والمعمرات، وروح يتروح مع أخيه ويعيش وياه معاناته
ومتعة، وشيئاً شيئاً بدأ يسلى بتفاصيل جولات أخيه، مسدداً يخفى
معه، طالباً منه أن يروي به كل صغيرة وكبيرة، مشركاً إياه في أنه

وحروفه ومسرته، ممتلئاً معه حوقاً وسعادة. وقد يستغربه بظان حتى العجز
رفعاً في سريره، الذي كان كأنما منىء جمرأ. حتى يمود من إحدى
لياليه دون عدد ظلال يحدثان حتى الصباح. فما لبث الأحباب أن بدت
عنى كليهما مظاهر الإعيب والسرحي والكس. ولم يعد بينهما أي
اهتمام بالكيباء، ولا يحكمه أيهما وعلمد. وانكبا كل منهما عنى نفسه
منقوفاً متعدياً من ذاته ملاخاً له.

وكانت أورسولا، الأم، تهرب وديهما فعالت. بعد جُنْ هدى
الولدان ولا بد أنهما مصابان بالدود. وأعدت لهما شربة من أيدي
الإوز خطحونة، فشربها الشاب بصبر عبر متطر بسب سوء طبعهما
وبناوب كل منهما على مدره إحدى عشرة مرة في يوم واحد، وأسقط
بعض الطغصيات الوهرية اللون عرضها عنى من في البيت سرور وعث
صاحب. لأن ذلك مكهما من تحويل ظنون أورسولا عن السب الحقيقي
لنعلهما وكلمهما.

ثم يكن أوريليانو يستمع إلى تجارب أخيه وحبيه، بل كان يعيشها
أيضاً كما لو أنها حدثت له. وفي أحد الأيام، وبينما كان أخوه يشرح له
تفاصيل آلية الحطب والعمية كلها، قاطعه سائلاً: «وما بحس؟» وأحبه
حوريه أركاديو دون انتظار. شيء كأنه هرة لرصه.

ودت يوم خمس من أيام كانون الثاني (يناير)، وفي الساعة الثانية
صباحاً ولدب أمارت. وتفتقدت أورسولا أعضاءها جميعاً، بل أن يدخل
غرفها أحد. كانت خبيطة ورطه، كحردون الجفون، لكن أعضاءها
جميعاً كانت إسبیه. ولم يعلم أوريليانو أن في البيت طفلاً جديداً إلا
حينما غصّ بالناس. واتهر الببله والهريج والمرح وغادر البيت، دون أن
يتنبه له أحد، كي يدعو أخاه الذي اس من سريره في الجديده عشرة
مساء. وقد كان قرار أوريليانو دائماً سريعاً، لم يتوقف للتفكير فيه. ثم

يفكر في الطريقة التي يخرج بها أحاه من غرفة بيلار نيريو. ظل يتأول
حول البيت ساعات، يصغر بالإشارة التي اتفق عليها، حتى ضرب العجز
السروح، فاصطر لمرحج إلى البيت. وعندما دخل عنى أنه عرفته، وجد
أحاه يدعب أخته الصميرة الوليدة، وعلى وجهه سيماء برادة لا يرقى
إليه ست.

وما كاد أورسولا تسهي من نهضة الأربعين يوماً حتى عاد العجز
كأنه نفس دهرجيين المشعوذين الذين حازوا بالجيد من قبل. لم يكونوا
مثل ببله ملكيداس، فقد أظهروا سرهما أنهم ليسوا مبشرين بالتقدم، بل
أصحاب تسلية وناقلو ألعاب تمتح الناس. وقد سبق بهم عندما عرضوا
«جيد أن قدموه على أنه من هراتل السيرك وليس عنى أنه أمر سام في
حياء البشر. أما هذه المرة فقد عادوا يحملون، في ما يحملونه من ألعاب
دكبة، بساطاً طائرأ لم يذهبوا أنه من أسس تطور النقل، وفي أذاة
للتسبه. وعلى الرغم من ذلك، سارع الناس بسبحث عن آخر نفودهم
الذهب الطصورة في الأرض. كي ينعموا بالطيران السريع فوق بيوت
القريه. وامتعن حوريه أركاديو وبيلار العرضي العامة التي سببها قدوم
العجز، واستمتع بصنع ساعات يدوية، فصارا بين المحتشدين كحطيين
سمدين، فباعا في رحمة لجمهوره حتى توصلا إلى الص بأن احب قد
يكون شعوراً أكثر راحة وهلوماً وعمفاً من السعادة التي ترافق اللدة،
الصمورة، ولكنها الآلية الرائنة سريعاً، في لياليهما السرية.

ونكر بيلار أنسب روعه الخبرة والخبرة. فقد شععتها حماسة
حوريه أركاديو وسعادته برفقها، ولكنها لم تحسن احتشام اللعظة
واللعظة، وكأنها لبس الدنيا على رأسه فجأة، فقالت له: «أنت الآن
رجل حمأ». وعندما لم يدرك م كانت تسميه، أوضحت له دون مؤذرة
قائلة:

- اسوف يكون لك ولد

قصى خوريه أركاديو أياً لا يجد المرأة فيها على الخروج من البيت فقد كان يكفيه أن يسمع ضحكت ييلار يردد في المطبخ، حتى يعدو متعجئاً إلى الصبر الذي عادت أدوات الكيمياء فيه إلى العمل برصاً أوروبلاً ومباركها واستقبل خوريه أركاديو بونديا به الضال سعيماً مرحباً، وأطبعه على النجرب التي أجراه مخرجاً بحثاً عن حاجر العلاسفة

وفي عصر أحد الأيام مع إعجاب الشابين الأخوين بالبساط الطائر أوجه، لما رأياه يمر سريعاً مقاس بأداة الصبر، وهو يحمل العجري الذي يقوده وهدأ من أعمال القرية الذين كانوا يوحون بأيديهم بعرج رسور ولكن خوريه أركاديو بونديا لم يكتف بعصه حتى عاء النظر إليه، بن هائل قددهم يحملون، أم نحن مسطير أفضل منهم، وبوسائط أكثر عصبية من عصاه ميسر حقيقير وعلى الرغم من تظاهر خوريه أركاديو الابن بالاهتمام، بهر لم يدرك شيئاً من خصائص بيضة العلاسفة مما كان يبدو لظريه لم يكن يعدو قدورة وسعة فهو لم يستطع الهرم عما كان يشعل باله وقد بدد شهيقه بقطام ودرته على اليوم، وازداد طبعه حدة، فصار أشبه بأصه عندما بعثل في إحدى تجاربه ومشروعاته وقد ارداد اضطراب خوريه الابن حتى أن أباه بعصه أراحه من واجباته في الخبير، ظناً منه أن ابنه لم يكن يحب الكيمياء.

وأدرك أوريبيانو، دون شك، أن البحث عن خاجر العسفي لم يكن سبب حرد أنحيه، ولكنه لم ينجح في انتزاع أي اعتراف منه فقد عد خوريه أركاديو عمرته القديمة، واتقت من ريق بيت الشكوى إلى كنوم معتاد أنطوائه عدائي.

وفي إحدى الدبابي ألقت عليه الحادحة لموحدة، وضغط عليه بحامه

عنى العالم من حوربه، ففادر سريره كعادته، ولكنه لم يذهب إلى بيت ييلار تيهراً، بل أبقى بعصه بين جمهور سوي العرجة لعنه يصيح في رحسته وبعد جولة أمام مستحب أنواع الألعاب، دون اكتراث بأي صها، توقف عند شيء لم يكن جبراً من مشهد العام كانت هناك عجيبة صغيرة تكاد تكون طفلة تنوء بحمل حلاها البلورية. كانت أجمل امرأة رآها في حياته وكانت تقف بين حشد من الناس تشهد العرض الآخرين للرجل الذي تحول إلى أفص لأنه عصى أبويه.

ولم يكثر خوريه أركاديو لكن ما كان يجري في الوقت الذي كان يجري فيه الاستجواب المأسوي للرجل الأفص، شق الشاب طريقه إلى صف النظارة الأوب، حيث كانت الفتاة العجيبة هومب وراهه، ملتصقاً بظهرها وحاولت الفتاة الروعد من أمامه، ولكن خوريه أركاديو زاد في إعجابه على ملاحظتها، وزاد من ضغطه عليها والتصاقه بظهرها وأحسّت الفتاة به جيئاً، فليث في مكانها جامدة ترتجف دهشة وخوفاً، وهي لا تستطيع إدراك ما ألم بها ثم التفتت نحوه، ورت إليه بأسماء عصبية محمومة. وعند هذا الحد، أصاد العجريان الرجل لأفص إلى قمصه، وحملاه إلى داخل الخيمة، ثم أعلن العجري الذي كان يسير المشهد قائلاً

«ولأن، سيناتي وسادتي، سوف تشهدون البصة العاصية التي نعيشها المرأة التي حكم صيها بقطع رأسها في هذا الوقت من كل ليلة، وعسى مدى مئة وخمسين سنة، عقاباً لها لأنها رأت ما كان ينبغي لها ألا تراه» ولم يشهد خوريه أركاديو والفسة العجيبة منظر قطع الرأس، بل مصب إلى خيمتها، حيث نادى القبل بنهم محموم، فيما كانوا يحملان ثيابهم وتجردت الفتاة العجيبة من خراطاها التي كانت ترتديها، بعصها عرق بعض، ومن شلحات الداتيل، لفتاة، ومن مشد، ومن الخلي البلورية

التي كانت تثقلها، حتى إنه لم يبق منها عملياً شيء يذكر، حتى تكادها
تضدعة ضئيلة، صغيرة النهمين نعيمه المتجددين، لا يزيد محيط أحدهما
عن محيط ذراع خوزيه أركاديو. ولكنها أبدت من الحزم والدفء والحرارة
ما كان يعوض عن صانة جسمها. ولكن خوزيه أركاديو لم يشأ أن
يأدلهما ما بسر منها من تجذوب وحرارة، لأنهم كانوا في خدمة تكاد تكون
عمدة، يمر فيها المحر بأدوات السيرك، دهاناً وبناناً، أو يرتبون ثيابهم
ريبلونها، أو ينوَقفون أحياناً، قريباً من السرير، للعب بالرد. وكان
انصبغ اندفق بالعمود الرئيس يصيء المكان كنه. وبعد وقت أمصياه في
الداعية، استلقى خوزيه أركاديو عاوياً على السرير، لا يدري ما يفعل،
يسمى تحاوب الفتاة أنه تثير همته. وبعد قليل دخلت امرأة عجوزية بدنة
مكترة اللحم يصحبها رجل من غير القافلة، بل ومن غير القرية أيضاً.
وسرعان ما بدأ يملأ ثوبهما عند طرف سرير خوزيه أركاديو والفتاة.
والثقت المرأة البديهة نظره حافظة على خوزيه أركاديو، ثم توقفت بصرها
عند حيوانه الكبير الرائع، متفحمة إليه وهو نائم، ثم هتفت قائلة له -
«ليحفظك الله عاماً كما أوث، يا بني».

وطعت الفتاة، رقيقة خوزيه أركاديو، إلى الرجل والمرأة ليدبه أن
يتركاهما وحدهما دون إزعاج. سرقت الاثنان على الأرض قرب السرير.
وأيقظت حراره لأحمرين حمى خوزيه أركاديو وهمسه. وعندما ضم
العجوزية هصرها، فترقع ظهره قرعة محيطة كأنه نخلت مفاصلها، أو
كأن حبة دوسر قد غليت في فيها. وعمر العرو بشرتها فتحوّلت إلى
لوف شاحب، واغروبقت عيها بالدموع، وتدفعت عن جسدها آلة حريرة
ورائحة طين عاصس. ولكن العدة احتضنت الهصرة بشجاعة وملاينة
عظيمين. أما خوزيه أركاديو فأحس أنه علا في الجوف، متسائلاً إلى حالة
إلهام سلاككية فاص بها قلبه المعنى بدهاء رقيقة عبرت أذن العدة

العجوزية. وشرحتها إلى عبارات تلمظت بها في لغتها. كان ذلك يوم
الخميس. وفي ليلة السبت، ربط خوزيه أركاديو على رأسه حرقنة
حمره، ورجل مع النعير.

وكتشفت أورشولا غيابة ولدها خوزيه أركاديو، فسحبت عنه في
انقرية كله. فبعد أن نزع العجوز خيامهم لم يبق في مكانهم سوى
كومات من الصناعات والرماد للشر في المواقف وحولها، وقد انطفأت قلت
المواقف إلا من دخان ما زال يتصاعد منها. وأمر أورشولا عابو سيل،
كان يبحث بين الغابات والقاذورات لعله يجد حية ماء، أسر لها بأنه رأى
ولدها، في أسيلة السابقة، يدع العجوزة التي كانت تفل الرجل الأنس.
فصاحت أورشولا بزوجها.

«لقد صار الولد عجوزاً».

لم تد على الأب أية علامة من علامات العزج لأحتماء ولده. ولكنه
قد تزوجته، وهو بطحن في جرنه المادة التي طحنها ألف مرة ثم سحقها
من جديد وأعد طحنتها:

«أرجو أن يكون ذلك صحيحاً فهذه الطريقة سيتعلم كيف يصير
رحلاً».

ولكن أورشولا سألت عن الطريق التي ملكها للعجوز في وحيلهم. ثم
انطلقت على تلك الطريق بعد السير، مستعدة في سيرها عن كل شيء
يتصل بأولئك النعير. وهي تفكر أن توسعها أن تلاحق بهم قبل مضي
ربط طويل. وما زالت أورشولا تبعد عن القرية حتى أدركت أنها
صارت في مأى عنها لا تستطيع عنده الرجوع إليها. ولم يكتشف خوزيه
أركاديو بومديا غياب زوجته إلا بعد الثامنة مساء، عندما ترك المادة التي
كان يسحقها على كومة سماء، وانصرف إلى تفقد ابنته الصغيرة أمارتا
التي مصص عليها وقت وهي تبكي حتى يبع صوتها من الهكاه. وعندها

جمع رمزه من الرجال المجهزين أحسن تجهيزه، وسلم أمدانته إلى مرأه
عزفت أن ترضعهم من سائده في غياب أمها، واطلق هائماً على وجهه
في الدروب الخفية، ياحثاً هو أثر لأرسولا وقد وافق أورديانو، لاس
لأصغر، أنه في تلك الرحلة (والتي القوم، عند انقحور، يجتمع من
العبيدين من السمكاضيين بجهزون لهمهم وقد فهموا بالإشارة من
هؤلاء أنهم لم يرو أحداً قط، وعضت أيام ثلاثة في السحت والعيش،
حتى تبين للقوم أن لا فائدة من ذلك، فعادوا أدراجهم إلى القرية

وأسلم حورية أركاديو بوند خيرة لقيم، وراح يعكف على ابنة
الصغيرة أماراتا يربها ويصي بها كأنه أمها، كان يمسحها ويدب نيبها،
ويأخذها أربع مرار، في اليوم، إلى مريضته، حتى إذا حل الليل جعل
يضي لها ويردد أغاناً ما عرفتها أورسولا

وكان يوم، عرصت عليه بيلار تيريز أن تتطوع بحدهم السيب حتى
عوذه أورسولا ونكي وورديانو، وقد أزعج البوس وبخروا حدسه،
أحس بشده من رويد عند رهاه بدخل البيت، فقد أدرك تلك الساعة،
وبعزته عاصفه، أنها مسروبة عن حرار أحبه، وما ملاه من اختفاء أمه
فراح يعدد تلك مرأه بعداته المصمت لمكتوم الذي لا يرحم أبداً، حتى
أنها سم بعد لتضأ أرضي منهم مره ثانية

وسعدت الأمور، حتى آل كل شيء إلى مألوف كثره عادة، وبو حاوون
حورية أركاديو بوندي أن يذكرها حتى استأنسا العمل في الخمر ماتتحدث لما
تمكنا بمصاحبه القبائل، وأشغلا فيه الأثون، وعنادا، من جديد، إلى
معرجه مائة أنفي كاتب مبروكه مهمه في ثياب السعد، وكانت الصغيرة،
أماراتا، لنفسها، وهي رائدة في سرير من قصب معلق، ترفب أياها
وأخاه، وهم يمشان دانس في العرة الصغيرة التي كان خوازمها يعو
بأذخرة الرقيق

وكانت يوم، وبعد أن مضت عدة أشهر على غياب أورسولا، بدأت
تحدث أمور عريية فقد أحدثت فادورة، فبارة بسببه في إحدى
اقرانات، يردد ورها حتى استحبال تحريكها من مكانها، كما إن قدر
فهـ كتاب موضوعه على طاوله العصر، أحدث تعلبي دون سارمة
نصف ساعة، حتى تسخر ماؤه غاماً، وكان حورية أركاديو بوندي وابنه
أورديانو يشهدان تلك الظواهر بدعثة وبعجاب مبروجين بالخوف، ولم
يستطيعا معديل ملك الطواهر فظت أنها من دلالات المأذة. ثم إن سرير
أماراتا تحرك ذات يوم مندفع ذاتي حاصر، غفلر دورة كاسه في العرة،
على مرأى من أورديانو المسنن، حتى هم به فأوقفه، أن أبوء فلم يقفن
بدنك ولم يرعج، بل أعاد السرير إلى مكانه ورمطه بقائمة الطاوله،
موقها بأن حدث الذي طال انتظاره مات وشيكاً وقد سمعه أورديانو
يشير إلى ذلك بقوله

«إذا لم تخش الله، فتأمل المعاد، وسوف تحشاه»

وعاد أورسولا، فجأة، بعد غياب حمة أشهر من احتفائها، وهي
أجمل وأفتى من أي وقت مضى، وعليها حلي جديدة ما عهدت للقرية
منها، ولم ينطع حورية أركاديو بونديا مقاومة المفاجأة، فصاح

«هه، ما كنت أتوقع، فقد عرفت أنك متعودين»

فقد كان موقها بعزدها في دحيه معه، لأنه كان وهو يعالج لمأذة،
في محتكمه تطويل في الخبير، بدعو الله في أعبائه ألا تكون الأعجوبة
المتطرفة اكتشف حمر العلاسفة، ولا تحرير الروح التي في لعدن، ولا
إمكان تحويل ما في البيت، من معاصر وأفكال وسواها، إلى هبه، بل
أن يتحقق هذا، الذي حدث وحسب، حودة أورسولا.

أب أورسولا سم يبه عليها أنها تشاطره فرجه، فبته قبة تقليدية،
وكانها لم تغب عنه إلا ساعة أو بعض ساعة، ثم قالت له

وقد أمضى خوربه أركاديو يونديا وفناً طويلاً حتى استفاق من دهشة
عندما خرج إلى الطريق ورأى جمهور الناس لم يكونوا عجباً، وإن
كانوا رجالاً ونساء من جنسهم، به شعور مبللة وبشرات مصرية، يتكلمون
بهمهم ويتأخون مثل ألامهم. وقد جلبوا معهم بعضاً محملة مؤناً، وعربدة
تجرحه الأبقار، وقد امتلأت أذاناً وأذوات وأروسي للطبخ، ومناصب من
أصناف شتى لا تفتح إلا بعد كل ذلك معروض لبيع، دون صحة ولا
صحة بيعه بخار صغير عديدين. لقد وصلوا من الطرف الآخر للمستنقع
الكسر، بواقع ممتد على بعد مسير يومين، حيث يوجد مدخل وقرى
بصله السريد كل شهر، ويعرف الناس وسائط الحياة الطيبة ذات المستوى
الرفيع.

لم يستطع أورسولا العثور على العجبر ولكنه وجدته البصير التي
بم استطاع روحه اكتشافها في بحثه العائش والغيب للآثار، عن
الآخرات الكبرى.

(٣)

جاء بهن بيلار تبريرا، بعد أسبوعين من ولادته، إلى بيت حديه
وقد قبلت أورسولا بذلك الأمر مكرهة مسددة بعدد زوجها الذي لم
يرض فكرة ترك وليد من بسنه لمصادفة والغيب، ولكنه اشترط ألا
يعرف الطفل عويته الحقيقية. وعلى الرغم من أنهم أسعوه حوربه
أركاديو، إلا أنهم انتهوا بدعوتهم باسم أركاديو تحباً بتشويش وتخطين
الأسماء. وفي تلك المسرة، صاد القرية نشاط كثيف، وغدا البيت بها
مركبة تانغ، حتى احتلت تربية الطفلين مرة ثانية، فعهد بهما إلى
شيريتا سيوردا، وهي هندية من قبيلة الجواجيروء جاءت القرية وأخوها
هرما من طغوب الأرق الذي أصاب فيبشهم منذ عدة سنوات وكان
«لاتان مطيعين لطيعين» فاحتارتهما أورسولا لخدمتهما ليعلم يعينها، في
خدمة الياب. وهكذا تعلم الطفلان أركاديو وأمارناتالعة اليهود الجوحير
فمن معلم بدمه الإسبانية، وتعلما احتساء شوربا السحالي وأكل بيض
العكس دون أن تنبه أورسولا لكل ذلك. فقد كانت مشغولة بشؤون
حيوانات الكار ميلا الكاندي الواحدة الصغيرة ويتجارتها.

نقد تبدلت ماكوردر فاكششف القوم الذين جنوا مع أورسولا
خصوية أرضها، وطيب موقعها لمنازل بالنسبة لمصاريجو، وانقمت القرية
الصغيرة الحرفاء سرياً إلى بلدة مشطة تخرج بالشارب والمصايل وأشاع
اليدوية، وصارت محطة على طريق تجاريه لا تنقطع، بها جاء العرب

لاون بن الدين كانوا يعملون بالأحاف، ويرقدون السراويل الفضفاضة ويعتدون الأعراف هي آذانهم، ويقبضون البيضاوي بأصابع من الخرو الرجاحي ولم يدق خوريه أركاديو بوندي طعام الراحة فقد صحرته خفائي الجديد لمبشرة، وتدعى له أنها أروع من عالم خيانه الواسع ووال اهتمامه بحبر الكعيب، وأحسن لمادة البني أجهنمه، خلال شهره، بالتجارب المتتعة، وعاد إلى حياته السابقة، عندما كان رجل شروعات وتخدمات العامة، عندما كان يحفظ الشوارع والمجاهدات البيوت في القرية، فلا بعيد بيت منها، أكثر من سواه، من امتيازات الموقع وموطنت له السلطة بين القادمين الجدد، فلم يشأ به أو ساج، إلا أحد فيه رأيهم، وتم الاتفاق بين السكان على أن يكون هو المسؤول عن توزيع الأراضي ولما عاد غلجهم المشهودون، يسوقهم لثقله التي أصححت مؤسسة كبيرة للألعاب، استقلهم أهل القرية فرحين، ظاهري أن خوريه أركاديو قد عاد معهم، ولكن خوريه أركاديو لم يكن بينهم، ولا كان بينهم الرجل الأعمى، الذي كان وحده حسب رأي لورسولا، عادوا بأخبارهم، وبدلت لم يسمح بهم بالإقامة في البلدة، ومعهوا من العودة إليها في لمسهل فقد اعتبرهم أهل البلدة سفراء دحارة وفساد ولكن خوريه أركاديو بوندي أعلى صراحة أن قبيلة مكنادس القديمة، ترحل الذي ساهم كثير، في تفتيح القرية وتحضيرها وتحدثها، بحكمته العريقة واحترافه الخارقة، سوف تجد دائما أبواب البدة مشرعة بها ولكن الرحالة رروا أن قبيلة ملكيادس قد زالت عن وجه الأرض، لأنها تجاوزت حدود المعرفة الإنسانية

وعندما تحرر خوريه أركاديو بونديا، ولو إلى حين، من عدايات خياله الجذوح، استطاع، خلال وقت قصير، أن يقيم نظاماً من الإنصاف والعمل، ولم يسمح إلا بإجاعة بسيطة واحدة سمح لنفسه بها، وهي

إطلاق الطيور، التي كانت مدباسة مكدسو موفظ القرية على أصوات صياحها الرائعة، فقد بدأ بها ساعات موسيقية حلت محلها في كل بيت، وكانت ساعات جميلة من الخشب المحفور قبض للعرب بها ساعات، وصطحها خوريه أركاديو بوندي بدفة، نبات القرية كلها ترحل كل نصف ساعة بينهم من واحد، يتساعده مع الوقت حتى يصل أوجه عبد الضخيرة رقيقاً في القرية كلها، حتى تكافه حوته كاملة خوريه أركاديو بوندي هو الذي مرر في تلك الفترة أيضاً أن تزرع أشجار اللوز في شوارع القرية بدلاً من أشجار الأكاسيا وهو الذي اكتشف، دون أن يعي، الطريقة التي تجعل نبت لأشجار حائلة، وبعد زمن طويل، وبعد أن حالب مكدسو إلى بيوت بسيطة مصنوعة من الخشب والتوب، كانت أشجار الدرر تترال بمش على جوانب الطرق القديمة فيها، وبأنها صارت عصفاء يعفوها العبار يشكن شبه دشم ولكن أحداً ما كان ليذري من كان للذي ررعها وهي الوقت الذي كان الأب فيه يظم القرية، وكنت لأم معمل على ريادة، نروة العانة يعملها الرائع، كصناعة الحوي على هيئة ديك، وأسماك، تصدرها من الدار مريين في الأسبوع، عدالة من على قصصيات من خشت الكابوك، في هذا الوقت كان أوريديانو يحصي الساعات الطوال في خبير لمهمل يمسح فيه على من صياحه انفسه بشحاربه خاصة ولما جسمه ثراً سريعاً، حتى صارت تبات أخيه الأكبر، التي حصفها عبد وجهه، صميرة لانتاميه، بدأ بوندي ثبات أليه ولكن فيرب ميون جعلت تعالج القصص والباعين ثناً وتقصيراً، لأن أوريديانو سمحه الآخرين من أهله وأفرك مرحلة المراهقة، واستعتم معومة صوته، وانكأ على ثاته هبات صامتاً مغرماً في الوحدة ولكنه في الوقت ذاته، من جهة أخرى، راجع عليه البريق الذي كان لهم عبد ولادته وانصرف كلياً إلى تجاربه في الصياغة، عما كان يرحل لخبر إلا

تساوى الطعام أم خوريه أركاديو بونديا، وقد لاحظ سلوك وده فاعطاه معاتيج الدار وبعض المال، ظناً منه أنه بحاجة إلى إسرائه ولكن أوريديانو صرف المال في شراء حامض الكبريتيك ليصنع به الذهب. ثم جعل المعاتيج يذهب به. وما كانت تصرفاته الغريبة تشبه بأي شكل من الأشكال، تصرفات أركاديو وأمازوت فلذين كانا قد بدا تبدل أسماهم، وكانا يقضيان اليوم بملونه مشمشين معطفي الهنديس ويصران على الكلام بلغة «خواجيرو دون الإسبانية» وقد دأب أورشولا على القول لزوجها:

«يسعي ألا تشكر من هذا الأمر، فالأطفال يربون جرد والديهم»
وبينما كانت تمنع في الشكوى من سوء حظها، معتقدة بأن هوس أسائها لم يكن أمل إثارة لبحوث من دس تحرير، رفقها أوريديانو بظفره حثرتها وتركتها في شك مقيم، ثم قال لها:

«هناك من هو قادم إلينا»

وحاولت أورشولا أن تنبه بحلق ميدة البيت، كما كانت تفعل كند أعس يخلق سمواته فقد كان من الطبيعي أن يعمل أحدهما لملكويسو كانت تسقى كل يوم، حشرات الغريباء، دون أن يثير وصوبهم شكاً أو مضولاً أو أية أفكار سريه ولكن أوريديانو، خلافاً لكل لمنطق، كان يسو وإثاقاً من توبخته فالتج بالقول:

«لا أدري من هو القادم، ولكنني أعلم أنه الآن في طريقه إلينا»

وفي يوم الأحد التالي وصلت روبيكا فعلاً لم تتجاوز احادية عشرة من عمرها. كانت رحتها شابة من مانور، وقد وصلت مع تجار هراء كصفوا اصطحابها، مع رماله، إلى بيت خوريه أركاديو بونديا ولكنهم لم يستطيعوا أن يبيرو له قناعاً من كان الذي طلب إليهم القيام بهذه الخدمة. ولم يكن معها من الخلع سوى محفظة ثياب صغيره، وكريسي

هراز نقشت عليها باليد أرهاق صغيرة ملونة، وكيس مصوغ من القنب (أو الكانما) الذي يفرقع بصورة دائمة كلوك كلوك - كدوك، وكانت تحمل فيه عظام أنبيها

كانت الرسالة انوجهة إلى خوريه أركاديو بونديا مصوغة بلغة محبة وعيدود نافقة، من شخص ما زال يحبه على الرغم من مضي الزمان وبعد المكان، ورأى من وحيه، مراً عند أبسط العوامل الإنسانية، أن يرسل إليه، من باب الرأفة والشفقة، خلفة ييمه فقيرة لا مأوى لها ولا معيل، وهي ابنة عم لأورشولا من الدرجة الثانية، وبالتالي فهي من أقارب خوريه أركاديو بونديا، وإن تكن قريباً منه أبعد، فبأنها كانت ابنة الصديق الذي لا يمسى بيكانور أوسوا، وروجه الجريفة لاحترام رونك موتشين، بمصدهما أنه يوسع رحمته وكثت العناية تحمل رعاتها لعلها يمحان قيراً مسيحياً

كانت الأسماء المذكورة في الرسالة واضحة، وكذلك كان التوقيع ولكن خوريه أركاديو بونديا وأورشولا لم يدكرا قط أن لهما أندرب بتلك الأسماء، كما لم يدكرا اسم أورشولا ولا مدينة مانور الثانية. ولم يكن عكساً لحصول عن مريد من معلومات من البيت الصغيرة فحصد وصولها وهي جالسه في كرسية الهزاز، تمنع أصابعها وترقب كل من حولها بعينه الواسعتين الداهلتين، دون أن يبدو عليها أنها تفهم كلمة مما تسأل منه. كانت ترتدي ثوباً عرضاني التحطيط مصوغاً باللون الأسود، رثاً مهترقاً من كثرة الاستعمال، وتدين حذاء طويلاً كان يلصق قبل أن يتشتر وكان شعره معقوصاً وراء أذنيه وقد ربط به وتدلى منه شريط أسود. وكانت ترتدي جلودية عليها رسوم اهترات من كثرة العرق، وفي رصغها الأيمن ناب حيوان لاجم مشب على أرضية من محاس أحمر، هو عبارة عن تمويده ضد الحسد، وكانت بشرتها المورقة، ووطنها المتفخ

لن تدبر به مشدود كمثل يد لآل عنى صحبه السينة فحورعه الشديدة، فسبو كبر من عديده ويكنهم عديم بالولوه بعض الطعام، وصعت القبح على دكسبه دون أن تفسه حتى ظن أنها صجاء حرصاء، إلى أن سألته الهديار بلعقد ما برأ كانه يريد ماء عديم تحركت عساه، كأنها عرفت همتها، وأشار برأسها موقفه

وهكذا أتتوه عندهم لأنهم لم يجدوا مخرجاً آخر وقرروا أن يسلموه روبيكا، وهو سم بهد كفا جاء في الرساله، لأن أوريبانو أومي النصير على أن يدكر بها فسمه كل القديسي دون أن يدو معها في رد فعل تجاه اسم أي منهم وبصر بعدم وجود معبره في هاكودو، في ذلك الوقت، لأن أحداً لم يمت فيها بعد. احتفظوا بكبس العظام ويث يجدون مكاناً مناسباً لدفنها وهكذا حبل كس عظام رجل روبيك يصحب أهل القبيح، مدد طويبه من النرمس، وهم يتقنونه من مكان إلى آخر مقروفته التي فيه موتاً، دحاجة بياضه

وقد مضى وقت طويل قبل أن تندمج روبيكا في حياة لأسرة كانت تصل حاله في كرسياها متحرك، تخص إصبعها، في أقصى زاوية من البيت. وما كان يشد اهتمامها غير موسيقي السحاب، فكانت تبحث عنها بعينها الباهتية كل نصف ساعة، كأنها تتظار أن تراه في مكان ما من الأفق. وكثيراً ما كان أنها تستحي حيناً يجمعون في جمعها تساو سنه من الطعام. ولم يستطع أحد أن يدرك كيف يقبظ الظففة على اليد الحية بعد ذلك خروج رشيد الطرس، إلى أن كشف الهنديان، اللذان لم يكن يعيب عهده شيء، لأنهما كانا يسيرن في الليل، دون الطعام، يحفظهما الرشيفة، غير الملحوظة، أن روبيك كانت تحب أن تأكل من مراب النار الرطب ومن ورائل الكس التي كانت تسرعها عن الحذر بأظفارها. وهذا واضحاً أن أهلها، أو من ربوها، كانوا يوجهونها

بسبب صدها، الصارة تلك، لأنها كانت تفعل ذلك في الخفاء، ويشعور من السب، وتحاول تحرير م يتجمع لها من تلك المواد كي تستطيع التهامها بعداً عن أعين الجميع. وعند ذلك خير وضعت تحت لمراقبة الشفيدة، ووضعت الأرض بمرولة البقرة، وطلبت الحذر من برق العنص، ظناً من أهل البيت أن تلك الوسائل مستقصي على عتصها المؤذية. ولكن روبيك أظهرت مهارة ودكاء في إيجاد البراب المطبوب، حتى أكرهت أورسولا على استعمال وسائل أخرى وأشد ما حدث تصعب عمير البرغال والراوند في قدر، تتركها تحب البدى طوال الليل، ثم تسقيها اخرة في اليوم التالي قبل الصعد. وعلى الرغم من أن أحداً لم يجبر أورسولا أن دعت البدوه كان مقيداً في شعاع أكبة التراب من عندهم، فقد كانت تظن أن أية مادة مرة لا بد أن تحرق الكبد من شفتها، لمعدة مازعه. وكانت روبيكا، على هوالها، نائرة قويه، فلا تبتلع الدواء إلا إذا ألغوه أرضاً وأوتصرها، وكلها عجن صغير قوي. وما كانوا يستطيعون السيطرة على ريسنها، لا بصعوبة كبيرة، مع ما يهتمونه، دون ذلك، مما تجاربه من صريح وكلام بين العنص حياً والبصق حياً آخر. وقد أثرت شتلانها الهنديين اللذين زعمت أنها أقدم الشائم وأدماً البداءات التي تحويها لعتها. وعدد علم أورسولا بذلك، أصابت إلى علاجها الصوب بانسوط. ولم يستطع أحد أن يعرفه، من بعد، سببه تخالف روبيكا لشعاع بعد أسابيع قويه. فهل كان الراوند أو المصرب أم كليهما معاً. ولكن الواقع أنها برنت فعلاً، بعد بضعة أسابيع، من تلك العادة القميصية ثم بدأت تشارك في اللعب مع لوكادير وأمارات، اللذين أحدا يعاملانها على أنها أخمص الكسرى. ثم جعلت تأكل بشهية وتستعمل الأطباء بطريقه لاثقة. ثم اكتشف أنها تتكلم لإسبانية بالطلاء التي تتكلم بها اللغة الهندية، وأنها كانت شديدة حقد اليميس، وأنها كانت

تسمى مصاحبة أنعام الساعدين، بكلمات جميلة من تكرارها ويعتدل باب أفراد الأسرة جميعاً يدعونها واحدة من أهل البيت وأظهرت رويكا من الحب والود لأورسولا ما لم يظهره لها أحد من أولادها وكانت تدعو أماراتا بالأخت الصغيرة، وأركاديو بالأخ الصغير، وتنادي أوريليانو بالعم، وخوريه أركاديو بويديا بالجد، وانتهى بها الأمر أن استحققت، كالأخريين، لاسم رويكا بويديا، بعد أن كانت بلا اسم وظلت أهلاً لذلك الاسم طوال حياتها

وفي إحدى الليالي، بعد أن شعيت رويكا نقرساً من عنة أكل التراب وآلت إلى مشاركة الطفلين غرضهما، استيقظت الهندية من نومها على صوت جينة ودهاب في الراية فعدت مدعورة، وقد ظنت أن حيواناً ما قد دخل الغرفة وإنا بها ترى رويكا في مقعدها متحرك، وقد حسنت غصص إصبعها، وعبها تبرقان كعبي هر في الظلام. وأدركت ليريت سيون. وقد صفعها الرعب وحطمها القدر الذي يلاحقها، في بيت العبيير، أعراض الداء الذي أكرهه وأحاده على الاختيار الطوعي لعي نفسها، إلى الأسد، من مملكة نذبة قدم الدهر، حيث كان أميراً وأميرة فقد كان ذلك طاهون الأرق.

وعند الصباح، كان الهندي كاتور قد غادر البيت. وبقيت أخته، لأن فيها لمؤس بالعدد أعلمها أن الداء لمعبت سوف يلاحقها حتى آخر معرجات الأرض. ولم يدرك أحد حق ليريت سيون ودعورها فحوريه أركاديو بويديا كان يقول:

«إذا لم نمم كان أفضل لنا، بعندها يستطيع أن ينجي أكثر من الحياة ولكن الهندية أوصحت له أن ما يحشى من مرض الأرق ليس استحالة اليوم لأن الجسد لا يحس بأي تعب، وإن تطوره إلى ما هو أخطر فندان الساكرة كانت تسمى أن المريض، بالقدر الذي يعمده فيه حالة السهر،

نحني من دماغه ذكريات الطفولة، فأصمده الأثيب والمناهيم. ثم هويات لأشخاص وبعد ذلك يتلانى إحساس الإنسان المربى بوجوده، حتى يصل حاله الله، فيصبح بلا ماضٍ. وانعرج خوريه أركاديو بويديا صاحباً، ظناً أن ما تصفه الهندية ليس سوى مرض من الأمراض التي تعميها خرافات اليهود. ولكن أورسولا، من باب الأمان، اتحدت خطره وقتية، فمركت ورويكا عن الطفلين.

وبعد بضعة أسابيع بدت مخاوف فيريسا صبور قد تلاشت ولكن خوريه أركاديو بويديا قصى دية بقولها يتقلب في فراشه بنة وسرة دون أن يستطيع يوماً وسائله أورسولا عما به، وكانت، هي الأخرى، مستيقظة، فأجاب: أعدت إلى التفكير بشأن بروسبير إيجويلار. ولم يظن لهما جفن دقيقة واحدة في تلك الليلة. ولكنهما في اليوم التالي شعر بالقوة والشايط، حتى ما كل ما يتصل بذلك اليده للتميمة. وقد علق أوريليانو بشيء من الدهشة، ودت العناء، بأنه يجد نفسه على أحسن حال مع أنه أمضى ليلته بكاملها في الخسر يذهب حية يروي أن يقدمها لأورسولا في عيد ميلادها. ولم يعط أحد للأمر إلا في اليوم الثالث. وقد لاحظوا أنهم لا يرغبون في اليوم لدى حلول وقته، ثم تيسوا أنهم فوضوا خمسين ساعة دون نوم.

وعلمت الهندية، القادرة، تعتقد، ثلاثة أو الأضواء يقظون أيضاً بعندها يدخل المرض يتأ لا يسلم منه أحد.

لقد أصبحوا فعلاً بمرض الأرق. وكانت أورسولا قد تعلمت من أمها خصائص النباتات الطبية، فأعدت شراب الأكوبيت، وسقتهم منه جميعاً، ولكنهم لم يستطيعوا النوم، وقضوا نهارهم يحسبون ليقاظاً وأحدوا يرون، في حالتهم تلك من الهلوسة ووضوح الرؤية الرهيب، الصور التي تشكل أحلامهم، ثم أخذ كل منهم يرى صور أحلام

الأحرار. وبما كان السبب امتلاء بالرائين وقد حثمت رويك، وهي قاعة في إحدى روابي الخشخ على مقعدها المتحرك، يرجل بشبهها كثيراً، يرتدي لباساً أبيض، هي يافة قميصه من ذهب، وقد جده يحمل لها باعه وود. وكانت ترافقه امرأة بها يداً رقيقان، سحبت وردة من الباقه وعقبتها في شعر رويك. وأدركت أروسولا أن الرجل وبمراة لم يكون سوى أهل رويك. وقد مدب جهأ كي تعرف إليهما، ولكن رويك أكدت لها يقيناً أنها لم ترهما بعد من قبل.

ورد أرنكس حوزيه أركاديو بونديا خطأ لم يفهمه لنفسه من بعد فقد ظلت حيوانات الكراميل، المصوغة على هيئة حيوانات، تباع في القرية. وظل أهل القرية، كباراً وصغاراً، يمسكون، فرحين، حيات ديوك لأرق الصخرة، وسمكات الأرق الوردية الصخرة، وحيول الأرق الصغيرة الطرية الصخرة، حتى أن فجر يوم الإثنين قد طمع على القرية وأهدبها جميعاً يفظون. ولم يكثر في البدء أحد لما يحدث، بل أنهم فرحوا بأنهم لم يتموا لأن العمل كان كثيراً في ماكوندو. وكان النهار يبدو قصيراً. وقد بدلوا جهوداً كبيرة حتى باتوا يلا عمل، وقد أدركوا السعة الثالثة صباحاً، ود جرسوا وأيديهم متضالبة على صدورهم يعدون أنعام دباب الساعات. أب الذين أحمر منهم أن يمسوا، لا عن تعب، بل نكي يحلموا من جديد. فقد حووا إلى محتف لأساليب المجهدة، ثم جتمعوا كي يتحدثوا دون انقطاع فاستعادوا، على مدى ساعات طوال، النكات والطرف العروضة المألوفة نفسها ثم راحو يروون، حتى درجة التعب والسأم، قصة الديك المسقى وهي لعبة أو قصة لا نهاية لها. يسأل الراوي فيها السامعين: إذ كانوا يريدون أن يقص عليهم قصة الديك المسقى هذا؟ قالوا نعم، أجاب بأنه لم يسألهم كي يقولوا نعم، بل ما إن كانوا يريدون أن يروي لهم قصة الديك المسقى وإذا صموا جميعاً.

قال الراوي إنه لم يطلب من أحد أن يصمت، بل ما إن كانوا يريدون أن يقص عليهم قصة الديك المسقى. ولم يكن أحد منهم يستطيع الذهاب إلى أي مكان، لأن الراوي كان يحاطهم عائلاً إنه لم يطلب من أحد منهم الذهاب، بل ما إن كانوا يريدون أن يروي قصة الديك المسقى وهكذا، دواليت في كل حاله ولدى كل جواب وعند أي سؤال، وهي حلقة متعرجة يمكن أن تستمر بياني بطولها.

وعندما أيقن حوزيه أركاديو بونديا أن طاعون لأرق قد اجتاح بيده جمع رؤساء العائلات يشرح بهم ف كان يعرفه عن مرض الأرق فاتفقوا على اتباع صرق معيه، واتحاد الاحتياط طاب الألامه، ليحول دون انتشار الوباء إلى قري منطقة المستنقع الأخرى، ومن ذلك، مثلاً، أنهم انزعوا الأجراس والسواقيس التي تاذن بها العرب اليعسوات، من أعناق الماعز، ووضعوها في مدخل القرية، كي تعبرف الدين لا يصون تخدير الجرس ولا يصبحون إلى تعصاتهم وسببهم، ويصرون على الدخول إلى بيده فكان كل عريب يشجول، انداك، في طرقات ماكوندو، يحمل جرساً يرت به، كي يعلم أهل البلدة المدعى أنه سيم من امرض. وما كان يسمح لعريه باي يأكل أو أن يشربو خلال إقامتهم في ماكوندو، فقد ثبت أن ذبث امرض يتقل عن طريق الدم وحسب، وأن الطعام والشراب أصبحتا موبوءين بعدوى الأرق. وهكذا أمكن حصر الوباء في البلدة ومحصرها. وقد تم اتباع الحجر الصحي وروغيت حدة إحصار هذه البلدة، حتى صارت هذه الحال هي الحال الطبيعية لبلدة والناس بها. وصارت لأمر بطريقة طبيعية، امتزجت فيها العمل دون أن يهتم أحد بعدة النوم التي لا تقع فيها.

وكان أوريبانيو هو الذي استوعب المعادلة التي مكنت الناس من انفضاض على أنفسهم، خلال يصعه أشهر، من مقنن الذاكرة. وقد

كشفت نك المصادفة فقد خير الأرق مكرراً، إذ أنه كان من أوائل الذين أصيبوا به، وبذلك تعلم، يومئذ، من التعلم لإختص من صناعه الغضه فلذات يوم، سي سم السدان الأصغر الذي يستخدمه في تطويق المعادن، ربما كان يبحث عنه ولم يستطع تذكر اسمه فأحيره أبوه باسمه «سدان»، مكب أوريسانو لاسم على قطعه ورق بصقها على قاعدة السدان الأصغر «سدان» وهكذا، أيمن أنه بهذه الطريقة من بساء مستقبلاً ولم يحظر له أن هذا كان أول أعرص مقدان الذاكرة، لأنه كان للشيء اسم يصعب تذكره ولكنه تيسر، بعد بضعة أيام، أنه يجد صعوبة في تذكر معظم أدوات المخير ولذلك وضع على كل أداة اسمها، مما كان عليه إلا أن يقرأ لاسم لكي يتعرف إلى الأداة وعندما أبدى الأب لايته تخوفه لأنه سي أهم أحداث طفولته، شرح له أوريسانو طريقته التي طبقه خوريه أركاديو بويدي في البيت كنه ثم شرها في البلده كلها فسجل على كل شيء سمه بعرضة معموسة بالخبر طوله، كرسي، ساعة، باب، حائط، سرير، مقلاة ثم صمم الطريقة نفسها على الخطيرة، فسجل الحبوب والسات «بقرة، حزة، خنجر، دجاجة، شجرة مانيوك، مانغا، مور وبعد أن راح يسر أغوار حمالات السيان وهكذا، الذاكرة شيئاً متيناً، أيقن أنه قد يأتي يوم يعرف به الإنسان على الأشياء من أصنافه المصنعة بها، دون أن يذكر شيئاً من بوائده أو حصائصها ولذلك جعل يريد في الشرح، فعلق على غرار البقرة لافتة، أرادها مثلاً يحمدي به أهل ماكوندو في كمالهم صد فقلن الذاكرة

هذه هي البقرة، يجب حبسها كل صباح لكي تعطي الحليب والخبث يجب أن يعسى كي يحلظ بالقهوة، فحسب على فهوة بالخبث»

وهكذا ظلوا يعيشون في حياة الحديقة الهادئة، يحاولون الإمساك به، إلى أجل، يأسرونها بالكلمات. ولكنها ما تلبث أن تمت منهم مرة بلا عودة عندما يسون معاني الكلمات وقيمة الكتابة

هذا هو الطريق المؤدي إلى منطقة المستنقعات، وضعت لافتة باسم ماكوندو، ولافتة أخرى أكبر من الأولى في الشارع الرئيس كتب عليها الله موحود وكنت في كل بيت، دون استثناء، لدلة تذكر بما ينبغي أن يثبت في الذاكرة من أشياء ومشاعر غير أن مثل هذا النظام كان يتطلب حرصاً شديداً وقوة طبع، حتى إن عدداً كبيراً من الناس بدأ يستسلم لسحر الخيال وزح هؤلاء يملكون هذه الحياة الخيالية في أنفسهم، على الرغم من بعدها عن الواقع، لأنها سريعة. وكانت بيلاز تثير أكثر من ساعهم في الدعوة بهذه الخدعة، عندما حطرت بها فكره ذكية، مؤداها أن تقرأ الماضي في أوراق اللعب، كما كانت، من قبل، تقرأ المستقبل، وبهذه الطريقة، أخذ الناس الذين لا ينامون يعيشون في عالم روق اللعب الخافل بالمفاجآت والمصادفات، التي تتوحد فيها، شقنا لم أيناء، ذكرى الأب الحفنة بذكرى ذلك الرجل الأسمر الذي وصل في أول يساك (أبريل)، وتبدو صورة الأم، تلت المرأة السمراء التي تحمل في يدها اليسرى حافلاً ذهبياً، وحيث يعود دريح ولادة ما إلى آخر ثلاثاء سمع فيها ضاء هيرة على شجرة العار وشعر خوريه أركاديو بويدي بالهزيمة واليأس أمام تلك الممارسات التي كانت تهدى وتواسي ولكنها لا تعالج، فقرّر أن يبنى آلة الذاكرة، التي طمنا سبق له أن تمناها كي يتذكر احترافات الضمير العظيمة كلها وكان الأساس الذي تقوم عليه هو مراجعة كل المعلومات التي يكتسبها الإنسان عبر حياته في صباح كل يوم وقد تصورهما على هيئة قاموس محوري، أي ذي حركة دائرية، يستطيع المرء اللقاه على محور أو يحركها بواسطة مقبض أو رافعة، فتمر أمام عييه، في بضع ساعات،

الأفكار، وببداية الضرورية جداً أنه في الحياة. ولقد تمكن من كتابة ما يقرب من أربعة عشر ألف مخطوطة أو جزء، عندما ظهر على طريق منطق المستعدات رجل عجوز، غريب الشكل يحمل جرس النانعين الآخرين وحقيبة شحمية مربوطة بحبل، ويجوز عربة عليها عشاء أسود. واتجه الرجل رأساً إلى دار خوزيه أركاديو بونديا.

لم تعرفه فيرياً سبون حين فحنت له الباب. فقد ظنت أنه يريد أن يبيع شيئاً، وهو لا يعلم أنه لا يمكن بيع شيء في مدة تعوض في أيامي السنين دوشاً رجاء في الشراء. وعلى الرغم من صوته المنهدج الذي حطمه الشك وعدم اليقين، ومن يلمحه اللتين تشكان في وجود الأشياء، كان واضحاً عليه أنه قد جاء من العالم الذي ما زال فيه البشر يستمعون أن يناموا وأن يتذكروا.

جاء خوزيه أركاديو بونديا، فوجده جالساً في عرفة الجيوس، يحرك أمامه، خلف الهوام، قبة سرب، مرفعة، يصف يقرأ بهتمام اللامعات، فحنت على الجدران حياة بمودة وعاطفة وحرارة، حاشياً أن يكون قد عرفه في زمان مضى ولكنه لا يستطيع تذكره الآن. ولكن الزائر كان على يده من آذائك دواء، فقد شعر بأنه قد بات مريضاً، وما كان ذلك من سبيل القرب الذي يمكن إصلاحه، وإنما هو بيان من نوع آخر أدهى وأقوى، لأنه لا شيء منه. وهو يعرف جيداً أنه بيان الموت. فقد أدرك الموقف. وعنده منحه حقيقته المكثفة بالأشياء السريعة، وأخرج منها حبة صغيرة ملأى بالمواد الصعبة. فأعطى خوزيه أركاديو بونديا شيئاً لطيف اللون، فعاد انور إلى ذاكرته فوراً، وأغرقت عينه بالدموع حتى قبل أن يلاحظ موقعه ويكتشف حيث المكان الذي هو فيه، حيث علق على الأشياء أسماءها، وقد أن يشعر بالتحسن من تلك التعاهات المكتوبة على الحمران، وقبل أن يتعرف شخصية الزائر الجديد في لوح دهشته وهي

إشراقه لا ترصف من الدهشة والعطف. لقد كان ذلك التمام الجديد هو ملكه من معه.

وبما كانت مكدونو تحسن باستعادة ذاكرتها، كان خوزيه أركاديو بونديا وملكه من معه يستعانان بغير بر من عن صداقتهما القديمة. ولقد جاء ذلك الحجري إلى البندبة بية اليقظة فيها. فقد مر فعلاً بحجرة الموت، ومضى إلى ديار الموتى، ولكنه عاد منها لأنه لم يقوَ على احتمال الوحدة. ولما كان قد بقي وتند من قبل قبيلته، بعد أن فقد كل قدراته، الحرفة بسب وفاته لحياه، فقد قرّر أن يلوذ بملك الزاوية من العالم التي لم يكتشفها حوت بعد، كي يكرس نفسه للعمل في محبر لتصوير. ولم يكن خوزيه أركاديو بونديا قد سمع بمثل هذا الاختراع من قبل. ولكنه عندما رأى نفسه وقد ثبت وعائته إلى الأبد على صفيحة معدنية براءة، استولت عليه الدهشة ولم يمس يده شقة. ويرجع إلى ذلك التاريخ عهد الصورة المعدنية المؤكدة التي يرى فيها خوزيه أركاديو بونديا، شعره الرمادي الكث. وباقته المقفلة على أقصى عمله برز نحاسي، وهيئته الوثورة الكنيسة الصرمة، كأنه على ما وضعه به أرسولا وهي تكاد تموت صحنكاً، جبال خائف. وأحق أن خوزيه أركاديو بونديا كان خائفاً في ذلك الصباح العصامي الهادي من شهر كانون الأول (ديسمبر)، الذي السقط فيه الصورة، لأنه كان يظن أن الس يرولون شيئاً مشياً بينما يبقى صورته منقوشة على الفرحة المعدنية. وألمح أن أرسولا هي التي انتزعت من رأسه هذه الفكرة، وهي التي قررت أيضاً، بعدم سب مولدتها وصداقتها القديمة، أن يعيش ملكه من معه في البيت. ولكنه لم تسمح لهم بط تصويرها، لأنها (كما قالت بنفسها حزيناً) لا تريد أن يظل إلى الأبد أفسحورة لأحفادها. في ذلك الصباح، ألبست الأولاد أقنص لهايهم، وجسّلت وجوههم بالمساحيق، وناولت كلأ منهم معلقة

من شراب حلالة السحابة، كي يقو حامدين، بلا حراك، خلال حربه
دقيقتين أمام آلة تصوير ميكانيكية الرائعة.

كان أوضح ما في تلك الصورة العالمية أوريليانو، بشوبه المخلي
الأسود، وهو بين أميرات ورويكنا، وكانت تبدو على وجهه إشارات
النعب بهساء وفي عيه نبتة النظرة الثامنة ذاتها التي صوف تلو عليه
بعد سن طويلة، وهو يقف في مواجهة مرة الإعدام ولكنه، عندئذ،
لم يكن يفري شيئاً عن القبر الذي كان يتظره. هم يكن سور صانع
فصه خبير، تقدّر منطقة المستنقعات كلها دونه الرديع وروعة عممه في
تلك الصناعة

لم يكن يسمع به صوت بعض في المشعل، الذي كان يصمم معه مجبر
ميكانيكس العرب، وكان يبدو كأنه يتنهي إلى ومن آخر غير رمنه، يما
كان أبوه والرجل المجرى يفسران، في صجبة وصباح، بمومات
بوترافاموس، بين فرقة الدواوق والأثيب والمكتشات والصواني،
ومشكلات اندلاق الأحماض وصباح بروميد الفضة نتيجة الذكوات
والعراك في كل ثانية. وقد استطاع أوريليانو، بسبب تكرير نفسه
بعمله، وبذكائه وباعته في تركيز اهتمامه وإداره مصلحته، أن يجمع في
الثروة، في وقت قصير، ما يفوق ما جمعبته أورسولا من حيوات
الكرايلا المشكدة على هيئة حيوانات صغيرة، ولكن الناس جميعاً كانوا
يستخربون منه أن يطلع صبيح الرجال ثاماً دون أن يعرف عد أنه عاشر
امرأة. واختل أنه لم يعاشر قط امرأة بعد.

وبعد بضعة أشهر، عاد فرانسيسكو، ذلك الرجل الشريد القديم،
الذي كاد يبع من العمر متي عام، قضاه وهو يهجو العالم، وكتيراً ما
مر ببدة ماكونو، يشي ويورخ أغاني وأحياناً من تأليفه. وكان
فرانسيسكو يروي بأغانيه تلك تفاصيل الأحداث التي كانت تجري في

القرى الواقعة على حريق رحلته من مابور حتى أقصى أطراف منطقته
المستقعات. حتى كان من يريد إرسال رساله ماء أو بشر حدث من
الأحداث، يذبح له شيتين، كي يصيف ذلك إلى تقريره العاني ويهد
الطريقة علمت أورسولا بموت أمها، ببساطة مجرد أنها كانت تسمع،
دات ليد، إلى الأعاني معها، معرف شيئاً من أخبار أبيه، حريره أو كاديو
وقد أحصى فرانسيسكو من مكره أيام انتشار طاعون الأرق، أحصى
ذلك الرجل الذي دعي بهت لأمه لأنه عذب الشيطان في مباراة ارنجال
الأعاني. ولم يعرف اسمه الحقيقي ولكنه عاد يظهر من جديد فجأة في
محور كاتريو في البدة. واجتمع أهل البدة كافة للاستماع له، لكي
يعرفوا ما جرى من أحداث في العالم. وقد جاءت بصحبته، هذه المرة،
مرأة مديبة ضحمة الخنة. حتى إن أريعه هود يحملونها على مقعد هرا،
ويدراً عهد الشمس بمظلة وأقيه، ثناء مرافقه حلاسيه حريمه

في تلك الليلة، ذهب أوريليانو إلى صخور كانويسو فوجد
فرانسيسكو الرجل حاساً كله وحلة كحريه، وحوله حدة من النظرة
مستطعمي الأشياء. وكان يعي الأنباء بصوته القديم المتعب النشار، وهو
يعرف على الأكرديون العنق نفسه، ذلك الذي أهده إليه السير والتر
رالي في غوليانا، ويحبط الإقاع بقدميه، مثاقير الكيرتين التي شققهما
ملح البارد، وعند باب القاعة الخدمي، الذي يدخل الناس منه
ويخرجون، كانت نقعد العجوز، دات المقعد الهواكز، صامتة تحرك
مروحته. وكان كاتريو، بوزده المحمية خلف أذنه، يبيع الخدمين
صحاف شراب قص السكر لخصر. وكان يتحين هذه العرصة يقترب
من الرجال فيلبس منهم ما لا يعي به أن يفعل. وعندما انتصف الليل
بانت الحرارة لا تطاق. وقد أصعب أوريليانو إلى الأحبار المعتاة حتى
يهين، فما وجد فيها ما يهم أهله. ريمه كان يهم بالعودة إلى البيت،

أشارت المعجوز له بيدها، قذالة

«ادخل أنت أيضاً، فذلك لا يكفك سوى عشرين سنتاً»

وألقى أوريليانو قطعة نقد في المطبوعة التي كانت المعجوز تصنعها في
حصبه، ودخل العرفة وهو لا يدري سبباً لذلك. كتب القصة لخلاسته
الصغيرة، بهديف الشبهين بصرف كلفة، مسبقه عذبه على السرير
وبل أوريليانو كان قد مر ثلاثة وستون رجلاً في تلك الغرفة. كان الهواء
مشعاً بالرياح، مرعاً بالعري، مجبلاً بالسهبات، تحالطه، يبعه بكثرة
الاستعمال، رائحة الطين والعفن. شذت القصة عنها انبساط محطته
عنها، وطلبت إلى أوريليانو أن يمسك به من الطرف الآخر. كان ثقيلاً
كقطعة من سيج الكادس. عصره وهم يتلانه من طرفه حتى عاد إلى
وربه الطبيعي. وقفا الفراش، وهو حصيره من ثوب وقش، مضحك العري
إلى خفه الآخرى يحرج منه. وكان أوريليانو يرحل أولاً تنهيه هذه
الحليلة. فقد كان يعرف مبادئ آلية الحب نظرياً، ولكنه لم يستطع
الوقوف على قيمه، فقد حار لحداه غصه لضعف ركبتيه. وانشعر يده،
ويده لا يستطيع مقاومة الاضطراب في أمعائه. ولجأ شيء ما على
خروجه منه. عسى الرعم من الخرين الذي كان يشتغل في جده كأنما هو
بوح من الوحر. وعذب انهب العتاة من إعداد السرير وطبيب إليه أن
يجنح ثيابه، فدم لها شرحاً مشوشاً مربكاً، فأجاب دون أن يتبها لما
يقول

«أدخلوني إلى هنا، وطبيب إلي أن ألقى عشرين سنتاً في المطبوعة،
وإذا لم ألق أسرع في الخروج ولا أطيل البقاء»
وأدركت نفاث حيرته، فقالت له بصوت رائق عذب
«إد العيت عشرين سنتاً أخرى في المطبوعة ضد الخروج، يمكنك
البقاء فترة أطول»

وحلج أوريليانو ثيابه، يعدنه شعوره بالعار ونكره عن الظهارة، وهو
لا يستطيع أن يمد من عهده فكرة مقارنة عريه بعري أخيه، وأحس، على
الرغم مما بدلته العتاة من حبه، أنه بعيد وأنه وحيد وحيد. وخاطبها
فائلاً: «سوف أدفع عشرين سنتاً أخرى» شكرته وهي صامتة

كان طهرها عازياً، وقد العشق حلهده بأضلاعها، يهصر أناسها
تعب غير محدود. فعيل سنتين من ذلك اليوم، وفي مكان قصي عن
ذلك المكان، ماتت في الليل دون أن تعلم شمعنها، ثم استعافت والسر
منتهية تحيط بها فأكل كل شيء في البيت، حتى استبح ذلك الست،
الذي كانت تسكه وحدها التي كعتها، إلى كومة من رعاد. وبعد ذلك
اليوم، أحدثت جدتها، وراحت تتقل بها من قرية إلى قرية، وتكرهاها
على مضاجعة الرجال لقاء عشرين سنتاً، حتى تسدد
نفس البيت الذي احترق. وبعد بقي سنتاً، طبقاً لحساباتها، عشر سنين
تقريباً تصاحح فيها كل ليلة سبعين رجلاً، لأنها كانت مضطرة لأن تدفع
بغالب السعر والطعم لها وخبتها، وإن تدفع كذلك أجر أربعة هنود
يحمسون مقعد الحدة المتحرك

وعندما فرغت المعجوز باب العرفة، للمرة الثانية، خرج أوريليانو دون
أن يكون قد فعل شيئاً، وقد اختبعت عينا رعية في الكد. ولم يعمض
له جفن، في بلسه تلك، وهو يعكر بالعتاة خلاسية، وقد احتبط لديه
الشهوة بالشعقة. كان يحس بحاجة لا تقاوم لخبث وحمايتها، وعند
الفجر حرم أمره بهدوء، وقد أنهكه النداس والحصى، وقرّر أن يتزوجها
بعده يتبعها من ظنم جدتها، ليستمتع بكل ما تمنحه من بدائد اللين
لسبعين رجلاً. وبكته، عندما وصل في الساعة العشرة إلى معجوز
كانارينو، كانت العتاة قد رحلت عن البلد

وقد أذبل الرعم فطره الشروع، ذلك القرار الذي اتخذه من غير تضرر

أو وعي، ولكنه راد من إحسانه بأجرمان وحييه الأمل فلا بالعمى،
مصمماً على أن يبقى طرال حياته رجلاً بلا امرأة، لكي يخفيه عجله
وعاره من أنه رجل لا يتعم بشيء

في أثناء تلك الفترة، كان ملكيادس مدبر من ساحل وطاعة كل
ما يمكن طاعته من ماكومو على لوحاته، ثم تركه محبوس التصوير
لصورات حورية أركاديو بونيتي ومرواته، فقرر هذا الأخير أن يستعمل
المخبر لإقامة الدليل العملي على وجود الله وذهب على يقين بعد
استحقاقه المشاحة للعقد، التي توصل إليها في أثناء تلك الفترة،
من أنه، رجلاً لم أحلاً، سوف يحصل على صورة لله، إذا كان الله
موجوداً، والأبنة سوف تنفي، مرة وإلى الأبد، فرضية وجوده وروح
ملكيدس يتعمق في تفسيراته لئلا يتركها، فكان يقضي الوقت، حتى
الهرج لأخير من الليل، مبروياً في صدرته الضميمة الصيقة الخائنة
أرونها، يكسب يديه الصعيرين الشبهتين بقائمي عصمر دوري، وقد
فقدت الخواتم في أصابعه بريمه القديم وظل في إحدى الليالي أنه
موصول إلى نبوءة تتعلق بمقتل ماكومو

ونقول النبوءة إن ماكومو سوف معدو مدينة مشرق باهره، بيوتها
كبيرة من رجاج، ولكن دون أن يبقى بها أحد من سلالة بونيتي رجاج
خوريه أركاديو بونيتي هادراً هذا خطأ، بل تكون السيوف من رجاج،
بل من جليد، كمد رأيت أنا في المنام، وسيبقى فيها دائماً بعض أن
بونيتي، حتى آخر الدهر.

كانت أوسولا تكذب كي تحافظ على الثوار ودمشق والخس السيم
في ذلك البيت المنهول فوسعت تمهاتها في حيويات المكروميا.
المصنوعة على هيئة حيوانات صغيرة، بواسطة قرن تفل، اللؤلؤ بطوله،
تصدر منه سلالات وسلالات من خضر وأنواع شتى من العطير والخلوى

(١) صاحب النبوءات للشعر

ورفاق السكوت، التي كانت بورع، خلال ساعات فلات، فتعم طرف
مطعة المستعجمات المنوية المتعرجة كلها

وكانت قد سعت من العمر ما يجعل من حقها أن رباح، ولكنها،
بدلاً من ذلك، كانت تردد مشاهد يوماً بعد يوم، كان اسجاح في مجرى
بلا عبيها حياتها ويسرق كل وقتها وفي عصر أحد الأيام، وبينما
كانت الغناء الهنسية تساعد في تحلية العجين بالسكرك، حدثت معها للتمانة
عجبي، دون تركيز أو انتباه، إلى الدار، وإذا بها ترى فتاتين جميلتين لم
تجربهما وكانت كل منهما غمرك على موليها على ضوء لأحبل ولم تكن
العفتان سوى رويك وأمران، وقد ترعنا عنهما ثياب الجدا على الجدة،
أثني رديتها أعواماً ثلاثة بتزمت شديد، وكان يبدو عليهما بونيتي
وملاسيهم بالوانها الباقعة كأنهم موبدان من جديد كانت رويك
حلاًماً لكن توقع، هي لأجمل كد بوب شتاً، وعينها واسمين
هدهشي، ومناها ساحرق حتى بقت كالك تصبغ تصميم سماء لتطير
بخبوط خفية لم أمارات، وكانت أصغر سناً فكانت طيلة الجديبة
والساق، لكن لها ألماً طبعياً وعمولاً فاحشاً ورثتها عن جدها
فتداه وكان يجلس قريباً منها أركاديو الذي بدأ يتحد شكك نحو أبيه
الصارخ من الناحية الجسدية، وإن كان لا يزال طفولاً المظهر وبدأ
يتعلم حرفه صياغة الفضة مع أوريليس، الذي عممه كل ذلك القراءة
والكتابة

وأدركت أوسولا فجأة، أن البيت قد امتلأ بالفس، وأن أولاده
سوف يصبحون قريباً في سن الزواج، ثم يكون بهم أولاد، ويضطرون
للرحيل والانتشار بسبب ضيق المكان، فأخرجت المال الذي جمعتها،
بحلال أعوم الشقاء الهزينة، وحصلت على بعض المساعدات من
رياتها، ثم بدأت تحط لتوسيع البيت خصصت غرفة استقبال لبروكار.

وأخرى أكثر حيوية وساطة لأهل البيت، وعرفه للطعام تنبع لمائدة عليها
اثنا عشر طبقاً نكتي العائنه والضيوف واشتمت خطة البيت على تسع
غرف لها بوابات تطل على فناء الدار، وشرفات واسعة تقيها الحَر من
شمس الظهيرة ورود كبيرة متدلية، وبها حوائط عليها أوان وأصص ريح
فيها بعض السرحس واليويويا. وأمرت أورسولا بتوسيع المطبخ ليشتمل
على فرنين. وبهذه الممر القديم، الذي قرأت فيه بيلار تيرير الحظ،
بروق النعيب، لحوزة أركاديو، وبها محرن جديد يكبر السابق مرتين،
كما لا تنقص موقدة البيت الاحتياطية وأنشأت في فناء الدار، في ظل
شجرة الكستنة، حمامين أحدهما للرجال والآخر للنساء، وأقامت في
طرف المناء اسطىلاً كبيراً، وزرنية ممتدة بمسوح، وحظيرة لبقرة
الغريب، وماوى للطيور معترج السقف مشرع الأبواب، لعل الطيور
الضالة تأتي إليه على هواها

وجعلت أورسولا، وكأن حتى زوجها قد أصابها بدولها، تحفظ
وتنظم، يتبعها اثنا عشر من البنات والبنات، فجاء الضوء وانتقال
الحرارة، وبرق النكاح من غير أن تكون لديها أية فكرة عن حدوده
وهكذا استلأ بيت المؤسسين البستاني بالأدوات وصواد البناء والعمال
اللاحثين من النصب، وانتصبين عرفاً، وهم يرحلون أهل البيت لا يعرفون
غدوهم ورواحهم، دون أن يدركوا أنهم هم الذين يعرفون حياة من في
البيت وكان أكثر ما يرميهم إلى هو كيب العظام البشرية، الذي كان
يلاصقهم لئلا يتجهوا بفرقة التي لا تنقطع

والحق أن أحداً لا يدري كيف أمكن أن تخرج من بين كل تلك
الزعماء ورواح الكلس والطير والحار، وسائل القطران، ومن أحشاء
تلك الأرض، أجمل النور وأنصرها وأبردها وأكرمها، لا في البسطة
وحده، بل في تلك المنطقة كلها وكان أقل الناس إدراكاً لـ جري

حورية أركاديو بويديا، الذي كان مصرفاً بكل جهده، وذمه، لاكتشاف
العمية الإلهية، بينما كان ذلك الانقلاب يتم دون هوادة وعندنا قارب
البيت على الانتهاء، جاءته أورسولا كي تحرحه من عالم أحلامه،
وتجبره منها على استئمت أمراً يطني الواجبه بالفن الأرو لا الأبيض الذي
قرره، وأعلمه على وثيقة الأمر الرسمي. فدفق حورية أركاديو بويديا
الطري التوقع، ودون أن يدرك ما كانت تحدث عنه، سألهما قائلاً:

«من هو هذا؟»

فألت أورسولا بلهجة حريّة: «إنه إناكم. ويقول الناس إنه صاحب
السلطة الذي أرسنه الحكومة»

نقد وصل الدون أبوبار موسكوت، وهو إناكم، إلى ماكريدو في
غاية الهدوء. فأقام في فندق جاكوب، الذي بناه أحد العرب الأوائل
الذين جاؤوه يقاصون الليقات يفضاهتهم. واستأجر في صباح اليوم
التالي مكتباً صغيراً يشرف على الطريق العام غير بعيد من بيت آل
بويديا. ثم اشترى من جدكوب طاولة وكرسيّاً جديها في المكتب، وعلى
صلى الحداد شعر الجمهورية الذي حممه معه، وكسب على الباب كلمة
«الحكم». وكان أول أمر أصدره أن تطلق البيرت كلها باللون الأزرق
حصلاً يدركى الاستقلال الوطني. فأسرع حورية أركاديو بويديا، محملاً
بيده نسخة من الأمر الجديد. فوجد إناكم الجديد في فيلوتته، مستيقاً
في أرجوحة معلقة في العرفة الصغيرة التي اتبعها مكتباً له. سأله

«أنت الذي كتبت هذه الورقة؟» وكان الدون أبوبار موسكوت رجلاً
ناصباً، غير شجاع، ولكن له ملاصق سراج دموي. فأجابه نعم. فسأله
حورية أركاديو بويديا من جديد: «وما حق؟» فأخرج الدون أبوبار
موسكوت ورقة من درج مكتبه، وأراه فيها قائلاً: «لقد عشت حاكماً
لهذه البلدة» ولكن حورية أركاديو بويديا لم يقرأ كتاب التعيين، بل قال

به وهو يحفظ على هويته. «نحن في هذه البلدة لا تصدر الأوامر على
فرض من وري. وليكن معلوماً بذلك الآن، وإلى الأبد، أننا لا نحتاج
لحاكم هنا إذ ليس لدينا ما نحتاجه بشأنه»

وقد حوَّره أركاديو بريسب في مواجهة الدون أبوليتار موسكوت،
الذي يد، هارفاً في موقعه، وراح يروي به بصوت هاديء كيف أسسوا
القرية، وكيف ورعوا فيها لأرض، وشقوا الطرقات، وذكر به
الحسينات ومظاهر التقدم التي كانت تحقق عندما تدعو لها الحاجة،
وكيف تم كل ذلك دون أي اعراج لأية حكومة ودون أن يزعجهم أحد
وأصاف مائلاً «نحن قوم مسلمون إلى درجة أن أحداً لم يمت حتى
الآن، حتى نتيجة الموت الطبيعي. وبوسعك أن ترى أنه لا توجد هندياً
أية مشيرة. ولم يزعج، ولم يشك من أن الحكومة لم تقدم لهم يد
المساعدة على العكس تماماً، فقد أبدى ارتياحه وسروره، لأن الحكومة
تركهم ينعمون بسلام، وودّ لو أنهم تستمر في ذلك. فهم لم يشو
السنة من أجل أن يأتيهم أول قادم إليهم فيملئ عليهم أومرهم في ما يجب
أن يفعلوه. وعند هذا الحد يهض الدون أبوليتار موسكوت، مارندى
سشرته العريضة، مصرعة من الكنان، لأبيض، بدون بطلانه، دون أن
يخرج، لحظه وحده من كياسته أو يحللي عن أنافته وحتم حوَّره
أركاديو بريسب قائلاً «أصبي أنك إذا كنت قد حثت إلياً كي نقيم
بنا موطناً عادياً كالآخرين، فعلى الرحب والسعة أب إذا كنت قد
جشت كي تسمع العوصى ونجس الناس على أن يظنوا بيوتهم باللوب
الأدري. فنستطيع أن نحمل مبعث وترجل من حيث أتيت. واعلمك أن
بنتي سوف يكون أبيض كالشمعة».

شجّب لود الدون أبوليتار موسكوت، واصفر وجهه، وترجع خطوة
إلى الوراء، شدّ فكّيه وقال بشيء من الحزم والتهديد «احذر إنني أحمل

سلاحاً

وسم يد حوَّره أركاديو بريسب كيف، ولا في أية لحظة، اسعاد في
يديه القوة التي كان يستطيع بها أن يصرخ حصاناً، فامسك بالدون أبوليتار
موسكوت من ثفا سترته، وورعه يديه حتى مستوى عييه، وقال له
«إنني أفعل هذا لأني أمضئ أن أحملك حتى على أن أحمل وحداني أمر
موتك بقية أيام حياتي».

ثم دفعه حوَّره أركاديو بريسب هكذا إلى منتصف الطريق العام، وهو
يمسك به من فاه، ثم وضعه على قدميه أمام طريق منطقته المستعدات
ولم يمض على ذلك أسبوع إلا وعاد الحاكم يصحبه ستة جنود حفاة،
معرفة بدمهم، وهم مسحون بالفضجرات (البنادق القديمة)، ووراده هربة
يجرهم ثوران ومها روجته ويناته السج. ثم وصلت عريتان أخريان
تحملان الأثاث من الصناديق والأمتعة وأدوات المطبخ والأدوات المنزلية
الأخرى، وأمسك الحاكم أسرته في هديق جاكوب ريشما بعد له بيتاً
ويفتح مكتبه بحراسة الجنود

وتدعى مؤسسو ماكوندو وروادها الأوائل، وتوأموا إلى حوَّره
أركاديو بريسب، وقد هزموا على طرد المرأة، فوضعوا أنفسهم تحت
تصرفه، هم وأبنائهم الكبار. ولكنه اعترض لأن الدون عاد بصحبة
روجه وبناته، ولا يبق برجل أن يهين رجلاً أمام أهله. ومن أجل ذلك
قرر أن يسوي الأمر ودياً

وصحبه أوريبانو، وكان إذ ذاك، د. شارب أسود معقوف مثبت بالدهن
وصوت جهوري قوي، اشتهر بهما في الحرب. ولم يكن الرجلان يحملان
سلاحاً. دخلتا مكتب الحاكم دون أن يأبها بالحرس، فلم يفقد الدون
أبوليتار موسكوت هدوءه أعصابه، بل هزلهما باننتين من بناته كانتا عنده
مصادفة، وهما: أميلرو السمراء شبيبة أمها، وهي في السادسة عشرة من

عمرها، ورعيديوس الصبورة الجميلة، وهي في التاسعة من عمرها، وكانت بدون الربق ولها عياد حصرهوان وكانت العتاتان مهندتين، وشبقتين وباعصين لطيفتين، قدماً للتاحلين كرسين كي يجلس قبل أن يعرف بهما أبوهما. ولكن الأب والابن لينا في مكانيهما واقفين

كان حوريه أركاديو بونديا أحسن، يا صديقي، تستطيع البقاء هاهنا لا من أجل قطع الطرق الواقفين بياك بطيحاتهم، بل تقديرًا لروحيت وبنائك.

وبدا الاضطراب على الدون أولياف موسكوت، ولكن حوريه أركاديو بوندي لم يدع له مجالاً للجواب، فأصاف: «ولكن لست شوهين الأول أن يطني كل إنسان بيته بالفلون الذي يختاره، والثاني أن يرحس الحدود فوراً فحس، من جهة بعض مستناب الأمن» ورفع الحكم يده اليسرى، قائلاً:

«كسمة شرف؟»

فاجاب خوزيه أركاديو بونديا:

«أين كلمة عدو؟»

ثم أضاف بلهجة دسيسة جافة

«لأشي يجب أن أخبرك أمراً فأنت وأنا ما نزال عدوين»

في ذلك اليوم عصرًا رحل جود التة، وبعد ذلك بيضه أيام وجد حوريه أركاديو بونديا بيتاً للحاكم وعائلته. وهاد السلام والهدوء إلى نفوس الناس جميعاً باستثناء أوريليانو، لأن صورة رعيديوس ابنة الحاكم انصعري ظلت عالقة في محبته، تذه في ناحية ما من جسده، مع أنها بعد مر سبب، تكاد تكون نبتة في عمرها وكان ذلك الإحساس اليدي المبريري يورقه ويرعجه، كيصف سار، كما لو كان حصلة عاتقة في داخل حداثه

(٤)

كان قد شين البيت الجديد الأبيض، كالحمامة، بحملة رائضة وقد بررت العكرة لأورسولا، عصر ذلك اليوم، عندما لاحظت أن روييك وأمارنا أصبحت صيتين مرهقتين. ويمكن القول إن السبب الرئيس لهـ الست هو رعتها في أن يكون لعتاتين مكان مناسب لاستقبال الزائرين فقد مضى عليها وقت وهي تعمل كحكوم بالأشغال الشاقة في ترتيب البيت وتنظيمه، كي لا ينقص أي شيء، من حماله وبهاله الزائرين حتى إنها، وقبل أن ينتهي العمل في البيت، أوصت على مجموعة من الأواني وأدوات التزيين العالية حدًا، ومن بينها ذلك الاحتراع العظيم، الذي لا بد أن يثير إعجاب أهل البلدة جميعاً، وأن يهرح العتاتين، وهو البياتو الأكلي، وقد وصل هذا البياتو قطعاً ممتاً في صناديق، مرّعت جميعها، مع الأثاث المصنوع في فينا، والكريستال البوهيمي المجري والصناعات المصنوعة من قبل شركة جرر الهند، وأعطية الطاولات الهرلدية، وتشكبه غية متنوعة من المباديب والشصعدسات وأواني الزهور، ومختلفات وأدوات الرينة الأخرى. وقد أرسلت الشركة المرسدة، على سفنها، احتصاناً لإعجاباً، يدهي بيترو كريسي، كي يركب البياتو وينظم يضعه، ويدير اشتريين الريات على طريقة استعماله، ويعلمهم الرفص على أحدث الاتحاد التي جاء بهت دمعات منها

كان بيترو كريمسي شاباً أشقر، لم تر مأكودو مثله حملاً وتهدياً
وكان شديد العناية بأنافته، حتى إنه كان يعمل دوا أن يسرع منه قميص
البروكار والصلوية ويغطف الأسود الثقيل، رغم حراره سخافته. ولقد
انعقد مروجاً طوال بضعة أسابيع في فاعه لاستقبال، وهو يصيح عرفاً،
محافظاً على أن يبقى، تاذباً، بعيداً عن أصحاب المنزل، عاكماً على
عمله عكوف أوريليانو على مجرى صباعه الفصه وذات صباح، وضع
طلب الأخوان لأول عى اليانو، دون أن يفتح الباب أو أن يدعو أحداً كي
يشهد المعجزة. وجهه توفقت انطرق لمعجمه، وطفقة القصبان التي لا
تسهي، وران على الكان صمت مطلق، ثم صدحت الألحان موسيقى
هادئة صافية متناغمة ومسجعة. وتذافع من في البيت نحو قاعة
لاستقبال ووقع خوربه أركاديو بويديا حاملاً في مكان لا يريم. وما
كانت روعة السحن هي التي تهيم عليه ونأسره، وإنما عرف الآلة نفسها
سجاء بآله تصوير منكبادس، لعله يصور العازف غير المرئي. وفي ذلك
اليوم تناول الشاب الإيطالي طعام العشاء مع العائلة. وكانت روبىكا
وأمارانتا تقومان عى خدمة الطاعمين. وقد شدتهن الدقة والأدبة الثتان
يتناول بهما طعامه ذلك الرجل الملاكى ذو اليدين الشاحبتين بلا خواتم
وعلمهما بيترو كريمسي الرقص في غرفة دخولس المنجورة لقاعة
الاستقبال. كان يدمهم الخطوة تلو الخطوة وهو بعيد عنهما، وضط
الإقاع بالثروبوم، بينما أوسولا تراقب بعطة ومودة. وبكها تم تعاد
الغرفة لحظة واحدة طوال تلقى الثانتين دروسهما في رقص. وكان بيترو
كريمسي يرتدي، لهذه العاية، بطلاً خاصاً، مطاطياً رخواً لأصفاً
بجسده، وحلده غصاً للرقص.

لاحظ خوربه أركاديو بويديا زوجته المراقبة، فقال لها: ليس حيث
أن تقبلي كثيراً، فهذا الرجل حش، ولكنها لم تكف عن المراقبة طوال

ندروس، إلى أن رحل الشاب الإيطالي عن مأكودو. وعندها بدأوا
بسعيم الحملة فأعدت أوسولا قائمة بأسماء المدعويين، الذين انتقتهم
انتقاءً دقيقاً. فتم يدع إلى الحملة سوى مؤسسي مأكودو الأوائل
وسلالتهم. وكان لاستثناء الوحيد هو عائلة بيلار نيريرا التي كانت قد
أطملت بابين آخرين من أبوين غير معروفين.

كان المدعويون، في حقيقة، من أبناء الطبقة العليا، جاء احتيارهم
بإاء على المشاعر وعلاقات صداقة. فلم يقتصر تعصيل في الدعوة على
أقدم أصدقاء خوربه أركاديو بويديا وجيرانه من من الهجرة التي آلت إلى
تأسيس مأكودو، بل شمل ذلك أباءهم وأحفادهم، الذين كانوا رفاق
أوريسيو وأركاديو الدائمين مد الطفولة، وينتقم الوحيدات اللواتي كن
يرون البيت لتطير مع روبىكا وأمارانتا.

أما احكام الطيف الضعيف، الدوا أبوليار موكوب، فما كان
يشحه سوى سديد بصرويات لرجي الشرحاء المسلحين بالهراوات،
من مرارده الضئيلة. أما مسطته فكانت صورية. وقد أنشأت بنائه مشعلاً
بالحياطة كي يقص بمفات البيت. وكفى، في المشغل، يصنع الزهور
فمنه، وحموى الخوياف، وبطانات الحب والتمسبات الأخرى، حسب
طلب. ولكنهم لم يلحس في أن يكن في عداد المدعويين للحملة، على
رغم من أنهم كن متواضعات ومهديات ومجتهبات، وأجمل بنات
بيدة، وأحدثهن في أداء الرفعات الحديثة.

ويصم كانت أوسولا والممتاتان يخرجن، لأكثر المستودع من
الصاديق، ويمنن الضيفات، ويعفص على الجفراان الصور والموحدات
التي تحمض فتيات جميلات على من قوارب مريئة بالأزهار، فتعشع حياة
جديدة ومناظر بهيجة لأماكن المرافق التي خلفها البلازون، كان خوربه
أركاديو بويديا قد توصل إلى قراره بالتوقف عن البحث عن صورة الله،

بعد أن قمع بعدم وجوده ثم تصدى للبانو ففتحته بنفسه، وفككت
أجزاءه، سعيًا للوصول إلى أسرار السحر فيه. وهكذا، قبل يومين من
حملة افتتاح المنزل، وجد نفسه يفرح من فمه رأسه إلى أخصى قدميه
في كتلة من الأوتار والمفاتيح والأشرطة تنبع حوى ذاتها، فإن شدتها من
طرف تعقدت من طرف آخر، حتى بدا أنه أحمس الآلة الموسيقية كلها
ولكنه أضح، في النهاية، في إعادة تجميع البيانو، بطريقة ما، فأرجعه إلى
صورته الأولى. لم يعرف القوم فترة كلث الفترة، لكثرة ما كانت حادثة
بمناسبات والأصطرابات والفتنات، ولكن قنديل الزيت الخديعة أضحت
في اليوم والساعة المحدثين وفتحت أبواب النار الجديدة، وهي ما زالت
بعين بروائع القطران والكس الرطب، وتوافد أبناء مؤسسي هاكوبو
ورؤاهم وأحفادهم، وشاهدوا الشرعة بما تنوء به من بيانات السرخس
واليوياء، والمعروف، وانقاع الهدنة، والبستان الذي تضوع منه روائح
الورود، ثم تجمعوا في قاعة الاستقبال، أمام ذلك الاختراع العجيب الذي
كان معطى يرداء أبيض.

وقد حباب رجاء من سبق لهم أن رأوا نوعاً من البيانو، تلك الآلة
الموسيقية المشهورة في البلدان المجهورة هاكوبو في منطقة. وكانت أرسولا
أشد الناس شعور بالخروج وحيرة الأمل، لأنها عندده وضعت ملف
الموسيقى الأول، لكي تفتح أسرارها وروبيك لحصة بالرقص، لم تنشأ الآلة
أن تحرك - كما، عظمت صانعة وظل اجتمع صامتين وحيوان منكادس
أن يصنع الآلة، وكان حيثلا يكاد يكون أعمى، وقد هدته الشبيحة،
فقد عجزوا عن تعجباً يكاد يتهاوى. فراح يلجأ إلى معين معرفته وخبرته
محاولاً إصلاحها، وانتهى الأمر إلى أن استطاع خوريه أركاديو برسيدي،
أب يحرك إحدى القطع العالقة، عن طريق خطأ، فاستدقت الموسيقى
صاحبه مرعجة في البداية، ثم تدفقت الأنغام والألحان العلية، وإن تكن

مذكوسه ببعضه على بعض في غاراج عري، وظل حوزيه أركاديو
سوينديا يصرب بيده على الأوتار المقلوبة المشابكة، حتى تمكن من
رحلتها بعضها عن بعض، وبقب انظار الصغيرة، وانساب الأخت
عذبة رائحة. وسيطر عند أبناء الواحد والعشرين مؤسساً ورائداً
وأحفادهم، أولئك الذي نسبوا لجمال وشعر الوعر والنعناع، في
طريقهم عرباً سعيًا يستلحون على البحر، فاستطاعوا ثلاثي بعض الشارفي
لأختلن المتصارعة، وظلوا يرقصون حتى ابتلاج المعجر.

غداً يبتزو كريسي لكي يصنع البيانو الآلي، وساعدته رويكا وأماناتا
في إعادة ترتيب الأوتار وتنظيم الأشرطة، وشاركتها صحبته من الأضام
الشار الناشئة عن الألحان المنغوية، وقد الشاب لطيفاً جداً، وأيضاً حتى
إن أرسولا كفت عن مراقبته، وعصمت إلى تنظيم حملة ودع له عشية
سفرة، بعد أن أتم إصلاح البيانو الآلي. وفي الحفلة قام شرو مع روبيك
بعرض مرقصات خديته، كان عهداً رائعاً وكذلك روسكا. ولم يقل
عنها أركاديو وأماناتا فتاً ووشاقة وروعة. ثم توقفت الحفلة عندما ثارت
سلاخ تيرير، وكانت بالأس تشاهد مع المشاهدين، فاندفعت نحو امرأة
تجرباً وقالت إن لأركاديو الصغير ردأ امرأة، فاععبت فيها عصاً وشاباً
بالشر.

وفيل مصعب الليل، غادر ببترو كريسي البيت، بعد أن ألقى
بالخشبين كمة نصيره مؤثرو، وعد فيها أن يعود إليهم قريباً. واضطجعت
رويكا حتى باب الدار، وبعد أن توارى أغلقت الباب، وأضلت
مصاييح، ثم أوت إلى عرفت وأجهشت في اليكاء. وقد سيطر عليها
حزن شديد لم تستطع أماناتا أن تنزك أسبده.

لم تكن روبيك بطيمه خورية. ولكن من الرغم من صاحبها
ومرحها، كانت تدور إلهوائية منكعة على ذاتها، تلود بالقصت غالباً فلا

سبح شيء . وكانت فتاة ، في سن المراهقة ، حوزة جمعية القوام والنية
 بطيل جديس في مقعده الخشبي الصغير الهزاز ، الذي جثته معه يوم
 جاء إلى البيت وقد أصبحوه بها سدعات حشبة وبرعو ، من مرفقيه
 ولم ينته أحد منهما ، في عمرها هذا ، كانت ما يزال تحس إصبعها ، وأنها
 كذلك بطيل لثكوث في الحمام ، ولا تلم إلا إذا أدارت وجهها صوت
 الحائط وفي الأيام ممطرة ، كذبت رويكا تمسك مع كوكسة من
 صروحتها ، عند العصر ، يطررد في الشرفة لعموره بأزهار السبوية
 وكثيراً ما كانت تبدو شاذة الدهر ، مفسهر عن الحديث ، وتنهل من
 عصبه دمعا حين وشوق قلحاح سقط حنقها ، عند ترى أر طبعات
 الأرض الرطبة قد تشعقت ، وأكوار الطين التي تجمعها ديدان الأرض في
 البستان تلك الشهوات الدنية والرخائب الكاذبة التي سبق أن شهدتها
 في الماضي ، عادت فاستيقظت وولدت فيها نهضة جامحة ، عندما أجهشت في
 النكاح ، لقد عادت إلى أكل التراب في المرة الأولى كانت مدعوة إلى عاداتها
 القديمة بحب الاستطلاع ، مفتتمة بأن أصل الدود لهذا الإعراف هو القرف
 والظلم الشيء الذي متحصن به والحق أنها لم تطق يفناء التراب في نفسها
 ونكها ثابت عن ذلك ، نعلها رغبة عارمة في الاستمرار وشهنا متشبعاً
 راحتها شهية الأسلاف لمذاق المعادن البائسة ، والشيخ الذي لا ينهي ، والذي
 كان يتحد مع العمد الأصلي كانت أحياناً تلمس في جيوبها حفوات من
 التراب ، لم تأكلها في دفعات صغيرة خلسة ، يداخلها خليط من الشعور
 بالعصبة والغضب ، بينما هي تعلم صوابياتها أصعب خطوات الخطير ،
 وتتحدث عن الرجال الذين لا يستأهون أن تصحب امرأة من أجلهم ، فتأكل
 طلاء الجدران الكسفي كانت حفوات التراب تجعل رجوعها الخفيقي الوحيد
 أقرب إليها ، تلك الرجل الذي يهون ذلك الهواء من أجله ، حتى نكأن التراب
 الذي تلوسه قدمه بحدائه الجليلي المتاع للنام ، في مكان ما من هذا العالم .

يواصل إليها كثافة دمه وحرارته بتلك النكهة المعديفة التي ملحت في فمها مذاقاً
 عشناً ، وترسب في قلبها دواعي العنادية
 وهي أصيل أحد الأيام ، حبيب أمبارو موسكوت (دماً لأن ترور سرب
 الجديد ولم يحظ ذلك القلب بإعجاب أمبارو رويكا ، فاستطاعه
 بصور ، ومجولتها معها في الدار شرجين بها كيف كانت وما أكلت إليه بعد
 الإصلاح ثم أسمعناه موسيقى البيانو الآلي ، وقدمت لها العصير ورفائق
 البسكوت وبعد عترب أمبارو خلال الزيرة ، عن نموذج رائع من الزوار
 والتهديب وسحر الشحمية وخلق الحميد ، هي كان به أثر كبير على
 أوروسولا خلال اللحظات القصيرة التي شاركتها فيها الحديث وبعد نحو
 ساعتين ، وبعد كان الحديث يكاد يصل خاتمة ، استعلت أمبارو لحصة
 عدم انتباه من أمبارو ، ودولت رويكا رسالة وقد لمت رويكا بشكل
 خاطف ، ما لفتح لها أن سمحه يسرعه فقرأت اسم الآلهة المحرمة
 سونيوت رويكا بونديا ، وقد كتبت الرسالة بالخط الدقيق نفسه ، وبالبحر
 لأخضر معه ، وبالأملوب الناعم النظيف نفسه ، التي كتبت بها
 تعبيدات استعصاك البيانو الآلي نظرت الرسالة بأطراف أصابعها ،
 ودنتها في صدرها ، وهي ترمق أمبارو موسكوت بنظرة تعبر عن العدمان
 يجميل خالده غير مشروط ، ووحد صامت وكتمان أبدي
 انتعشت آمال أوريليانو بهذه الصلابة المفاجئة بين أمبارو موسكوت
 ورويكا بونديا . دلت أن ذكرى ريكيدوس الصغيرة ما زالت معديه ، وهو
 لا يجد سبلاً لترويتها فقد كان عديم بصره في اللذة ، مع أفضل
 أصدقائه وأقربهم إليه ماجييكو وجريدو ماكير - سي المزيين
 الرائدتين اللذين يحملان نفس الاسم - يلمس أقصى جهده كي يتمجها
 في مشعل الخياطة دون جدوى . فلم يكن يرى سوى أحوالها الكريبات
 ولد كذب رواية أمبارو موسكوت إلى دارهم نوعاً من البشري أو الوفاء

للحسن الداخلي. فقد كان أوريليانو يقول في نفسه: «يجب أن نجيء معها» ثم يكرر ذلك مرات ومرات في نفسه ويصوت خفيض حتى تبتلع من يروته في عصر أحد الأيام، ويسمى هو في محبرة يذنب سمكة صغيرة، فيتأكد من أنها قد استجابت لدائه. وحق أنه ما لبث إلا قليلاً حتى سمع الصوت الطعولي، فرفع يده ليجمد قلبه فرحاً، عندما رأى العتاة عند بابيه في مطبخها الزردية وحوائث الأيض الطويل

خاطبتها اختها أمارو موسكوت من داخل القاعة قائلة: «لا تدخل يا ريميدوس إنهم يشتعلون» ولكن أوريليانو لم يدع لها الوقت الكافي كي تستجيب لنداء أمارو. فقد رفع السمكة المذهبة المتلينة بسلسلة تمر عبر فمها، وقال لها: «ادخلي»

تقدمت ريميدوس داخل الخيزر، وطرحت بضعة أسئلة عن السمكة المذهبة ثم استطع أوريليانو الإجابة عنها بسبب ما كان يشعر به من حرج وضيق معانيء من هذه البشارة الرقيقة، وتيتك العيين الرموتين، وذلك الصوت، اندي كان كما سألته مراً لا يادره بكلمة سيدي، ولهجة احترام، حتى لكان العتاة تكلم أبداً كان ملكيادس متقوقعاً عن مكتبته، يرسم بعض الإشارات التي لا يدرك كنهها ولطفاً كرهه أوريليانو في تلك اللحظات، ولم استطع أن يعمل شيئاً غير أن يقول لريميدوس إنه يريد أن يقدم لها تلك السمكة الصغيرة. ووجدت السـت وأجملت من الهدية، واندفعت راكبة حرج المشعل عصر ذلك اليوم عين صير أوريليانو، رسم يعد يطبق انتعار ورفنها، عسرك عمله وانقطع عنه ويطاكد كان يديها، في نفسه، بجهد يائس وبركير مصي شديد، ويرجو أن تظهر له ولكن ريميدوس لم تكن تستجيب. بحث عنها في مشعل أخواتها، ووراء كل سائر البيت، وفي مكتب أبيها. ولكنه لم ير منها إلا صورتها، التي كانت تهيم على حياته في وحدته العاسية. ود

كان يصفي الساعات الطوال في قاعة الاستقبال، مع روبيك، يصفي لأتعام أيبانو الأكي. وكانت روبيكاً يصفي معه أيضاً فهي تصفي بنت الأخان لأن يسرو كريسبي عمدهم التوفيق عبيها، وهو يصفي بلأخاد لأن أبي شيء، حتى الموسيقى، يذكرو بريميدوس.

وغاص البيت في حجب، الذي عبر عنه أوريليانو بقصائد لا نهاية بها، كان يكسب على رفاع خشة أهداه إليه ملكيادس، وعلى حيطان الخمام، وعلى دراعيه. وفي كل ذلك كانت ريميدوس تظهر له، وكأنها عثدت في كل مكان. ريميدوس في جو الساعة الثانية من بعد الظهر اخبر، وريميدوس في أناس الورود الخملية للدهمة، وريميدوس في وسوسات العث في الخشب، وريميدوس في البسمل المتبعث من حبر الصباح، وريميدوس في كل مكان، وريميدوس في كل زمان، وإلى الأبد. وكانت روبيكاً تنتظر رسالة حبيبها في الساعة الرابعة عصراً، وهي تطور قرب المائدة. وكانت تعرف أن بعلة رجل البريد لا تصل إلا مرة واحدة كل أسبوعين، ولكنها ما تفتت تنظر، موعة أنها قد نخطيء ذات يوم فتجيء في غير موعدها. ولكن عكس ذلك هو الذي حدث

فدأت مرة، لم تصل البعثة في موعدها المحدد. وشن جنون روبيكاً، فنهضت عند منتصف الليل، وخرحت إلى البستان، وراحت تبحث من الرباب، سمعة إثر سمعة، ما كاد يقضي عيها ثم بكت ألماً وحققاً، وهي تمصع لحلم الميدان الطري، ونكسر أسنانها وأحراسها وهي تطحن محار اخبرون ثم جعلت تنقياً للره ذو المرة حتى الصباح ثم أصابتها كآبة، وأضلمت الديب في وجهها، فحششت خائرة أقوى، ثم فعدت وعيها، وراحب تحدث نفسها بجوى مسانة غير ظهور

وأعاط الأمر أورسولا، التي شعرت بالعضجة والعار، فعدت إلى صندوق روبيكاً نصمير، فكسرت فمها، ووحدت في أسفها ست عشرة

ربما به معطرة مربوطة بأشرطة حريرية وردية، وقبأ أوراني ورد وتيجان
أزهار حُفَّت في كتب هديته، وفراشات مصبرة، استحالب جميعاً عند
أول لمسة لها إلى مسحوق وعبار.

كان أوريليانو الوحيد الذي استطاع أن يدرك معنى سنك العربى ومعنى
ذلك لحرق. بهي عصر اليوم الذي كانت فيه أرسولا تحاول أن تخرج
روبيكا من حمأة دواها، ذهب أوريليانو بصحبة ماجيغيكروميسبال
وجينيلمو ماركيز إلى مخازن كالكوتو، التي انصمت مؤسستها وازدادت
بضخ غرف خشبية حار جية، كانت تسكنها نساء وحيدات لهن رائحة
رهور ميتة، وكانت مجموعة موسيقة مؤلفة من جهاز أكرورديون وبضعة
طبول تعرف بعض أهائي فرسيككو، الرجل الذي لم تطأ قدمه أرض
ماكوسو منذ عدة سنين. وشرب الأصدقاء الثلاثة عصير فصب السكر
الحمر. أم ماجيغيكو ويريلمو، صديق أوريليانو النسان كانا أكثر خبرة
وعجوبة منه بشؤون الحياة، مع أنهما كانا في مثل عمره، فقد شربا وفي
حضر كل منهما امرأة. وقد دعيت إحدىهن أوريليانو، وهي امرأة مهترنة
أكثر من الأخريات، ويد في فمها صفت من لأسنان الذهبية، فأحس
الشاب بقشعريرة في جسده. فمر منها، ثم نيس له أن يتذكر ريميديوس
بالقدر الذي يشربه، ولكنه يوداد احتمالاً للعذب الذي تصببه به دكرها
ولم يدرك تماماً متى بدأ يشعر بأنه يطغو. فقد رأى صديقيه والنساء يسبحون
في برع من الإشباع لفضيء، بلا وزن ولا كتمة، ويتعشرون بكلام ما
كانوا ليسعوهوا به من قبل، وتذ عنهم حركات وإشارات خفية لا شبه
أبداً حركاتهم وإشاراتهم المألوفة لديهم. ووصعب كاتاريسو يدها على
كتفه دائمة له. هربت الساعة الحادية عشرة. والتفت أوريليانو مرأى
الوجه النضج المشو، ووراء أذن صاحبه وردة محمية، وما لبث أن فقد
دكرته كما حدث له في أيام طاعون الأري. ولم يستعد ذاكرته إلا عند

البحر. وقد سدّى به نعباح صاروا في الرمن المسحوق، وفي غرفة عربية
يجعلها حماماً، كانت نقب فيها سلال تيرير، يشمتها الساحلية، حافية،
وقد بدلى شعرها. وكانت تحمل قميصاً فوق رأسه، ولا تكاد تصلّق ما
تراه، وقد بد، عليها المذبول الشديد. وفتحت فائلة
- «أوريليانو»

فأسوق أوريليانو، وسقّد قدميه ورفع رأسه. كان لا يعرف كيف جاء
إلى هناك، ولو أنه يدرك الهدف الذي جاء من أجله، فقد كان دث
الهدف خيباً مند طعولته في شعاب قلبه
فقال لها: فجتت كي أنام معك!

وكانت تياه منطحة بالرجل والفني. ولم توجه إليه بيلار تيرير، التي
كانت تعيش آنذ وحيدة مع ولديها الصغيرين، أي سؤال، بل فادته إلى
السريمر. حيث نظمت له وحبه بحرفه مجلّة، ثم بضت عنه ليايه،
وخضعت هي الأخرى سائر تياهها، وأسدت ستارة تفصل ما بينهما وبين
وبديها الثامير، في حان، سيقاطهما. لقد جلب صبرها من انتظار الرجل
الذي يكر أن يبقى معها، وتعبت من الرجال الذين يرحلون، وأجهدوا
الرجال الكثيرون الذين يسرون على طريق يسها مرتكبين على غير
هدى، وعند عسطة يقين وجودهم بريب ورق اللعب. فقد تمعدت
بشرتها، وهي تنتظر، وضمر بهداها وأصابها المذبول، وانطعأت جمرات
فنبها. تمسست جسد أوريليانو في الضلام، ووضعته يدها على بطة،
ثم تمست عنقه بحب آم، وفتحت فائلة

- «يا لولد الصمير السكير»

فانقض أوريليانو. وفي مهارة رجل بالعين، ودون أن تحطى قدمه
موقفها، حلف وراءه شعاب الألم النور، والتقى في خياله بريميديوس
وقد استحالت إلى مستنقع عظيم لا بعده أفس، تفوح منه رائحة حيوان

بري وثبات حديثه الكميّ وعندهما خرج من حلة خياله، كان ما يزال
يسكن وقد بدأ يحبه جهشت مقطعة لا إزديده، ثم أحس أن روماً ما
مولاً قد مجر في نفسه، فاطن به العاد، وأبرغ لأعماق منه في بعض
من الدموع وكذا بيلار تيرير واحدة بالقرب منه تنظر، وهي تحك به
رأسه برؤوس أصابعها، حتى استطاع أن يهود من حسنه كل السواد
الذي كان يحول بينه وبين أن يعيش وعندها مآلته بيلار تيرير

من هي؟

فأجبرها أورديانو فصدرت عن بيلار تيرير صحتك التي كانت
تدعج الحسام في فناء دارهم من قبل ركنها مات الأمل لا توقع حتى
لأطفال الناس، وقالت له منيرة
- صحتك أن توبه أوكا؟

ولكن أورديانو لمج وراء هذه السحريه بمعهاً كبيراً وببهم كان
بضائر الخرفة، وقد حلف وراءه شكراً بشأن محاولته والعيب، فالقاسي
الذي كان ينقل منه طوال شهر من الرمن، قدمت له بيلار تيرير وعداً
عصياً، إذ قالت له:

- وسوف أتحديث إلى السيد، وسوف ترى أنني سأقدمها لك على
طبق.

وقد وفّت بيلار تيرير بوعدها، ولكن ذلك جاء في شرة سيئة شاقة
فقد فيها البيت هدوء الأيام الخوالي فعند أصبحت أمارات برة حتى
عدم اكتشفت عشق رويك، الذي كان من المستحيل أن يظل حافياً بعد
كل المصراع الذي صدر عنها وقد كانت أماراتنا، هي لأخرى، تعاني
من آلام حب من طرف واحد فكانت معها في الحسام، وتحاول
التحفيف من عاء عشقه، الذي لا رجاء فيه، بكتابة رسائل محبومة لا
ترجو منها غير أن تحبها في أسفل صندوقها، وتعبت أورديانو بسبب

جهود التي تبذلها للعناية بالمريضتين ولم تتمكن من إدراك الأسباب
الكاسه وراء كآبه أماراسا، على الرغم من لاستجواب الطويل وما
استخدمه من أساليب وحيل وأجبراً، وفي لحظة من الإلهام، خمنت
فعل صدوق أماراسا، وفمتحتة فوجدت فيه، كذلك، رسائل ربطت
بأشرفه ورديه وقد تضحمت لكثرة ما حُسر في ثنائها، من رهو السوس
والربيع التي كانت ما تزال طرية بسبب ما كانت تمنها به من الدموع
وكانت الرسائل كلها معومة، دون أن ترسل، إلى ييرو كريسي

وقد بكت أورديانو حقاً، ودعت الساعه التي خطرت لها فيها فكرة
البيانو الأكي وقد عمدت إلى مع دروس التطير، ثم أعدت نوعاً من
الحبابة دون موت أحد، يستمر حتى تقع الفتان عن أملاهما ولم
يجد تدخل حوريه أركاديو بويدي، الذي سبق أن عكك مطبوعه عن يترو
كريسي وأبدى إعجابه بقدرته على معالجة الآلات الموسيقية

وهكذا، عندما نقلت بيلار تيرير إلى أورديانو موافقة ريميدوس
وبولها الروح منه، أبصر الشاب أن هذا الخبر، في حبه، من يريد أيويه
الأنعيا ونعاسة ولكنه قرر لإعلان عن رليه، فدعا أيويه لمقابله وسحب
في عرفة الاستقبال وأصغى حوريه أركاديو بويديا، وأصغت أورديانو
لإعلان بيدها، دون أن يبدو عيها أية علامة ولكن وجه الأب قد لربما
لم أحمر عصباً عدم علم باسم الخطية، وصاح بصوت هادر

- أاحب مرضي أفسس بين كل الباب الخليلات الشريعات، لا يحظر
لكن أن تعار للروح لا أبه عدونا؟

ولكن أورديانو وافقت على لا اختيار، واعترفت بأنها تحب نبات
موسكرت السبع، لجمالهن وشفاطهن في العمل، وتواضعهن
واحتشامهن، وأحلافهن الخفيفة. وقد أعلنت عن سعادتها بحكمة أبا
تراجع حوريه أركاديو بويدي أمام حمامة روجته، فأبدى موافقة

مشروطة، وذلك أن تزوج وويك من بيترو كوسبي، ولكي سم ذلك،
تقوم أورسولا باصطحاب بنتها أماندا إلى عاصمة الإقليم، في رحلة،
لعل اتصالها واحتكاكها بأناس آخرين يجعلها نسي حسنة أمها. وقد
علمت وويكا بهذا الاتفاق استعادت صحتها، وكتبت إلى حبيبها رسالة
نغمض بالمرح، وأطلقت عصفها أفعها، ثم أرسلتها باليد عنماً ودون
وسيط. بعد أن وافق عليها، وتظاهرت أماندا بمسوخة تزوجت، وبما عندها
أنها تنجح شيئاً فشيئاً نحو الشفاء من نوبات الحمى التي كانت تصيبها
ولكنها عاهدت نفسها على ألا تسمح لوروسكو بالزواج وهي على قيد
الحياة.

في يوم السبت التالي ارصدى حورية أوكاديو بويدي برونه الدكة
وبافتة لحشة، وحذاء الشمر الطويل، قلنسوة اللباس التي ارتداها لفترة
الأولى ليلة الاحتفال، ومضى كي يطلب يد ريميدوس موسكوت.
فاستعبه اخاكم وزوجته يعرج ومن في الوقت ذاته، لأنهم كان يجهلان
سبب هذه الزيارة غير المتوقعة. ثم يسأرا لهما أنه ربما أخطأ في سم
العروس المقصودة، ولكي نزيل الالام، احتمال الخطأ ذهبت إلى الداخل،
وأبطلت ريميدوس من نومها، ثم حملتها بين ذراعيها إلى غرفة
الاستقبال، وما يزال النوم ينقل جميعها. وعندما سألوها ما إذا كانت فعلاً
عازمة على الزواج، أجابت بإكية بأنها ترغب فقط في أن يدهوها تمام.
وعندما أدرك حورية أوكاديو بويدي حرج الوضع الذي كان فيه أن
موسكوت، عاد إلى أوريديو يستوضحه الأمر. وعندما عاد إليهم كانوا
قد ارتدوا ثيابهم الرسمية، وروى أدات بيثهم، وسبقوا الزهور في
الأواني، واستقبلوه بصحبة سائرهم بكريات الس. وكان حورية أوكاديو
بويدي يشعر بشيء شديد من حرج الموقف، ومن يافته انقسية الصاخطة
على عنقه، ولكنه أكد لهم أن ريميدوس هي القصة هنا. فأجذب الدور

أبوليس موسكوت باستعجاب شديد :

- لا أجد لهذا الاختيار معنى. فعدنا ست مئات أخريات جميعهن
عازبات وفي سن الزواج، ويسعد كلاً منهن ويشرفهن أن تكون زوجة
عاصمه لسيدها من أجل هذا دؤوب كانك. ولكن أوريديو يخطر الوحيدة
التي ما تزال تبون في مرشحة. غير أن زوجته، وهي امرأة عا رالت
محافظة على سمعتها، رغم جميعها المصايين المهمومين، لامت زوجها
على خطته. وما إن انتهوا من تناول مربي العواكة حتى وافق الجميع على
مرار أوريديو. ولكن السيورة موسكوت رحلت أن يسمح لها بالحدث،
على انفراد مع أورسولا. وقد احتارت أورسولا محتجة على حشرهم
بها في شؤون الرجال، ولكنها وافقت بشيء من السعادة والاعاطفة
بالحيلة. وقد قامت بالزيارة في اليوم التالي وبعد نصف ساعة حادس
تحمل بها معده أن ريميدوس لم تبلغ بعد مبلغ الساء. ولم ير أوريديو
في ذلك مدياً. فقد انتظر طويلاً، وبسخط أن ينتظر ليد، ف أرم
الأمر، حتى تصبح خطيته في من الحمل.

وشأ عن هذا الانحجام الخليلد صعد في البيت لم يعكره سوى موت
ملكسندس ومع أن موته كان متوقعاً، إلا أن الظروف والملاسات التي
سبقت ورافقه لم تكن كذلك. فقد داهمت الشبحوحة سريعاً بعد شهرين
من حودته، وبشكل يبعث على القلق. فصد عنه الرجل عجوراً هرماء،
يتعرق كالطل، وأحسها من غرفة إلى أخرى، وهو يجتر قدمه، ويردد
بصوت مسعوج ما يستعمله من عهد جليل مصى، لا يذكره ولا يعا به
أحد سواه. تماماً كجند عجوز مهترى يسد دونه إلى أن يجيء يوم
يجدونه فيه ميتاً في سرير في الصباح. في البداية، كان حورية أوكاديو
بويدي يساعد في عمله، مدفوعاً بحماسة بسبب جدة آلة التعصير
وببونات موستراة موس. ولكن، لم يمض وقت طويل حتى بات الاهتمام

معها صعباً وشيئاً مشيئاً تركه لوحده. وبعد لأي بدأ ملكيادس يفقد السمع ويصير شيئاً مشيئاً، وصار يحتبط عليه محدثوه بأولئك الذين عرفهم في الأزمنة العاربة من تاريخ الإنسانية. وكان يجيبه عن الأسئلة التي مطرح عليه بحليظ عجيب من اللغات واللهجات. وكثيراً ما كان يمني متمناً طريقه في العرع، يتجسس الأشياء مرهاً يبر لا يمكن تصيره، حتى لكان به مكتة تحذره لاجتماع اهتماماً على الإحساس المباشر. وقد سي في يوم من الأيام أن يضع في عهده طقم أسنانه، الذي اعتاد أن يحفظه في كأس ماء، إلى جانب سريريه عند النوم. وبتدق لم يعله قط إلى فمه، ويوم عملت أورشولاً على توسيع الدار، بت به غرفة خاصة مجاورة للممثل حيث يعمس أوريليانو، بعيداً عن الضجيج وصاحب العاملين في البيت. رجعت لمعرفة مائدة كبيرة تسمح بدخول ضوء الشمس أوجاً، ووضعت فيها حراة مكتبة رتبته فيها نفسها كتيه، التي علاها الصار، وبدأ يأكلها العث، وامتلات أوراقها مؤشرات عربية عجيبة. ونقلت إليها المكاس التي تحتوي على عظم أسنانه، وقد ثمت عليها نباتات ملية لها زهيرات صفراء صغيرة.

وبدا أن ملكيادس قد أحب المكان الجديد، إذ لم يعد يراود أحد حتى في غرفة الطعام فلم يكن يذهب إلا إلى مشعل أوريليانو، حيث يمكن أن يقتضي ساعات يسود الهدوء وأحاجيه على رقع من ورق. أثنى بها معه، كانت مصوعة من رقائق جافة تشقق كمعجبة ورقية جافة. وهالك كان ياول طعامه الذي كانت تحمله إليه عربتا سيون حريين كل يوم. ولكنه فقد الشهية في الفترة الأخيرة، وأقصر في غذائه على الخضر ومرجان م بدأ عليه شكل الأسناتير المهمل المحجور. وغطت جلده رعوه بعممة، كالطغالب الرقيقة، شبيهة بتلك التي ثمت على صخرته العتيقة التي سم يحلمها قط في حياته. وأخذت تفرح مع أنعامه رائحة شبيهة برائحة

حيوان مائم. وانتهى الأمر بأوريليانو إلى أن يسبه تماماً، لدى انعدامه بأياف قصائده. ولكن، حينئذ إليه مرة أنه يترك بعضاً من سليل ملكيادس به معه دمناءة، فلقبته هذه بفهم شيئاً، فلم يترك من سليل أحاديث أبعده غير كتمه كان يلح في تكرارها. اعتدال العصور، اعتدال المصولة، اعتدال العصور، ثم اسم للكسدرون هومبولت. ثم بدأ أركاديو يقترب منه، عند بدأ يسعد أوردانو في أشغال صياغة العصفه واستجاب ملكيادس لمحاولات أركاديو التفرغ منه، فراح يطلق يده العينة والأخرى عذبات مالا سائلة لا علاقة وأصحة لها بالواقع.

وبدا في أحين أحد الأيام وقد أشرفت فيه عاطفه مفاجئة. وبعد سبين طويده من هذه الأيام، وأسم مصعب الإعدام، قد يذكر أركاديو صوت ملكيادس الرابعية الذي جعله يصفي له وهو يقرأ بقصص مصحات، من خط يده الذي لا يقرأه والتي ثم يفهم منها شيئاً بطبيعة الحال، ولكنه كان يلوها بصوت عال مهيب كأنه يوتل كلاماً مقدساً ثم اتسم بمره لأوبى، عند آمد بعيد، وقال بالإسبانية. عندما أموت احزنوا برفق في غرفتي على مدى ثلاثة أيام، ونقل أركاديو ما سمعه إلى أبيه، الذي حاول أن يحصل على مزيد من المعلومات. ولكنه لم يحظ إلا بجمحة واحدة من ملكيادس، وهي: «لقد عشت على الظلوه» ولما أصاب العبد نفس ملكيادس، أخذ أركاديو يصحبه صباح كل يوم خميس إلى الهر كمي يستحم. وقد بدأ عليه شيء من التحسس وهناك، كان يخلع ثيابه، ثم يلقي بنفسه في الماء، مع الأولاد، وتجيب بحسه الخفي: «الأمكة العميقة الخلطة» وقد سمع في إحدى المناسبات وهو يقول: «نحن جئنا من الماء» ثم مضى ومن طويلاً، كان ملكيادس خلال لا يرى في البيت. وكان الاستثناء تلك الليلة التي بذل فيها جهداً كبيراً كي يصلح السائر لآكي، وأيام الخميس التي يصحب فيها أركاديو إلى الهر. وكان

عندها يتأخذ قرعه ويطلع من صابون السجّل مدفونين بمسحة وقد سمعه
أوريبيانو، دلت خميس قبل أن يدعى للذهاب إلى النهر، وهو يقول
القد ست من اختي في مسنقات سبعت لوزة وفي ذلك اليوم، اندفع
ميكيداس إلى الماء عبر مجرى خطير، ولم يمشوا عليه من بعد، إلا في
أيوم التالي، وعلى بعد أميال، في اتجاه مجرى النهر، حيث جرفه التيار
إلى منحرج يعمره الضوء وقد حط على بطة طائر الأوروبو وحلاً

وعص خورية أركاديو بوسيدا أن يدفعه، على الرغم من احتجاجات
أورسولا واعتراضاتها الفاضحة، مع أنها تكته وأذنت من خزن عليه أكثر
من خبرها عن أبيها قال إنه حالد وهو نفسه الذي كسفت عن
معدلة بعثه وجاء بالأثون التي مدرسي، ووجه عليه وعاء ملاء
بالونس، وتركه على حرب حنة ميكيداس التي بدأت، رويماً رويماً،
تعطيها بقم وقذعات يرقاء

وتجرأ الدول أوريبيانو موسكوت، عابدي ملاحظة دكر بها أن القريق إذا
لم يدفن كان خطراً على الصحة العامة فكان حوار خورية أركاديو
بوسيدي ليس كذلك، لأنه حتى ثم استمر في عملية التبحير بالترس
التي وسبعين ساعة، حتى جعلت حنة ميكيداس كسفت، وتأثر منها
مواذ شاحية يسمح لها صمير خفيف، وتلا البيت بحاراً موبوءاً وعده
فقط سمح خورية أركاديو بوسيدي بدنه، لا كشخص عادي، ولكن بكر
مراسم التكريم التي يستحقها أعظم من أحسن لماكودو فكانت جنازته
أول جنازة شهيد البلدة، وأصل جنازة عرفت من حيث الخشود، ولم
يتوى عليها في ذلك إلا الحشد الذي شهدته البلدة، بعد قرن من الزمن،
في مهرجان حارة، أماما نكري (كرمال جنازة لاماراندني) وقد واره
الثرى في صريح حفر في وسط بقعة من الأرض تُدعى لها أن تصبح مقبره
البلدة. وأقاموا على الصريح نصيباً نقشو عليه الشية الوحيد الذي كانوا

يعرفونه عنه، وهو اسمه مايكيداس، وقد أحيو للجزاء فيه تمنع نبال
واسفلت أمارانت الهرج والمرج المدين كد يسودان الدار، من شرب
القهوه، وروية الطرف والكنا، والنعب بالورق، ثم تحبب المرحمة،
وحزرت بجها بيتر وكريسي، الذي كان قد خطب رويكا رسمياً منذ
بضعة أسابيع، وفتح محوياً كسب آلاب مسمي والألعاب الأكيب، في
عس الحني الذي كان الحرب يكتب فيه في الماضي ويقاضون السعوات
بالألعاب، والذي أطلق الناس عليه اسم شارع الأثرك ولكن الشاب
لايطالي الذي كان شعره لأجهد لمفتح يثير في النساء رغبة عارمة في
النأوه، عامل أمارانت معاملة طيبة غيوره متقلبه الطبع لا تساهل بالأخذ
مأجد الجند نبال لها

- فلي أبح أصغر مني، وسوف يحضر لمساعدتي في الحزن

شعرت أمارانتا بالإهانة التي لحقت بها، وأخبرت بيتر وكريسي
بحق وعص شديد، أنها على استعداد مع رفاة أجيها، ولو أذى
لأمر إلى أن تهوي حنة هامده على الماء وقد تأثر لإيطالي بالصورة
مسرحة لهذه التهميد، حتى إنه لم يستطع أن يقنوم الرعية في حديث
عه لرويكا ومن أجل ذلك تقرر الإسراع في سفر أمارانتا، قبل مرور
أسبوع، في الرحلة التي كانت أورسولا تؤجها بسبب مشاغبيها
كثيرة. وبم نبدأ أمارانتا أية مقاومة، ولكنها همت في أن رويكا،
وهي تغلق قبة الوداع، قائمه

- لا داعي كثيراً فلو أوسوني إلى أقصى طرف الأرض، ومن أعدم
النسبة التي أحول بها دون رواجك، حتى ولو اضطررت إلى ذلك

في غياب أورسولا، وهي لحضور غير المرتني لميكيداس، الذي كان
يتابع عماله ويحسه الخافت في غرف الدار، كانت الدار تبدو واسعة
ومعمره وكانت رويكا تشرف على نظام البيت فيما أخذت المرأة

الهدية بهتم بالخبر. وفي الليل، عذري يصل يترو كريسبي مسوفاً يعق
رائحه خرامى المنة، ويحمل بيده، دائماً لعبة هدية، كانت خطيته
تسبقه في دعة الاستقبال، حيث يبعي الأبواب والزوائد مسووحه دعماً
للنفس والشكوك. ومع يكن ذلك سوى مبالغة، لا نروم لها، في الخيفة
و خسر، لأن ذلك الإصغالي قد برهن عن احرام بالغ، حتى أنه لم يلمس
فد حتى يد امرأة التي سوف تصبح روحه في غضون العام اخالي
وتصبح زيارته الكثيرة، محملاً بالهدايا من اللعب، امتلا البيت باللعب
العريضة، من الرقصات لأكية، وصاديق الموسيقى، والفردة الهلوانية،
والخيوب الرهانة (العددية)، ودهرجين الدين يقرعون الطبول، وكان
ثلاث اللعب الكثيرة مسووعة أثرها الكبير على خوربه أركاديو بونديا،
ما تشقت من حره لمضي لموت ملكيادس، وأعدته إلى أيامه الخوالي،
كيميائياً وعاشر بعد ذلك في جينة من الحيوانات، ينقر بطوبه،
ويغلك آلتها، ويعصل ما بين أحرائها، ثم يعكف عليها محاولاً تخمين
حركاتها ومظهرها بشكل دائم قائم على أساس حركة نواس (رقاص)
الساعة

وتحلّى أوريبيانو عن مشعنه كي يتفرغ لتعليم الصغيرة ريميديوس
للقرءة والكتابة وكانت الصغيرة، في البدء، تمسك لعبها على هذا
الرجل، الذي كان يأتيها عصر كل يوم، فيتزعمها أهلها من معها، من
أجد، كي يسلطوها ويدسوها ويجلسوها في غرفة الاستقبال انتظراً
زيارته ولكن صبر أوريبيانو ومثبرته ووفاءه أنصرت جميعاً بأن فاز بحب
الصغيرة، إلى الدرجة التي جعلتها تقضي برقته ساعات طويلة، وهي
تدرس معاني الحروف والكلمات، وترسم في دفترها، بأقلام ملونة،
بيرتاً صغيره في حظائر أبقار، ووقتها شمس ملونة لها أشعة صفراء
وهي تعيب خدب التلال.

روبيك وحدها لم تكن سعيدة، سبب نهيد أماراته. فقد كانت
يعرف طباع أحبا وغرورها وعف صغائرها، كما كان يبحث في قبها
بغواوب، عذري تذكر حله عضبه فكانت تقضي ساعات في احكام
تقص اصبعها، وتذل جهلاً حبيدياً مصصاً من الإرادة، كي تمنع نفسها
من أكل التراب وصعباً منها للبحث عما يحفف من وساوسها، أرست
في طلب بيلار تيريرا لتعزها لها مستعبلها

ويعد مقدمه المقيدية الطويلة احافته بأشب عامه غير واضحة،
أوردت بها النبوءة التالية

«لن تعرفي السعادة أبداً ما دام إيواك غير مدبولين في قبر»

فانصصت روبيك، وكما لو كانت في مام، رحت تستعيد بحبالها
كيف وصلت إلى البب، وهي سب صغيرة، ومعها صندوق نياها
وكم سبها طشبي الهراز للصغيرة، وكيس لم تعرف قط شيئاً عن
مخزواته. ثم تذكرت ميساً أصلع، يوتقي يرة من كان، وفي عرو، يافه
سميمه رزدهي، وليس له علامة بملت الكثة (في ورق اللعب)
وتذكرت امرأة شابة جميلة، لها يدان ماعسان دفتان معطران، ولا تشه
شاب الديبري (في ورق اللعب) يديه العصصين. وقد كانت هذه
السيدة تزين لها شعرها بالهور، وتضعها عسراً للترعة، عبر البلدة،
في طرق كثيرة الأشجار

فالت روبيك

«لا أفقه شيئاً ما تقولين».

وبدا الاستغراب على بيلار تيريرا، فقالت :

«وأنا أيضاً لا أفقه ذلك، ولكن هلما ما يقوله الورك»

ولكن هذا الأمر روبيك وصار شعلها المشغل، حتى اضطرت إلى أن

تمضي به إلى عوربه أركاديو بومبدا، الذي لامها لأنها تنق بسوءات ورو
 «نسيب ولكنه، من جهة أخرى، جعل بحث، بصمت، بين المصاديق
 - الخرائط، وينقل قطع، الأثاث من أماكنها، ويقلب الأسرّة، ويصش تحت
 حسب الأرضية، لعله يعثر على كيس العظام وهو لا يكر أنه شاهده
 من أيام عمادة الباء - وقد استدعى السائقين سرّاً، فأخبره أحدهم أنه دهن
 الكيس في لباس أحد الخدّراء من إحدى العرفاء، لأنه كان يضيقه في
 عنقه - وقد أمضوا بضعة أيام وهم يتمحصون الخدّراء بالقاء أذانهم إليها
 حتى اهتموا إلى صوت الكلوّك - كلوّك العميق فتقبّل الخدّراء، وإذ بهم
 يعثرون على العظام في كيسها الذي كان لم يس - وقد دسوها في اليوم
 نفسه في قبر بلا نصيب، بجوار قبر مكيداس. وعاد عوربه أركاديو
 بومبدا إلى بيته وقد أزال عن كاهله عبثاً أثقل من وجدانه إلى حين، كما
 أنقلب عنه ذكرى بروديسيو أجويلار - وعندما مرّ بالمطبخ طبع قبعة على
 جبين روبيكا، وقال لها

- «انزعني من رأسك تلك الأفكار البسيطة، فسوف تكونين سعيدة»

مهدت الصداقه بين روبيكا وبيلاز تيريرا الطريق للأجيرة لزيارة البيت،
 وكانت أورشولا قد منعتها من ذلك منذ ولادة أركاديو - فصار تيريرا
 في أية ساعة من النهار - كقطيع الماعز، لا يقيد بها نظام، ويجه في أثنى
 الأعمال متنعاً لطاقتها النارية - وقد تدخل، شغل، وتساعد أركاديو وهو
 يحدّد حساسية لوحات التصوير ويحللها، بمهارة وبطع وحنان، مما أذى
 إلى إرباك الفتى واختلاط الأمر عليه - فقد كانت تلك المرأة تغلقه وبسب
 له الاضطراب فكان لون بشرتها، والاحتمها البخانية، والنصب
 الموضوعي الذي تحدّثه ضحكته في الفقرة المظلمة، كثيراً ما تشدهه
 وتشتت انتباهه، فتجعلها يسططم بالأشياء.

وفي أحد الأيام كان أوريليانو منهمكاً بأعمال صياغة العضة، فجاءت

بيلاز تيريرا وأنكأته هي الطائفة، تنأمن صبره ومثابرة على العمل - وقد
 حدثت ذلك بسرعة - فقد تيقّن أوريليانو من أن أركاديو كان في الفقرة
 المظلمة، حين أن يرفع عبيده لتلقي بعيسى بيلاز تيريرا، التي كانت أفكارها
 واضحة، كأنها معروضة تحت أشعة شمس الظهيرة - قال لها أوريليانو
 - «حسناً، ما الذي تريد من قوله؟»

«عشت بيلاز تيريرا على شعبي بانتقامه حريته، ثم طلب به
 - «أريد أن أخبرك بأنك محارب جيد - فربما صحتك لا تحظى
 حدث»

فارتاحت أسرار أوريليانو بعد أن اطمأن إلى البشارة بالمال الحسن
 وعاد إلى تركيز انتباهه على عمله، كأن شيئاً لم يحدث، ثم قال لها
 بصوت حازم هديء -
 - «سوف أعتز به، وسوف يحمل اسمي».

تتكي عوربه أركاديو بومبدا أخيراً من التوصل إلى قطب ثمار بحوثه
 التي كان يتشوق لها - فقد ربط ما بين آلية السبق (الرغاص) في ساعة
 حائط والراقصة لأكية، فصارت الراقصة النعمة مرقص ثلاثة أيام متوالية،
 دون انقطاع، على من موسيقاها الخاصة، وقد أثارة اكتشافه هذا أكثر مما
 أثارت كل معماراته الخفية السابقة - فامتنع عن تناول الطعام، وتوقف
 عن النوم - ونولا هذرات أورشولا الخائرة على العلاج جنح به حباله إلى
 حال من الدوار اندائمة لا يبرحها طوان عمره - فقد كان يقضي الليالي
 بطونها يدور في غرفته، ويفكر بصوت مسموع، باحثاً عن طريقة يطبق
 بها مبادئه باهض الساعة (الواس) على العربات التي يجرها البقر،
 وعلى سلك الخرافة، وعلى كل ما ينفع الإنسان إذا دبت الحركة به
 وأنهكتة حمى الأرق وهذت قواه، فلم يستطيع التعرف إلى ذلك العجور
 أيضاً الرأس دي الحركات والإشارات المرتلة الذي دخل عليه غمرة

بومه كان الرجل ذاك هو بروديسيوس إجيولار. وبعد أصابه الدهور
عند عرف من هو فهو يشيح لموتى أيضاً؟ والخبير به وهرة صباح
هائلاً بروديسيوس لقد وصلت إليها بعد أن مضت ساعة طويلة جداً

بعد سنتين طويلة من الموت، برح الشوف بروديسيوس إجيولار لعالم
للحياة والحياة. وشدت عليه حاجته لرفقة الناس، وأرعبه قربه من الموت
لآخر وهو في حب الموت، وانتهى به الأمر إلى أن أحب عدوة الدود
فامضى وقتاً طويلاً وهو يبحث عنه. سأل عنه الموتى من ربهماش، وسأل
بين موتى لأكثر من وادي أودار والأكثر من مناطق لماريجو المستقيمة
ونكر أحماً لم يمشه بشيء من خبره. ذلك لأن ماكوندو كانت بقعة
بحقها الموسى، حتى ذلك اليوم الذي وصل به ملكيادس، فبقي موقعها
بنقطة صغيرة سوداء وصعب على حارفة الموت انقضاء. وحمل حوربه
أركاديو بونديا يحدث بروديسيوس إجيولار حتى الصبح

وبعد نصف ساعة من ذلك، وقد أجهده السهر، دخل إلى مشعل
أوريليسر، وسأله: «في أي يوم نحن؟» وأجابه أوريليسر بأنه الثلاثاء
فقال خوربه أركاديو بونديا:

«هذا ما ظننت، ولكنني سميت فجأة أن ما مرال في يوم الاثنين»
كالبالرحة أنظر إلى السماء، أنظر إلى الجدران، أنظر إلى أزهار
اليجوبيا فاليوم هو الاثنين أيضاً. وكان أوريليسر قد ألف المماريات التي
يأتي بها أبوه، فلم يعرفه فاك انتباهاً

وهي اليوم العالي، يوم الأربعاء، عاد خوربه أركاديو بونديا إلى
المشعل. وصبح فاكلاً

إنها لمصيبة أنظر إلى الهواء أصبح إلى طين الشمس ما أنبه
اليوم بالراحة واليوم الذي سبقه إن اليوم هو الاثنين أيضاً وفي مساء
ذلك اليوم وجده بيترو كريسيي عد عتبة الشرفة يتحب باكياً وهو يرثي

بروديسيوس إجيولار، ويرثي ملكيادس، ويرثي والدي رويكا، ويرثي أنه
وأبوه، ويرثي كل الذين استطاع أن يذكركهم عن يلهم، في وحدتهم،
دثار الموت. فقدم له هدية عبارة عن دب أبيض، يمشي على حبل مشدود،
على قائمته الخفيفتين، وبكته لم يستطع بذلك أن يشرعه عما كان يسيطر
عليه. فسأله عن المشروع الذي عرصه عليه قبل أيام، من إكمال بناء آلة
تعمل ببعض يستطيع الناس بها أن يطيروا، ولكن خوربه أركاديو بونديا
أجابه بأن ذلك غير مستطاع. فالباقي قادر على رفع كل شيء إلى الهواء
ولكنه لا يقدر على رفع ذاته. ثم ظهر مرة أخرى في المشعل يوم
الخميس، وهيئة حورية بطنع بالألم، كما يبدو على الأرض المحروقة.
وقال منهلاً وهو يكاد يتحب:

«لقد خربت آلة الزمن وأورسولا وأمارانا بعيدتان بعيدتان»

فلامه أوريليسر، موحياً، كما يلام الطفل، مستقبل الأمر بهدوء
وانكسار. ثم أمضى ست ساعات يشغف الأشياء، لعدة عشر في
مظاهرها على فرق يجعلها تختلف عما كانت عليه في البرحة، مؤملاً
أن يكشف فيها اختلافاً يدل على مرور الزمن، وزقد في سريره الليل
طوله، وعاء مفتوحان، ينادي بروديسيوس إجيولار، وملكيدس، وكل
لوتيه لمنهم يحضرون ويشاطرونه حزنه. ولم يلبث الله أحد وفي
يوم الجمعة، وقبل أن ينهض أحد من بومه، تفقد مظاهر الطبيعة مرة
أخرى، حتى لم يبق لديه أي شك في أن اليوم ما يزال الاثنين. وعندها
تناول إحدى المراعى التي تستخدم في إسد الأبواب من الداخل،
وبعض الهائل وقوته المخافة، حطم أجهزة مختبر الكيمياء حتى أحالها
غباراً. وفعل الشيء نفسه مع غرفة التصوير، وشغل صيدغة الفضة، وهو
يصرخ: كرجل أصابه من، وبسعة عرية طلقه دم يفهم أحد منها شيئاً
وكاد يهجم بهدم سائر البيت لولا أن أوريليسر استعمل ياليجيران طالباً

وقد تعاون عشرة من الرجال حتى استطاعوا أن ينقوه أرخصاً وأربعة عشر رجلاً حتى شدوا وثاقه، وحشروا رجلاً حتى تمكوا من جره إلى شجرة الكتف في فناء الدار حيث لفقوه مشدوداً إليهم، وهو يجري بذلك الدعة بعزيمة، ويخرج من معه ريداً أخضر، وعندما عادت أورسولا وأصراث، كان ما يزال مشدود اليدين والقدمين إلى شجرة الكتف، وقد مله المطر، بيت بدت عليه حالة من انهياره والبرادة السامة تهدت إليه، فظهر إليهم دور أن يعرفهم، وسقط بكلامهم ثم تعبه منه شيئاً ففكت أورسولا رصعته وهدمه، وقد تركت لحبال ألزمت حرواحاً على حده، وتركته مربوطاً من وسطه، وبما بعد، بوانه مأوى من سقف الحبل يقيه حر الشمس ويدراً عنه المطر

(٥)

في يوم أحد من أحد شهر آذار (مارس)، كان زميل أوريدانو بوميدا ريميدوس موسكوت وقد تمت المراسم أمام المسيح الذي أقامه الأب مكابور ريبا في دعة الاستقبال وقد كان يوم الزفاف تويجاً لأربعة أسابيع قصها آل موسكوت في جو من الهبات والمفاجآت والاستعدادات محرومة ذلك لأن ريميدوس الصغيرة أدركت البوع وهي بعد على عاداتها الطفولية فهي الرقص من أن أمها قد علمتها وأعلمتها على الشعيرات التي تراقق المرافعة والبوع، فهي عصر أحد الأيام من شهر شباط (فبراير)، دعوت ريميدوس إلى غرفة الخس، حيث كانت أخواتها وأوريدانو يتجادلون، وهي تصرخ وتعرض عليهم لباسها وقد اتسح بمعجون ذهبن بلون الشوكولاتة، ولقد تم تحديد موعد العرس بعد شهر ولم يكن الوقت ليكفي لأكثر من تعليمها كيف تختسله وترتدي ملابسها وحدها، وتعليمها الأمور الأساسية لحياة البيت، وقد أجبروها على التسول مرق قطع العرميد الساحل لكي يبرأ من عادة التسول في سريرها وقد بدل أهلها جهداً كبيراً لإقناعه بعدم البوح بأسرار الزواج، ولكن ريميدوس كانت في حالة من الطيش والأوتياك، وفي الوقت نفسه في حالة من الدهشة، بحيث أنها عندما عذمت بم يتظرها ليرة الزفاف فحزنت وأردت أن تشرك أخي كلة في مرحتها، وتحدث كل الناس عن تفاصيل تلك الليلة، واستدعى ذلك كله جهداً هائلاً، ولكن الطعنة في البوع والحدود لخدمة الزفاف، كانت تعرف عن أشياء لحياة مثل ما تعرف

أية واحدة من أخواتها.

صحبها الدون أوليبار موسكوف وهي تمنع بذراعه، وقادها عبر الطريق المزدان بالأزهار والأشجار، وسط انفجارات صواريخ الأفرح وأخان موسيقى مجموعة من العرق. وكان ريميدوس تحيي الناس بيدها، وترد شكره بانتامة على أولئك الذين كانوا يرحلون بها، من مواعيلهم، حفظاً سعيداً

كان أوريليانو يرتدي برة سوداء، ويحتدي الحذاء الجلودى الطويل اللامع ذا العرق (المعدية)، الذي سوف يحتديه بعد بضعة أعوام عندما يوجه فصل الإعدام. وكان أصغر الوجه شاحب اللون، يحس كأنه في حلقة كرة ماسيه عند استقبال عروسه لدى باب البيت ثم قادها إلى المذبح أما هي فكانت تنصرف بشك غير طبيعي وكانت أنيقة هادئة، حتى إنها لم تقدر رراتها وانراتها عندما سقط الحاتم من يد أوريليانو وهو يستعد لوضعه في إصبعها نظمت مادة يدها يكف الدانتيل الذي لا يعطي أصابعها، وسط همس الضيوف واضطرابهم، وتنصرف مستعدة ليس حاتم الزواج، حتى تمكن العريس من إيقاف الحاتم بقدمه، قبل أن يتدحرج إلى الباب، وعاد إلى المذبح وقد عنت الحفرة وجهه حجلًا

وقد عانت أمه وأخواتها كثيراً خوفاً من الخرج الذي يسببه أي تصرف خاطئ يمكن أن يصدر من الطفل معروس خلال لحظة، إلى الدرجة التي جعلتهن، عند النهاية يدفعن بحوها ليرفعهن إليهن ويقبلنها بحراة وقد أثبتت ريميدوس، منذ ذلك اليوم، جدارة في تحمل المسؤولية، ولباقة طبيعية، وهذوه أعصاب دم يارحها حتى في أحلك الظروف وأصعبها. ولقد كانت المبادرة معهن عند اختارت أحسن قطعة من كمكة الرفاف، ووضعتها في طبق وحملتها مع شوكة تناول الطعام إلى خوريه أركاديو بوتنديا. كان الرجل ما يزال مشدوداً إلى جذع شجرة

الكتاء، وقد تكوّم على مقعد خشبي، تحت المظلة التي صنعوها به من سمع الحبر، وقد تغيّر لونه بفعل تماقش الشمس والمطر. فاقسم لها ابتسامة عروسان بالجميل، وتناول الحنوى بأصابعه فالتهمها وهو يدعم بصلة غير معهودة.

ودامت الأفرح، التي لم تشهد لها ماكوندو شيئاً، حتى فجر يوم الاثنين وقد اشترك جميع الناس ما هنا وويكا يونيدي، التي زوت نفسها بعيداً من الفرحة العذبة الصاخبة فقد كانت المناسبة خيبة أمل لها وقد كانت أورسولا خططت أن يتم رواجها في اليوم نفسه، ولكن بيثرو كريسي نفق رسالة يوم الجمعة تحيره أن أمه في حالة النزاع الأخير للمجهر. وبذلك تأخر زفافها إلى موعد آخر وبعد ساعة من تسلم الرسالة غادر سترو كريسي ماكوندو إلى عاصمة الإقليم، وشاء سوء حظه ألا تصدعه أمه في الطريق، لأنها وصدت ليلة السبت في الموعد المحدد دائماً وهناك غت في عرس أوريليانو الأهية التي أعدتها للعنة في عرس ابها

وعاد بيثرو كريسي المسكين ليصل في مساء يوم الأحد، ليجد الاحتفال قد انتهى، بعد أن عقب تحت خمسة جلد، أملاً منه في أن يلمع العرس في الوقت المناسب

وتم يكشف أحد من الذي كتب تلك الرسالة ولما ألقت أورسولا على أمارات بالأسنة أقسمت الأعيوة هي المبرح، قبل أن ينتهي النجارون من تفكيك أجزائه، أنها بوفة من ذلك

- كان الأب بيكانور ريسا - الذي أحضره الدون أوليبار موسكوف من منطقة المستنقعات لكي يقيم قدس الرفاف - هجوراً هاتى كثيراً من جبحود رعيته كان كثيراً حريماً، وضعيفاً تكاد عظامه تبرر من تحت جلده، وقد لتأبطه على الرغم من ذلك. ولكنه يحتفظ بهيئة ملاك

عمجور، نعتب عليه بساطة الروح أكثر من طيب الطمع وقد كان يوري
 العودة إلى كنيسة مبشرة بعد الزواج، لولا ما هاله من جماعات يوس
 الناس في مأكوندو، الذين كانت الرديئة تردهم بين ظهرانيهم، ويمشون
 على الطبيعة وفواشيها، فلا يعمدون أطفالهم ولا يقدمون أيام لأعياد
 لعدم عى أن يرمى أسوعاً آخر في مأكوندو، اعتقاداً منه بأنه لا توجد
 بقعة في الأرض تخضع من مأكوندو إلى يده الله، عله يهدي للمسيحية
 المختارين والوثنيين ويسوي أسود الزواج غير الحلال، ويقوم على احترام
 الميتين ولكن أحداً في البدة لم يهره تباهاً فكانوا يجيئون بأنهم يصو
 سين وسين دون أن يكون بينهم كهنة فقد كانوا يرتبون شلوك أرواحهم
 مباشرة مع الله وأنهم قد فقدوا من عبوسهم للشعور بالخطية
 ولما يتس لأب ميكاتور من الرعظ والدعوة في العمر، قرر أن يسي
 هالك أكبر كنيسة في المياه، وأن يشمل الكنيسة على تماثيل بالقدوس
 بالحجم الطبيعي، وأن تكون لها بوابة مردانة بالرجح للوقوف في كل
 جانب، كي يجيء إلهي الناس من روم، يقدمون الله في أرض العنق
 والضلال وروح يجمع الصفات من كل مكان في إناء من نحاس
 وتصديق المتصدقون، ولكنه كان يريد المزيد، لأنه كان يريد للمسيحية ناقوساً
 يتشبه العربي من غرقهم. وقد ألح في الطلب وأكثر من الاستعطاف
 حتى يبع صوته، وضجعت عظامه تعباً وصحياً، وفي يوم السبت، استلم
 لباس وأصابه الارتباك عندما لم يستطع جمع ثمن الأبواب من مديحاً
 مرئولاً في الساحة، وراح يندب في القرية يلقى ناقوسه الصغير، كما كان
 يحدث في أيام لآرق، دعياً الناس للصلاة في العراء وجاء البعض حياً
 بالاستطلاع، وجاء بعضهم الآخر شعقة ورافة، وجاء آخرون لأنهم لا
 يريدون أن يعصب الله لأن مثله على الأرض كان ضحية للإهانة
 والاحتقار وهكذا، اجتمع نصف سكان البلدة، في الساعة الثامنة

صباحاً، في تلك الساحة، حيث أحد الأب ميكاتور يرثي الصلاة بصوت
 يبع من هبوب الاستجداء والمساء وفي النهاية، ولما بدأ الحضور
 يتفرغون، ورفع ذراعيه إلى أعلى طالباً منهم الانتباه، وصاح قائلاً :
 - انتبهوا، خطه واحدة سوف تشهد لأن دليلاً قاطعاً على قدرة الله
 الانتهائية

وجلب له الصبي الذي يساعده في مراسم الصلاة فجاءاً من
 الشوكولاتة كثير القشعة يتصاعد منه الحمار، فجرحه دفعة واحدة دون
 توقف للتمس ثم مسح شعته بمسيل أخرجته من كفه، ثم مد ذراعيه
 إلى الأمام وأعص عبه وعنده ارتفع الأب ميكاتور سبباً بصوت عى
 مسوى الأرض وكان لإجراء مقعاً ومعداه راج يتابع، عى مدى
 أيام، سعه من بيت إلى بيت، ويكرر تجرمة الارتفاع بواسطة الشوكولاتة،
 يمس يجمع بمساعدة الصبي المال الكثير في كنيسة تحل هذه الغنية،
 حتى استطاع، في أقل من شهر، أن يبدأ به الكهنة

وتم يشك أحد في القدوة السماوية الكاهن وراء ذلك الجريه باستثناء
 حورية أركادير بونديا بعد جعل يتأمل، دون كثير اهتمام، جمادة من
 الناس الذين احتشدوا في صباح أحد الأيام، حول شجرة المكتبة كي
 يرقبوا مشهد التجلي مرة أخرى ولم يتحرك هو من مكانه، ولكنه اعتدل
 في جندته عى المقعد الخشبي الصغير، ثم هو كتمه حين بدأ الأب
 ميكاتور يرتفع فوق الأرض مع الكرسي التي كان يجلس عليها، وتلك
 حورية أركادير بونديا

- إن هذا لأسهل من اكتشاف الإنسان لحالات المادة الأربع.
 ثم رفع الأب ميكاتور يديه، فالتحطت قوائم الكرسي الأربع عى
 لأرض جميعاً، وفي آن معاً فعال حورية أركادير بونديا، مضطجاً
 - أرفص أن تكون هذه الجريه بوهناً يبت وجود الله دون ريب

وهكذا أدرك الناس أن ثروة خوزيه أركاديو بويندي الشيطانية كانت باللاتينية. واستمر الأب يكانور كونه الوحيد الذي يستطيع التواصل معه بأحدثه، فلهذا يصيح لي إدخال الإنسان إلى عقله المنحرف. تجعل، يجلس بجانب شجرة الكستاء، عصر كل يوم، ويعطه باللاتينية. ولكن خوزيه أركاديو بويندي أصّر على رفض الاستجابة لطرائق التعصب النعوية والتهويلات الشوكولاتية، وتحسك بدليل وحيد على وجود الدم. وهو ظهوره على لوحة آلة التصوير. وبعد ذلك جاء الأب يكانور بأوسمة ومسابقات وصور دينية، بل ويسحة من صورة القديسة فيرونيكا، ولكن خوزيه أركاديو بويندي دحض كل هذه الأدلة، معتبراً أنها خرافات وأشباه فنية ليس لها أساس علمي. ولقد أبدى من العناد ما جعل الأب يكانور يتخلى عن فكرة هدايته. ولكنه تابع زيارته مدفوعاً بمشاعره الإنسانية.

وعندئذ جاء دور خوزيه أركاديو بويندي. فتحول للهجوم، وهو يهدف إلى زعزعة إيمان الكاهن، معتمداً على حيله العقلانية. ففي إحدى المراتب، وبينما كان الأب يكانور يزوره، تحت شجرة الكستاء، ومعه طاولة لعب (دومة)، دعاه للعب. ولكن خوزيه أركاديو بويندي رفض الدعوة، قائلاً إنه لا يستطيع فهم لعبة مناعة يكون فيها الخصمان متعقبن على القواعد. ولم يعد الأب يكانور يستطيع اللعب لأنه لم يشهد من قبل هذه اللعبة تلعب بتلك الطريقة. وكان في كل مرة تردّد دهشته من صحة آراء خوزيه أركاديو بويندي. فسأله مرة كيف أمكن لهم أن يشوهوا إلى الشجرة. فأجابه:

«هذه أمر بسيط: لأنني أحمق».

وانصرف الخوري، مندبلاً، بلاهتفهم بشؤون الدين، فتركس وقته للإسراع في بناء الكنيسة، ولم يعد إلى ريدرة خوزيه أركاديو بويندي.

وشعرت وويكا ببارقة أمل يولد من جديد، فقد باتت مستقبلها يتعلق بالانتهاه من بناء الكنيسة. ففي يوم من أيام الأحد، وكان الأب يكانور مدعواً لتناول طعام العشاء في بيت العائلة، فوقف متحدثاً، فيما تخلق حوله أفراد العائلة على المكدة، فحدثهم عن عظمة الصلوات والاحتفالات الدينية وعماستها عندما ينتهي تشييد الكنيسة. فقالت أمارات: «استكون رويك أولر الناس حظاً». ولما تم تذرك رويكا المعنى المقصود، شرحت لها الأمر بإتساعة يريته.

«قلت أنني مستبشرين الكنيسة بزمان».

وحاولت رويكا أن تتلى بتعلق. فالطريقة التي تنس بها الكنيسة، إذا استمرت بمعدل السرعة الحالية، لن تصل مرحلة الانتهاه من ذلك قبل عشرين سنين. ولكن الأب يكانور لم يوافق على ذلك. لأن كرم المؤمنين يتزايد باستمرار، مما يسمح بحسابات أكثر تعقلاً. وانتهى حديث العشاء هنا، ورويكا المسكينة في قمة الغضب، حتى إنها لم تكمل عمامتها. ولكن أوسولا، وقد أصعبتها فكرة أمارات، تبرعت بمبلغ كبير كي تسرع عملية البناء. وقدر الأب يكانور أن مساعدة أخرى، كمساعدة أوسولا، كفيلة بإنجاز العمل في ثلاثة أعوام. ومنذئذ انقطعت رويكا عن الكلام مع أمارات، لأنها اقتضت بأد بادرتها لم تكن بريئة كما ظهر عليها.

وعندما نشبت بينهما مناقشة حادة ذلك المساء، قالت أمارات لرويكا: «كان ذلك أفضل حلّ عندي. فهذه الطريقة، بات لديك ثلاثة أعوام قبل أن أقتلك». وبعبت رويكا التحدي.

وأصيب ييترو كريسي بحيرة أمل شديدة عندما علم بأمر التأجيل الجديد. ولكن رويكا قمت دليلاً جديداً على وفائها وإخلاصها. فقالت له: «سوف نمرّ معاً عندما تريد». ولكن ييترو كريسي لم يكن له طبيعة

حظي به المعامرة . فقد كان يحترم كلمة الشرف المعطاة ، وبعد الرعد ثروه لا يجور تبديدها . وعندها عمدت روبيك إلى وسائل أكثر جرأة . فقد هتب ربح حفيه ، ذب مرة ، فأطاعت صديق فاعة الاستقبال كلها . وهاجت أروسولا الخطيبين ، وهما يتبادلان العمل في الضلام . وتعلمن ييترو كريسبي في ختلاق الأعذار المتهذبة ، وفي الحديث عن سوء العناديل الحديثة التي تصاد بالقطران ، حتى إنه ساعد أروسولا في عمل جهاز إنذار في القاعة أفضل وآمن . ولكن ، في مرة ثانية بعد الوعود ، وفي مرة ثالثة احترق العمل ، وفي كل مرة كانت أروسولا تصاحشهما وقد جلست روبيكا في حصن خطيبها . فلم تعد بعد ذلك مقبل عدواً فأحالت العديبة بالخبر إلى الخادمة الهندية ، ثم دأبت على الجلوس ، في مقعد محرك هزاز ، ترعب منه الخطيبين ، وقد هزمت على ألا تدعها يبعد عنها بحيل باتت قديمة منذ أيام صباها . وكانت روبيك تعلق ساخرة ، وقد أثارت مشهد أروسولا وهي جالسة ، تتأدب شبه بالمة ، في مواضعها مع خطيبها .

« ممكنة أمي . فعندما تحوب سذهب مباشرة إلى الحنة ، بعد أن كفت عن دلويها في هذا الكرسي الهزاز »

ولما ستم ييترو كريسبي الانتظار ، طوال شهور ثلاثة من العرام تحت المراقبة ، وهو يرقب العمل البطيء في تشييد الكنيسة ، الذي كان يذهب يومياً للاطلاع على سيره ، عزم على أن يدفع للأل يكفوق المبالغ التي كانت ما تزال تدومه لإتمام بناء الكنيسة . واستطاعت أمارتا أن تحفظ على هوسه ، ولو أنها كانت ، وهي تخادع صوبيحاتها اللاتي كن يجش عصر كل يوم للتطير وشمل الصوف ، تمكرو بمكاند ووسائل أخرى . وبعد ارتكبت خطأ في الحساب أمد عليها ما كانت نظره أنص تلك المكائد . فقد أرأب حبات القتالين التي وضعتها روبيك في ثوب رفاها حين طوته

ورثته في الصموق الذي في غرتها . وقد فطدت ذلك ولم يكن قد بقي على الانتهاء من بناء الكنيسة سوى شهرين . ولكن روبيكا كانت قد بعد صبرها نتيجة البطء في اقرب موعد الرفاف ، فعمدت إلى تجهيز ثوب العرس في موعد اقرب من التاريخ الذي هذوته أمارتا . وعندما فتحت الصندوق وفتحت الأوراق التي لفت الثوب بها ، رفعت كذذت قطعة الخطيئة التي تعطيها ، وجدت أن البعث قد حدث فيه مسأداً ، فأحال حرير الثوب ، وحرر الحجاب ، بل وناج البرهم البترتاليه إلى خرفة منقبة وثقة . وعسى الزغم من بقها من أنها قد وضعت حملة من حب القتالين ، فقد بذت لها احادته أمر طيعاً . ولم يتبادر إلى ذهنها التحرق على الشك في أمارتا . ولكنها خشيت إذ لم يبق حتى موعد الرفاف سوى شهر أو أقل قليلاً . ولكن أمارو موسكوت وعدت بحياطة ثوب جديد لرفاف في غضون أسبوع . وشمرت أمارتا بشغل على صدرها كد يفقدتها وعيب عندما جاءت أمارو في ظهيرة ذلك اليوم المطير ، وهي تكاد لا تبين . كانت تحملها من الخراف ، تريد من روبيك أن تقوم بتجربة الثوب بدمرة « لأخيرة » وغار صوت أمارتا ، وتعثرت الكلمات في حلقها ، وشمرت شلال من العرق البارد يسرب في خط عمودها المقري . فقد نضت شهوراً طويلة في انتظار هذه الساعة . فهي إذا أحضرت في اختلاق ما يحول دون رواج روبيك ، ولم تنجح كل الوسائل والطرق التي دترتها ، فقد كانت مسقة من أنها ، في اللحظة الأخيرة ، وعندما تخوضها كل موارد حيلها ، تملك الشجاعة الكافية لمس السمس لها .

وسما كانت روبيك ، في عصر ذلك اليوم ، تكاد تعتق من حرارة الحرير الذي كانت تحبسه به أمارو موسكوت ، وتصبر صبراً غير محدود على آلف المدايس التي تربط ما بين أجزاء الثوب ، كانت أمارتا ترتكب الخطأ ذو الخطأ وهي ساعد في خياطة نقطات الثوب ، متحرراً أصبعها

بالإبرة بضع مرات، يسما كانت تتحد قرارها ببرودة أعصاب مخيفة.
فصرت لنفسها موعداً لتنفيذ فعلتها يكون يوم آخر جمعة سبق موعد
الزفاف. أما الوسيلة فجركة من سم اللاودانوم توضع في قهوة روبيك

وشد القدر أن تبرز هناك حقبة كآدة لم يكن يتظرها أحد، ولم يكن
لأحد حيلة فيها، ما أدى، اضطراراً، إلى إرجعه الزفاف إلى أجل غير
مسمى. فقبل أسبوع واحد من الموعد المحدد للحفلة، استيقظت
ريميديوس الصغيرة في المريع الأخير من الليل وهي غارقة في مياه غالية
اتفجرت في أحشائها، وهي تتجشأ تجشأ عرقاً قاتلاً. وغلت تعاني من
ذلك طوال ثلاثة أيام ثم عارفت الحياة، بعد أن تسقم منها، بما قضى
عليها وعلى توأمين في أحشائها

وكان وقع هذه المأساة ثقيلاً على ضمير أمارانت. فقد صلت له
بعشوع ومراة لأهبة، راجية أن يصح شيئاً غير متظر يترها من تسميم
روبيكا، ولذلك اعتبرت نفسها مسؤولة عن موت ريميوس. وم كان
هذا هو الذي أرادته في صلواتها. فقد جلبت ريميوس نسمة المرح
والسرور إلى البيت. كانت تكن زوجها في غرفة صغيرة، بجوار
المشعل، ريتها يلعبها رذماها التي سحطت بها منذ عهد طفولتها المبكرة
وكانت حينئذ المرحه تفيض جواراً حتى الجدران الأربعة.

وتعمر الشرفة أزهار البيجونيا كأنها هي تكثر صحة وعافية. كانت تبدأ
العناء عند العجر. وكانت الوحيدة التي تجرؤ على التدخل بين روبيك
وأمارانت عندما تختصمان وتحتدم مناقشاتهما. وقد أحدثت عن عاقبتها
مهمة العناية الشاقة بخوريه أركاديو بونديا. فكانت تحمل له طعامه،
وتعقب في قفبه حاجاته اليومية، فتفصله بالصابون والعرشاة، وتنظف
شعر رأسه ولحيته من القمل والصئبان، وتغس بكوخه المنسوخ من سعب
السجل، فتقويه بالخام الطلي بالقطران، كي لا يصد منه ماء المطر عندما

تسوء الأحوال الجوية. وقد تمكنت في الشهور الأخيرة من التهام معه،
بعد أن تعلمت بعض العادات اللاتينية. وعندما ولد ابن زوجها أوريبانو
من بيلار تيريرا وحي به إلى بيت العائلة من أجل العصاد، ومنح اسم
أوريبانو خوريه، قررت أن يعتير ابنتها البكر. وقد هوجت أوريبولا
بعمرة الأئمة عندها. أما أوريبانو فقد وجد فيها سبباً يدفعه للتحلق
بالخفيه، وما كان لديه مثل ذلك قبل. فقد كان يمضي سحابة مهارة يعمل
في المشعل، وكانت ريميوس تقببه عند الصبح يكأس القهوة دون
سكر. وكان يلعبان كل مساء لزياره لعبها، أكل مسكوت، يلعب
أوريبانو مع حميه الدما مرات ومرات، يسما تثرثر ريميوس مع أحواتها
أو تتحدث مع أمها في الشؤون المهمة.

وقويت سلطة الدور أبويسار موسكوت في البلدة بعد مصاهرته لأل
بوينيا. وقد تمكن، بعد رساطات ومناخلات كثيرة في عاصمة الإقليم،
من الحصول على موافقة الحكومة على بناء مدرسة يديرها أركاديو الذي
روث عن جده حماسته الثريوية. ثم نجح، عن طريق الإقناع، بإطلاق
الناس بيوتهم باللون الأزرق في مناسبة عيد الاستقلال الوطني. وأصدر
أوامره، بناء على طلب من الأيب نيكاسر، بنقل بيت كاترينو إلى طريق
حمية بعيدة. وأعلق عدة أماكن بدعارة كانت تملأ مراكز البلدة صباحاً
وفي أحد الأيام، عاد الدور أبويسار موسكوت من العاصمة وبصحبه
سنة رجال شرطة مسلحين بالسنادق، عندهم مسؤولين عن الحفاظ على
الأمس في البلدة. ولم يذكر أحد الاصطاف القديم الذي كان يجمع دحون
المسجون إلى البلدة.

وقد مر أوريبانو بفعالية حميه وجدارته، وكان رقائه يقوون له.
فسوف تعلم سميناً ضخماً مثله، على الرغم من أن الحياة الزوجية لم
تزد في زره ولم تبدل من طبعه، المتحفظ، بل أنها على العكس، أبررت

عظيم وجته، ورُكَّرت برين نظرنه، وراوت من قسوة انحاء شخصيه العبد الذي يعبر عن تألم حرم وحرم وعزم لا يترددان. ولقد كان هو وروحته موضع حماوة عاتقتهما وحبهما، حتى أن روبيك وأمارتا أعت الهلته بهما يوم صرحت ريميدوس بأنها ستفر مولوداً، واتصرف إلى حينه ثياب ردها من الصوف للربيد، منتظر إذا كان ذكرًا، وثياب صوفية وردية اللون إذا كان أنثى. ولقد كانت ريميدوس آخر ما طاف في حبال أوريباتو، بعد يضع سوات، وهو يواجه فصل الإعصام.

أمرت أورسولا بإعلان فترة حداد، تعق فيها الأبواب وساهد وجمع الدحول والخروج إلا في حالات الضرورة القصوى. ومعت لحدث بصوت عال مدة سنة، ووُصفت صورة ريميدوس في المكان الذي ووري فيه جثمانها، مجلله بغلالة سوداء، وبقرها لندين ريت يظل مضطرب. وقد دهلت الأحبال التالية، التي حرصت على بقاء القديس مضطرب، من منظر تلك النشأة الصغيرة بحراطين (نورته) المكسرة، وحلها الأضغ الطويل، والشريط لأورغاندي لمطبع شعرها وما كان الناس، من بعد، يتفادون على أن يروا في صورتها صورة عادية لأحدى جدات جداتهم. وتعددت أمارتا بتريه أوريباتو حوزيه الصغير، والتحدث بها لها يشركها وحدتها ويقدمها من فكرة سم اللاوائوم محبوبه التي هيء لها كأنما هي قد حسنتها، عن غير قصد، في قهوة ريميدوس.

أم بيترو كريسي فكان يدخل البيت عند هبوط الليل، متسللاً على رؤوس قدميه، وعلى فبعمه شريط أسود، فيؤدي زيارة صامته روبيك، التي رد في شحوبها لون ثوبها الأسود، يكتيه الطويل حتى رميها، قبلوا لثامرها كأنما أفرعت من دمها. كان مجرد التذكير بموعد جديد للرداء ضرباً من انعدام الاحتمال فتحوكت (لخطوة) بعد حين، إلى نوع من العلاقة الخالدة. الذئبان كثيراً ما كانا، من قبل، يعطلان التبادل كتي

بحضبة بقعة، ببرحان لإزاده الموت العلابه. وبعد صبر روبيكا، وانهدمت معنوياتها كلياً، فاختل ثوابها، فعاودت أكل التراب.

ومحاة. وبعد أن مضى على سريان الحساد فترة طويلة حتى عادت جلباب التطير إلى مساكن عهدها، وفي حوالي الساعة الثانية بعد الظهر في يوم من أيام خواراة الشديده بصحتها المطلق، دفع رجل باب الدار دفعه قوية اعترت لها لأعمدة ومصارع الأبواب، حتى صلت أمارتا وصوبحاتها الدواتي كن يطرب في الشرفة، روبيك التي كانت تغط صمها في غرفة نومها، وطلب أورسولا في مطبخها، وأوريباتو في مشغله، بل طرأ حوزيه أركديو بويدي نفسه في جلسته تحت شجرة الكتلة، بعروله، أن مرة أرضه قد صرحت الدار بعد وهل رجل هائل الجسم، سم يكد ثياب الخارجي يسبح لزور كتفيه العريضين. وقد تدلب من عنقه، الذي يشبه عن النور الوحشي، مدلاة فيها صورة العذراء سيده السجده. وقد امتلأ ذراعاه وصدره بوشم جلاري، وقد أحاط بمرفقه لأيس سوار أظهر الصليب الحاسي، كانت بشرته مديوعة بلح تقلبات لآلوه، وكان شعره قصيراً ومستقيماً كأنه حرف بعل، وكان نكاه من حديد، وتعلو وجهه بشامة حريه. وكان على وسطه حرام ينح في عرشه ضعفي حرام الخصال، ويتعن حداء طويل الساق له مهمازان وكعبان من حديد. وكان مجرد حضوره، بما يرمقه من شجة، يولد ليدنه انطباعاً يحدث هزة أرضية.

مر الرجل بقعة لاستقبال وغرته، الخلوس، وهو يحمل كيسي سرج شبه مهترئين. ثم ظهر كالأرد من الشرفة ذات الأزهار البيجوي، فصعق أمارتا وصوبحاتها، وضلت إمرهن علقه في الهواء. فحينها بصوت متعجب، ورمى بكيسه على طاولة الشعر، ثم مضى، دون أن يتوقف عندهن، إلى مؤخرة البيت. وألقى الشجة كذلك على روبيكا، التي

أرعبها ممروره بباب غرفة نومها. وحيناً أوريثانيو الجالس إلى طاولة شعله في صياغة المصبة بكل حواسه المتوثبة ولم يوقف عند أحد، بل ظل ماصياً في طريقه إلى المطبخ. وهناك توقف للمرة الأولى في رحلة بدأت من الطرف الآخر للعالم. وهناك ألقى التحية وفغرت أورشولا فهاجراً من الثانية، ثم حدثت في عريه، وصاحت صيحة هائلة، ووثبت مطوّحة بسراعيها، وتعلقت بعتقه وهي تصرخ ويكي فرحاً

لقد كان خوربه أركاديو

وقد عاد فقيراً كما كان يوم رحيله، حتى إن أورشولا أعطته بيروين (لمعتي بقود) لكي يدفع أجر الحصان. وكان يتكلم إسبانية محروجة بلهجة أبناء البحر الصامية سأله أين كان، فأجاب: «هناك» ثم علّق أرجوحته في الغرفة التي كانوا قد خصصوها له ودم ثلاثة أيام بطولها وعندما استمق، وبعد أن اتهم ست عشرة بيضة بيته، مضى مباشرة إلى مخزن كاتارينو، حيث ثارت بيته الهائلة بين النساء وغبة في معرفته مشعوعة بالرعب من مظهره.

طلب شيئاً من الموسيقى، وقدم للحاضرين عصير قصب السكر على حايه ثم خاص جونة من الزهاك كان أولها أن تحدى خمسة رجال أن يشربوا تبغسه ولكنهم تيسوا أنهم لا يستطيعون تحريك دراهه، فقالوا: «ذلك مستحيل، لأنه يلبس سوار الصليب» وقد روي عنه أنه كان يشقّ عروق دراهه قبل أن يلبس السوار، كي تخرج منها قوة فوق إنسانية. ولم تصدق كاتارينو تلك الرواية، فراهته على أن يرمع منقذة الحاجز (طاولة البار) لقاء اثني عشر ييرواً (١). فترفعها خوربه أركاديو من الأرض، ورمعها فوق رأسه، ثم حملها إلى الطريق العام. وقد امتعنت كاتارينو، من بعد، بأحد عشر رجلاً كي يعيدوا المنقذة إلى مكانها

(١) البيرو Peso قطعة من النقود

وفي حفن تلك الحطة، عرّض خوربه أركاديو فحولته الفارقة على المروجين جميعاً. كان كنه موشوماً، وقد غطت جسده كتابات حمراء وورقاء بلعات محتلفة. وكانت السرة يحاصره من كل جهة برفياتهن العارمة موافق على أن يواهي منهن من تدبّع به أكثر. لمعت له أفئدة عشرين ييرواً، ولكنه عرض أن تجرى عليه فرقة، وأن يكون سعر الجيرة عشرة ييروات. وكان هذا السعر عالياً جداً، لأن أكثر النساء حظوة، عندئذ، ما كانت تنجي في الليلة أكثر من ثمانية ييروات. ولكنهن وافقن جميعاً، وكتبن أسماءهن كلاً على قطعة ورق، وعندما لم تبق سوى ورفتين في القبة حرف الجميع صاحبتي الخط. فقال خوربه أركاديو: «انتدفع كل منكما خمسة ييروات أخرى فأكون لكما معاً». فقد كان يعيش من هذه الحرفة. وقد طاف حول العالم خمساً وستين مرة، مع طاقم من البحارة لا يتحمن لبس. وقد أعادته لمرأتين، البتان قبضت الليلة معه في محرن كاتارينو، عارياً إلى قاعة الرقص والحفلات، لكي يرى الناس أنه لم يكن في جسده شيء واحد دون أن يعبه الوشم، من قبة رأسه حتى أخمص قدميه.

ولم يستطع خوربه أركاديو التكيف للحياة العائلية، ولم يتمكن من الانسجام مع أفراد أسرته. كان يقضي النهار كله نالماً، ومضي الليل بطوله في سحر الأصوات الخمرية وبيوت اللهب، يرأس على ثوبه الجلدية. وفي المرات القليلة التي أنلمت فيها أورشولا في ضمه إلى أفراد الأسرة، وفي اقتناذه مكانه معهم إلى مائدة الطعام، كان يبدو رقيقاً مشرقاً ولطيفاً، وحصوصاً عندما يتحدث عن معارفه في بلدان العالم البعيدة. فلقد تحطمت السمينة التي كان فيها، مرة، وفغرت، وظل هائماً على وجهه، في بحر اليابان طوال أسبوعين، بعيداً عن اليابسة. كان يأكل من

حده رقيق به عتمة صبرية شمس. وكذا نجم اجثة الذي أضيح بمح
البحر، وأنصحته حرارة الشمس الشديد، يسد عجيب، وبك غيب
المذاق حلو. وفي حديق السعال، وفي ظهيرة يوم مشرق رلع، ارطعت
سفنته بتي بحر فقتته لم حدر في بطف حودة وررد وسلاح مارس
صديبي. وقد رأى في البحر الكاريبي شبح سمية القرصان فيكثر هوج،
وقد مركب أشرععتها ربح الموب، وقضعت صواريف ديدان البحر
وحشران، وهي ما تزال تبحث عن محرى الوديلوب وكانت أورسولا
سكي حيشد، وهي تصعي، وكأنها كانت تقرأ رسائله، التي لم يصل
إليها، التي يحدثها فيها عن أعماله ومعمراته العاشقة والساجدة ثم تعمل
وهي تتحب وتتهند «كل هذا، والبيت الكبير هنا ينتظره، يا بني، كل
هذا ونحن ملقي بفضة رادنا للختاير».

ورأى أن أورسولا الأم لم تكن تستطيع، هي أعمامها، أن تصور أن
ذلك العنصر الصغير، الذي صحبه العجوز، قد خد هذا العملاق الذي
يتهم نصف خريف رصعي في غدا، وأن هوم العيش ورياح الشقاء قد
أبدلت كل أزهاره.

ولم تكن مشاعر سائر أفراد الأسرة زدها لحنان عن إحساسات الأم
فكانت أمارانثا لتقوى على إجماع قريها من مجشنة الجواني على
هائدة وما كان أركاديو، الذي لم يعرف قط سر علاقته الأبوية به،
ينجيب عن أسرته ولا يشغفاد وبم يكن يدري أن عينه من طرح
أسئلته عليه أن يكسب وده وصافيه وقد حاول أوروليانو أن يستعيد
ذكريات الفترة التي كان يعيشان فيها في صرفة واحدة، وأن يذكره
بحياتها معاً وتعابيهما الطعولي ولكن خوريه أركاديو قد نسي كل
شيء، فلك أن الحياة في البحر قد استأثرت بذاكرته وأشبعتها حتى
التحمة وحدها رويكا هي التي شعفت به، ووقعت في حبه من الظفر

الأولى فعند اليوم الذي رآته فيه يمر قرب غرقة نومها، وجدت أن يترو
كريسي لم يكن سوى قطعة حلوى تائه أمام هذا الفصل العظيم الذي
تسمع أنصاف البركانية في كل أرجاء الدار وقد حاولت التقرب منه
بشيء الدوايح وفي إحدى امرات، حدثت خوريه أركاديو فيها، مصحفاً
كل جسداه باهتمام لا يعرف الخجل، وقال بها «لقد صرنا امرأة
حقيقية، أيتها الأخت الصغيرة» وعلقت رويكا السيطرة على نفسها

وعادت، بعدد، إلى عاداتها في أكل التراب وطلاء الجدران الكلي
بشره المصني وعادت إلى مصر إيهامها في بهم شديد، سبب لها شره
آلام في رأسها وجعلت نعيماً سائلاً أحصر به علمات ميتة وفقت بعد
ذلك ليالي طويلة لا تعرف فيها النوم، وهي تتهاني الدوار الدائم، وتنتظر
عودة خوريه أركاديو في الهربح الأخير من الليل، فيبشر البيت كنه
لقدومه وفي وقت القيدولة من أحد الأيام، وقد هجع كل من في الدار،
لم تستطع رويكا المقاومة، فمضت إلى غرفه فوجدته مستلقياً عارياً،
إلا من سرونه، وقد تمد في أرجوحته التي علقها بنفسه بين عارضتين
ضخمتين، بوساطة حبال فضيلة من تلك التي تستعمل في ربط السفن
وأدهلها عري جسده الهائل المزين بمختلف الألوان، وأحست بدفع
للعودة من حيث أتت، وقالت معتدرة متلثمسة «عمو، لم أكن أعلم
أنك هذا» قالت ذلك بصوت حفيض كي لا توظف أحداً في الدار

فقال لها «تعلي» وأطاحت رويكا ووقعت قرب الأرجوحة، وقد
أحسّت بعرق جليدي يعمر جسدها، وباضطراب في أمعائها، حينما
أحدث رؤوس أصابع خوريه أركاديو تداعب كاحليها، ثم رتلتي ساقها،
ثم رديها، وهو يتم «أه، أيتها الأخت الصغيرة، الأخت الصغيرة»
وقد بذلت رويكا جهداً غير إنساني، وغير معقول، كي لا تمددها
روحها، عندما صمتها قوة كالأصفار، ودمعتها من خصرها، ثم جرتها

من ثيابها، وعمرتها ولعنتها بحركات ثلاث، كف لو كانت عصعوراً صغيراً. وقد وجدت وويكا متسماً من الوقت، وبذية من الجهد، كي تشكر الله لأنه أوجده قبل أن يستسلم طائفة، وغير واعي تماماً، لتنت البسة العجيبة ووث لأم الذي لا يطاق، في غمار مستنقع الأرجوحة اللاهيب، الذي اعتصم، كورق الشاف، انهمجار دمه

ويعد ماضي ثلاثة أيام على ذلك، تروّج خوريه أركاديو وويكا، خلال صلاة الساعة الخامسة. وكان خوريه أركاديو قد ذهب في الليلة السابقة إلى مخزن بيترو كريسي. فوجده يعطي درساً في الموسيقى من العنارة، فقال له، دون أن يتحى به جانباً: «تساؤل زوج وويكا» فامض وجه بيترو كريسي، وناول القيثارة، التي كانت في يده، إلى أحد طلابه، وأعلن انتهاء الدرس، وصرف انطلاقة. وهدم نقي وجبين في العبالة التي كانت مريحة بالآلات الموسيقية، واللعب الأكية والدمع الأخرى ذات المواضع، قال له بيترو كريسي: «إنها أنتك»

فأجاب خوريه أركاديو: «لا يهمي ذلك».

وجفف بيترو كريسي العرق عن جبينه بمديله، لمطر باخرام، وأصاف قاتلاً: «هذا أمر ضد الطبيعة، وعلاوة على ذلك فإنه ضد القانون».

وأدرك صغر بيترو كريسي وشجويته خوريه أركاديو أكثر مما أدركته حجبته فقال محتجاً: «أبول على الطبيعة، وتذهب إلى الجحيم. وقد جئت لأشك بالأمس، ولأجيبك هذه سؤال وويكا من أي شيء».

ولكن لهجته لانت بعض الشيء عندما رأى عيني بيترو كريسي تغروران بالدموع، فحفف من حدة أسلوبه، وقال له بلهجة أخرى: «والآن، إذا كانت العائلة هي التي تعجبك فقد نقت لك أماراتنا».

أعلن الأب نيكاسور، في موعظة يوم الأحد، أن خوريه أركاديو

ورويكا ليساً أحاً وأختاً

ولم يعرف لهما أرسولا قط ما اتسما عليه من عدم الاحترام والخرق غير المعقول للنماليه. وبذى عوديه من الكية لم تسمح لمعروسين اثنين بالرجوع إلى البيت. فقد اعتبرتهما ميتين. فاستأجرا تاً صمراً، عند الطرف الآخر من، بغيره. وانتقلا إليه، ولم يكن عندهم من الأثاث سوى أرجوحة خوريه أركاديو؟

وفي ليلة الزفاف، لست غفرت قدم وويكا بعد أن اندست في حداثها. فسببت بها حذراً في سادها. ولكن ذلك لم يحل دون أن يقصّب بنة كانت فضحة، من شهر عسل ظلّ حديثاً للناس. فلقد ذهر جيران من الصبح والصراح الذي ليقت اخي كلة ثماني مرات في ليلة واحدة، وثلاث مرات في وقت القيلولة، حتى أخذوا يصلون عسى ألا يزعج تلك المعطلة الهالجة واحة الموتى في قبورهم.

وكان أروبياتو الوحيد الذي هتم بهم، فاشترى لهما بعض الأثاث، وهدم لهما من، مال ما كان كافياً حتى يعود خوريه أركاديو إلى حياة الزواج، فيبدأ بالعمل على استغلال قطعة الأرض المحروقة لنداء، والتي لا يملكها أحد.

أما أمارات قدم تستطيع بعد أن سحب على صحتها وحققها على وويكا، مع أن القدر هتأب من حظ، وسحب من الرضا، ما لم تكن تخمس به.

وما كانت أرسولا لندري كيف تعطي العبار الذي تعبر به له الأسرة، فبادرت بأن عرضت على بيترو كريسي أن يسعر عى عاداته في تناول طعام الغداء معهم في البيت كل يوم ثلاثة فصول، وهو يبدى أقصى جهده في تجاور هشده والارتفاع فرق أنه في هدوء ووقار. وقد واطب عى إيقاع الشريط الأسود على قمعه احتراماً منه للعائلة. وكان

يسعده أن يعبر عن حبه وتقديره لأورسولا، مدأب على تقديم الهدايا العريضة العالية لها كالسودين اليرتمالي، ومرسى (حموى) الورد الركي وقد حمل لها مرة ثالاً جميلاً من ماتيللا وكاتب أمارت تهتم به وتستقبله باندع حوون كانت تعرف رغائيه ومطالبه قبل أن يعنده، حتى تترج الميوط الثالثة من كئيه وقد طررت له اثني عشر مديلاً، تحمل لحروف الأولى من اسمه، هديه في عيد ميلاده وكان كل ثلثاء يجلس معها، بعد العده، ويسعد بصحتها وهي تفرز في الشرفة نقد كانت تدف المرأة، التي طملاً تجاهلها وعاملها كطمة، اكتشاماً جديداً بالنسبة له وعلى الرغم من أن مراجعها كانت تنقصه الرشاقه، وجمالها تنقصه الحادية القوية، فقد كانت تصنع بحساسة مودة في تقدير الأمور وتعلم أشبه حياة وكانت، إضافة إلى ذلك ذات رنه حيه

وفي أحد أيام الثلاثاء، طلب بيتر كريسبي يد أمارت، فحقق تقدير كل الذين كانوا يظنون أن هذا الأمر لا بد أن يتحقق عاجلاً أم آجلاً، ولم تتوقف أمارت عن التطير، فانتظرت حتى تدوم حمرة الخجل الحارة التي صبحت أذنيه، ثم قالت بصوت وقور يرين معمم بالتفجج والوهي «طبعاً يا كريسبي، ولكن بعد أن يعرف أحدنا الآخر بشكل أفضل هل يس حسناً أن تستعمل الأمور».

وربكت أورسولا بهي، حتى الرغم من احترامها وتقديرها العظيم لبيتر كريسبي، لم تكن تدري ما إذا كان قراره جيداً أم سيئاً، من الناحية الخفية والمعنوية، بعد خطبته الطويلة المشهورة لرويكيا، وبكى الأمر انتهى بأورسولا إلى لولة قبول الأمر كحقيقه، لا بخسة ولا بالسئ، لأن أحداً لم يكن يشاوكها شكوكها ومخاوفها

لكن أوريسياتو، وهذا غداً رجل البيت الآن، قد راد في حيرتها وارتبك كهب عمداً أولى برأيه، غارم والعرياء، فثلاً ليس هذا أوله

التفكير في الزواج.

رسم تدرك أورسولا معرى ذلك الرأي إلا بعد بضعة أشهر. وقد كان ذلك هو الرأي الوحيد، الفخلص الذي يرتبته أوريليانو، وهو صادق مع نفسه فهو ما كان ليهتم بالروح أو غيره من الأمور، باستثناء الأمر الذي كان شعله الشاع، وهو الحرب ولم يكن هو نفسه يدرك بوصوح، وهو يوضحه بصيل الإعدام كيف تالت الأحداث وقد اخلت المصادفات البسيطة، على خطورتها، ماذت به إلى حيث كان يقف. لم يسب له موت ويميديوس اليأس الذي كان يخشاه فقد أورته ذلك شخصاً عارماً، راح يروى بعمل الرمن، مخلفاً وراءه، حساناً سدياً بالخرمن، تحوكم إلى شيء من التوقع والعريه، شيه بالشعور الذي أوصله إلى عرمة على أن يكون بلا امرأة. فقد أعرق نفسه في عسده، وإن كان قد واطب على عادة نعب (الدموميو) مع حميه. وقد وطدت أحاديثهما المستمرة علاقات الصداقة بينهما، في بيت كان م يرال عارماً في الجداد. ولهذا كان الرحمن يقول لصهره «تزوج ثانياً يا أوريليانو فلدي ست بيت، ولك أن تختار من تشاء منهم»

وفي إحدى أمرات، عاد المون أنوسلو موسكوت من إحدى رحلاته الكثيرة. عشه الانتحابات، وهو موزع العكو مشغول البال بسبب حالة البلاد السياسية. فقد كان لأحرار عازمين على خوص الحرب ضد الحكومة. وما كان لدى أوريليانو، في تلك العترة، سوى أفكار مشوشة وسطحية وعامضة من المرق بين لأحرار وأحافظين. تقدم حموه بتوضيح لأمره في عده دروس تفصيلية. فذكر له أن لأحرار ماسروسون، ومينود، يريدون شق الكهنة ورجال الدين، ويدعون إلى الزواج، عدي وأفراد الضلاق ويدعون بالأسوة في الحق بين الأبناء الشرعيين والأساء غير الشرعيين ويعملون على تحريق وحدة البلاد بإقامه نظام اتحاد

(ميدواي) يتزعج لامتيازات من السلطة مركزية أما المحافظون فيستمدون سلطانهم من الله نفسه مباشرة، وهم يسهرون على حفظ النظام العام والأخلاق العائلية، وهم المناهضون من دين المسيح ومبدأ السلطة، ولا يقرّون بتجريء البلاد إلى كيانات مستقلة ذاتياً

وقد تعاطف أوريليس مع الأحرار، وأحبهم، مددواً بعواطفه ومشاعره الإنسانية، بسبب موقفهم من حقوق الأبناء الطبيعيين (غير الشرعيين) ولكنه، على أية حال، لم يترك كيف يمكن للناس أن يصنوا إلى درجة إعلان الحرب من أجل أشياء وأمور غير ملموسة. وقد اضيق أحدهم قد بالغ حين استقدم، في فترة الانتخابات، ستة رجال مسلحين بالساق، بإمرة رفيق، إلى بلدة خالية من كل العواطف والمشاعر السياسية

ولم يقصر الأمر على وصول الحود إلى البلدة، ولكنهم فتشوها بيتاً بيتاً، وصادروا من البيوت أسلحة القسد ومناجل، بل سكاكين مطبخ بعضها، قبل أن يورعوا على الرجال، الذي هم في عهديه والعشرين عاماً فوق، أوراق اقتراع زهاء نحو أسماء المرشحين المحافظين، وأخرى حمراء فيها أسماء المرشحين الأحرار. وفي عشية الانتخابات تلا دون أبو ليسر موسكوت، بنفسه، أسراراً يسبح بين المشروبات الكحولية، كتب مع الأحمادات التي تصم أكثر من ثلاثة أشخاص يسوا من نفس العائلة

ومرت الانتخابات دون حوادث. ففي الساعة الثامنة من صباح يوم الأحد، وضع صندوق الاقتراع الخشبي في الساحة العامة، وفام الحود الستة على حراسه وأدى الناس بأصواتهم بحرية تامه، كما لاحظ أوريليس بنفسه، وقد ظل اليوم بطوله، مع حفيه يسهر مهتماً بالآتي أحد بمسرة مرتين. وفي الساعة الرابعة من بعد الظهر، أعس قرع الطن، في الساحة العامة، بهايه الاقتراع، وهام دون أبو ليسر موسكوت بحجم

الصندوق بقطعة ورق ألصقها عليه ووضع عليها توقيعهم. وفي مساء ذلك اليوم نفسه، وبينما كان دون أبو ليسر موسكوت يلعب الدومينو مع أوريليس، أمر الرقيب بأن يتزعج ختم الورقة المصممة الموقعة والصدقة على صندوق الاقتراع، كي يقوم بحساب الأصوات فكان عدد الأوراق الزراء والحمره متساوياً تقريباً، ولكن الرقيب لم يدع من الأوراق الحمراء سوى عشر منها وأكمل الفرق بأوراق رضاء. ثم ختم الصندوق ثانية بورقة مصممة جديدة، وفي ساعه الصباح الأولى أرسل الصندوق إلى عاصمة الإقليم وعدها قال أوريليس: «سوف يخرجني الأحرار الحرب». فاجاب دون أبو ليسر موسكوت: «وهم ما يزال يركز اهتمامه على لعبة الدومينو» أنهم من يعلنوا الحرب بسبب تبديل أوراق الاقتراع، لأننا أيق بعض الأوراق الخمره كي لا تكون هناك اعتراضات وشكاري، فأدرك أوريليس، عندئذ صعوبة كون الإنسان في معارضة، وقال: «لو كنت من الأحرار لقاتلت بسبب تبديل هذه الأوراق» فنظر إليه حموه من فوق نظارته، وقال له: «لو كنت من الأحرار، يا هنري، لما شهدت تبديل أوراق الاقتراع حتى ولو كنت صهري»

ولم تتر نتائج الانتخابات حتى أهل البلدة، ولكن الذي أثارهم حقاً هو أن الحود لم يعيدوا السلاح إلى أصحابه وتحدث وفد من النساء إلى أوريليس عنده يقنع حماده برد سكاكين المطبخ إلى البيوت ولكن دون أبو ليسر موسكوت أبلغه خيراً في غاية السرعة، معاده أن الحود نقلوا السلاح المصادر، كي يقيموا الدليل على استعداد الأحرار للحرب. فأزعجته الشرخية القاتلة الكامنة في تلك الملاحظة ولوم ذلك التصريح ولم يعط شيء فط. ولكنه كان ذات ليلة يتحدث مع جيرييلدو ماركيز ومانيكو بسبال، وبعض الأصدقاء الآخرين، عن حادثة السكاكين، فسأله إن كان من الأحرار أو المحافظين ولم يتردد أوريليس في القول

إذا كان لا بد من الانسحاب فهو أذكى من لأحراره لأن المحافظين
عاشقون

وفي اليوم التالي، قام أوربينو من دارة الطبيب ألبريو بوحريز، به
على مشجع أصدقائه، متدفعاً بعلاج ألم وهمي في كبده ولم يكن
يدرك معنى هذه الحيلة أو التحيلة

وكان الطبيب ألبريو بوحريز قد وصل إلى ماكسنبور قبل بضع
ساعات، ومعه صندوق أدوية مني، بحبات دواء لا طعم بها، وشعر
طبي عمى لافئة، لا يضع أحداً، هو كل مسمار يسحب آخر والواقع
أنه كان دحلاً، فلقد كان يحفي وراء مظهر الطبيب السري، عديم
الشهرة، مخبراً سائراً تحت حلة حدائه الطويل، حتى منتصف فخذه،
بدوناً (١) حلقه على راحته خمس سنوات مضاه متبداً بالأغلال
وكان يقضي عنه ينادي لحمة الفيلرالية الأولى، ولكنه نجح في الفرار إلى
كورساو، مسكراً نجاة كاهن، وهو لا يثق شيئاً مثل مقته بهذا الثوب
ويعد في طويل، حركته لأحبار المثرة التي كان يقفها، مصقولة، صر
الكاريسي، إلى كورساو، فجمع في ركوب سعة بمهنيين، لظهور بعد
ذلك في ريوهاشت، ومعه قواوير حسب الدواء، التي لم تكن سوى
حبات سكر مصغرة، ومع شهادة من جامعة لايبزيغ (٢) رؤيتها بنفسه
وكانت حبة أماله كبيرة، يمكن بكاء من محماسة بيدراخس، التي
شبهها لمعبرون ببرميل بلور على وشك الانصهار، لم تكن سوى صوغة
سرماد كانت في الأوهام الانتخابية وألمته مرارة الإخفاق، فابكمأ إلى
بحث عن مكان يقضي فيه بقية أيامه، فلقد تمكنوا من جعله طبيباً
راضياً وعاش في هذه السدة في غرفة صغيرة تمهدها الفوارير، ستأجرها

(١) آثار الجرح

(٢) University of Leipzig جامعة لايبزيغ في ألمانيا

بعد طرف الساحة العامة، حيث ألقى بضع سنوات يعتمد في رفقه
على دخله من المرضى اليائسين، بعد أن جرى كل دواء، ثم انتهبوا إلى
الرصا ببعض أقران السكر عرته لهم وظلت هادئة في داخه قرار
المرض الكفافة فيه ما دام الدون أبرليار موسكوب يكفي مظهر السلطة.
فكان يقضي وقته في استعادة ذكرياته وفي الصراع ضد مرض الربو. ولم
اقتربت لانتخابات كانت له بمثابة البداية التي أوصلته إلى قمة التخریب
فراح يتصل بشباب البدة الذين كانت تقصصهم للتقافة السياسية، ثم بدأ
بعمله سره للتحرير والإثارة، ولم تكن أوراق الاقتراع الحمر التي
وجدت في الصندوق، وعمراف الدون أبرليار موسكوب إلى حب
الاستطلاع والجديد لدى الشباب، لم تكن في الحقيقة سوى واحد من
أجره خطته فقد جعل أتباعه يقرعون لكي يثبت لهم أن لانتخابات لم
تكن سوى مهزلة. فقد كان يقول لهم

«إن الشيء الوحيد المفيد هو العنف»

واستجاب معظم أصدقائه أوربينو بحماسة، ففكرة إنهاء النظام
الفاشل، ولكن أحداً لم يجرؤ على دعوته للانضمام إلى خططهم، لا
بسبب علاقته بالحكم وحسب، وإن بسبب سلوكه لايمعالي وعبه
المراوغ ولقد كان معروفاً، علاوة على ذلك، أنه قد اقترح للقائمة
الزرقاء، أي للمحافظين، بناء على توجيهات حميه.

وهكذا، لم يكن ديماسا من عواطفه السياسية سوى محض
مصادفة، ولم تكن فكرة ريارته لطبيب، كي يعالج مرضاً لا يشكوهه.
إلا بدفع حب الاستطلاع ود واصل إلى ذلك الكوخ العتيق، الشبيه
بسيوط ألب كيب، والذي تفوح منه رائحة البخور، وجد نفسه مقابل
عجوز شبه بالمرءة القبر، التي تصغر رشاها لدى كل شهيق أو رفير
وقبل أن يطرح عليه الدكتور أي سؤال، فاده إلى النافذة وفحص به داخل

جمعه الأسفل فقال له أوريبانو، حسب تعميمات أصدقائه ليس هذا، ثم ضغط برؤوس أصابعه بقوة على مكان الكبد، مصعباً هذا الألم الذي يحول دون تومي.

وعدها أعلى الطبيب بوجوب النافذة، بحجة أن نور الشمس قوي، ثم شرح له، بكلام بسيط، أن الواجب الوطني يقضي بدخ المحافظين وقد ظل أوريبانو أيام، يحمل في جيب قميصه قاروره صميمة، يخرجها كل ساعتين، ويصب في رحنه صف ثلاث حبات يقدوها في فمه، لكي تدوب ببطء على نباله.

وقد سخر الدون أبوليتو موسكوت من ثقة أوريبانو بقدرة الطبيب الرائف ولكن أوثق اليدين كانوا أعضاء في المؤامرة وأراد به واحداً من جماعتهم. والواقع أن أسد روكا مكويديو حبيماً، تقريباً، كانوا ضالعين في ذلك الأمر، دون أن يعرف أحد منهم تماماً ما كانوا يفعلون. ولكن أوريبانو استطاع أن يستنج أبعاد كل مرة في اليوم نفسه الذي أحاطه الطبيب فيه علماً بالسّر. ولقد أحاطه المخطط، على الرغم من اقترعة بضرورة إنهاء النظام الحافظ.

كانت للطبيب مخرجاً طريقه عربية غامضة في الأغيبات الشعبية. وبسبب طريقته في تسليق سلسلة من الأعمال العريضة، تبدو على هيئة ضربة متقة هي مستوى الأمة، تنصفي فعاليات النظام وموظفيه وعمالاتهم، ولا سيما الأطفال، لكي تستأصل فكرة مهدئين من جذورها. وكانت أسماء الدون أبوليتو موسكوت وروجنه وبناته الست في القائمة بطبيعة الحال.

قال له أوريبانو دون أن يمارق هدوءه: «أنت ست من لأحرار ولا من غيرهم. أنت سفاخ. ولكن الطيب أجاب بلهجة هادئة: «وفي هذه الحال، أعد إليّ القذرة، كنت بحاجة إليها»

ولم يعلم أوريبانو، إلا بعد مضي ستة أشهر أن الطبيب قد ينس من أصدائه وحسن عمل، وأنه كان يعتبره عاطفياً لا مستقبل له، سلباً الطبع، مقبلاً عليه أن يعيش وحيداً في عزلة. وحافظ لأصدقائه على صلاتهم به، وعدم الانقطاع عنه، خشية أن يشي بهم، مستصحب مؤامرتهم لطمأنهم أوريبانو بأنه لن يتعمد بكلمة واحدة. ولكنهم في قليته التي نجوا، لكي يقسوا عاتقه موسكوت وجدوده يحرم باب الأسرة ويدافع عنها. وقد بنا عليه قراره وموقفه الحازم، حتى اضطروهم إلى تأجيل الخطه إلى أجل غير مسمى.

ولقد كان في سنت الأيام أن سألت أورشولا أوريبانو رايه في رواج شرو كريسبي من أمارات، وكان جوابه لها، أن ليس هذا ألوان التفكير في الروح. فقد كان، هذا أسوء، يحمل تحت قميصه مسدساً قديماً. وكان يواظف على مرافقه أصدقائه. وكان، في عصر كل يوم، يذهب لتناول القهوة مع خوريه أركاديو وروبيكا، الذين رتباً بينهم بشكل أفضل. وكان، بعد الساعة، يذهب كي يلعب الدومينو مع حمته. وكان يقضي ساعة العشاء في الحديث والنقاش مع أركاديو، الذي غدا يافعاً صحباً. وقد بين أنه يرداد، مع الأيام حساسة لابتداء الحرب، وقد تزايدت حتى الأحرار في المفرة التي كان أركاديو يعلم فيها طلاباً أكبر منه سناً، إلى جانب أطفال لم يتقوا الحديث بعد. فقد كان هاك حديث مراد حول إعدام لأب بيجانور، وتحويل الكنيسة إلى مدرسة، وتكرس حرية الحب، وقد حاول أوريبانو التصفيف من دواعيه وتهللة حماسه مصححه بالكتمان والتعقل، ولكن أركاديو لم يصغ إلى منطق العاقل وواقعيته الحكيمة، بل غاب عليه، علماً، صعب طبعه وشخصيته وانتظر أوريبانو صابراً وأخيراً، وفي بداية شهر كانون الأول (ديسمبر)، اتدعت أورشولا إلى المشغل، وهي ترنح خوفاً وزعماً، وقالت: «لقد

اندلعت الحرب

والواقع أن الحرب كانت قد انفجرت قبل شهر ثلاثة وقد أعلنت الأحكام العرفية في البلاد وكان الوحيد الذي عرف ذلك في حينه هو الدون أبوليسار موسكوت، ولكنه لم يطلع حتى روجته عسى الخير، بينما كانت كتيبة الجيش، لتكلفة باحتلال البلدة على حين غرة، في الطريق إليها

دخل الجيش البلدة، دون ضجعة، قبل بزوغ الفجر، وصحبتهم قطعان من المدفعية الخفيفة تجرها البغال وأنهم لحود مركز قتلهم في المدينة وفي الساعة السادسة مساءً، أعلن مع التجول وقام الحود بعملية تفشيش من بيت إلى بيت أشد وأشد من العمية السابقة وفي هذه المرة، صادروا حتى أدوات العمل الزراعي وقد نادوا انطب موجهوا من بيته، وورطوه إلى شجرة في الساحة العامة، وأعدموه رمياً بالرصاص، دون أية محاكمة.

وقد حاول الأب بكنور أن يؤثر على السلطات العسكرية بعرض ارتفاعه المجاني، ولكن أحد اخنود شج رأسه بعقب بندقيته وانطعت طمرة الأحرار، وشوة بهجتهم، أمام عصف الإرهاب الصامت ولكن أوريليانو، بلونه الشاحب المستع، وضعوس تفكيره وسلوكه، تابع لعب الدومينو مع حميه، في شيء من التفرغ على ذاته، وقد أدرك أن الدون أبوليسار موسكوت لم يكن سوى صورة مظهرية للسلطة، على الرقم من القبط الذي كان يحمل، أي الحاكم المدني العسكري للبلدة هاتقولات كان يتحلها تقييد من الجيش، كان كل صباح يجمع ضريبة استثنائية بحجة الدفاع عن النظام العام وقد انتزع أربعة من الحود، العاملين بإمرته، امرأة، عضها كلب، من بين أفراد عائلتها، وقتلها ضرباً بأعقاب باندتهم. وفي يوم الأحد، بعد أسبوعين من الاحتلال، دخل

أوريليانو بيت جيريسمو ماركيز، وعطيقته الرزينة الهادئة المألوفة، طيب كأساً من القهوة دود سكر حتى إذا كانا رحبعف في المطبخ، قال له أوريليانو بلهجة أمرة حازمة لم يعهدها فيه أحد :

«أعد الشباب، فسوف نبدأ الحرب»

وسم يصدق جيريتندو ماركيز ما سمعه، هاله : «أي سلاح؟»

- وأجاب أوريليانو : «بسلحهم»

وفي يوم الثلاثاء، وعند منتصف الليل، وفي حامية جنوبية، قام واحد وعشرون رجلاً، جميعهم دون الثلاثين من العمر، بقيادة أوريليانو بويديا، وسلاحهم سكين الموائد ولأدوات الأخرى الحادة، بمسجاة لحامة، فاستولوا على السلاح، وبقتو حكم الإعدام في التقييد والحود الذين تدموا المرأة

وفي الليلة نفسها، وببهم كانت طلقات فصيل الإعدام تزد في لأف، سمي أركاديو قائداً مدياً وعسكرياً للبلدة وفي وقت جد مصر، لم يكد يسمح للشائرين الشروحين بوداع روجانهم، مشتركوس يتدبرن مصائرهم ورجلوا مع بزوغ الفجر، يحييهم الشعب الذي حرروه من لإرهاب، كي يلتحقوا بقوات القائد الثوري جرال ميكتوريو مليا، الذي أنشأت الأشياء أنه كان يرهب بانتهام مانور وقبل أن يرسل أوريليانو، أحرج الدون أبوليسار موسكوت من العرفة الصغيرة التي احتيا فيها، وقال له «طمش» يا هم هالحكومة الجديدة تضمن لك، بشرف العهد، سلامتك الشخصية وسلامة عائلتك،

ولم يكن من اليسير على الدون أبوليسار موسكوت أن يميز ذلك المتأمر، بحذائه الطويل، وببندقيته المعلقة، عرضاً، في كتفه، من ذلك الشخص الذي يععب الدومينو معه حتى الساعة التاسعة مساء

صاح قائلًا : « هذا جولة يا أوريليانو »
 فأجاب أوريليانو : « ليس هذا جنوياً إنته الحرب ولا يدعى باسم
 أوريليانو بعد الآن ، لأننا صد الساعة العقيد (الكولونيل) أوريليانو
 بومبينا »

(٦)

لقد نظم العقيد (الكولونيل) أوريليانو بومبينا اثنين وثلاثين انتعاضة
 مسلحة ، كان بطنها جميعاً وقد خسرها جميعاً . وقد أنجب سبعة عشر
 ولداً ذكراً ، من سبع عشرة امرأة وقد أعدموا جميعاً ، الواحد بعد
 الآخر ، في ليلة واحدة ، ولم يبلغ أكبرهم الخامسة والثلاثين من عمره .
 وقد نما العقيد أوريليانو بومبينا من أربع عشرة محاولة اغتيال ، ومن ثلاثة
 وسبعين كميناً ، ومن فصيل إعدام واحد . ولم تقتله كمية كبيرة من سم
 الشريكين ، وضعت في نهوته ، وكانت تكفي بقتل حصان .

لقد رفض وسام الاستحقاق الذي منحه له رئيس الجمهورية ورقي
 إلى رتبة القائد العام لنقابات الثورية ، وامتنعت سلطته وصلاحياته إلى كل
 أنحاء البلاد ، حتى أقصى حدودها ، وكان الرجل الذي لم ترهب
 الحكومة أحداً مثله ، ولكنه لم يسمح قط بأن تؤخذ به صورة واحدة . ولم
 يقبل راتباً تقاعدياً ، مدى الحياة ، بعد أن وضعت الحرب أوزارها . معاش
 أيام شبحوخته من الدخل الذي كانت تدره عليه السمكات الذهبية
 الصغيرة التي كان يصنعها في مشعلته في ماكويرو . ولقد قاتل دائماً على
 رأس رجائه ، ولكنه لم يجرح سوى مرة واحدة ، جرحاً هو الذي أوقعه
 بنفسه ، بعد أن وقع معاهدة بيرلانديا ، التي وضعت حداً لما يقرب من
 عشرين سنة من الحرب الأهلية . عندما أطلق رصاصه من مسدسه في
 صدره ، غفلت الطبقة من ظهره ، دون أن تصيب منه مقتلاً . أما الشيء
 الوحيد الذي بقي من كل تلك الأعمال العظيمة فهو شارع صغير باسمه

في مأكوسو ومع ذلك، لقد صرح قبل واثته، وقد الشبحوحة، مصع
مساوت، أنه لم يكن بوسع شيئاً من ذلك، في فجر ذلك اليوم عندما
رحل مع رحاله الواحد والعشرين لكي يهضم إلى قوات صفاء الثوري
الجبال فيكتوريو هليا.

كان كل ما قاله عند الرحيل، يومئذ

أركاديو، نحن ستودعك مأكوسو، ومعارفك وهي في خان حدة،
ناحرص على أن تكون في وضع أفضل عندما تعود.

وشر أركاديو ذلك التوجيه نصيراً شخصياً خاصاً، مخرج نفسه برة
عسكرية خاصة، وعلق عليها شارب مشير وف افسس شكبه عن
صورة وجدها في أحد كتب ملكيادس وعلق في حزامه سيف انقيب
الذي أعدهم، بمذايقه الدخنة، وركز يدهم في دخل العربة، وألح
فدماي طلابه الري العسكري، بعد شجده حماسهم بحطه المنهية
وسمح لهم السير في طرق البدة مسحين، فاصداً أن يوحى للعداء
أن اببده أسع من أن يعلب وقد كان لهذه الخيبة أو عظمة أثره أو
حماك محتفان فمن جهة، ضت الحكومة مة أشهر وهي لا تجرق على
مهاجمة البدة ومن جهة أخرى، عندما حرمت على مهاجمتها، دفع
إليها بقوت كبيرة استطاعت أن عمده خلال نصف ساعة، تحطمت فيها
كل المقاومة

وقد بدأ أركاديو، من اليوم لأول لتسلمه الحكم، مؤلفاً جداً
بالشكيات وأمراسيم وبلغ به الأمر أنه كان يصدر أربعة مراسيم في اليوم
الواحد، ليجرد أن يأمر وينتد كل ما يحل له وقد فرض الخدمة العسكرية
الإجبرية على من يملكو الثامنة عشرة من العمر، واعتبر الحيوانات الهائنة
في الطرقات، بعد الساعة السادسة مساءً، ممكاً للحكومة، وأجبر
الرجال الكبار في السن، أي المتقاعدين، على حمل شرائط حمراء على

مسواعدهم وقد فرض الإقامة اجبرية على لآب بيكامور في الأبرشية
(الدير)، تحت طاقته لإعدام إد، ضيوط في الخارج ومنعه من أداء خدمة
الصلاة، وفتح جرس الكنيسة، إلا إذا كان ذلك احتفالاً بانتصار الأحرار
وأمر مصير لإعدام بأن يندرب، في الساحة العامة، على إطلاق النار
على قزاةة عصافير

ولم يحمله أحد، في البدة، محمل الجدة، فقد كان هو ورواقه، في
نظر الناس، محجرة تلاميذ مدارس يمشون لأوار الكبار ودارت مساءً،
دخل أركاديو بيت كاتارسو، فحياء عارف ألبون يدخن عسكري أصبحك
الخاضعين فما كان من أركاديو إلا أن أعدمه لإهاتته السطفة وألح الدين
حتيجو على ذلك فقد كبل أرحهم بالأغلال، وسجنهم في غرفة
الصفحة، ولم يقدم لهم سوى الماء والخبز.

وكانت أورشولا تنور عليه وتصرخ في وجهه، كلما علمت بواحد
من تصرفاته الخائفة، فائلة «أنت مجرم مائل وسوف يعدمك أو يلبو
عندما يعلم بأمرك. وسأكون أول من يفرح بموتك». ولكن ذلك لم يكن
مجدباً فشدد أركاديو قبضته أكثر، دواما يبرو أو سيب موحبه حتى
صار أفسى حاكم عرفته مأكوندو.

ولقد قال الدون أبوليدار موسكوت، ذات يوم «دعهم يجربوا الفرق.
تدك هي حبة الأحرار» ولما علم أركاديو بقوله، هاجم بيته على رأس
دورية من الجود، وحطم كل أثاثه، وجلد بقاته، ثم سحب الدون
أبوليدار موسكوت بصفه وزاده محباً إلى الطريق العام. وفي اللحظة التي
كان أركاديو على وشك أن يصدر الأمر لفصل الإعدام بإطلاق النار على
الدون أبوليدار موسكوت، اندمعت أورشولا إلى ساحة القيادة، بعد أن
طافت البدة وهي تصرخ وتبول بالمدار الذي لحق بها، وهي هاتجة
وتعمل بيدها سوطاً مطلياً بالقار وعندما وصلت إلى أركاديو، صاحت

به غائلة "تجراً، أيها النقطه"

وقيل أن تدبر من أركاديو أية حركة لولي فعل، ضربته أول سوط، وهي تصرخ "تجراً، أيها القاتل ثم اقتني أيضاً، يا ابن لمرأة الشريرة اقتني، فلا تعود في عيان بكيان عاراً لأنني ربيت رجلاً مثلك" ثم راحت تظفر بالسوط ضرباً بلا رحمة، حتى مضى أركاديو وانطوى على نفسه كزائفة صخرة في حفرة.

كان الدون أبوليسار موسكوت، خلال ذلك، معمي عليه، وهو مشدود إلى عمود في مكان فراسة العصفير التي مرتها طلقات التدريب وانماح وتفرق المتبان الذين كانوا يؤلفون مصبل الإعدام. حشيه أن تصب أروسولا عليهم حام عصبها، ولكنه لم ينظر إليهم مجرد نظر وفركت أركاديو، منفي على الأرض. وقد تعفر زيه العسكري بالتراب، وهو يرار الماء وغصاً، وتقدمت من الدون أبوليسار موسكوت، فمكت يده وأبعدته إلى يمينه. وقيل أن تقادر القيادة حررت جميع المسجونين من الميرد والأغلال

مد ذلك اليوم، تسلمت أروسولا قيادة البلدة وحكمها فأعادت صلاة الأحد إلى الكنيسة. وأرفعت حمل الشرائط الحمراء، وألعت كل القسوة التي فرضها تقب المراج. ولكنه، على الرغم من العوة التي أبنتها، لم تكن تمتع عن يكاء حفنها العائر. وقد شعرت بوجدتها الفاسية، حتى لادمت بصحبة زوجها عبر ذات النعم، وكان هاك مسياً تحت شجرة الكتنة.

كانت تخاطب زوجها وأطوار حزيران (يونيو) تكاد تهدم ماواه فنظر إلى ماله، ألت حالاً. فقد تفرق أولادنا في كل أنحاء الدنيا أنظر إلى بيتنا الخالي من الناس، فما نحن وحيدان من جديد، كما كن في أيامنا الأولى.

لكن خوريه أركاديو بوينديا، وهو العارق في عوة اللاشعور، كان أصم عن محيطها وحربها ورثاتها، ألت إليه الخال. لقد كان، في بداية حالة اللاوعي وفقدان الرشد لديه، يعبر عن حاجاته اليومية بعبارات لامية معتصة وكانت ثمرته ومضات صغر قصيرة عندما تجيشه أمواته بالقطعام، فمحدث عن آلامه وما يروح تحته من عاه، ثم يستسم بلطف وحصرع لكونه حجاجها وكلماتها الخردلية ولكنه، في الفترة التي بدأت أروسولا تلد به لتنتحب سبه وتشكو حظهم، كان قد فقد كل صفة له بالرفع فكانت تغسل له جسمه، عضواً عضواً، وهو جالس على مقعده الخشبي الصغير، وهي تقص عليه أخبار العالم فتقول له وهي تمرك ظهره بليلة ممولة بماء الصنبور. اذهب أروينيانو إلى الحرب منذ أربعة أشهر، ونحن لا نعلم عنه، حتى الآن، شيئاً. وقد عاد إليا خوريه أركاديو، وهو الآن رجل كامل، أطول منث، وقد غطي الجسم جسمه كله نكاته شعر الإبرة، ولكنه ما عاد إلا ليدرس بيتنا بالعارة. وخجل إليها أن روحها كان يردد حراً عما يسمع الأخبار البينة ففكرت أن تكذب عليه، فجعلت تقول، وهي تلقي الرماد حتى يرازه قبل أن تجرفه بعيداً. ألت تصدق ما سأقول لك، فقد شاء الله أن يتزوج خوريه أركاديو وزويبيك، وهما الآن في غاية السعادة.

وكان عيبها أن تكون مخصصة في خداعها، فإذا أركاديوها تمريرها هي معها فتبعت تقول. أصدر أركاديو الآن رجلاً عائلاً وجاداً، وشجاعاً جناً، وفي جملاً بربه العسكرية وسيمه المصقول.

ولكنها كانت كمن يتحدث للموتى، فقد كان خوريه أركاديو بوينديا أبعد من أن تدركه الهموم ولكنه أصرت وثابتت على ذلك. ولكنه كان هادئاً جامداً لا يبالي بشيء، فعزمت على إوحته بما كانت تبثه إياه فلم يكن، حتى يبرح مقعده الخشبي الصغير، بل يظل في مكانه

عرصة ششمس والمطر، حتى لكان الخبال لم تكن هي التي تشده إلى شجرة الكتس، بل هي قوة خفية لا ترى ولا اقرب شهر آب (أغسطس)، وثبتى الشتاء كأنه لا يعرف انتهاءه، كان يوسع أورشولا، أخيراً، أن يعن إليه بأعلى شيء من الصحة، فقالت له: هل تصدق أن حسن الخط لا يريد أن يعنى عنا، إن أمرك والشاب الإيطالي صاحب اليانو الأكي سوف يتزوجان؟

والواقع أن أمراتنا ويسرو كريسي قد عمقا صداقتهما هذه المرة. تصوريهما أورشولا، التي لم تعد تجد ضرورة لمراقبة موااعيدهما ولقاءتهما. وقد كانت خطورتهما في مثل لون الشفق. فقد كان الإيطالي يصل قبيل الغسق، وهررة الجاردينيا في حروبه سترته. فيترجم لأمراتنا قصائد غالية من شعر بيرنارك ويجلس في الشرفة التي تتبع برائحة الفانيلا، غير عابثين بالحرب وتقلباتها ومآزيرها وأخبارها، حتى يكرههما الدانيلا، غير عابثين بالحرب وتقلباتها ومآزيرها وأخبارها، حتى يكرهها. يعمرس على الدخول إلى الصالة وشمًا مشينًا، سجت حساسية أماراتنا وولتها الصبغة الودودة الحامية، مشه بيت العنكبوت الخفي حول خطمها. وكانا يظلال على تبت الخال من أخو المصمم بالمطعمة وأحب حتى تلأذ الساعة الثامنة صباحاً عدمي يهصرها بدراعيه وأصابه الرقة العارية من أخواتهم. ويفارق البيت ولحج يصر كبانه. وقد ملأ حافظة (١) صوره جميلة كاملة بالبطاقات البريدة التي كان ييترو كريسي ينقها من إيطاليا. وكانت البطاقات صوراً لعشاق في متزهات منعرة، وعليها رسوم وأشكال فكلوب بعدت مها سهام، وأشرطة مدحبة تحملها حسناهم يبعي. وكان يسرو كريسي يقب تلك البطاقات، ويقول لأمارسا: القديرت هذا المتزه، هأنا أخبره جيد. ويكفي أن يمد الإنسان

(١) ألبوم

يده كي تأتي الطيور فتخط عليها وتطمع منها، وكان إذا تروقت أمام لوحة مثلية لمدينة البندقية (فيسيا) يستبد به الحب، فيشم رائحة عطر الورد في وجنها وأصداف البحر المتهترلة على أطراف الأقيسة، قرب بحرهما. وكانت أماراتنا تشهد وتبأوه، وتضحك، وتحمس بوحى ثان، يبه رجال طرفة لطفاء أتيقرون، وساء جميلات يتعدن بلعة كلمة (الأطفال)، وفيه مدن عريقة قديمة لم يبق من عظمتها العابرة غير لقطه تمحوس بين خرائبها

وأخيراً أحمد بيترو كريسي الحب، بعد أن عبر المحيط بحثاً عنه، وبعد أن اختلط عبيد الأمر وصيحه هوى رويكا الجامح منزواتها العيسة ونوافلت السعادة عنده مع الجراح، فصار محبوه بشع وبهجة يعرض مجموعة من البيوت، ومات مكاناً يقصده الناس بدرجة، وشاهدة والترويج عن النفس، يحلو لهم الوقوف أمامه، بما كان يشتمل عليه من سم مصفرة لبرج الجرس في لورانس الذي كان يعمل هن الزوف بموسيقى جوقة رائعة، وصدايق موزنتو الموسيقية، وعلب الساحيق النصبة، التي تعرف حمه انعام عندما يرفع عطاؤها، وكل أنواع الآلات لموسيقية التي يمكن أن ينصورها، الخيال، واللعب لأكية ذات النوايض التي يمكن أن يلدوها الاختراع

وكان آخر بيترو كريسي الأصغر، واسمه برورو كريسي، هو الذي يبحر المرقن ويشرف عليه، لأن بيترو كريسي لم يكن يجد من الوقت ما يريد عن انشغاله واهتمامه بمدرسة الموسيقى ويعود به الفضل في أن شارب الأتراك، بما كان فيه من واجهات متلاثة بالدمى الرائعة، قد أصبح راحة تمدوها لأنعام اخوة، حتى يسى فيها مرة أفعال أركادير الظلة التعفية وكابوس الحرب البعيد

وعندما أمرت أورشولا باستئناف الصلوات الكنسية يوم الأحد من

كل أسبوع، فتم بيترو كريسي للكنيسة هدية آلة موسيقية ألمانية (لرغز)، ونظم جوقه من الأطفال الذين درّسهم وحياتهم، وأخذ أنعماء جريجوريه أصدرت إلى طقوس، لأن بيكامور الهادئة أبهة وعظمه ولم يكن في البلدة أحد يشك في أنه سوف يجعل أماراتا شريكه حياة سعيدة محظوظة

وقد تراث الخطيبان قسبيهم على سجيتهما، دون أن يتحث هوأطعمهما، حتى بلعا فترة وجدا فيها أنه لم يبق أمامهما، لأن يحددا موعد الزواج. وبم يواجها في ذلك أية صعوبة. وكانت أورسولا تنهم نفسها، في أعماقها، بأنها هي التي أساءت إلى مستقبل وويكا بتكرار تأجيل زواجها. ولكنهما، الآن، لم تكن مستعدة للتصكير بتأنيب الصغير وقد نشأ عن أحداث الحرب أن تراجع الحساد القاسي على وعيدبوس إلى الدرجة الثانية، فبات شيئا في حفلة الدهن. وقد سبب ذلك، إضافة إلى شذوذ الحرب، أمورا أخرى منها غياب أوريليانو، ووحشة لوكاديو، وإبعاد خوزيه لوكاديو وويكا

ولم اقترب موعد الزفاف، ألمح بيترو كريسي إلى أنه يود اعتبار أوريليانو غوريه ابنه البكر، لأنه يحبه حباً يكاد يكون أبوياً. وكان كل شيء يسير باناً أماراتا كانت مقبلة على سعادة وهناء، ولو أنها لم تكن تستعجل الأمور، كما كانت وويكا، ولم تكن تبدي أي نوع من القلق فقد انتظرت اليوم الذي يدهن فيه بيترو كريسي ساء قلبه، فلا يستطيع له مقاومة، في صبر وأناة، تدمأ تعمل وهي تصبغ الأثاث وتزيها بالألوان، وهي تحيط القطع الفنية الرائعة، وهي تظفر بإبرتها الطواويس الملكية المزخرفة

وأخيراً، حل يومها متوافقاً مع أمطار تشرين الأول (أكتوبر) العاترة السوداء. سحب بيترو كريسي من يدها صدر التطريز، الذي كانت تركزه

على ركبتيها، وتناول يده مضط عليها يديه، وقال لها
«سوف تزوج في الشهر القادم».

وتم تتلأأ أماراتا بنفس يديه الجليديتين، فحبت يدها من بين يديه، كحيوان صغير خاضع، وعاودت عملها، وقالت له مبتسمة.

«لا تكن بسيفاً، يا كريسي. فلن أتزوج منك حتى ولو كنت ميتاً»

وقد بيترو كريسي السيطرة على نفسه، وأحد يكي يلد، ودون خجل، حتى كاد يحطم أصابعه بأساً وقوطاً، ولكنه لم يملح في رحرحتها عن موقعها. ولم تجد أماراتا سوى جملة وحيدة أخرى تصيها. فالتفت به.

«لا تصح وقتك، وإن كنت تحبني فبعلاً إلى هذا الحد، فلا نطأ هذه الأرض بعد اليوم أبداً»

وكادت أورسولا تنقد صوابها خجلاً واستعد بيترو كريسي كل أساليب الرجاء والاستعطاف وعانى اشكلاً لا تصبغ من الإهانة ولإدلال. فقد أمضى عصر أحد الأيام كله يكي بين ذراعي أورسولا، وهي تود لو تقدم روحها ثمناً لمواساته والشفقة عنه.

كان يرى في بعض الليالي الماضرة وهو يدور حول البيت، حاملاً مظنته، لعله يسمع بعض النور في غرفة نوم أماراتا. ولم يرتد في حياته شيئاً أحسن من تلك اللي كاد يرتدبها في تلك الفترة. وقد اكتسى وجهه، الشبيه بوجه أسراطور معذب، هيئة من العظمة العجيبة ولطفا توش بصريحيات أماراتا، اللواتي كن يلعبن للتطير معها في الشرفة، نعلن يحاولن إقناعها. وقد أهن عملها، وراح يقضي اليوم بطوله جالساً في مؤخرة الخرن، وهو يكتب الأوراق والملاحظات غير المعقولة، يبعث بها إلى أماراتا، وفي داخلها أوراق أزهار وفراشات جافة، ولكنها

كانت تعيدها إليه غير مفتوحة كان يروي مصفاً الداء على نفسه، ساعات طويلة، وهو يحرق على فيشارته وقد عتّى ذات ليلة. كما لم يُسمع غناء من قبل، باستماعته مذكوبتو كلها مدهولة مدهشة، وقد رجعنا إلى السماء السابعة فيشاره لا يليق به أن تعرف في هذا العالم. وصرت يحمل من الحب ما لا يمكن أن يحمله صوب أو يوجد مثله على الأرض.

وعندها رأى بيترو كريسي الأنوار كلها نضرة في كل نواحي القرية ما عدا نافذة أمارات. وفي الثاني من تشرين الثاني (نوفمبر)، يوم جميع الأرواح، فتبع أخوه شرون هوجد كل القاديل مصاصة. وجميع صادق الموسيقى مفتوحة، وقد توقفت الساعات جميعاً عند رقم ساعه معينة لا ليرحها ثم وجد في وسط تلك الموسيقى المريبة بيترو كريسي على مكتبه في آخر الخسوف، وقد انقطع صفاء هوسى وألقيت يده في حوض من للبحور.

وقد أمرت أورسولا بأن يكون السهر على الجثمان في بيتها وقد اعترض الأب ميكور عن أن تمام مراسم دينية، وعلى دونه في المقبرة المسيحية. ولكن أورسولا تصدّت له قفظة.

«إن هذا الرجل قبيح، ولكن من كان مثلث ومثلي لا يستطيع مهم ذلك. ولذلك، هاتني سادته، على الرغم من إرادتك، إلى جانب ضريح ملكيادس»

وقد نفذت أورسولا لإرادتها، فأقيمت له حجرة مهيبة عظيمة، بتأيد أهل البلدة كافة. ولكن أمارتا لم تعاد غرفة يومها فقد سرب مكانها تستمع لانتحاب أمها ودميمة الخشود الكبيرة، وهويل النساء الباكيات الحزيبات وخطا الجمهيري التي كانت تملأ الدار ثم تلا ذلك كله صمت عميق، تعقب فيه رائحة الأرهاق التي كانت تلوسها الأقدام وظلت

أمارات، لأمد طويل، تشم رائحة الخرافى التي كانت غير بيترو كريسي وسبق وصوله مع الدماء إلى الدار ولكنها كانت عن قدر من القوة لم تشللم معه للدار.

وقد ليدنها أورسولا ونجاعتها تماماً حتى إنها لم ترفع عيبتها لتطير في وجهها مشعقة مراسية، يوم اندفعت أمارتا، عصرها، إلى المطبخ، ودفعت يدها بين جمر الموقد، حيث أبقته حتى يبلغ لآلم دروته وزيها الإحسان به، فلم تعد تشعر إلا بما تشمه من رائحة خمرها اعترق. وقد كان ذلك منها دونه فاجعاً وغيباً لتائب الضمير وبقيت بعد ذلك أياماً تدور في أنحاء البيت ويدها مخمورة في يياض البيض ولها شعيت الخروق بما كان يياض البيض قد خلف، لا على يدها وحسب، بل على أوجاع قلبها أيضاً مدوياً باقية. ولم يبق من أثر خارجي لتلك المأساة سوى ضمد أسود كانت ترتبط به يدها التي حترقت، وظل يرافقها طوال حياتها.

وقد أبدى أركاديو كرمًا نادراً حين أصدر أمراً بالحداد العام عن بيترو كريسي. وقد أوكلت أورسولا بإديره ذلك بأنها عودة الحفل الثاني إلى الحظيرة ولكنها كانت محظنة فهي لم تعد أركاديو يوم ارتدى البرة العسكرية، وغما فقدته مد اليدبة. لذلك كانت تعتقد أنها قد وثقه ابناً لها قماماً كما ريت روبيك دون امتياز أو تمويه. والواقع أن أركاديو قد كان خلال ائدة لمصرمه، أيام وياه الأرق، وأيام الحسنى التي أصابت أورسولا، وأيام جنون خوريه أركاديو بويديا، وأيام انطواء أورسولا على نفسه واعتزاله الناس، وأيام العدة المستعمل بين أمارتا ورويك، كان خلال ذلك كله طعناً يعيش مبرلاً خائفاً في وحدته فقد حمله أورسولا القراء والكتابة، وهو دائماً يفكر بأمور أخرى كان مشغولاً بها، تماماً كما لو كان يعلم طعناً غريباً. وكان يعطيه ملايه عنده يقين حبه، فتدركها مبريتا سبون كي تنلسه بدلاً من أن ترمى. ولهذا كان يعاني من الحدة

الكبير على قدميه، ومن بطله المرتفع، ومن قفاه الشيء بردي امرأته. ولم يكن يستطيع مد أن يسبح في صندره إلا بصيرت سيون وكثتور يلدتها

كان ملكيادس هو الوحيد الذي يهشم به فعلاً، فيقرأ عليه بصورة غامضة لا تفهم، ويعلمه فن التصوير ولا يعلم أحد كم يكن أركاديوس في سره، وكم حاول جهداً أن يبعثه من موته، وهو يقرأ ييلس الأوراق المبعثرة التي تحملها له.

ولكن، المدرسة التي كان يعلم فيها، الأولاد، وقد حظيت به اهتمام الآخرين واحترامهم، ثم عارضة السلطة وإصدار المراسيم والأوامر الصارمة، من بعد، ويرة الجهد العسكرية التي ارتداها، كل ذلك حرره من مرارات لماسي وأثقال ذكر بقاءه القاسية هي مساء أحد الأيام، نجراً رجل في مخزن كنائسوه وقال له :

- أنت لا نستحق الاسم الذي تحمله،

ولكن أركاديوس لم يأمر بعده، خلافاً لما كان يتظر منه، بل أجاب

- هذه من دواهي فخري، فليست من آل بويندي.

وقد ظل من كانوا يعرفون سر ولادته، عندما سمعوا جوابه، أنه كان مفعلاً على السر والواقع أنه كان في جهن تدم من أمره فهو عند رأي أنه ييلار تيريرا، التي محنته الدم الذي يسري في عروقه، هي مشعل التصوير، سحرته وملكت عليه به أكثر مما فعلت بأبيه نخوويه أركاديوس وعنه أورياليانو من بعده فقد كان يبحث عنها، على الرغم من أنها كانت قد فقدت الكثير من أغرائها ورواء ضحكته، ثم يعثر عليها مهتدياً برائحة الدخان التي برافقها

وفي ظهيرة أحد الأيام، قبيل مشرب الحرب بفترة قصيرة، تأخرت دليلاً في الخيلاء لأحد ولدها الصغير من المدرسة وكان أركاديوس يتظرها

في العربة التي يقصي فيها قبلوانه أحياناً وهي العربة نفسها التي اتبعها سبجاً فيما بعد. وبما كان الطفل يلهو في باحة المدرسة في انتظار أمه، كان أركاديوس يرتجف قلقاً وشوقاً في أرجوحته، مدركاً أن ييلار تيريرا سوف تثر من هناك

ولما وصلت أمست أركاديوس ييده وحاول أن يشدها إلى أرجوحته فقاومته ييلار ببربر حائقة، فأنته

لا أستطيع لا أستطيع أنه لو تعرف كم أحب أن أجعلك سعيداً ولكن الله يعلم أنني لا أستطيع..

وطوق أركاديوس خصوه تلك القفوة الحارقة التي ورثها من أبيه، وأحسن كآن العالم كله يتخر عندما لاس جسده ثم مال لها - لا تعذري بأنك قديسة فالناس جميعاً يعلمون أنك عاهرة

وكضمت ييلار تيريرا عيها وألمها وحنقه على قدورها البائس ثم نمت فائله

- سوف يشه الأولاد للأمر ومن الأفضل ألا تدخل الباب بالمعارضة هذه البنية

وانتظرها أركاديوس في تلك البنية، وهو يرتعد، في أرجوحته، من الخس التي يعلني بها جسده. وغال الانتظار دون أن يغمض له جفن ولو للحظة واحدة، يسد كان يصيح السمع لأصوات الصراخ التي بدأت تنبئ بقرب مروع العجيرة، وسنمغ لوطه أقسام حرمس الدوريات في الطرقات بين ساعة وأخرى، وهو يناد ماعرة، لحظة بعد أخرى، بأنه كان ضحية خدعة منها

وفجأة، وفي اللحظة التي استحال فيها قلقه إلى عصب انفتح الباب. وبعد شهور من تلك اللذة، وأمام فصيل لإعدام، عاودته تلك

الملحظة، بما كان فيها من جثة ودهاب وصير على غير هدى في عرفة الصعد، وتمش بمقاعد الطلاب، وأخيراً برز ذلك الجسم في ظلال الأشياء في المعرفة، وانتقاء يديه يدك جسد في الظلام، وذلك العنصر المضطرب الصادر من قلب، غير منه، كان سريع الملقاق وفي الظلام من يده فصاعدت يداً أخرى، في إصبع من أصابعها خاتمان، وصاحبة أيد غارقة في سواد الظلام، خالكت فتقرى^(١) تعرض عروقها ونسبها، وبفسها الناس، ونحمن راحة يدها الرطبة، تلك اليد التي هضرت فيها مخالف الموت عهد الحياة عند أسفل للإبهام

وعندئذ أدرك أركاديو أن تلك امرأة لم تكن بيلار تيسويزا لم تكن امرأة التي كان ينتظر فهو لم يشم يده رائحة الدخان (بالقوة، بل رائحة عطر زهري. ولأمن فيها تدين ممتدتين أصابعين، بهما حلمتان شديدتان كأنهما حصنا رحل، ولأمن فيها هماً^(٢)) راني المحنة مدوراً كجورة كبيرة، وحنناً ولطفاً عظيم الجربة ولكنه ملتهب

كانت عذراء، ولها اسم غريب سنا صوفيا^(٣) التقية وقد دعت لها بيلار تيريزا خمسين يرواً، وهو مصعب انتصده في حياتها كلها، لكي تقوم بهده المهمة وقد سبق لأركاديو أن رأى، من قبل، عدة مرات، وهي تسير دكان البقالة لدورها، ولكنه لم يركز اهتمامه عليها فقد كانت فيها تلك الحلة الباردة، فهي لا سير، بمعنى أنها لا تشرعي الانتباه، إلا في اللحظة المناسبة. ولكنه منذ ذلك اليوم أحذت تأتي إليه دائماً، تعي كقط صعبير إلى حرارة ذراعيه، فكانت تجيء إلى المدرسة، ساعه القيلولة، بمواقفه أهدأها، بعد أن قدمت لهم بيلار تيريزا، النصف

(١) لمحتس.

(٢) عضو الجنس في المرأة.

(٣) القديسة صوفيا.

آخر مما انتصده في حياتها. وعندما أخرجته جود الحكومة، فيما بعد، من المدرسة، حيث كانا يشادلان الحب، أحدهما يشادلان الحب في خيرة الخلق من نفوس بين عذب الدسم وأكياس النرة وهي الفترة التي سمى فيها أركاديو فناناً مدياً وعسكرياً، تقريباً، روي طبعه كانت ثمرة ذلك الحب

وتم يدور بالأمر أحد من أفراد العائلة غير خوريه أركاديو^(١) وروجه رويكا فقد كان أركاديو على علاقة حميمة معهم، منبه على شعور بالمشاركة والمودة أكثر منها على القرين

وكانت قد كانت خطيرة خوريه أركاديو بشر النرج، بعد أن طلقه طبع رويكا العذراء وهاقة حسد الهالدة، وطموحها غير المحدود، مما أمكن معه توجيه قدرة روحها الخارقة إلى العمل فتحوك من رحل كسول وزير ساء إلى رجل عامل يس له مثل وصار لهم بيت نظيف مضم، كانت رويكا شرع أبراه وبواقده مند العجر، فبدخل إليه الهواء لمار بالمقابر من النواهد، ويخادوه من الأبواب المظلمة على فناء البارة، فيصبح طلاء الجنود الأبيض، وأثاث البيت يدين فيه ملح المولى أم جوهها ونعمها لأكل التراب، وطققة عظام أبيه، ومعاد صبره واشتعال دمها أمام عواطف ينزو كريس الباردة، فقد دنت جميعاً في هبات السباد والكربات فكانت تقضي بها وهي تحرك أسلم. ثمادة، جاهلة أمور الحرب وويلاتها، حتى تقضي قنود السيرات على النار فتشعل لظهور الطعام، قبل أن تظهر كلاب الصيد الحيلة، وهي تتقدم العملاق، بأطقم رجليه ومهماليه، وهو يحمل بدعيته ثائية الطبقات، وعلى كتفه، أحياناً، حبال، وفي كل مرة تقريباً عدد من الأرانس والبط الري، المشكوك بشرط يتلى من كتبه كالقلادة.

(١) والد أركاديو

وفي أصيل أحد الأيام، جاء إليهما أركاديو، وكان ذلك بعد أن تسلم السلطة، بقصد الزيارة دون موعد سابق. ولم يكن سبق لهما أن رأياه منذ غادرا الأسرة. ولكنه بما لهما ودوا، وأظهر لهما من المحبة ما أشعرهما بأنه ما زال يعتبرهما من أفراد العائلة. مدعيهما إلى مشاركتهما الطعام.

وعندها، وبينما كانوا يحتسون القهوة أصبح لهما أركاديو عن سبب ريلته. فقد تلقى شكوى ضد خوريه أركاديو. فقد نقل عنه أنه، بعد أن بدأ برعاية أرضه الخاصة، قد هدم الخواجر والأسيجة بين جيرانه، وأزال بيوتهم بشيرانه، واستولى بالقوة على أفضل قطع الأرض المأهولة. وأما الملاحون الذين أتوا إلى أرضهم، لأنه لم يكن مهتماً بها لأنها لم تعجبه، فقد فرض عليهم أثاثاً (هزيرة) يجتمعها منهم كل يوم ست، حين يجيئهم بكتابه ويندقته. ولم يتكر خوربه أركاديو تلك التهمة، بل رغم أن ذلك حق به، لأن الأرض التي احتسبها إنما كان قد وزعها أبوه خوريه أركاديو بونديا على الناس، عند تأسيس القرية. وكان يعتقد أنه كان يوسعها، منذ ذلك الحين، أن يثبت أن أباه كان أحق، لأنه تصرف بأبلاك هي للعائلة كلها. ولكن دماغه كان بلا معنى، لأنه كان مجرد رغم لا ضرورة له. وما كان محيياً أركاديو لكي يقيم العدالة. فقد بين له أنه يريد إنشاء دائرة لتسجيل، يسجل فيها المالكون عقاراتهم، وبذلك يستطيع خوريه أركاديو أن يسجل الأرض، فيجعل ما اقتصبه شرعياً، شريطة أن يتحس للحكومة المحلية عن حق جمع الضرائب والقرات. وتم الاتفاق على ذلك. وبعد سنوات من ترويح هذه الاتفاقية، وعندما راجع العقيد (الكوبوين) أوريليانو بونديا سندات التملك، اكتشف أن أخاه خوريه أركاديو كان قد سجل باسمه كل الأرض التي يمكن أن يدرکہا الظر، من المرتفع الذي كان يقع عليه يستأنه، حتى آخر الأفق،

بما في ذلك انفسره. واكتشف كذلك أن أركاديو قد ملأ جيوبه من عائدات الضرائب والأتوات، وما كان يحتسبه من المواطنين لقاءه دون موافقتهم في الخيرة الواقعة في أرض خوريه أركاديو.

وتم تدور أورسولا بهذا الأمر إلا بعد بضعة أشهر، بينما كان الحبيب شائعاً بين الناس. وقد أحس الناس عنها ذلك الأمر كي لا يريدوا في معاناتها وآلامها. وقد حاورتها الشكوك في ذلك، فأسرت إلى زوجها، وهي تحاول أن تدخل بين أسنانه ملققة من العصير، فالتفت له

- إن أركاديو يسي بيتاً

ولكن قولها ذلك لم يمنع تحركها، فصمت قائلة وهي تنهد

- ولكنني لا أدري حافاً. فهو لا يعنى لي شيئاً، بل كأنني أشم رائحة شيء غير مرغوب

وأخيراً انعتبت ظوئها إلى يقين عندما سببت أن أركاديو كان يخشع الأموال العامة، ولا سيما عندما عرفت أنه لم يصرع من بناء البيت وحسب، بل طلب أيضاً أثاثاً لبيت من قبا. وذات يوم أحد، وبينما كانت خارجة من الكنيسة بعد الصلاة، شاهدته في بيته الجديد وهو يمسح الورق (ورق الذهب) مع ضباطه، فصاحت به قائلة

- أنت عار لاسم عائلتنا

وبكى أركاديو لم يكتسب لها. وعندئذ فقط علمت أورسولا أن له قطعة عمرها سنة شهر، وأنه يعيش حياة غير شرعية مع سائنا صوفيا، وأن هذه حامل من حديد. فحزمت على أن تكتب لابنها العقيد أوريليانو حيثما كان، لتعلمه على ما آلت إليه الأوضاع. ولكن الأحداث تسارعت، حتى إنها لم تصرفها عن تنفيذ ما أرادت وحسب، بل إنها جعلتها كذلك تندم على مجرد التفكير في ذلك. فلقد كانت الحروب،

حتى ذلك الحين، مجرد فكرة خامضة بعيدة عن الناس، ولكنها ما لبثت، بعد ذلك، أن أصبحت واقعاً مأساوياً مموساً

لعي أواخر شباط (فبراير)، وصلت إلى ماكونسو امرأة عجوز غيرة شعث، تبرج عني ظهر حمراء محمل بالكناش وكانت من العجر والمضعف بحيث لم يلبه لأمرها الحرس القلائص عند مدخل البلدة فمررت كما يمر غيرها من الباعة الذين كانوا يملكون دالماً من قرى مستنقعات، ماروجو وقد ذهبت مباشرة إلى مركز القيادة، واستقبلها أوكديو في المكان الذي كان من قبل غروفه صف، ثم تحوّل مع ما يحيط به إلى دوح من المعسكر المحصن، مليء بالأحراج المطوية المعدة لمخاضها، والفرش المكتسبة في الراوية، والبنادق والمعدات وأسلحة الصيد المبعثرة على الأرض هنا وهناك. فالتحقت المجوز حيث جديده وأدت النجاة العسكرية، ثم أعلنت عن هويتها وعرفت بمسها

«أنا العقيد (الكولوبيل) جريجوريو ستيفسون»

وكان العقيد يحمل أخباراً سيئة فحسب أنونه، كتبت آخر معاتل لأحرار على وشك السقوط وقد طلب إليه العقيد أوريليانو بوينديا، الذي ظل وراءه، يقاتل متهمراً في منطقة جوار ريوهاش، أن يرور أركاديو ويظنعه على الأمر ثم بلغه أن عليه أن يسسم وأن يسلم البجعة دون معارضة، شريطة عدم إحساس بحياة الأحرار وتمنكاتهم التي يسمي أن تصان وتحترم. وراح أركاديو يتحصى ذلك الرسول الغريب الذي يشبه عجوزاً هاربة تشحن الشفقة، ثم قال له :

«لا بد أنك تحمل لنا شيئاً مكتوباً»

فأجاب الرسول

«طبعاً لا، فالحق أنني لا أحمل شيئاً من هذا فمن السهل أن تدرك أننا في مثل هذه الظروف لا يمكن أن نحمل معاً ما يمكن أن يكشف

أمرنا

رؤسنا كان يتحدث، أخرج من حزامه سمكة ذهبية صغيرة، وضعها على الطاولة، وقال :

«أظن أن هذه تكفي».

وأدرك أركاديو أنها فعلاً من تلك السمكات الصغيرة التي كان يصنعها العقيد أوريليانو بوينديا ولكن، ألا يمكن أن يكون شخص ما قد اشتراها قبل الحرب، أو حتى سرقها وعلى ذلك، فهي لا قيمة لها كإمارة أو علامة على كلمة سر. ولذلك، اضطر الرسول لعمل أقصى ما يستطيع، وهو إنشاء سر عسكري عنهم يصدقونه ويتقنون من هويته، فكشف لهم أنه موكل بمهمة إلى كوراساو، حيث يأمل أن يجد المنقذين من كل أرجاء منطقة الكاريبي. وأن يحصل على السلاح والعند والمؤن الكافية لحوية القيام بأنزال ميل آخر إلى. ولأننا من العقيد أوريليانو بوينديا، وثقه منه، بهذه الخطوة، فهو يحصل عدم ملجأ أية نصائح لا جدوى منها في الوقت الحاضر. ولكن أركاديو بوينديا لم يكن ولم يصدق الرسول، بل رجع بالرسول في السج، رؤسنا يتحقق من هويته، وقد عزم على الدخول من البلدة حتى الموت.

ولم يتظر طويلاً، فعد لبث أن وصلته الأنباء عن تفهقر الأحرار، ثم تواترت تلك الأنباء يوماً بعد يوم وفي أواخر شهر آذار (مارس)، فنبيل بروغ المجر، بعد ليلة شهدت مطراً صرياً، في غير حينه، فمعجز الهدوء المتور الذي حيم على البلدة طوال الأسبوعين، وكان كالمهوه الذي يسبق العصافعة وقد تمثل ذلك بأصوات أبواق وهيبة، تلتها مديعة مدافع أفضحت سرج الكنيسة. والواقع أن قرار أركاديو بالمقاومة كان ضرباً من الجنون فلم يكن لديه سوى خمسين رجلاً مسلحين بأسلحة بسيطة، وهم سيئون التدريب قليلو الخبرة، إذ لم يكن لدى الواحد منهم أكثر من

عشرين طنقه، والكنهم، وهم قدامى طلابه الذين ألهم حماسهم
 بجدانية المومة، فرروا أن يصمدوا مضحين بأنفسهم في معركة حاسرة
 وفي عمره وقع أندم حيد، فخطب لأول مرة خطبته، ودوي مدافع
 الذي كانت ترجع له الأرض عذيبها، وأزير الرصاص منهمج حرافاً،
 وأصوات الأيواف التي لا تعني شيئاً، تمكن الرسول الذي سعى نفسه
 العقيد ستيفسون من عقبة أركاديو ومخاضته، فقال له :
 - سعي صر لموت مقيداً وفي أعمال امرأة. فإد كان لا تأتي من
 الموت، فلأنت وأنا أثقل
 وافتح أركاديو براهه، وأمر حوده بأن يعطوه سلاحاً وأن يسموه
 عشرين طنقه، وكلمه، مع خمسة رجال آخرين، بالدفاع عن القيادة
 العامة، فيما يتقل هو وأركان حربه إلى خطوط المقاومة الأولى
 ولكنه لم يتمكن من برع طريق المستقيم، فقد تحطمت
 لاصحكومات، وراجع اندامعوب إلى الورا، في سهل مكشوف في
 الشوارع وقد دأموه فعلاً حتى بعدد دخائهم القليلة، فقاتلوه
 بمسدساتهم ضد البندق، ثم كان الالتحام بالسلاح الأبيض والأيدي
 والأجساد. وعندما بدت الهزيمة واضحة للعيان، اندفعت الماء إلى
 مدركه، سلاحهم العصي وسكاكين مطابخ. وفي خضم هذا الأتون
 المضطرب، من الصراخ والمهوى، وجد أركاديو معه وجهاً بوجه أمام
 أمارنا، التي خرجت، في ثياب النوم، تمحطت عنه كاهونة، ويدها
 مسدسان قديمان كان لأيهما خوريه أركاديو بوسيد. تناول يدهيته إلى
 صابط فقد بدت في المعركة، والنسل مع أمارات إلى شارع جانبي كي
 يوصلها إلى البيت. فوجد أورسولا في السب تنظر، وكأنها غير معية
 بالرصاص منهمج، ولا بالعجوة التي أحفنتها ثلة في واجهة البيت
 المحبوز وبوقف، يصر من الهول، ولكن الطرقات كانت صا تراق مرحلة

رخوة كأنها صابون مذاب. ولم يكن من السهل تقدير امتدادات بيلاً
 ترك أركاديو أمارات مع أورسولا، واتدفع محارلاً انصدي لجديين
 كان يطلق النار العريضة من روية الشارع، ولكن المسدسين اللذين كان
 محفوظين بسين طويلة في الخزانة لم يستجيبا. فاندفعت أورسولا تحمي
 أركاديو بجسدها، محاولة أن تجره نحو البيت. وصاحت به
 - تعال بحق الله، يكتفيك جونا

وصوب الحديان ينفيتهما بحرقهم، وصاح أحدهم قائلاً دعي هذا
 لرجل يا سيمتي، والا فنعى غير مؤثرين. فلفع أركاديو أورسولا إلى
 داخل المنزل، واستسلم. وصمت بعد ذلك بقليل أصوات المدافع
 والبندق، ثم ارتفعت أصوات فرق الأجراس. فقد سحقت المقاومة في
 أقل من نصف ساعة. ولم يلم واحد من رجال أركاديو، ولكنهم بل
 أن يقضوا استطاعوا أن يقضوا على ثلاث مئة جندي. وكانت القيادة
 العامة آخر الحصون، إذ لم استطع الحود اقتحامها. فقد حرر من سعى
 معه العقيد جريجوير سيفنسون جميع السجناء قبيل الهجوم. وأمر
 رجاله بالخروج والقتال في الطرقات. وكانت قدرته المخارطة على الحركة،
 والتنقل من مكان إلى مكان، وكذلك الدعة التي كان يطلق بها طلقاته
 العشرين، سبباً في جعل المهاجمين يظنون أن القيدة كانت شديدة
 الحراسة. وك أعيانهم أمرها دقورها بالمدافع تدميراً كاملاً. وقد دهل
 انجيب الذي كان يقود عمليات الجيش حين لم يجد بين خرائب الدمار
 إلا رجلاً واحداً يرتدي سروالاً داخياً، وما تزال في قبضته بندقيته العارضة
 تماماً من الرصاص، وقد انفصلت قبضته مع دراعه من جسده، وما
 زالت البندبة ثابتة، وعلى رأسه شمر امرأة كثيف ملتف حول عنقه
 ومثبت بمشط، وحول عنقه سبعة ثلث من سمكة ذهبية صغيرة،
 وعندما قلبه لتفحص بقعته حدائه، وسأله ليعوه على وجهه، اندعش

وحذر، وصاح قائلًا

- يا إلهي

وتدافع الضباط الآخرون نحوه، فقال لهم:

أنظروا أين ظهر هذا الإنسان إنه جريجيو سيمون، عند الفجر،
والتر محكمة عسكرية سريعة، أعدم أركاديو رمياً بالرصاص عند سور
الحفرة. ولم يستمع أركاديو، خلال الساعتين الأخيرتين من حياته، أن
يدرك ماذا تلاشى من نفسه الخوف الذي كان ينمض عليه حياته منذ
طفولته بمكره. سمع صامئاً هائلاً بعض الاتهامات الكثيرة، دون أن
يدرك من أي اهتمام بإظهار ما يعبر عن شجاعته التي عرفها الناس مؤجراً
وأنصرف خياله وتفكيره إلى أورسولا التي لا بد أن تكون الآن تحت شعرة
الكسباء، شرب القهوة مع خورية أركاديو بونديا، وفكر بابنه التي
كانت في شهره الداس ولم تجعل بعد اسماً، وبه الذي سيولد في
شهر اب (أغسطس) القادم. وفكر بسات صوفية التنية، وقد تركها في
البنية الخاصة تعلق غراً بعدة بعداء اليوم التالي، واعتد شعراً استرسل
فوق كتفها، وحين إلى رموش عصب التي تشبه الرموش لاصطناعية
وتمكره بلا عواطف، يكن الذين كان يعرفهم من الناس، وكأنه يعنى
حساباته مع الحياة. وبدأ يتبين كم كان فعلاً يحب الأشخاص الذين كان
يكرهم أكثر من غيرهم. وبدأ رئيس المحكمة العسكرية بإلقاء خطابه
لأخيراً، عندما أدرك أركاديو أن ساعتين من الزمن قد انقضت على
هاتمة. ومضى الرئيس يقول

- حتى لو أن النهم الموجهة إلى المذنب عليه لا تدعمها الأدلة
والبينات، فإن الحصار وانطيش الإجرامي غير المألوف، الذي دفع به
إلهم رجاله إلى الموت عبثاً ودون دفع، مكيفاً بمعكم عنه بالموت
وهي بناء مدروسه، التي صارت الآن أنقاضاً، حيث أحس بصره

الأولى بالشفقة التي تمنحها سطة، وعلى بعد أمتار قليلة من الغرمة التي
عرف فيها ذلك العشق، اكتشف أركاديو سحابة نقاليد الموت والواقع أن
الموت لم يكن بالأمر الذي يهمه، فما كان يهمه هو الحياة وبدلت،
فعدم سمح النطق بالحكم، لم يشعر بأي خوف، وإنما راوده الخوف
ولم يتكلم حتى سألوه عن طيه، لأحبر ما أجاب بصوت معبر قوي
البراءة، فقلًا

- أخبروا زوجتي أن سمي الطفل الصغيرة أورسولا ثم صعدت
خطفة، وأعاد القول

أورسولا، مثل جدتها. وهو يد أن سمي طفلها الذي سيولد،
إذا كان ذكراً، خورية أركاديو، ذكرى لحنة لا ذكرى لعمه.

وحاول، لأن يكتأز أن يجعله يعترف ويوب، قبل أن يأخذوه إلى
سور الإعدام، فأجاب أركاديو قائلًا

- ليس ندي ما أنوب عه

ثم وضع نفسه في إمرة فصين الإعدام بعد أن شرب منجناً من
القهوة. ولم يكن اسم هاند المصنوع لخصيص بالإعدام السريع مجرد
مصادفه القريب روكه كاديسيرو، وهو يعني «الجرار». وفي الطريق إلى
سور الحفرة، رأى أركاديو، عبر الرداد المنسلط، أن يوم أربعة مشعاً كان
على وشك الإطلاق من الآن. ووال حينه مع روال الضباب، وحيث
منحه رغبة حاصلة لاسطلاح ما حونه. ولم ير أركاديو روسك إلا في
المنطقة التي أمروا بها أن يقف وفنهره إلى السور. كان شعوره مثلاً،
وكانت تركذي ثوباً وردياً كثير لأرهار، وقد أحدث تشرح أبواب بينها
يدل حبه في محاولة منه كي تميره. وألقت روسك فعلاً بكرة عذبة في
أرجاء السور، بصعقتها اللعنة، ولم تستطع إلا بحمد أخير أن ترفع يدها
وداعاً لأركاديو. ورفع أركاديو يده لها مودعاً بالظن ببقه نفسها. وفي ثلث

المحطة معها صوّت إليه أشواق المبادئ العاغرة السوداء، فسمع مرانيل ملكيادس واضحة، حرفاً حرفاً، وسمع وقع الخطوات الثلجية بسات صوميا، وهي عذراء، في غرفة الصف في المدرسة، وأحسن في أنعم صلابة الحديد التي استرعت انتباهه في فتحتي الأنف من جثة ريمبيوس وفتحة الفك، وراح يباهي نفسه قائلاً

أه الفضة، فقد سيث أن أقول إن كان المولود الجميد بتراً،

فيصرها ريمبيوس

ثم أحسن ثانية بلذت الرعب الذي كان يعذبه طوال حياته، يتجمع كله كعب نو في صرية محنت حاد موجهة وأمر النقيب بإطلاق النار فلم يترك لأركاديو من الرمس إلا ما يرفع فيه رأسه وصدره، دون أن يذوي من أين كان ذلك مسائل الحار يتدفق فيحرق ساقيه فصاح بأعسى صوته

أيتها السعدنة أولاد الرتبة هيبش حزب الأحرار.

(٧)

انتهت الحرب في أيار (مايو) وكان العقيد أوريليانو بويديا قد وقع في الأسر، قل أن تصدر الحكومة بفسبوعين، بياناً مدوياً تهتد فيه بأن عقاب مدبري التمرد وبأذنيه سوف يكون بلا رحمة ولا شفقة وقد كان أسير العقيد أوريليانو بويديا مريضاً من الصدود القروية، وقد تنكر بري طبيب هندي ساحر وكان قد سقط في ساح الوطى أربعة عشر رجلاً من الرجال الواحد والعشرين الذين خفقوا به، وشرح ستة آحرون، رسم يبق معه في خطة الهرمية النهائية سوى رجل هو العقيد جيرييدو ماركيز وأعين سا البيض على العقيد أوريليانو في ماكودرو ييلاع خاص فأعلنت أورسولا زوجها بالخبر، قائلة .

إنه حيّ فلدع الله أن يراف به أعدوه

وبعد ثلاثة أيام من البكاء المتواصل، وفي عصر أحد الأيام، وبينا كانت في المطبخ تحقق بعض الحبيب لصع الحنوى، سمعت صوت ابنها وأصبحاً مريضاً من أذنه فراجحت تصيح وهي تعدو باتجاه شجرة الكستانه، لكي تنقل الخبر إلى زوجها، قلته «إنه أوريليانو» لا أعرف كيف حدثت المعجزة، ولكنه حيّ يرق وسوف يراه قريباً وكان إيمانها بذلك يقياً لا يتزعزع، فعلت لوض البيت وطمعتها وبذلك مواضع الأثاث وبعد أسبوع شاع خبر في البلدة، ولكن أحداً لم يدرك معرته المأساوي. وكان معاد الخبر الشائعة أنه قد حكم على العقيد أوريليانو بدموت، وسوف يعد فيه حكم الإعدام في ماكودرو، كي يكون عبره

ساس. وفي أحد أيام الإثنين، وفي الساعة العاشرة والنصف، سمعت أمارات، وهي تلبس أوريلانو خوريه (١) ملابس، من بعيد، صوت جلبة ضامفاً مسيرة مظمة عسكرية تتقدم نحو البدة ثم تلا الخلبة صوت بوق وبعد ثانية اندفعت أورسولا وأمارات إلى العرة صاحبتين. هما قد جازوا به الآن.

كان محمود يشقون طريقهم بصموية في حضم الجمهور الحاشد، ويصرخون بأعقاب بادقهم، ساس الثائرين، المتواهبين، كي يمدوهم عنهم وأسرع أورسولا وأمارات، في وسط الزحام، تدفعان الناس بمناكبهما، كي تشقا طريقهما، ثم شاهدناه، كانت له هيئة فقير شحاذ في ثياب رثة مهترئة. كان أشعث شعر الرأس واللحية، بمشي حائفاً، يظأ التراب أخاوق وكأنه لا يشعر بشيء، وقد كبّلت يده بحبل شد إلى خلف ظهره، ووط في ملحرة مرج الحضان الذي يخطبه صابط وإلى جانبه، وفي هيئة كهيشة، ونياب رثة كتيابه، وحالة مهزومة كحالته، كان العقيد جيرينيدو ملاكيتز، ولم يكن يدور عليهما أنهما حريان له هما فيه. وقد أدتهما ضحامة الجمهور الحاشد الذي يصيح ويهتف بسيل من الشتائم ضد الجنود.

وفي وسط صخب الزحام، صاحبت أورسولا

— اسي

ثم صعدت الحدي الذي حاول أن يردّه صعقة شديدة على روجه فأجمل حصان الصابط وتراجع إلى الوراء فتوقف العقيد أوريلانو بوينديا مرعجاً، وتحاشى فواعي أمه، وحلق في حيه سطرة قاسية ثابتة، وقال لها:

— هودي إلى البيت يا أمي واحلبي إبدأ من السلطات، ثم تعالي كي

(١) ابن العقيد أوريلانو بوينديا من بيلار ليريزا

تربي في السجن.

ثم نظر إلى أمارات التي وقعت على بعد خطوات خلف أورسولا، وسألها باسم: «ماذا حدث ليدك؟»، فرفعت أمارات يدها بفصاها الأسود، وأجابت: «إنه حرق». وجرت أورسولا يعيداً كي لا تدوسها الخيل وعدها أحاط حرس خاص بالأسيرين وتحركت القطعة العسكرية، تعدو بخطوات منتظمة، وهي تنقذهما إلى السجن.

عد العروب كانت أورسولا ترور العقيد أوريلانو بوينديا. وكانت قد حاولت الحصول على إذن من السلطات بوسطة الدون أبولينار موسكوت. ولكن هذا كان قد فقد سلطته لدى وصول السلطة العسكرية العليا الطوعية. أما الأب نيكانور فكان طريق القرائش بسبب الحصى الكدية التي أصبته. وقد حاول والده العقيد جيرينيدو ملاكيتز رؤيته. فردّهم العسكر بأعقاب البنادق، مع أنه لم يكن محكوماً بالإعدام. وبدا واضحاً لأورسولا أن الوساطات كانت كلها مسحونة. وكذب شبه متقنة بأن بها سوى عدم عد الحجر وهكذا جمعت كل ما كانت تريد أخذه له، ولقته في حرة ومشت وحدها إلى السجن.

وعند وصولها، أعلنت قائلة

— أما أم العقيد أوريلانو بوينديا

فاعرض الحرس طريقها، فصاحت صرخة لإلهم.

— سوف أدخل مهما كانت الظروف. وإن كانت لديكم أوامر بإطلاق النار فهيا أطلقوا النار عني منذ الآن.

ردعت أحد الحراس بشدة، واندفعت متقدمة إلى داخل قاعة الصب القديمة، حيث كان جماعة من الحدا، قد تمرّوا من بعض ثيابهم، واهمكوا في نظف أسلحتهم وترتيبها. فتقدم صابط أحمر الوجه يريد

برة عسكرية، ويصع على حبيبته نظارة مميكة، ويسال في التنظف بلوكه، فأشار بمحراس بالترجيع وأعادت أورسولا القول - أنا لم العقيد أوريليانو بونديا

فصحيح لها الضابط القول بالهدامة ودية، وقال :

- تعين أنك أم السيدة أوريليانو بونديا.

وأدركت أورسولا في لهجته لمصطنعة، على طريقة علية القوم، والتي تحم في الألفاظ لهجة سكان المرفعت أو المناطق الحبية فوافقت على قوله، مرعدة :

- كما تقول يا سيد، ما دم استطيع أن أرى

كانت لأوامر العلي تقضي بمع ريادة الهكومين بالإعدام، ولكن الصابط تحمّل المسؤولية على حاتقه، وسمح لها بمقبلة مديتها خمس عشرة دقيقة، وأرته أورسولا ما كانت تحمته في العصرة : التثياب الداحية، نظيفة، وحدها أنها القصير الساق الذي يسه يوم عرسه، والهدوى لمصوغة من الحبيب، التي احتفظت له به منذ اليوم الذي شعرت فيه، حمداً، بعوده

وجدت أورسولا العقيد أوريليانو بونديا في إحدى الغرف التي باتت متحد رمانة، وكان ممدداً على سرير عسكري، وقد بعد ما بين ذراعيه وسائر جسمه، لأن الدماطل والشور كانت تملأ ما تحت إبطيه وكانوا قد سمحوا به بأن يخلق لحبته، فبات شاذبه الكثر المعقوف من طرفيه بريد من برور وجتبه، فبدأ لأمه أكثر شعوباً واصفراراً، وأطول قبيلاً عما كان يوم رحيته، وأنه أكثر إعرافاً في وحدته وانزواته من أي وقت مضى

كان يعرف كل أحداث البيت، حتى أدق التفاصيل من احتجاز بيثرو كريسيبي، إلى جيروت أركاديو وطعبيانه ثم إعدامه، إلى تبلد الإحساس الذي أصاب حوريه أركاديو بونديا وبرومه الحية تحت شجرة الكستناء

وكان يعرف أن أماراتنا قد كترمت ثرمكها العددي لثرية أوريليانو حوريه، وأن هذا قد أحدثت تظهر عيه علام الكاء المتوقد، وأنه قد تعلم القرامنة والتكتية، في الوقت الذي تعلم الكلام. وقد شعرت أورسولا، منذ أن دخلت الغرفة، أنها قد هيمن عليها، مضج أسها والصوف الذي يبدد كهالة عيه، والسلطة التي تشع منه، وقد اندمشت لمعرفته كل شيء من أحداث البيت بالتفاصيل الدقيقة. فقال لها، مبرحاً

- أظنك تعرفين أنني ساحر

والخفاف بشيء من الحد

- في هذا الصباح، عندما كانوا يجيئون بي، كنت أشعر كأنني هشت كل هذه الأمور

والحق أنه فيما كان الجمهور الحشد يهدر بالهتاف، لدى مروره، كان هو مستغرقاً في أفكاره، يعجب لليلة كيف شلخت خلال هام واحدة وكيف تساقطت أوراق شجر النور وتهرات، وكيف طليت السيوت بلون أزرق، ثم لون أحمر، فالت إلى حيط من الألوان غير قابل للتحديد. فتهدت أورسولا بكلمة

- ماذا كنت تنتظر؟ فالرسم يمضي

فقال أوريليانو معبراً عن إفرته بهذه الحقيقة، في شيء من التمرد :

- هذا هو الواقع وهكذا تسير الأمور، ولكن ليس إلى هذا الحد

وهكذا تحولت الزيارة، التي انتظرها كلاهما طويلاً، وأعد لها الأشلة والأجنوبة، إلى معادنة يرمية حادية وعندما أعلن الحارس انتهاء الزيارة، أخرج أوريليانو من مرائش القش، الذي كان يستلقي عليه، ورمية من الأوراق قد بللها العرق كانت كمنها أشعاراً، فهي القصائد التي ألهمته لها ريكسيوس، وقد حملها معه يوم رحيله وقد أضاف إليها ما كتبه،

من بعد، عندما كانت تسمح له الصرخ في مسرات ترحي الحرب
والقتال.

داول أمه الرومة قائلاً :

- عديسي بالأ يقرأها أحد أشعبي بها الموقد هد اسماء فوعده
ذلك، ثم نهضت كي يعينه فبه الموداع، وتمتمت في أدبه قائده
- جئت بمسدس.

ونأكد العقيد أورليانو بويدي من أن احار من بعيد لا يرى، فقال لأمه
بصوت حفيف

- لا فائدة لي منه ولكن أعطيته على كل حال، فقد يفتشوك عند
الخروج

فأخرجت المسدس من صدارها ودسته تحت فرائش السريو العسكري
مصرع من القش أم هو فحاطب أمه قائلاً بصوت هاديء حاشع
- لا تقولي لي وداعاً ولا تشعطي أحداً ولا تدلي بصك لأحد
بل نظهري كما لو أنهم أعدوني منذ زمن بعيد.

نهضت أورسولا على شعثها كي تقاوم النكد ولكنها قالت به
- ضع حجارة حامية على الدعايل واليهور

ودارت نصف دوره ثم غادرت العرفة وبقي العقيد أورليانو بويديا
واصلاً يتأمل حتى أفلق الباب وعندما عاد إلى اضطراده ودرعه
مزدنات بعيداً من جسمه وتآلب الذكريات، فمد يفاعه وشبابه
المكر، يديه إدر كه معالم المستقل، كان يقول في نفسه عندما يجشي
الموت لا بد من أن يعلن لي عن قدومه بسيل محقد وأضح لا يس فيه
ولا حمرض وبذلك، مهر الآن يعجب كيف سم يبق بينه وبين الموت
سوى بضع ساعات دون أن يأتيه النذير

ذات مرة جاءت فربارته امرأة رانته الجمال، وطليت من اخراس يدا
بالدحول عنيه في القيادة العامة في توكورونكا سمحو بها بذلك،
عندما منهم بالوطنية واحمله التي كانت لدى بعض الأمهات اللاتي كن
يدفعن بيانهن إلى أسرة لفتن لمتهورين معياً منهن لتحيين النسل
والأعراق وكان العقيد أورليانو بويديا في تلك اللعة، بهي نصيدته
عن الإنسان الثالث تحت المنظر المنهر، حماً فاحاته انعه في العرفة، فأدر
لها ظهره كي يضع يورقه في الدرج الذي يحفظ فيه أشعاره وعندما
بشبه حذسه، فأمسك بمسدسه الذي في الدرج ودون أن يدور بها
رجعه، حاطبها قائلاً

- لطفاً لا تظنني الدار أرجوكم

حتى إذا استدار إليها مصوباً مسدسه، كانت الفتاة قد أحفصت
مسدسه، وهي لا تدري ما تفعل وهكذا بعد أن نتجح في الكشف
عن أربع محاولات لاعتباله من أصل إحدى عشرة محاولة وفي حالة
أخرى استطاع دجن، لم يتمكن أحد من القبض عليه بعد، ان يتسلل
ذات ليلة إلى القيادة الثورية في مائور، ولما يغفل طعاً بالحجر أعر
أصدفائه، العقيد ماجييكو يسبال، الذي كان أورليانو قد تحس له عن
سريه لعله يشع من اخفى، بينما كان هو يرقد في العرفة فانها، في
أرجوحته، على بعد أصبر، دون أن يشبه شيء مما حدث

يرطاب بدن جهده كي يسلم يوماته، ولكن جهوده ذهت هدراً
لنقد كاتب البيوعات تهبط عليه دفعة واحدة، كأنها هي الومض أو النصح
المشح المذوق لطيعه كأنها خطابات يقين مطلق، ولكنها عابرة لا تدرك،
ولو أنها كانت أحياناً تلم به طبيعية، فلا يدرك ساعتها أنها بيوعات،
وكانت، في أحيان أخرى، تبدو بيرة صافية ولكنه لا يدركها إلا بعد أن
تتحقق وكثيراً ما كانت لا تعدو محاولات من التطير والخراطة العادية

ولكنه، عندما حكم عليه بالإعدام وطلب إليه أن يذكر رغبة لأخيرة، لم يجد لدى حرج أو أية صعوبة في اكتشاف الحديس الذي ألهمه جوابه .
- أطلب أن ينفذ في الحكم في ماكوندو

وقد التزم راجع وليس المحكمة العسكرية، وقال له :
- لا تتظاهر بالدكاء يا بوبدي . فف هذه إلا حيلة لكسب بعض الوقت

فأجبهه بمقيد
- إذ لم تصد ذلك، فالتأني شأنتك ولكن هذه هي رغبتي الأخيرة
ومثلت تخفى منه وحيله، وتوقعته برأيه وانتهى به الأمر بعد طول تأمل وتمكّير، عندما رآته أمه، إلى أنه بات يقدر أنه لن يمد بموته هذه المرة، لأن ذلك غير حاصص بمصادفات، بل بحرم جلاديه وأمنضئ الليل دون أن يتمه بسبب ألم دماغه وشوره الذي كان يعمده ويضيه وفي الهرع الأخير من الليل سمع وطه أقدم في السرادق، فقال في نفسه

- لقد جازوا

ودوما سب ظاهره، أحد يعكر بحوريه لوكاديو بوبديلا (١)، الذي كان في تلك اللحظة يعكر فيه أيضاً حب شجرة الكستناء، في حر ذلك العجر الخفيف. ولم يكن هو حائضاً، ولم يكن يحس بأي حبي أو بأي شعور غير أن غضباً عصبياً قد اجتده، فب له ألماً وهياجاً في أمعائه، ذلك أنه معصّي عليه أن يموت زوراً وبهتاناً، فلا يعرف ما تؤول إليه أشياء كثيرة بدأها ولم يعرف منها بعد . وانفتح الباب، ودخل منه حارس يحمل طلس قهورة . وفي اليوم التالي، وفي تلك الساعة فائته، كان ما يزال عند النقطة نفسها، يتميز غضباً وألماً من الدمايل والبشور تحت إبطيه . ثم حدث له ما

(١) والده

كان حدث في اليوم الأول . وفي يوم الخميس شارك حراسه أكل حلوى الخلب التي حصدتها له أمه، وبس ثيابه البضعة، وقد وجدته ضيقة عليه . ثم احتدى حذاءه الجلدي اللامع . وحين يوم الجمعة دون أن يتكلموا قد أهدموا.

والواقع أن أحداً ما كان ليحرق على تصيد الحكم . فبعد أهل اللذة وتسلطهم جعل العسكريين يعتقدون أن إعدام العقيد أوريليانو بوبديلا سوف تكون له أبعاد وعواقب سياسية خطيرة لا هي ماكوندو وحدها، وإنما هي منطقة المستعمرات (ماريجو) كلها . ولذلك أرسلوا من يراجع في الأمر السلطات العليا في عاصمته الإقليم . وفي مساء يوم السبت، وكادوا من بالون ينظرون لحوائط، تعب النقيب روكه كاريبيرو (الحرار) إلى مكان كاتاريسو برفقة بعض نصابا، هم تجرؤ سوى مرأه واحدة، وبعد كل أصناف الهديد، على الدخول معهم إلى عرتها . فقد قالت المرأة به بصراحة ووضوح :

- إن النساء لا يردن معايشة رجل يعرف يقياً أنه سوف يموت . ولا أحد يعرف كيف سينتم ذلك . ولكن الناس ما يتكلمون يقولون، في حينهم وترحانهم، أن الضابط الذي سبأمر بإطلاق النار على العقيد أوريليانو سوف يقتل هو وجود فصيلة الإعدام واحداً بعد الآخر، عاجلاً أم آجلاً، وبلا رحمة، حتى ولو حثوا في أقصى أصقاع الأرض . ونقل النقيب روكه كاريبيرو ما سمعه إلى ماثر الصباط، الذين نقلوه سرورهم إلى رؤسائهم المباشرين . وفي يوم الأحد كانت البلدة كلها تعرف أن الضباط يريدون أن يتعادوا، مختلف لأعداد، مسؤولية تنفيذ حكم الإعدام، على الرغم من أن أي عمل مسلح لم يعكر صعبو الأمن والهدوء في البلدة في الأيام الأخيرة.

ثم وصل السيد يوم الإثنين، وفيه لأمر الرسمي . يجب أن ينفذ حكم

الإعدام خلال الساعات الأربع والعشرين القادمة في ذلك الماء القبيح
الفساد في إحدى قبعاتهم سبع وريقات كتبوا عليها أسماءهم،
واقترعوا، فشاء قدر القيت روكه كرويسيرو (الخزير) أن تقع القرعة
عنه. فقال في مرارة عجيبة :

إن سوء الحظ لا يحيطه أبداً. لقد ولدت ابن قحبة. وسوف
أموت ابن قحبة

وفي الساعة الخامسة صباحاً، اختار فصيل الإعدام بالقرعة، وأمرهم
بأن يصطفوا في الباحة. ثم يمدح لحكوم عليه بعبارة تدل على مدير
الشؤون، فقال :

- هيا يا بونديا، فقد حانت ساعتنا

وأجابه العقيد

- هذا، إذن ما كتب أحكم به. فقد رأيت في ماضي أن الدمار والشور
قد تعجرت

كانت رويكا بونديا تشيظ كل يوم في الساعة الثالثة صباحاً مد أن
علمت أن أورديانو قد يعدم. وكانت تغل في عرونتها، العازقة في
الظلام، ترقب من نافذته، نصف المفتوح، سور القبرة، حيث كان
السري، الذي كتب جالس به بهر من عظيم حورية أركاديو. وقد
أضبط الأسرع بطوله تنتظر بنفس العناد الذي كانت تنتظر به، من قبل،
رسائل بيثرو كريسي. وكان زوجها، خوزيه أوكاديو، يقول لها

- "من يعدمه ها سوف ينفقون عليه النار في الثكنة. فلا يعلم
أحد من كان من الجنود في فصيل الإعدام وأراه أنهم سيدسونه
هناك. ولكن رويكا واظبت على الانتظار، وكانت تحب من كل ذلك
قائلة

"إنهم أغبياء، سوف يعدمونه ها"

كانت موفقه بدت كل القس، حتى إنها تصورت الطريقة التي منفتح
به الباب كي مفتوح به بيدها إشارة الوداع. وكان خوزيه أركاديو يصبر
على رآيه قائلاً

- لن يمحضوه عبر الشوارع والطرقات بصحة سه من الجنود الذين
يرعدون خوفاً وهدأة. لعلهم أن الناس مسعدون لعمل أي شيء

وسم يمسح رويك بحبل روحه وتعذله، فتأثرت عنى مراتبها عبر
الساعة. وقد كانت تدأب عنى العون له

سوف يرى أنهم من العاء بحيث يعلون أي شيء

في يوم الثلاثاء، وفي الساعة الخامسة صباحاً منه، وبعد أن شرب
حورية أركاديو مهنه وأطبخ كلاله، أغضب رويك العاده وبعث بأعنى
السري كي لا تستط. وعندها نهدت قائلة
- ها هم قد جدوا به. إنه جميل وأنيق.

فهض حورية أركاديو، وظهر عبر الهدأة، فراءه يرتعش بحب ضياء
الفجر وكان يليس بطلاً كان به في أيام شبابه. وقد وقب وظهره إلى
السور ويدا على خاصرتيه، لأن الشور اعترفة تحت إعطيه كانت تحون
دون إسبال يديه عنى جسمه. وقد سمع العقيد أورليانو يقول

اللعن. هل يمكنون مث بهذه الطريقة أنصل الأمور إلى أن
يعطف أمامك ستة قواديس، فتوهي تحت رصاصهم دون أن تستطيع
شيئاً

ثم راح يعد هذه العبارات وبعده بعضب وهياج يكاد يكون وجداً
وخشوعاً، حتى تأثر القيت روكه كرويسيرو (الخزير) الذي طس أن العقيد
كان يصلي. ولما صوت رجال فصيل الإعدام إليه بادقهم، تحرك الهياج
والغضب إلى مزج من الشعور الفرج بالملق المر القاسي، عا ختم لسانه

وأمره وأكرهه على أن يعمص عييه. وعندها انطفأ أمامه ضوء نروج الشمس، كما يخبره هناك الألومبيوم. وراح يرى نفسه طفلاً صغيراً في بطلان قصير، يرتدي حول عنقه ربطة. ثم رأى أباه في أصيل يوم رابع يصحبه إلى حيمة السوف في معرض العجر، حيث شاهد كتلة الجليد ومجأة سمع صرخة، فحيل إليه أنها الأمر لفصيل بفتح الداء، ففتح عييه وهو يرتعش مقدراً أن يواجه الرصاص المشتعل انهصر على جسده. ولكنه فرجى، بروقه النقيب روكه كاريبيرو راعياً يديه، وروحه حورية أركاديو يعبر الطريق بدميته الزهية مصوباً ومأهياً لإطلاق النار. صاح النقيب بحورية أركاديو

لا تطلق النار، فالعناية الإلهية هي التي أرسلك.

وعندئذ بدأت حرب أخرى. فقد انطلق نقيب روكه كاريبيرو ورجاله الستة، بصحبة العقيد أوريليانو بوندي لكي يحرقوا القائد العام الثوري فيكتوريو ميديا، الذي كان قد حكم عليه بالموت في ريوهاشا. وقد ظنوا أنهم يختصرون الموت إذا هم صبروا أجيالاً من نفس الطريق الذي سلكه حورية أركاديو بوندي في طريقه لإنشاء ماكوسو. ولكنهم اقتنعوا، قبل انقضاء أسبوع على انطلاقتهم، أن محاولتهم تلك كانت مستحيلة. فكان عليهم أن يسلكوا طريق الأعمالي المحموق بالخطر، ولم يكن في حوزتهم غير الذخيرة التي كانت مع فصيل الإعدام. كانوا يحيمون قريباً من القرى، التي يروون بها، ثم يدخل أحدهم القرية في وضع النار متحجباً، وقد حمل يده سمكة ذهبية صغيرة، فيتصل بالأحرار المتقاعدين، دون أن يلتحقوا بالثورة فيحثهم على الذهاب للصيد في صباح الغد، كي لا يعودوا بعدها أبداً. ولما وصلوا إلى أحد صمرجات أجيال، حيث يطنون على مدينة ريوهاشا، كان القائد فيكتوريو ميديا قد أعدم. وعندها اتفق رجال العقيد أوريليانو بوندي

على إعلانه رئيساً للقوات الثورية في ساحل البحر الكاريبي، برتبة قائد عام. وقد استلم المنصب، وقبل المهمة، ولكنه رفض الرتبة، واتخذ موقفاً بالاً يقلبها ما دم النظام المحاط في السلطة.

وقد نجح الثوار، خلال ثلاثة أشهر، في تسليح ألف رجل. ولكنهم أيدوا عن فكرة أبيهم. وأنسحت القلة الناجبة منهم إلى الحدود الشرقية ثم انقطعت أخبارهم، ولم يعد يسمع شيء عنهم، حتى علم أنهم هبطوا في كابو دي لانيلا، وأصلح إليها من جزر الأنثيل الصغيرة. ثم صدر بيان حكومي رسمي، نقلته أسلاك التلغراف والبريد إلى كل أنحاء البلاد، على شكل خبر معرج سمعته، يعلن نأ موت العقيد أوريليانو بوندي. وبعد يومين اثنين، صدرت بريقة أخرى، ألقت البرقة السابقة، وكانت تحبر عن اندلاع الثورة في سهول الجنوب. وهكذا ولدت أسطورة العقيد أوريليانو بونديا الموجود في كل مكان. ثم تالت الأتيام المتناقضة المتلاحقة عنه. بعضها يروي أنه متصبر في فيلا نوفا، وآخر أنه هزم في جواكاميال، وثالث أن اليهود مرؤوه واقتربوه، ورابع أنه مات في قرية صغيرة من قرى الماريجو (انقسم المستقعات). ثم أنه نذر من جديد في نواحي أوروميتا. وفي تلك الأثناء، صرح قادة الأحرار، الذين كانوا يهاوضون أنذاك بدخول مجلس النواب، أن العقيد شخص معاصر لا يمثل الحرب. واعتبرته الحكومة الوطنية واحداً من قطاع الطرق. ورفضت، للحصول على رأسه، مبلغ خمسة آلاف بيزو.

ثم خرج العقيد أوريليانو بونديا، بعد ست عشرة هزيمة من منطقته جراجيرا، على رأس ألفي رجل من السكان اليهود الأصليين الجرمي التسخيح، وعاثواو حاميه ريوهاشا، وهي دامة، فأكرهوها حتى الانسحاب منها. وأقام العقيد هناك قيادته العامة، وأعلى الحرب، التي لا هوادة فيها، ضد النظام. وكان أول ما تلقاه بريقة تهدد من الحكومة

بالشيد عند مدخل داره.

أما أوريبانو خوريه (١)، وكانت له دابة طويلة كقمامه جده، فكان يرتدي سرا ضابطه ثوري وقد أدى التحية العسكرية لأبيه العميد أوريبانو بونديا

لم تكن لأخبار كلنا جيدة

بعد سنة من فرار العقيد أوريبانو بونديا من مأكوندو، انتقل خوريه أركاديو وروبيكا من يسهم إلى البيت الذي به أركاديو عندما كان حاكماً لمأكوندو ولم يدر أحد بالشخص الذي قام به خوريه أركاديو للحؤول دون إعدام أوريبانو وقد حوّل وروجت البيت الحديد إلى بيت من أفضل بيوت الضيافة وأكرمها وكان موقع البيت في أفضل زاوية من الساحة، في ظل شجرة لوز بلسقة تحمل ثلثة أعشاش لطائر أبي الخناء وكان للبيت باب واسع عال وبوابة أربع كبيرة وقد استأنتت صويحيات روبيكا القديمت، وصعدن أربع عن بنات موسكوت بقير عديرات، جلسات التطير التي كانت تنعقد في الشرفة ذات أزهار الليمونجوا ثم انقطعت مند سبر

وتابع خوريه أركاديو استعمال الأرض التي احتصنها واعترفت بسدات ملكيتها، حكمه المظن وكان أهل السنة يرويه، عصر كل يوم، عندها من الجبال على حصانه، وأمامه ورواه كلابه، وهو يحمل جعته (بنديقة) مردوجة السلطنة وعلوقاً كبيراً من الأراب يتدلى على سرج مطية

و ذات يوم من شهر أيلول (سبتمبر)، شعر خوريه أركاديو بافتراء العاصمة، فعاد من رحلة صيده بعد الظهر مبكراً عن عادته فحياً روبيكا التي كانت جالسة في غرفة الطعام وربط كلابه في الدار، وعلق

(١) أمين العقيد أوريبانو بونديا من يلاز تميزا

نندره بإعدام العقيد جيريبيلدو ماركيز، خلال ثمان وأربعين ساعة، إذا لم يسحب بقواته إلى الحدود الشرقية وعدم به البرقية العقيد روكه كاريسبرو، الذي أصبح رئيس أركانه، وقد بدت عنده هيئة الحنوف والقلق ولكنه دهش عندما رأى بقره راضياً خلافاً لما كان يتوقع وقد عبر عن فرحه بهتانه قنلاً :

« ما أربع الخبير. فقد صار لدينا مركزاً للتلفراف في مأكوندو وكان جوابه حاسماً، فقد كان يتظر أن يشي ببادته العامة في مأكوندو خلال ثلاثة أشهر هذا سم يحد فيها العقيد جيريبيلدو ماركيز فقه سيعدم، دون أية محاكمة، جميع الضباط الأسرى، بدءاً بالعامة من الضباط الكبار، كما أنه سوف يصدر أوامره إلى مساعديه بعمل الشيء ذاته حتى نهاية الحرب وهكذا كان أوب إنسان يعاقبه، على طريق الماريجو (إقليم مستنقعات)، بعد ثلاثة أشهر، هو العقيد جيريبيلدو ماركيز

كان البيت ممتلئاً بالأطفال وكانت أورسولا قد جاءت بنات صوف (النقية) واستها الكر وتوأمين لها ولد بعد خمسة أشهر من إعدام أبيهما أركاديو وحللاً توصية أبيها أركاديو، عقدت البت باسم ريميروس. وقد أعطت أورسولا عن ذلك بقولها :

« أنا على يقين من أن هذا ما كان يريده أركاديو من ندعوها أورسولا، لأن من يحصل هذا الاسم سوف يعاني كثيراً أم الترومان فحياً خوريه أركاديو الثاني وأوريبانو الثاني وتولت أمانته أمر العاية ياخيم فوضعت للكراسي الخشبية الصغيرة في غرفة الجلوس، وأنشأت لهم ولأبناء الأسر المجاورة حضانات أطفال

وقد عاد العقيد أوريبانو بونديا إلى مأكوندو وسط عاية من الأسهم الدرية وخليط هائل من فرع الأجراس، وحببت به جوقه من الأطفال

الأرباب في المطبخ كي يمدحها بعد قليل، ثم دخل إلى غرفته ليدل ثيابه
وقد روت رويكا فيما بعد، أنها دخلت إلى الحمام كي تتحلل، بينما
دخل زوجها إلى غرفة النوم، ولم تنبه بعدئذ لأي شيء، ولم تسمع بأي
شيء. وقد كانت تلك الرواية غير معقولة وبعيدة عن التصديق. ولكن
أحدًا لم يعرف رواية أخرى أقرب إلى الصورة، ولم يدري بخد أحد أن
رويكا يمكن أن تقتل الرجل الذي أسعده. وربما يكون ذلك هو السر
الوحيد الذي لم يستطع أحد من ماثوندو أن يكتشف كنهه. فعندما أغلق
خوريه أركاديو باب العرفة على نفسه سمع في البيت صدى طمقة من
مستمس. وسأل خيط من الدم تحت باب العرفة، هايراً قرفة الجلوس إلى
الطريق العام، سالماً أقصر الطرق بين الأرصفة الكثيرة، هابطاً أدراج
البوت، واسطوح غر المسوية، صاعداً فوق الأنزير، محادياً شارع
الأثرانك، عثمراً حائمة ويسرة، مشكلاً زاوية قائمة نحو بيت آل بومبيد،
مداً من تحت الباب المعلق، وعابراً هائلة اخلوس بحفاة الجدران،
محدراً أن تتسبح البسط والسجاجيد، متبعاً طريقه إلى العرفة الثانية، ثم
راسماً خطاً محبباً طويلاً، متعدداً عن طاولة الطعام، ماضياً إلى ما تحت
الشرقة ذات أزهار البيجويلا، ماراً بشكل غير مرئي تقريباً تحت كرسي
أمارتا وهي تشرح درساً في الحساب لأردياسو خوريه، داخلًا مستودع
الخبر، مهلاً في المطبخ حيث كاتب أورسولا تسعد لتعقن صت
وثلاثين بيضة لإغلاء الخمر.

صاحت أورسولا بأعلى صوتها

يا مريم العذراء

واقعت أثر اندم، نابعة خفة في عكس مساره، باحثة عن مصلوه
مدخلت مستودع الخيوط، مارة بالشرقة ذات أزهار البيجويلا، حيث كان
أردياسو الصغير يردد غناء، ثلاثة وثلاثة تساوي ستة، ستة وثلاثة

تساوي تسعة. ثم عبرت عرفة الطعام وصالات الجلوس، وتابعت - في
خط مستقيم - طريقها في الشارع، ثم راحت تنحرف يميناً ويساراً حتى
شارع الأثرانك، دون أن تدري أنها ما زالت تلبس صدرية للطبخ والحذاء
البستي. ووصلت إلى الساحة، ثم دخلت باب البيت الذي لم تظنه
قدماها من قبل.

دعمت باب غرفة النوم، فكادت تحتقها رائحة البارود المحرق، ورأت
خوريه أركاديو مطحماً، وجهه إلى الأرض فوق حذاء الطويل الذي
خدعه لثوة. وحدثت فتبببت مصفر خط الدم الذي قدفق من أذنه
اليسرى. وقد توقف الآن عن الترف. لم يكن في جسمه أي أثر لجرح،
وسم يكن في المكان أثر للسلاح. ولم يكن ممكناً تحليل جسده من
رائحة البارود المنتشرة. غسلوه أولاً ثلاث مرات بالصابون، ثم
هركوه داخل والملح، ودهنوه بعد ذلك بالرماد واليوسون. وبعد كل
ذلك، غطوه في برميل مملوء بماء العسل طوال ست ساعات، وذلكوه
فيه جيداً حتى حال لون الوشم الذي يغطي. وبعد أن ينسوا قروا أن
يحموه بالعلل والكمون وأوراق العار، وأن يحموه يوماً كاملاً على نار
هذقة. وعندما تم ذلك، بدأ الجسمان يتفتح، واضطروا لدنه على
عجل. فوضعوه في ثبوت بحجمه، أحكموا إغلاقه، طوله سبع أقدام
ونصف القدم، وعرضه أربع أقدام، مسلح من الداخل بصعاع من
حديد، وسفروه بمسامير فولاذية صلبة. ولكن حدث كله لم يحل دون
نفاد رائحة البارود وانتشارها في الطرقات التي مرت فيها ابجاجة. وقد
صبه الأب بيكانور بركته، وهو مريض يرد في سريره، لأن كده كاتب
قد انتصحت وصارت مثل طبل. وقد حاولوا في الشهور التالية، عبثاً، أن
يقوموا بالصريح بجسده استنادية بمصها حلف بعض، وعزلوا ما ييها
بأكدا من الرماد والحالة وشاره الخشب والكلس. ولكن رائحة البارود

ظلت لتعد من القبر على مدى سنين عدة، حتى جاء مهندسو شركة
المور، فعملوا الفصيح بطقه من الإسب، مسلح، ومنذ أن أخرج الحشاش
من البيت، أغلقت رويكا الأبواب على نفسها، وعكمت على ذاتها،
داعية يباب في الحياة، يلعبها صغار هائل واردة شديدة، لم تفلح أية
محاولة من الإغراء الأرضي في هذا العالم الذيء أن تكسر حذته فلم
تعد البيت إلى الطريق سوى مرة واحدة، عندما عجزت وصارت طاعة
في الس وقد حدثت يومها حذاء سود العضة العتقة، ووضعت على
رأسها قبعة مصوغة من أزهار صغيرة باعقة وكان ذلك خلال العشرة
التي شهدت فيها اللثة مرور اليهودي الثالث الذي حذب معه الحرارة
الشديدة التي ألهمت الحرق، حتى كانت الطيور تحطم رجاء الوقت، في
اندفاعها إلى غرف البيوت لتتموت فيها

وقد رأى الناس رويكا، وهي حنة، مرة أخرى وأحيرة وكان ذلك
يوم قننت، بظلفة صائبة من مسدسها، لهما كان يحاول أن يطلع باب
بيتها بالقوة ولم يفلح بها، فيما عدا ذلك، أو يراها أحد عد حادتها
وكافة أسرارها لوجيبه وقد عدم، ذات مرة، أنها كانت تكسب رسائل
إلى المظفر، الذي كانت تعد ابن عمها، ولكن أحدا لم يذكر أنها تدقت
أي جواب، ثم نسيها البلدة

لم يدع العقيد أوريليانو بويدي المظاهر متاثراً باهتمامه، على الرغم
من عودته المظفرة

لقد كانت القطعات العسكرية الحكومية قد تحدث عن مواقعها دون
مقاومة، مما كان يولد لدى صفوف لأحرار وهماً بالنصر، لم يكن من
المناسب إحيائه ولكن الشوريين كانوا يعرفون الحقيقة وكان أكثرهم
معرفة بذلك العقيد أوريليانو بويدي فعلى الرغم من أنه كان، حينذاك،
يقود خمسة آلاف رجل، وسيطر على مقاطعتين ساحليتين، إلا أنه كان

يشعر أنه محشور، وظهره إلى البحر، وأنه محاصر في وضع معقد
حتى إنه، عندما أمر ترميم برج الكنيسة، الذي هدمه مدافع جيش
النظامي، جاءه تعليق الألب يكانور، وهو على فراش المرض،

- إنه لم سحره القدر أن الدين يدافعون عن دين المسيح يهدمون
الكنيسة، بينما يعيد تشييدها الماسويون

كان العقيد دائماً يبحث عن زاوية يدخل فيها إلى نفسه فيعرف إلى
مكتب التفراف، حيث يقضي الساعات الطوال، يبحث الأحوال مع
عاده الموانع والساعات الأخرى ولكنه كان في كل مرة يردد شعوراً بأن
الحرب أحده بالتعقد والركود، وكانت عندما بلغه خبر عن انتشاره جدهد
لأحرار، صبح إعلانه للهجة معقدة بالحد والفرح، لأد بحرأطه يقص
عليها حقيقة تقدم قطعته، فيجد أنها ما ثلثت تقوص في العليات، حيث
يتعين حبيبها أن تدفع عن نفسها ضد اللان والبعرض، فكانها تنقدم
في اتجاه معاكس لدفع ولهذا كان يشكو لهماطه قائلاً

- إن نضيج الوقت، ما دام أرياش الحرب يستحدثون انقاعد في
مجلس النواب

كان، في ليالي القلق الشديد، يسألني على ظهره في أرجوحته التي
عقبها في العروة ذاتها التي كان ينتظر فيها الإعدام، يتحين صور أولئك
الحماير، بأريائهم السوداء، وقد عادوا القصر الرئاسي مع الحجر
المتحد، وقد رجعوا بأثام معاطفهم حتى آذانهم، يتركون أيديهم،
ويهمس بعضهم لبعض، وقد لأدوا ببعض المقاهي والمطاعم الصغيرة
الحفاة لأهواء، التي تمتع أبوابها مع القبر، لكني ياقشوا ما كان يميته
الرئيس عندما قال معهم، وما أراداه عندما قال لا ثم يشنون
افتراضات لم يمكن أن يكون قد فكر فيه الرئيس، أو يتخيلون ما كان يمكن

فيه عذوب قال شيئاً محالاً تماماً كل ذلك، وهو يطارد البعوض في
حرارة مبعغ خمسين وسمين درجة (١)، ويحس باقترب العجر الخفيف،
عندما قد يكون عليه أن يأمر رجاله بأن ينقوا بأنفسهم في البحر

وفي إحدى ليالي القلق الشديد، وبينما كانت ييلار تيريزا تعني مع
الجود في الساحة العامة، أرسل في طلبها كي تقرأ له مستقبله بورق
اللعبة فورعت ييلار تيريزا ورقها ثم جمعت مراثي ثلاثاً، وكان كل ما
قالت له :

- احترس من فعلك.

وبعد يومين من ذلك، قدم شخص ما طاساً من القهوة إلى وصيف
(خدام)، فأعطاه هذا بدوره إلى وصيف آخر، ثم إلى ثالث وهكذا،
التفتل الطاس من يد إلى يد حتى وصل إلى مكتب العقيد أوريليانو
بوينديا، ولم يكن قد طلب القهوة ولكنه شربها لجرد أنها قدمت إليه
وكان الطاس يحوي كمية من جزر الفخ تكمي لفتن حصان فنقلوه إلى
البيت، وكان جسمه متصلباً ومقوساً، وقد عض يحدته على بساطه

جعلت أورسولا تصارع الموت فيه، محدولة أن تنترعه من برائه،
فعملت له معدته بالمقينات، ثم غطته بأغطية خازة، وواطبت على تبليعه
بباص اللبعض على مدى يومين، حتى استعاد جسمه المستم حرارته
الطبيعية وفي اليوم الرابع ران الخطر عنه، ولكنه أرغم على الترام
سريره أسبوعاً آخر، خاضعاً لرحا، أورسولا وضعتها، وتوسلات
صاحبه

وعندها فقط علم أن أشعاره لم تحترق، قالت أورسولا :
- لم أكن على عجلة من أمري، في تلك الليلة، لأشعل الموقد

(١) ٩٥ درجة فهرنهايت، وهي تساوي ٣٥ درجة مئوية

فقدت في نصي : يفضل أن أنتظر حتى يحضروا الخنف.

وأعاد العقيد أوريليانو بوينديا قراءة أشعاره، بينما كان يشعشع من
مرضه، ويعود رويداً رويداً من جوه الصباي، وحوله دمي رينيدوس
المعمورة بالعمار فاستعادت ذاكرته كل لحظات حياته الخامسة وعاد إلى
الكتابة، ونسجرت أوزك فواميه، تسيل شعراً، على مدى ساعات طويلة
عمر في تدا انصافات حرب لا مستقبل لها، تظل الحياة فيها، دائماً
وأبدأ، على شواطئ المرب وأصبحت أفكاره على أوضح ما تكون،
لاستطاع أن يقديها شخصاً كل نواحيها وذات يوم، سأك صديقه العقيد
جيريلندو ماركيز :

- هلاً أحسرتني أيها الصديق الأصيل قل لي "ماذا تخالط أنت؟"
ماحباب العقيد جيريلندو ماركيز دنالاً

- وهل يكون هناك سبب آخر؟ أحارب من أجل حرب الأحرار
العظيم
فقال

- هتاً لك لأنك تعرف السبب أما أن فقد اكتشفت، الآن فقط، أنني
لم أقاتل مدعواً بالكورية والمورو فعلى العقيد جيريلندو ماركيز -
- هذا أمر سيء

وأضحكته سرعة استجابة العقيد جيريلندو ماركيز، فقال العقيد
أوريليانو بوينديا :

طبعاً ولكنه، على كل حال، أمر أفضل من عدم معرفة الإنسان
لماذا يحارب.

ثم حدث في عيني صديقه، وأخلف مبتسماً :
- أو أفضل من أن تحارب من أجل أمر لا معنى له لدى أي إنسان،

كما هي الحال منك

وقد حالت كبريائه دون أن يشرع علاقات مع المجموعات المسلحة في المناطق الداخلية من البلاد، حتى تراجع قادة الأحرار وأعدوا على الملأ الرجوع عن قرارهم الذي أعلنوا فيه أن العقيد أوريليانو بوندي لم يكن سوى واحد من قذاع الطرق. ولقد كان يشعر، على كل حال، أنه حال يتخلص من تلك النهراحي، وسوف يستطع كسر حدة الحرب السيئة المبرعة. وقد منحت فترة التقاه فرصة للتفكير والتأمل في ذلك كله وتكهن من إنتاج أورسولا بأن تعطيه بقية الميراث المدهون تحت لأرض وكل ما كانت قد أدخرته حتى الآن. ثم عين العقيد جيريلدو ماركيز حاكماً مديناً وعسكرياً لبلدة مأكوندو، ثم غادر البلد لكي يقيم العدة مع العناصر الثائرة والمجموعات المسلحة في داخل البلاد.

وتم يكن العقيد جيريلدو ماركيز أكثر إنسان يثق به العقيد أوريليانو بوندي وأقرب الناس إليه وحسبه، وإذا كانت أورسولا تستقله في بيت العائنة كواحد من أفراد الأسرة كان حليلاً وحجولاً، وإذا أحلاق صبيحية وتربية حسنة، ولكنه كان رجل حرب أكثر منه رجل إدارة فكان من السهل على مستشاريه السياسيين أن يضلوه في متاهاتهم النظرية ولكنه، على الرغم من كل ذلك، نجح في توطيد جو رعي هاديء سود مأكوندو، تماماً كما كان يحلم العقيد أوريليانو بوندي، حتى بات يرسمه أن يقدري هذه الدنيا مطمئناً. بعد أن يقضي شبحوخته في صبح السمكات الذهبية الصغيرة.

كان، على الرغم من إقامته عد دويه، يتناول طعام العشاء مرتين أو ثلاثاً، في الأسبوع، في بيت الأسرة عد أورسولا فعلم أوريليانو خوريه استعمال الأسلحة السارية، وثقفه ثقافة عسكرية مبكرة، وكثيراً ما اصططحبه إلى الكتلة العسكرية، بموافقة جده أورسولا، كي يعيش فيها

بضعة أشهر لعله يصبح رجلاً.

وكان جيريلدو ماركيز قبل سنوات طويلة من هذا التاريخ، وكان ما يزال بعد طعلاً، قد أعلن عن حبه لأمارانتا، في العشرة التي كانت لا ترقى في أدب سوى عشق بيترو كريسي الذي كان يسيطر على كل أحلامها. وقد ضحكك منه آنذاك، ولكنه ظل ينتظر، وقد أرسل لها جيريلدو ماركيز من سجنه، ذات يوم، رسالة يرجوها فيها أن تطرح له ذبنة مبادل من الكتان، تحمل الحروف الأولى من اسم أبيه، ويعد لها بالثكاليف مع الرسالة وبعد أسبوع واحد من ذلك، وادته أمارانتا في السجن، وأعطته المناديل المطرقة، وأرجمت له الدرهم التي أرسلها. وقد أمضيا، عدت، ساعات طويلة يترجعان ذكريات الماضي. وقال لها جيريلدو ماركيز عندما حُت بالانصراف :

— عندما أغادر السجن سوف أتزوج منك

وبتمت أمارانتا، ولم تكف من بعد هذا عن التفكير فيه، بينما كانت تعلم الأبطال الفداء ولكن تمثت بوانها تستطيع أن تعيش، مرة ثانية، ذلك العشق الطغولي الذي كانت تكنه لبيترو كريسي. وكانت، في أيام السبت، أيام زيارة السجناء، تمر بأهل جيريلدو ماركيز، كي نصحبهم إلى السجن. وقد عجت لها أورسولا، في أحد تلك الأيام، عندما وجدت أنها في المطبخ تنظر أن يخرج من السجن أفضل أقرانها ليسكون، ثم تصعها في منديل طرقة لهذه العاية.

فكانت لها :

— تزوجي منه. ليس من السهل أن تعمي رجلاً مثله

وتظاهرت أمارانتا بالاستياء، وأجابت :

— لست مضطرة للسعي وراء الرجال. ولما أخذ هذه الأقراص

جيرييلدو ماركير، لأنهم سوف يعدونه عاجلاً أو آجلاً، مما يبعث على الشفقة وإحزن.

قامت م فالتة دون تكثير كثير ولكن ذلك صادم العثرة التي أعت فيها الحكومة تهديدها بإعدام العقيد جيرييلدو ماركير، ما لم تتحل قوات الشوار من مدينة ريو هاتشا وعندها منعت عنه الزيارة وقد حبست أمارانت نفسها في غرفتها، كي تحرق في البكاء، يرهقها شعور بالدم شبه بذلك الذي عدها بعد موت ريميروس، كما لو كانت الكلمات التي قالتها عمواً تسبب للمرة الثانية موت إنسان وقد طبت أمها خاطرها، وطمأنتها إلى أن أحباها العقيد أوريليانو بويديا سوف يفعل شيئاً ما يمنع إعدامه. ووعدها بأن تقوم هي نفسها بجلبات جيرييلدو ماركير بعد أن تنتهي الحرب وقد وعدت وعدها قبل الموعد، منتظر

وذا عاد جيرييلدو ماركير إلى البيت، بعد أن عيّن قائداً مدياً وعسكرياً، استقبلته كواحد من أبنائه. ولم تصر عليه بأحسن المديح عنها غمك به. وكثيراً ما صحت بعزاة لعمه يذكر مشروع رواجه من أمارانتا ويبدو أن صلواتها قد أثمرت. فقد حمل العقيد جيرييلدو ماركير، كلم جاء للعشاء في البيت، ينتظر بعد الظهر في الشرفة داب أزهار البيجونيا كي يعجب مع أمارانتا جولات وجولات من الدمامة. وكانت أورسولا تجلب لهما الشاي والخبيب والبسكوت، ونعتي بالأطفال خشيّة أن يزعجهما. وجهذب أورسولا كي تشغل في قلب أمارانتا، من جديد، رسالة عواطفها الطموحية المسية. وراحت أمارانتا تنتظر، بضيق صدر، لأيام التي كان يأتي فيها إلى البيت لتناول العشاء وبعد الدمامة بعد الظهر. وترقب السويحات العنصرية التي كانت تقصصها بصحبة ذلك الحارب، الذي كان في اسمه حين، وفي أصابعه رجفة خفيفة ترافق منه حجارة الطاوقة ولكنها في اليوم الذي صرح لها

العقيد جيرييلدو ماركير فيه برغبته في الرواح منها، رفضته ثلاثة - س أنزوح من أحده وصلك أنت بصورة حاضمة قالت نجح أوريليانو إلى المرحلة التي تدعك للرواح سي، لأنك لا تستطيع الرواح منه كان العقيد جيرييلدو ماركير رجلاً صبوراً، فقال لها - سوف نجيب من إصراراً وسوف أتبعك إن عاجلاً أو آجلاً

رواظب على الضي إلى البيت أما هي فكانت تسبح نفسها، فتعكف على ذاتها تجتر دموعها، وتندأ أديها كي لا تسمع صوت ذلك الرجل الصامح إلى الرواح منها، وهو يروي لأورسولا أحوال الحرب، على الرغم من أنها كانت تنهب شوقاً لرؤيته وقد استطاعت أن ترغم نفسها، فلم تخرج قط للعشاء.

كان العقيد أوريليانو بويدي قد بدأ يجد من وقته ما يمكنه من إرسال تقرير مفصل إلى ماكوندو مرة كل أسبوعين. ولكنه لم يكتب لأورسولا سوى مرة واحدة بعد ثمانية شهور من معاداة البسدة وقد حمل كتابه إليها رسول خاص، وصل البيت ومعه معلق محترم يحتوي على ورقة تحمل خط العقيد الجليل. وجاء في الرسالة:

- اعتزوا جيلاً بأبي لأنه سوف يموت.

فلحزت أورسولا، ولكنها قالت

- ما دم أوريليانو هو المقاتل فهو يعرف ما يقول

ثم طبت من الآخرين مساعدتها على نقل خوريه لوكاديو بويديا إلى عرفة بومه. كان وره أنقل من دي هين فقد اكتسب، خلال بقاءه الطويل تحت شجرة الكستناء القدرة على أن يزيد وزنه حسب مشيئته، حتى إن سبعة من الرجال لم يستطيعوا حمله، فحجروه إلى سرير جراً وامتلا هو العرفة برائحة فطر طرية، وأزهار أشجار بركة طعبلية، ناشئة

عن تنفس ذلك المحصور العملاق الذي صهرته الشمس والمطر وطوره
تعاقد آخر والبرد

في صباح اليوم التالي لم يكن الرجل في سريره ولم يشعر عليه في
أي من عرف البيت. فقد عاد إلى شجرة الكستناء. ولم يكن خوره
أركاديو بوسيد في حال يقاوم معه، ولو أن موته ما زالت على ما كانت
غيبه دائماً. رسم شعر بأي فرق بين ما كان فيه وما يقوده إليه فلم يرجع
إلى شجرة الكستناء لأنه أراد ذلك، ولكن بفعل ما تقوده عليه جسمه
وكان أورسولا معي به، فتأنيب بالظنم، وروي به أخبار أوريليانو

والتوقع أن الشخص الوحيد الذي كان يستطيع أن يقيم معه علاقة ما
ومن عهد معه، هو بروديسو أحويلار، فقد كان بروديسو أحويلار
ولم يكن لأحد من أحواله إلى تواضع، يجيش مرتبة كل يوم بشرته معه
وكان يجادل عن دبكة القتال، وبواعده عن أن يعهد بركة حيوانات
جنيه. حين من أحل لا تمتدح بالنصر، ثم يعود بحاجة إليه. بل من
أجل أن يحتفظ به سرير به عن نفسيهما إزاء الضجر الذي تجده بهما
أيام أحاد الموت. وكان بروديسو أحويلار هو الذي يعمل له جسمه،
وهو الذي يطعمه، وهو الذي يروي له لأحجار الرائعه عن شخص
مجهول يدعى أوريليانو الذي كان عقيداً في الحرب.

كان حورية أركاديو بوسيد، عندما يكون وحيداً، يسي معه ناد
يحلم يعرف تشالي حتى اللابيهية كان يحلم بأنه يهض من سريره،
فيصبح الباب ليدخل غره مشابهة تماماً فيها السرير ذو الطرف خديدي
والى حانة مقعده الهزاز، وعلى حدار العرفة الخشبي صورة صغيرة
للعمدة سيدة المجدد. ومن تحت العرفة ينتقل إلى غره أخرى مشابهة
تماماً كأنها العرفة لأوس دينا، ويؤدي باب العرفة الثانية إلى غره أخرى

مشابهة، وأخرى، وهكذا حتى اللابيهية. فقد كان يحب التنقل من
حجرة إلى أخرى. كأنه في رواق نصيب على جانبه مريد مسورة
ويظل على نيت الخيال حتى يصل بروديسو أحويلار، فيلمس كشفه
وعندها يعود من حجرة إلى حجرة، متأثراً بحط عكسي، عتداً على
أثره، ويستقط شيئاً مشبهاً بقلوب ما يرجع إلى الوداء حتى يجد أمامه
بروديسو أحويلار في غره حقيقته. ولكنه دلت بيته، وبالسعيد بعد
أسوعين من ضله إلى السرير في غرفة بومع، لم بروديسو أحويلار
كعبه، في غره موسطة، فبقي فيها إلى الأبد، وهو يرض أنها غرفة
خفية

وفي صباح اليوم التالي، مات أورسولا، وهي تحمل به ضعف الظروف،
رحلاً يقرب من البحر. كان نصيراً صمغ الجبه، يرمدى به من لمارش
أسود، ريس بقعة كبيرة ذات لون أسود أيضاً، وقد أنزلها فوق عيه
بعكرت أورسولا في نفسها وهمت :
- يا إلهي، أكاد أقسم أنه منكادس

ولكنه كان كاثولاً، أمم فيزيقا سيون الذي رحل عن البيت فارت من
طاعون الأرق، وانتظمت أخباره منذ ذلك الرمس فالتة ببرت سيون
عن سبب عودته، فأحبها قللاً .
- جئت كي أحضر دمي الملك

دخل الجميع إلى غره حورية أركاديو بوسيد، وهروء بكل لواهم،
وصاحوا في أذنه، ووضعوا امرأة أمام محبره، لما استظهروا أن يوظفوه
ويعد فين، وعندما حضر البحر كي يأخذ القلمس يصع المش راو،
عمر السافد، رداداً من لأرها الصعيبره الصغرء كانت، لأزهر نهجي
حوال الليل، في وابل خفيف عن البلدة الساجية، حتى طمت السحوح

والسحرة، وتراكمت عند أسفل الأبواب، وحصت الحيوانات النائمة في
العره. وقد تساقط من السماء من الأزهار ما كان كافياً لكي يعطي في
الصباح شوارع البلدة ببساطه سميك، فاضطر الناس بحرف الأزهار
بمبارف، لكي يتمكن موكب الجنازة من المرور.

(٨)

كانت أميراننا تجلس في مقعدهما المشحرك، وقد وضعت في حضنها
قطعة قماش التطير التي هجرتها منذ زمن، وأحدثت ثوب حوريه
لوريبيانو، يدقته المغطاة برعوة الصابون، وقد أمسك بالوسى يشحدها
على سبر الحديد كي يخلق ذفه للمرة الأولى. وقد أسال الدم من شور
وحفه الصغيرة، من حب الشباب، وجرح شفه العليا، وهو يحاول
تنظيم شديده بإزالة بعض الرغبة الأشقر من حولهما. ولما انتهى من ذلك
لم يطرأ على وجهه تغير يذكر. ولكن هذا العمل، وعادته فيه من جهد
ولد لدى أميراننا شعوراً بأنها قد بدأت تشيح. فقالت له

- تلك تشبه أوريليانو عندما كان في سنك. فقد صرت الآن رجلاً.

والحق أنه صار رجلاً منذ عهد بعيد، منذ ذلك اليوم القصي الذي
ظلت فيه أميراننا أنه كان ما يزال طفلاً، تنعرت أمامه في الحمام على
عندتها، وكما كانت تعمل منذ سمعتها إياه أمه ييلار تبريرا فتعهدت
تربيته، وكان الشيء الوحيد الذي أثار تنبأه، للمرة الأولى التي رآها
فيها عارية، هو انحناء ما بين يديها. وكان يريثاً إلى الحد الذي جعله
يسألها عما أصابها. فأحاطته أميراننا، وهي تتظاهر بأنها تحك صدرها
برؤوس أصابعها.

- لقد أحدثوا في جروحاً هائلة.

وبعد ذلك بحين، وبعد أن برقت عمارتي السحار بشترو كريسي،
وعادت إلى لاهستان مع أوريليانو خوريه من جديد، لم يعد هذا ليهم
بدلث لأشخاص من يهديها، ولكنه كان يحس بشعريره عريه عندما
كان يرى يهديها الرافعين وحسبها اليتمسجيتين ولكنه ظل يتحصنها،
ويكتشف الاتحاد بعد الآخر من تعرجات جسدها المدهش وثباته، وهو
يحس أن جسده يشعر لدى هذا التأمل، كما يقشعر جسدها أول ما
يلاصق به. وقد تعود منذ طفولته المبكرة أن يغادر أرجوحته ليجد نفسه
في الصباح في سرير أماراتا، لأن ممس جسدها كان بعد عنه الخوف
من الظلام. ولكنه منذ اليوم الذي رأى فيه على عريه ذاته، لم يعد
الخوف من الظلام هو الذي يدفعه إلى سرير أماراتا وحت الكله التي مرد
عنه البعوض. بل كان يدفعه إلى ذلك شمس نفسه الطربي عند طنوع
الشمس.

وذلك صباح من الفترة التي ردت فيها عرص العبد جيرييلدو
ماركيز، استعاق أوريليانو خوريه وهو يحس بضيق في التنفس وشعر
بأصابع أماراتا، كأنها حشرات صغيرة داغة ومضة، تعبر منطقة معدته
وينظمه فغير وضع نومه، وهو يتظاهر باليوم، كي يسهل حركة يده
في ذلك أماراتا، بلا صعاده الأسود، بقرفة وتعوض، كسلكه نحار
عمياء، بين شعيرات عاتية حيث يكمن منقه وانتظاره. وبعد ذلك الليلة،
وعلى الرغم من مظهرهما بأنهما يجهلان ما بعدم كل منهما وما يعرف
كلاهما أن الآخر يعدمه. ظالا سجينين في كتمان لا تنضم عره

كان أوريليانو خوريه لا يستطيع النوم إلا حين يسمع الساعة في غرفه
الخموس تعرفه الموسيقى مسعفه الليل، ولا يعرف مثل العذراء
الضاحجة، التي كان جسدها قد بدا يسرع ويدبل حرقاً، لحظة راحة، إلا
إذ أحست بالناثر في نومه، ذلك الذي رعته وروته، يندس في سريره

تحت كلنها. وما كانت تدري أن يوماً سيأتي فيصبح هو الدوء المسكن
لوحدها. ومذند لم يكتف عن اليوم معاً عاريين يبدلان عداً لا يروى،
بل أخذ يلاحق أحدهما الآخر في كل أنحاء الدار وروها النسب، فيعتقل
عليهما أبواب العرف، وهما في حالة هيجان دائمة وكدوب تفحيف
أوروسولا. ذات عصر، حين دخلت مسنوخ الخوض، بينما كان يبدلان
القل، فسألت أوريليانو خوريه بيرة:

هل تحب عمك كثيراً؟

وأجابها موافقاً، وأضافت هي قائلة:

هذا أمر جيد

ثم نابت كل الضحين اللزام لصنع الخبر، وعادت إلى المطبخ وقد
أثرت تلك حادثة في أماراتا، فأخرجتها من دواستها، هنذا اكتشفت
أنها قد تمادت، وأن الرمس الذي كانت تعتد فيه بالتسل مع ضمن مد ولى
وانمضى، وأنها لم كانت تزيق في هوى حريقي حفير لا مستعمل له
هو صعب جداً سبث العلاه مره واحدة. وصحا أوريليانو خوريه أيضاً
على واقع ما كان فيه، وكان على وشك لائته من مدرسه العسكري،
فجس يام في التكنه. وكان يرافق العسكريين كل يوم سبت إلى مخزن
كاتارمو، حيث كان يعري نفسه ويسري عنه، في وحده الخامس
ويلوغة المبكر، مساء لهم رائحة الأهرار المسنة، مسحين لهم في الظلام
صوراً مثالية رائعة يتمحصر فيها شخصية أماراتا، ولقد كان يسرف في
هذا ويكد تحاله

وبعد فترة قصيرة، من هذا التاريخ بدأت توارده عن الحرب أسماء
متناقضة. فهي الحين الذي كانت معروف فيه الحكومة بتقدم الثورة، عقم
الصباط، عن حريق بعض التقدير السرية، عن حرب مجاح معاوضات
الصحيح. وفي أوائل سبب (أبريل)، وصل رسول خاص إلى العقيد

جيريلدو ماركيز، فأكّد له أن رعماء الحرب قد اتصلوا بعادة الثورة في الساحل، وأنهم باتوا على أهبة توقيح الهدنة لقاء ثلاثة مقاعد وزارية تعطى للأحرار، وتنبئ بسبي يشكلون فيه الأقلية، وتمحوذ العفو العام عن الثوار جميعاً شرط أن يلقوا السلاح. وكان الرسول يحمل كتاباً في غيبه السرية من العقيد أوريباندو بونديا الذي كان يرفض شروط الهدنة وقد طلب من العقيد جيريلدو ماركيز أن يحثار نفسه من أفضل رجاله وأخصصهم، ويستعد ليخافو بهم البلاد.

وبعد عدد الأمر في متهى الحكام. ففس اسرع من إعلان الاتفاق، ووسط عاصفة من الشائعات المتناقضة، وصل إلى مأكويديو سراً، وبعد منتصف الليل، العقد أوريباندو بونديا، مع عشرة من ضباطه افونزيو، بينهم العقيد روكه كارسسرو فسرّحوا الخامية، ودمرو السلاح في الأرض، وأحرقوا الملعات وأوراق المحفوظات. ثم عادرو اللدة عند العجر، ومعهم العقيد جيريلدو ماركيز وحصة من ضباطه. وقد تعدت العملية سراً وبسرعة، حتى إن أورسولا لم تعلم عنها شيئاً إلا في الدقيقة الأخيرة، عندئذ طرق رجل نافذة غرفة نومها طرقات جعيفة، وهمس قائلاً:

- إذ كتب تونديس رؤية العقيد أوريباندو بونديا، فخرجي الآن إلى الباب، والقي عليه نظرة

فقشرت أورسولا من سريرها، وصارعت إلى عتبة البيت، وهي بعد في منتصف النوم، فما استطاعت إلا بصعوبة رؤية جماعة من الخيالة، وهي تعادر اللدة خجلاً، تظنها سحابة غبار صامتة. وبم نذر، لا في صباح الغد أن أوريباندو خوزيه قد رحل مع أبيه.

وبعد عشرة أيام من صدور الناس لشتراك باسم الحكومة والمعارضة، وصلت الأنباء الأولى عن العصاة مسلحة يقودها العقيد أوريباندو بونديا

على الحدود العرية. ولكن موته القليلة العدد والسيئة السليح لم تصمد أكثر من أسبوع. وعلى الرغم من ذلك، استطاع العقيد أوريباندو بونديا، خلال بضعة السه نفسها، أن يشمل الثورة في سبعة مواقع جديدة، بينما كان الأحرار واضططون يحاولون ممّا إضاع البلاد بالاتفاق والمصالحة. وحدث نبلة أطلقت مدافعه النار على ريوهاث من مركب صمير، فخرج جنود الخامية من أسرهم فرحين وأخذمو انتقاماً أربعة عشر من وجوه الأحرار في المدينة. وقد احتل مركز جمارك على الحدود، لمدة خمسة عشر يوماً، وقد أذاع من للأمة بناء دعلاها فيه إلى الحرب الشاملة. وقد استمرت إحدى حملاته عبر الأدغال شهوراً طويلاً، في محاولة جوية تقطع مسانه تريد على ألب ميل من أرض علواء بم تطلها قدم من قبل، مستهدفاً إعلان الثورة في ضواحي العاصمة. وفي إحدى المرات وجد نفسه على بعد خمسة عشر ميلاً من مأكويديو، ولكن الدوريات الحكومية أجبرته على التقهقر إلى الخيال الغربية من المنطقة المسحوقة التي وجد فيها أبوه، عند عهد بعد، درهاً إسياتياً متحجراً

في تلك الفترة، ملئت جبرينا سيون، وكان موتها طبيعياً. وهي التي عانت عوشاً خوفاً من مرض الأرق. وكان آخر ما أوصت به أن يعيش من الأرض تحت سريرها ما أذخرته من أجرها ما يريد على عشرين سنة، كي يرسل إلى العقيد أوريباندو بونديا لعمه يستطيع الاستمرار في الحرب. ولكن أورسولا لم تكلّف نفسها عناء بش الأرض لاسبحراح المال، لأن الأشياء التي وصلت كانت ترغم أن العقيد أوريباندو بونديا قد قتل عندما نزل بعاصمة الإقليم.

وكان مصدر الخبر الإعلان الرسمي - وهو ربيع إعلان من نوعه خلال الستين الأخيرين - ولكن الناس صدقوه هذه المرة على مدى ستة أشهر، لأن أحداً لم يسمع عنه شيئاً خلال تلك الفترة. وبعد أن ارتدت أورسولا

وأمرنا ثبات الخلد - كما كانتا نعلنان في كل مرة يصلهما نبأ موته -
سمعا فجأة خبراً جديداً. فقد كان العقيد أوريليانو بونيفيا حياً ولكن
يبدو أنه قد كُفَّ عن إزعاج منظمات بلاده وتحالف مع الفيدراليين
المتصربين في جمهوريات أخرى من بلاد البحر الكاريبي وكان يظهر
بأسماء مختلفة كلف شطبه المزارع عن أرض وطنه وانصحت أجيال
العنوة التي كان يعيش لها، وهي يوحد القوى فيميراليه في أميركا
الوسطى، وروال، لأنظمة المنظمة من ألاسكا إلى باتاغونيا. وكان أول ما
وصل منه مباشرة إلى أنه أورسولا، بعد عدة سنوات من معدنية البند،
رساله دابة سمعته وشبهه بهترته، قد أصبح بعض حروقه، بسك
انتقالها من يد ليد، ابتداء من سائتيه في كونا

وقد صاحبت أورسولا لدى قرأه الرسالة

- لقد فقدته إلى الأبد - ورد تابع ما هو فيه سوف يقضي عبد ملاد
بعيداً في أقصى أطراف لأرض. وكان محدثه يدي ذكرت له فوبه
ذلك، هو أرك من أطبع على الرسالة وهو القائد انعام (النواء) المحافظ
حوريه واكيل مونكاد، المحافظ لديه ما كودو هذ بهايه الحرب. وقد على
على الرسالة بقوله

- من المؤسف ألا يكون هذا الأوريليانو من المحافظين. ولقد كان معصاً
به فعلاً. وكان البراد حوريه ركيل مونكادا من أوتك لمسيرين محافظين
يدين حصص الحرب دعماً عن حربهم. وقد مرر إلى ربه لو، في
ساحة المعركة، مع أنه لم يكن يميل إطلاقاً لسيده العسكريه. ولكنه كان،
على العكس من ذلك، ككثير من رفاقه في الحرب، صمد الروح
العسكرية. كان يعد العسكريين بلا نفع ولا يمان ولا شريعة. فهم في
نظرة مازورون طموحون، وليس شأنهم سوى معانده المديين كي يثروا
الموضي. وكان دكاً ونطياً، أشقر الوجه ملاً للحمرة، ود مراج يحب

الأكل الطيب، ومن أشد الناس حماسة لعالم الديكة. وقد كان في وقت
من الأوقات من أشد حصوم العقيد أوريليانو بريدبا. وقد منح في فرض
سبعتره وسقطه على العسكريين المتطرفين في قطاع واسع على الساحل
وفي يوم من أيام القتال، وقد اضطره ضرورات الحرب الاستراتيجية
للسحلي عن أحد مواقعه معوات العقيد أوريليانو بونيفيا، تركه
رسائير. كانت لأولى طوبه دعاء فيها للمعاون معه في قيادة حملة
عائيه حمل للمعار، وأخبر أكثر بسببة. أما الرسالة الثانية فكانت
موجهة إلى روحه، التي كانت تعيش في منطقة تحت سيطرة، لأحرار
وقد تركها بعد أن خط عليها رجاء بلصالحها إليها

وسندد. وفي أحلك فترات القتال ضرووه، حري العائدان على اتفاق
يظمان به همدات يتم فيها تبادل الأسرى. وكان جو من الاحتمال يسيطر
على تلك العتراء، فيصد توقف القتال، ويستعنه الدوء مونكادا في
تعلم العقيد أوريليانو بونيفيا لغة الشطرنج. وقد نشأت بينهما علاقة
طيبة جعلت منهما صديقين حميمين. وقد توصلوا إلى التفكير بإمكان
جمع العناصر الشعبية في كلا الحزبين، كي يحصلوا من هيمنة
العسكريين ومحرمي انبساطه، ويعيد نظاماً إنسانياً يستعيد من أفضل ما
في مبادئ الآخرين.

وحينما انتهت الحرب، توارى العقيد أوريليانو بونيفيا عن الأنظار،
في شعاب الأدغال. معاصاً خط الثورة الدائمة الصيغة الإطوار، بينما عي
النوء مونكاد، حاكماً لبلدة ماكوسو عارندى البره المديية، وعين رجال
شرطه بلا سلاح يحمو محل العسكريين، واحترم قوانين المعو العام،
لمساعد عائلات، الأحرار الذين قصوا في الحرب. وحصل على مرسوم
حكومي يجعل ماكريدو بلدي، فكان أول محافظ لها، وأندع فيها جواً
من الثقة، حتى إن أحداً لم يعد يذكر للحرب أو يكر فيها إلا بصفتها

كابوساً من حيث الماضي

وعين الأب كوروبين (نسقت بالشمس) مكان الأب بيكانور الذي أنهكته حمى الكبد وهو رائد محضرم من رواد الحرب العيرالية الأولى

ونرج برابو كريسبي من ألبارو موسكوت، وبردهر أكثر وأكثر محبره للألعاب والآلات الموسيقية ثم من مسرحاً وضعته العرق الانسانية ضمن برامح جراتها وقد كان واسعاً أقيم في الهواء الطلق، ووضعت فيه مقاعد من خشب لها مساند، وجعلت له ستارة من الخشب تزيها أنفة يونانية، وأنشبت على مداحجه ثلاث نوافذ ملوك على شكل دلويس الأسود شاع التذكير في أشغالها المعتوحة

وفي تلك الفترة أيضاً رعت ألبية مدرسية، وتولى إدارة المدرسة لبلون مسكور إسكالوبا، وهو معلم عجوز جاء من منطقة الماريجو (المتنوعات) وكان يعاقب الطلاب بجعلهم يسرون على ركبهم في باحة المدرسة الملأ بالقرمل، ويعطهم الشرائير منهم القليل الآخر. وكان كل ذلك يتم يومه أولياء الأمور وكان أول من جنس في قاعة الصف توأم سدا صوميا (التقية) (١) أوريانو الثاني، وحرره أركاديو الثاني، ومعهما لوحدهما الخجزيان وقبضاهما الخجزيان، وإبقاهما المصنوعان من الألومنيوم وقد نقش عليهما اسماعيل.

وبدأت ريميدوس، ورثة جمال أمها التي الباهرة تعرف باسم ريميدوس الحمية

وكانت أورشولا تقاوم العجز والشيخوخة، على الرغم من الأحرار القتالية، وأرتماء ثياب الحداد المرة ثلو الأخرى. فعادت إلى تجارة الحلال، بمساعدة ملقنا صوب (القديسة التقية)، فاستعادت، خلال

(١) روجه أركاديو، الذي طعى في عذاب أوريانو بريندو

سوات فليقة، الشوه التي سدها ابنها في الحرب، وراذت عليها بأن ملأت القروعات المظورة في الأرض في عرفتتها، من جديد، شعباً حالماً وكانت تقول دائماً

- لن ينقص المال من بيت الجائين هدا مهما مدّ الله في عمري

تلك كانت الأحوال عندما هجر أوريانو حوربه (١) القنات العيرالية، وانضم إلى الصحابة في مركب تجارة لباني، ثم ظهر فجأة في مطبخ البيت، قوياً كاحصان، أسمر صبر الشعر طوبه كالهندي. وقد قور في سره أن يتزوج من أماراتا.

وعندما رآته أمارات داخلًا، أدركت نثرها سبب رجوعه دون أن يقول شيئاً. وكان أحدها لا يجزى على النظر إلى الآخر، إذ جاء إلى مائدة الطعام وبعد أسبوعين من تاربع وجوعه، ويعضور جدته أورشولا، حتى في عبي أماراتا، وقله بها

- كنت دائم التفكير فيك

ونجس أماراتا النظر إليه، وكانت تقر منه وتغادي أحمال أي لقاء طارئ به وحدها فتصعدت ألا تبعد عن ريميدوس الحمية وسألها ابن أحبها، ذات يوم، إلى متى ستظل تربط يدها بالضماد الأسود فتصعدت من سؤاله أنه يدمج إلى مكارتها، وقاربه الحمرة التي صرحت وجنيها. ومد وصوبه إلى البيت فأبت على أن تغفل باب عرفتتها بدلاً بالبرلاج، وانقضت ليال كثيرة وهي تسمع غطيطة الهادي في الغرفة المجاورة، حتى أتلفت من حذرهما وعن احتياطاتها وفي صباح أحد الأيام، وكان قد انقضى شهران على إيدبه، أحست به يدخل عرفتتها وبدلاً من أن تهر منه، وبدلاً من أن تصيح كما عرمت أن تفعل، أسلمت نفسها لإحساس دهم بالراحة وشعرت به يدخل تحت كتفها، ويرلق

(١) ابن العميد أوريانو الذي ربه أماراتا.

في سريره، كما كان يفعل عندما كان طفلاً ولم يستطع أن تدفع عنها
الفرق السرد الذي ينل جسمها، ولا صطكانك اسنابها عندما وأنه عارياً
قدماً. فتست قاتلة له :

- أخرج من هنا.

فأنت ذلك وهي خائفة من أن تعرف إلى النهاية التي تختص منها
قرعاً. وأحدث القول :

- أخرج، ولا فأسرخ

ولكن أوريليانو خوريه كان يعرف جيداً ما الذي يعني عليه أن يفعله
فهو لم يعد الطفل الذي يحاف العظام صدر كأنه وحش أفنت من فمض
كان فيه مأسوراً واستدفع، منذ تلك الليلة، لمعارك الصمصة الصماء
الطائشة التي كانت تمتد حتى الصباح، وكانت أمارات نعمتهم وهي
مجهدة

- أنا همتك. - فكأنني أنت. لا من حيث حسن وحسب، ولكن
لأشي ريتك أبهاً.

كان أوريليانو خوريه يعدده نازاً مع الفجر، يعود إلى البيت في
صباح اليوم التالي، ويردد هياحه عذف يلاحظ أنها تم تقفل الباب
بالمزلاج

لم يسبق أن قرب رعبه إليها لحظة واحدة فكان يراه في الغرف
المظلمة في القرى المعنوية الزاخرة تحت الأحلال، ولا سمح العرف
الرؤية، ويتصور وجودها في راحة الدم محمد على ضمانات الجرحى،
وفي الخوف الخيم من خطر الموت في كل ساعة وفي كل مكان. فقد
هرب منها، وحاول جاهداً أن يحذر ذكرها، لا في الابتعاد عنها
وحسب، ولكن بضروب الشجاعة الباسية المتوحشة أحياناً، التي كان
يلدنها في الحرب، والتي كان رفاهه في السلاح يسمونها تهوواً ولكنه

كان كلما طوى صورتها وحزن والده في مرحلة الحرب، كان الحرب
تصبح شبيهة به، راساً فقد احتمل العذ والمهي، وهو يبحث عن فرصة
تقتل فيها صورتها بموته هو. حتى حد اليوم الذي سمع فيه قصة قديمة
عن رجل تزوج عمته وكانت، إضافة إلى ذلك، ابنة عمه، وحلفت
ولداً فرد هو حدة

وقد تساهل بسهولة :

- هل يمكن للمرء أن يتزوج عمته؟

فأجاب أحد الحود قائلاً

- بل يستطيع ذلك وأكثر، فنحن إنما نخوض هذه حرب ضد الكهنة
ورجال الدين، حتى يستطيع الإنسان أن يزوج من أمه نفسها

وبعد أسبوعين من ذلك، فر أوريليانو خوريه من الجيش لوحده
أمازنا وقد ازدادت دبولاً بعد كانت في ذاكرته. وقد ازدادت كآبة وحرناً
وتجلاً وقد كانت فعلاً تطوي أحر أشعة بضجيجها، ولكنها في ظلام
عرفتها كانت أشد لتهاباً عما كانت عليه قط، وأكثر إثارة وتحدياً عما كانت عليه
قط في شراسة مقاومتها فكانت تقول له، وقد هم بها بهصرها بسعادة وشيقة
الباري غير المحدود

- أنت وحش فأنت لا تستطيع مع ذلك مع عمة مكينة حاتم
عصل عن موافقه وعمو حاصر من البابا

وكان أوريليانو خوريه يملأها بأن يلعب إلى روما كان يعدده بأن
يقطع أوروبا زحماً على ركسيه، وأن يقبل خوف الحير الأعظم، لعلها
تسمح له بأن يطلها.

وكانت أماراتنا غيب :

- ليس الأمر هكذا وحسب مسيولد الأطفال بهذه الطريقة ولهم

ونكر أورييانو حورية كان يصم أذنه عن كل تلك الحجاج وينوسل إليها قاتلاً

- لا يهمني حتى ولو ولدوا كالفافد

وفي صباح أحد الأيام، ذهب إلى محرن كان يريه وقد تهرته الأيام ابنة عن كت محتوت التي كانت لا تطاق وهاك وجد امرأة وحوه السنين، لعبوا رحيصة، استطاعت أن تهدي ثورة جسده حتى حين

وحاول بعدها أن يعاين أمارات بازدره فكان يراها في الشرفة تعمل بألة حياطة ذات يد، تعلمت استعمالها بمهارة فائقة، فلا يادرها بكلمة واحدة وأحسنت أمارات بأنها قد تحررت من عبء نصير وسم تدرك كيف بدأت تفكر من جديد بالعميد جيويديو هركير ولم تدرك كيف بدأت تدرك، بحين شديد، أصابها الأيام التي كانت غصبتها معه في لعب الدامة وكيف صارت تشبهه شريكاً في مخلصها

وفي إحدى الليالي، لم يعد أورييانو خوزيه يطيق هرية الانصراف عن أمارات ولامباله في انحناس معها، فعد إلى غرفتها فودنه رقصه إياه بصورة لا مرونة فيها، وبشكل حارم لا يعبل التأويل والخطأ ثم أقفلت باب غرفتها بالترالج نهائياً وإلى الأبد

بعد بضعة أشهر من صودة أورييانو حورية، وصلت إلى البيت امرأة صاخبة الحركة كثيرة الهجة أعدت على نفسها بعباً من عطر الياسمين وكان مصحبتها طعن يبلغ من العمر خمس سنين وقد أفادت أنه ابن العميد أورييليو بوسيدا، وأنها جاءت به إلى حداثه أوزسولا كي تممده ولم يشك أحد سب الطعن الذي كان م برال بلا اسم. فقد كان تام الشبه بلامح العميد أورييانو في العهد الذي اصطفيه فيه أبوه لشاهدة الجليد وحدثهم امرأة كيف ولد الطفل وعينه مفتوحتان،

وكيف كان ينظر في وجوه الناس بعرات وجل راشد كأنه يتمحصهم، وأنها خافت من طريقة تحديقها في الأشياء دون أن يطرف له حصن وقد علقت أوزسولا قلالة

- إنه مثله تماماً ولا ينقصه سوى شيء واحد، وهو أن يجعل الكراسي تهتز وتتحرك بمجرد النظر إليها

وقد عمده باسم أورييانو وكية أمه، لأن القانون لم يكن يسمح بأن يحمل الطفل كية أبيه ما لم يعترف به أب عرابه فكان اللواء مونكادا وقد ألحت أماراتنا على الأم أن تتركه لها كي تربيته وتعتني به، ولكنها رفضت ذلك

وكانت أوزسولا تجهز، في ذلك الوقت، عادة إرسال البسات العذاري إلى عرف يوم المحربين كما ترسل الدحاجات إلى الديكة الأصفى ولكنها وجدت في ذلك العام مشعاً من الوثث تتعرف فيه على ذلك التقيد فقد وصل إليها في البيت تسعة أخروب من أبه العميد أورييانو بوسيدا، من أجل التعميد وكان أكرهم سناً، وقد تجاوز العاشرة من عمره، غريب الشكل أسمر البشرة، ذا عيين حضراوين، لا يشبه عرق الأب، إذ لم يكن فيه ما يشبهه وحيء بالأولاد من كل الأعمار والألوان. وكانوا جميعاً ذكوراً، يعلب عليهم طابع الوحدة، مما يدفع أي شك بسببه قرايتهم، وكان اثنان منهم يحتلان عن بقية إذ كان أحدهما يبدو أكبر من عمره بكثير وقد حطم آية الأزهار وعدداً من صحون الطعام، لأن لديه كانت تكسرات كل ما يقع تحتها وكان الآخر ذا عيين زرقاوين كهني أمه، وقد أرحى شعره الأجمع ليندلي على كعبيه كشعربت وقد دخل البيت وكأنه يالقه ويعرفه تماماً، بل كأنه قد ولد فيه وترى وشأ في أكنافه وانجيه مباشرة إلى الصندوق الكبير في غرفة أوزسولا، وحاطبها قائلاً

أريد الرافضة الأكية ذات التابض

فصمقت أورسولا، وفتحت الصندوق، وفتحت فيه بين الأشياء القديمة التي يعطيها النساء، والتي كانت ترقد هناك منذ عهد ملكيديمس وجدت الرافضة الأكية ذات السبعين مملوءة بزجاج من خوارب وهي اللعبة التي كان أحضرها إلى السيب ييسرو كريسي، ولكن الجميع قد سرأمرها

وفي أقل من اثني عشرة سنة صمد لأطفال جميعها، كل باسم أوريليانو وكية أمه، فشكرو بذلك مرقاً من الأبناء الذين رجعهم العقيد في ميادين الحرب، في طول البلاد وعرضها. وكان عددهم سبعة عشر طفلاً كانت أورسولا، في البدء، تملأ جيوبهم بالفراهم وكانت أمارتسا تحاول أن تستقيهم ولكن الأمر انتهى بهما إلى تقديم الهدايا بهن في لماسيات، وإلى أن تكبرا عراة لهن. وكانت أورسولا ما نعتاً تقول: - لقد قمنا بواجبنا بتعميدهم.

يبدأ تسجيل في سجل خاص اسم أم كل واحد عنهم وعوانها وتاريخ ولادة كل واحد منهم ومكان ولادته أيضاً، وتتابع في بعضه قائمة

- سوف يحتاج أوريليانو إلى سجلات بمعلومات دقيقة، لكي يستطيع اتحاد المقررات انساب، بشأن الأمور المختلفة. عندما يعود

وكانت تتحدث، ذات يوم، مع اللواء مونكاد، على مائدة النساء، حول موضوع هذا النسل العجيب، قاسرت برغبتها في أن ترى العقيد أوريليانو بولينا، وقد عاد ذات يوم بجمع شمل أبنائه كلهم في بيت واحد فأجابها اللواء بلهجة قديمة

- لا تفنكي أيتها الصديقة. سوف يعود بأسرع ما تظنين.

لقد كان اللواء مونكاد يعلم، دون أن يشاء (الإفصاح عن ذلك على مائدة النساء، أن العقيد أوريليانو بولينا كان على وشك أن يقود أطول

نورة، وأكثر الثورات التي قادها، حتى الآن، دعوية وجدية

وتوترت الأحوال، تماماً كما حدث في الأشهر التي سبقت الحرب الأولى. وتوسعت معارك الديكة التي كان يشرف عليها رئيس البلدية معه. وتسلم السلطة البلدية القريب أكوييس ويكاردو، فائد الحامية وقد اعتبره الأحرار مثيراً لمقتله وأسرت أورسولا لأوريليانو خوريه

- سوف يحدث شيء رهيب. فليكن أن تخرج من البيت إلى الطريق العام بعد الساعة السابعة مساء. ولم يشر رجاءه، فقد انقلب أوريليانو خوريه إلى ما كان عليه أركاديوس من قبل، وكأنه لا تربطه بها أية علاقة فكان عودته إلى البيت، وكان إمكان وجوده دون أن يهتم بضرورات الحياة اليومية، كان كل ذلك قد أيقظ فيه ميته إلى ذاته، والكسل والخصوم، تماماً كما كان أمره خوريه أركاديوس. وانطفا هو، لأمارتسا دون أن يترك في نفسه أثراً. فكان يدع عنه على هراها، ملا يأوي إلى البيت إلا لتفسير ثيابه، ويقضي وقته بالذهو والعش، ويحفظ عنه وحده بالهوى مع النساء العذراء. وكان يدأب على البحث والتمشيط في الحصى المسبة، حله يجد ما خبأته أورسولا من فراهم. فتقول المسكينة عندما تكشف نشأ من ذلك، نادية حظها

- إنهم جميعاً سوء. تربيتهم سهلة في البلدة، فهم مطيعون وجادون، لا يبدو على الواحد منهم أنه قادر على قتل دبابة. ولكن ما إن تظهر في دهرهم أولى الشمرات حتى يلغوا بأنفسهم إلى التهلكة

وكان أوريليانو خوريه يحتلف عن أركاديوس في أن، لأحبر لم يعرف أمه. أم هو بعد عرف أنه ابن بيلار تيريرا (١)، التي علقت له في بيتها لرجوحة، كي يقضي عندها وقت العيشة. فكانا أكثر من أم وبنتها كتابا شريكين في شعورهم بالوحدة. وكانت بيلار تيريرا قد فقدت كل أمل،

(١) هي أم الأبي.

فأسمت ضحكته انصاحبه بعمه أرض، ويهدى يهداه تحت وفاء ما
شهاده من عبث وتثنى بطيها، وارسى ردها، تنبجه لقدمها المختوم في
أن تكون امرأة داخرة ولكن قلبها كان يشيخ بلا مرارة كانت صبية،
وكانت غامة، وفيها الكثير من عرور مودة عاشقة وقد تحست عن
أوهامها العارعة في أرواق اللب، ووجدت هراءها ومواطى سلواها في
محبه الناس وكانت منيات الخوار، في الحى، يلتقي - تحت السقف
بدي يقبل عنته أورديانو خوربه - بعشائهن العبيرين وكان يسمعهن
أحياء يقن ليلار بساطة، بعد أن يكن قد دخلن العروة مدلاً

هل تعيرهنني غرفتك يا ييلار؟

وكانت ييلار تحجب بساطه أيضاً

طبعاً

وقد صادف أن كان ههنا أحد الخبيرين، تشريح له قائلة :

- يسعدني أن أعرف أن الآخرين يسعدون في سريري. ولم تقبل قط
نساء يهد، الخلفة، ولم ترفض قط تقديم لمن يريد، فمما كما لم ترفض
قط العدد الذي لا يحصى من الرجال الذين كانوا يريدونها هي لأمرتها،
حتى بعد أن بدأ تألقها بالأفون، دون أن يمحوها مالا أو حياً، ولكنهم
يمحوها البدة أحياناً وقد صاحت باتها الخمسة اللاتي ورثن عنها
بسرورها الخارة، وهن مراهقات، في شعاب الحياة الوعرة لها ألباه البدان
استطاعت تربيتها بعد قتل أحدهما في الحرب، وهو يقاتل في جيش
العقيد أورديانو بويديا، وجرح الآخر واعتقل، وهو في الرابعة عشرة من
عمره، بينما كان يحاوس سرقة زوية دواجن كبيرة في إحدى قرى
المريجو (منطقة المستنقعات).

وكان ابنها، أورديانو خوربه، شاباً طويلاً أسمر شبيهاً، على نحو ما،

بذلت الرجل الذي أنبأها عنه ملك الكبة (١) منذ نصف قرن وكان
ككل الكائنات التي يظهرها ورق النعب، قد وصل إلى شفاف قلبها
عندما شارفته دلائل الموت. ولقد مرأت كل ذلك في ورق اللعب.
فأقلت به

- لا تخرج الليلة ابني هنا ونم في غرفتك. فكارميتا مونتي لم تعد
تطبق العبر، وهي ما تمنا توسل إلي أن أدعها في غرفتك.

ولم يدرك أورديانو خوربه معنى رحلتها، ولا المشاعر التي كانت
تكن خلف هذا العرض، فأجاب :

- أخبرني أن تتظفني عند منتصف الليل.

ثم مضى إلى المسرح، حيث كانت فرقة إسبانية مثل مسرحية «محب
الشعب» التي لم تكن سوى مسرحية زوربا «حجر العود» ولكن
النقيب أكويليس ريكاردو أمر بتعير اسمها، لأن الأحرار كانوا يسمون
المناطين (العود) مسرحية. ولم ير أورديانو خوربه النقيب أكويليس
ريكاردو إلا ساعة كان يقدم تذكرته عند باب المسرح وكان مع النقيب
جديان مسلحان بسديتين يعتشان الجمهور. فأنذره أورديانو خوربه
قائلاً

- انتبه أيها النقيب، فم يولد بعد الرجل الذي يضع يده عليّ

وحاول النقيب أن يمتشقه بالقوة، ولكن أورديانو خوربه، الذي لم
يكن مسلحاً، قد راح يعدو ولم يطلع الجديان الأمر بإطلاق النار، وقال
أحدهما :

- إنه من آك بويديا

ونارت نائرة النقيب، الذي أحماه عصبه، فانتزع البندقية من يد

(١) آس الكبة في ورق اللب.

أخذي، ووقف في منتصف الشارع مصوباً سلاحه وهو يصيح بأعلى صوته

.. أيها الخبيث .. لكم كنت أرجو لو كنت العقيد أوريليانو بونديا

كانت كارمينيت موسيل، العشرة ذات العشرين ربيعاً، خارجة من الحمام، بعد أن استجمعت بماء زهر البرتقال، وبد بدأت تثر أوراق الزهور على سرير بيلار تيريزا، عندما دوت طلقة الرصاص، لقد كان مقلداً لأورسانو حوريه أن يعرف معها طعم السعادة، التي حرمتها زياره أمارس، وأن يكون له معها سبعة أطفال، وأن يموت بين ذراعيها شيخاً طاعاً في السن، ولكن الرصاصة التي اخترقت ظهره، فمترت صدره، قد سألها إليه بأويل حاضي، لورق النعب، أن النقب أكويليس ريكورد، الذي كان مقدراً له هو أن يموت في تلك الليلة، فقد مات فعلاً، قيل أن يموت أوريليانو حوريه بأربع ساعات، مما إن سمعت طلقة بسفته حتى هوى بطلقتين دوناً معاً، ولم يعرف أحد نط مصدومهما، ثم تلب ذلك صيحة جماعية هزت الليل

.. عاش حرب لأحرار! عاش العقيد أوريليانو بونديا .. ولما انتصف الليل، وبرف أوريليانو خوزيه دمه حتى الموت، كانت كارمينيت مونتييل ترى أن أوراق اللعب التي تير لها مستقبلها لا تظهر لها سوى فراغ وقد سرّ أسم اسرح أكثر من أربعمئة رجل، فأفرغوا مسدساتهم في جثة النقيب أكويليس ريكاردو المهجورة، وقد استخدم رجال الدورية عربة لنقل جثة التي ثقل وزنها بالرصاص، وتشفقت كرعيف غير مبسول

وأثر هياج الجيش النظامي ومعدائيه اللواء راكيل مونكدا، الذي ما كان منه إلا أن حشد تأثيره ومواقفه السياسية وارندى برته العسكرية من جديد، واستلم العيادتين المدنية والعسكرية في مأكوندو، ولو أنه لم يكن ينظر أن يكون موقفه التصالحى الحكيم قادراً على رد الأمر المحتوم. فقد

حلّ شهر أيلول (سبتمبر) مثقلاً بالأنباء المتنافسة، وصلت أخبار سرية لأحرار تعيد بحدوث انتصاضات مسحة في المناطق الداخلية، في الوقت الذي كانت الحكومة تعس فيه أنها قد أحكمت سيطرتها على البلاد كله .. ولم يكن النظام يُعترف بأن البلاد في حالة حرب، حتى اليوم الذي أهدس فيه عن إنشاء محكمة عسكرية حكمت على العقيد أوريليانو بونديا غيابياً بالإعدام. وأعطيت الأوامر بتعذيب الحكم فيه إلى أية حامية تلقى القبض عليه .. ول سمعت لأورسولا بالبأ، قالت بمواء مونكدا: سعيدة فرحة

.. هذا يعني أنه عاد.

ولكن اللواء مونكدا لم يكن يعرف شيئاً عن ذلك.

والواقع أن العقيد أوريليانو بونديا قد كان في المنطقة منذ أكثر من شهر .. وقد سبقه إشاعات متنافسة عن مكان وجوده .. مروى أنه في مكان ما من أراضي الشمال، وذكّرت أنباء أخرى أنه في أقصى الجنوب .. ولم يصدق اللواء مونكدا أيّاً من تلك الأنباء، حتى وصل خبر رسمي يعيد بأنه قد سيطر على مقاطعتين في الساحل .. فقال اللواء مونكدا لأورسولا، وهو يربح اليرقية :

.. تهاني، أينها العرابية، فسوف تربيه بعد قليل هنا.

فسأله أورسولا، وهي قلقة بعض الشيء :

.. وأنت، ماذا ستعمل أيها العراب؟

وكان اللواء مونكدا قد ألقى هذا السؤال على نفسه مرات ومرات، فأجابها قائلًا :

.. سأفعل ما يفعله هو، أيتها الصديقة .. سوف أقوم بواجبي.

في فجر اليوم الأول من تشرين الأول (أكتوبر)، هاجم العقيد

أوريليانو بويديا بلده ماكويديو بألمع رجل كاملي العتاد والسلاح وتلقت خدمة البلدة الأمر بالدفع حتى الهدية وعهد الظاهر من أحد الأيام، وييسما كان اللود مونكادا يتناول طعام العشاء عند أورسولا، دوت قبلة مدفع للثور في كل البدة، وحضمت واجهة دائرة مالية فيها، فتهدد اللود مونكادا قائلاً :

- إن سلاحهم يضاهي سلاحنا، ولكنهم فوق ذلك يحبون القتال أكثر

من

وفي الساعة الثانية من بعد الظهر، وييسما كانت الأرض تهتر تحت دابل القذائف التي تطلقها المدفع من هنا وهناك، ولعب اللود مونكادا مودعاً أورسولا وهو موقن أنه يحارب في معركة حاسمة. فقال لها

- أرجو الله ألا يأتي إليك أوريليانو اليوم في البيت أم لا، أثنى فعانيه وتبليته عني، لأنني لا أتوقع أن أراه بعد اليوم أبداً

وقد ألقى القبض على اللود مونكادا، وهو يحاول الفرار من ماكويديو، بعد أن كتب رسالة مطوكة للعقيد أوريليانو بويديا، يذكره فيها بمشاورته المشتركة لجعل الحرب أكثر إنسانية، ويرجو له أن يحرر العصور النهائي على فساد العسكريين المشهورين وفساد الساسة الآخرين المتعصين. وفي اليوم التالي، كان العقيد أوريليانو بويديا يتناول مع طعام العشاء على مائدة أورسولا، وقد ظل في البيت محبوباً حتى قرر مجلس الحرب الثوري معصيته. كان الاجتماع عائناً، ولكن أورسولا كانت تشعر، ييسما كان العدوان يستعيد دكريات الماضي، وقد تناسب الحرب وشروطها، لأن ابنها كان يبيع كالدخيل على البيت. والواقع أنها شعرت بددت مد رأته يدخل عليها بحماية قوة عسكرية صاخبة، فبنت كل ما في العرف من أثاث، رأساً على عقب، كي تطمئن من عدم وجود خطر على حياتها. وبم يكتب العقيد أوريليانو بويديا بذلك، بل

إته أصدر أوامره الصارمة، وعنهى الحرم والقسوة، بالأ يقترب أحد منه أكثر من ثلاثة أمتار، من في ذلك أمه، أورسولا نفسها، حتى يتهى حراسه من وضع حراسة حول المنزل كله. وكان يرتدي بزة حمل من القنب العادي، ولا يحمل أية ربة أو شدة عسكرية، ويتعل حصه عالي الساق، أسخ حنايه وجف عليه الوحل والدم. وكان يحسن في حزمه مسدساً آلياً في قراب مفتوح، ويده على أخمصه دائماً، مما يند على توتره الخقيم، واستعداده وهرمه الخلي في نظراته. ويستطيع بدق أن يرى الآن في هيئة رأسه ترجعاً في صدعية الخالين من الشعر، وكأنه شوي عني نار خفيفة. وقد اكتسب وجهه، بعد أن دبع ملح مظف الكاريب، فسوة بدون المعدن. وقد حصته ضد الشيوخوخة الوشيكة حيوية بائنة، موعاً منه، عن هدوه وبرودة في أعماقه. كان يبدو أطول مما كان عليه في اليوم الذي رحل فيه، وأشد شحوباً وأصغرأراً، وقد ثنأت بعض عظامه، فبدت عليه بواور مقاومة الخبي. وقد عبرت أورسولا عن قلقها قائنة

- يا إلهي، إن هبته تنبئ. الآن بأنه قادر عني فعل أي شيء
وقد كان كسلت مفعلاً وما المشال الأوتيكلي الذي أهده لأماراتنا، والدكريات التي استعدها عند العشاء، والقصص انسلية التي رواها إلا من نقبا جعه طله السالعة. وحاذ جرى تعيد لجره بدقن البتلي في حجرة جماعية، أوكن إلى العقيد روكه كاريسير مهمة الإسراع بمحاكمات المجلس الحربي، واحتعد لنصه بالهمة الشاقة التي كان يحبها، وهي فرض الإصلاحات الجذرية، التي لا تبقى ولا تدرب شيئاً من هيكلية النظام المحافظ البالي. كان يقول لمديوب

- يجب أن نكون أصبق من محترفي السياسة في الحرب. فعندما يصحون عيوبهم عني ما تم يجدون أنفسهم أمام الأمر الواقع فقرر أن يراجع سندات ملكية الأرض حتى مة عام خلعت، وكشف

سرفات أحبه حوزيه أركاديو التي كان قد ثبتها قانونياً فالأمر بجرّة قسم كل المسجلات وقام بأمر بلاذرة لياقة، فتعلّى عن مشاغله ساعة من الزمن، راز ميها روبيكا كي يبعثها بقراراته الجديدة

ولم تكن روبيكا، التي تعيش حياة الوحدة في ظلال بيتها الكبير شبه المهجور، والتي كانت فيما مضى الأمانة على قصص عشقه وحبه المكثوم، والذي أنقذ عاصده وإصرارها حياته، يوماً من الأيام، لم تكن سوى طيف من الماضي كانت تكتسي بالسواد حتى قمصتي يديها، وكان قلبها بقاء من رماه، ولم تكن تمنع من أبناء الحرب إلا القليل القليل وأحسن العقيد أورينيانو بونديا أنه يستشعر لمعان عظامها العوسقوري، وهو يحترق جفدها، وأنها تمزج في جو من الشرار اللامع، جو تن يقبع برائحة البارود الحقة فراح ينصحبها بالتخفيف من مظاهر الحقد وقسوته، ويأمن تغنيج نواهد البيت للنهاية، وأن تغفر للعالم ذاته في صوت خوريه أركاديو ولكن روبيكا كانت أصلاً أبعد من العزوف فقد بحثت عنه عيشاً في تذوق طعم قناراب، وفي رسائل بيترو كريسي «معترة»، وفي سرير زوجها العاصف، ولكنها وجدت السلام والطمأنينة أحياناً في هذا البيت، الذي قدت فيه الذكريات، من طوبى ما ألحت في استعادتها، صوراً ثلاثي وتكوّن من جديد بين الحرف على هيئة كتابات شوية.

كانت روبيكا جالسة في كرسي الخبز والتمحرك، وقد انكمشت إلى الخلف، تنظر إلى العقيد أورينيانو بونديا، وكأنه طيف من الماضي ولم يرعه، بل أن الأرواح التي كان قد اختصها زوجها، وأخوه، خوريه أركاديو، سوف تعود إلى مالكيها الشرعيين، فقالت منهدة .

- سيكون ما تشاء يا أورينيانو. فقد كنت أظن دائماً - وهذا أنت تثبت ذلك الآن - أنك لست سوى جاحد.

وقد تمت مراحله سدات المنكية في الوقت نفسه الذي صدرت به الأحكام العسكرية السريعة، برئاسة العقيد جيريلندو ماركيز، وضمت بإعدام كل ضباط الجيش النظامي الذين أسروهم الثوريون. وكان آخر مجلس حربي هو الذي مثل أمامه اللواء خوريه راكيل مونكادا. فتدخلت أورسولا، وقالت للعقيد أورينيانو بونديا

- كانت حكومته أفضل حكومة عرفها في ماركيزو ولن أخيف شيئاً من طيب قلبه، ولا من حبه لنا، فأنت خير من يعرف ذلك عنه

ولكن العقيد أورينيانو بونديا نظر إليها نظرة عدم الموثقة، وقال - لا أستطيع أن أمارس السلطة على العدالة فإذا كان لديك ما تقويه، فقوليه بمحكمة العسكرية. ولم تتردد أورسولا في القبول بذلك، ولم تكف به، بل جاءت معها بكل أمهات الضباط الثوريين المقيّصات في ماركيزو كي يؤيدن الشهادة ووصف المجازر من رائدات ماركيزو، وبينهن بعض من حاطرن بعبور جبال، فأدين الواحدة ثلث الأخرى بشهادته فقبض مديحاً بعضائل اللواء مونكادا. وكانت آخر الشهادات أورسولا، التي استطاعت بوقارها الخريص، وبور اسمها، وشدة أسر بيائها وحججتها، أن تحوّل توازن العدالة فترة من الوقت. وبما قالته لأعضاء المحكمة

- لقد أدبتم لعبتكم الرهيبة أداة حسناً، وقبضتم بواجبكم حيرو قيام ولكن إياكم أن تناسوا، أن الله مهماً مد في آجالنا على غير من طيعت فلو بقي أمهات، وسبق لـ حق، مهما بعت درجة ثورتكم، بأن لا تخلوا بواجبات احترامكم لك

وانسحب أعضاء المحكمة لتداول وتبادل الرأي، فيما كانت آخر كلماتها تموي في آذانهم وفي باحة المدرسة التي تحولت إلى كتلة وعند منتصف الليل، صدر الحكم بالإعدام على اللواء خوريه راكيل مونكادا

بعد رفض العقيد أوريليانو بونديا إلحاح الحكم، عنى الرعم من الكلام
النقاسي الذي وجهته له أورسولا. ولكنه ذهب بزيارة الدواء مونكادا
لمحكوم بالإعدام، في زيارة السجاء قبل الحجر بقليل. وهناك قال له
- تذكر، أيها الصديق القديم، أنني لست أنا الذي أعدمك، بل هي
الثورة

وتم يكن الدواء مونكادا قد بهض من سيره العسكري، الذي كان
يرقد فيه، عندما رأى العقيد أوريليانو بونديا دخلاً عليه، فأحابه بقوة
- لنذهب إلى الجحيم، أيها الصديق.

حتى سنك اللحظة، ومنذ ذبايه، لم يتح العقيد أوريليانو بونديا نفسه
هرحه النظر إليه بعين القلب. وقد أدهه مشهد، عندما تبين ما فعلته
الشيحوخة به، ومدى ارتجاف يديه، ورفض النفس الذي كان يتظر به
الموت وكأنه أمر حادي وشعر بالاحترار الشديد نفسه، محترجاً ببيدات
من الرأفة والشعفة. فقال له.

- أنت تعرف، خيراً مني، أن المحاكم العسكرية ليست سوى مهزل،
وأنت لأن تدفع ثمن جرائم الآخرين، لأشياء عزماء، هذه المرة، أن
مربع الحرب ولو بأي ثمن وأنت لو كنت في مكاني، أم كنت تفعل
الشيء نفسه؟

فاعتدل الدواء مونكادا في جلسته، وجعل ينظف نظارته، ذات
الإطار العريض، بطرف قميصه. وأجاب :

- ربما، ولكن ما يقيني ليس إعدامي. يعني آخر المطاف، يجد من
كان مثل من الرجال أن هذه المية مية طبيعية ثم وضع نظارته على
جانب سريره، وانتزع ساعته من سلسلتها، وتابع قوله :

- إن الذي يقلقي أنك، لشدة ما كرهت العسكريين، ولطول ما
قانتهم، وما فكرت هبهم، انتهى بك الأمر إلى أن صبرت تشبههم في

كل شيء. ولا أحد في الحياة مثلاً أصدق من هذا، يدعو للارداء
وتسرع من إصبعه حاتم رواجه، وليقوه مريم العذراء، ووضعها
قرب المنطاة والساعة، وحلص إلى القول

- إذا تديت سيرك على هذا القدر، تمنت من تعدوا أشد الديكتاتوريين
ظلماً وأكثرهم دموية في تاريخنا كله وحسب، بل إنك سوف تقتل صديقتي
العزيرة أمك، أورسولا، لكي تريح ضميرك.

فتسمر العقيد أوريليانو بونديا في مكانه مسعولاً كتمثال بلا حياة،
ينتما سلمه الدواء مونكادا نظارته وساعته، والإيقونة والخاتم، وحاطبه
بتهاجة أخرى

- ولكني لم أطلب إليك المنيء كي أعتك، بل لأطلب منك إسماء
معروف، وهو أن توصل هذه الأشياء إلى زوجتي.

فتودها العقيد أوريليانو بونديا، ودسها في جيوبه، وسأله
- أما زالت في مانور؟

فأجاب الدواء مونكادا بالإيجاب :

- نعم، ما زالت في مانور، وفي بيت نفسه، وراء الكنيسة، حيث
أوسلت إليه في الماضي الرسالة
فقال العقيد أوريليانو بونديا :

- سوف أتخذ ذلك يكن سروري، يا غوزيه واكيل.

ولم يخرج العقيد إلى الهواء الطلق المصاحب للضباب، بلل وجهه،
كما حدث له ذات يوم من أيام الماضي، عند الحجر. وعدد فقط أدرك
ماذا قرر أن يكون تصيد حكم الإعدام في الباحة، لا عند سور القبرة.
فقد كان فصل الإعدام مصطفاً مقابل الباب. فأدى له الجلود نجمة رئيس
دولة. فأصدر الأمر قائلاً :

- بوسعهم أن يخرجوه الآن.

٢٠٧ - نهتم يا أورديانو. عيش حرب الأحرار.

وانتهى أمره إلى أن فقد كل صلة له بالحرب، وفقد ما كان لديه، في الزمن العابر، من معالية حقيقية، وعاطفة شباب لا تقاوم، فلم يبق له من كل ذلك إلا أثر يدخل في باب الذكريات البعيدة، يحيط به الغموض. وكان ملاؤه الوحيد غرفة أماراتا المخصصة له بحياطة فكان يذهب لزيارتها كل يوم عصرًا، فيزورها وهي تعالج غيات الموسلين على آلة الخياطة ذات اليد، التي كانت تديرها ريميدوس الجميلة. وكاننا نحصيان البساتين الطوال دورًا أن يكلم أحدهما الآخر، وكأنهما قد عرما على أن يحافظ الواحد منهما على رفقة صاحبه ليس إلا. وبما كانت أمارات تسعد في قرارة نفسها بإدراكه دار وفائه واستمرار إحلاصه، كان هو يجهل أية خطة حمة تمر في قلبها الذي لا يسير عوره. فعندما انتشر خبر إنيانه، كادت أماراتا تحتج شوقًا لزيارته ولكنها، عندما شاهدته يدخل البيت بصحبه أحياء العقيد أورديانو بونديا وحرصه بضجيجهم وصخبهم، رأت فيه رجلًا قد أهدت حياة «لتي بقوتها، وأضاحه العمر وأتعبه السنين، وغمزه العرق المختلط بالعباء، حتى لثمن فيه رائحة القطيع. وراه في بشاعته أن يده اليسرى كانت مربوطة إلى عنقه، فاقشعت عنها غمامة الوهم، وشعرت كأنها تكاد تسمى عليها، وقالت في نفسها :

- يا إلهي. ليس هذا هو الرجل الذي كنت أنتظر.

ولكنه عاد إلى البيت، في اليوم التالي، نظيفًا، وقد حلق لحيته وعطر شارب بهاء الخزامى، ومرع من هفوة رباط يده الملتصق بالدم. وكان يحمل إليها كتاب صلوات هدية. به غلاف جلدي مرصع بالصدف. فقالت، دون وهي لما تقول :

- ما أغرب الرجال ! يقتضون أعمارهم في محاربة رجال الدين، يسما

(٩)

بقد كان العقيد جيريبيدو ماركيز أول من أدرك فراغ الحرب وعشها فقد كان، بصعته حاكمًا عسكريًا ومدنيًا لمدة ماركوسو، يتحدث تبحرًا مع العقيد أورديانو بونديا مرتين في الأسبوع. وكانت تلك المحادثة، في البدء، تتناول تطورات الحرب على حقيقتها، وبخاصيتها، وتحديدات مصالحها على الأيام. وكانت تلك المكالمات تتيح لهم، في كل لحظة، معرفة الوضع الدقيق بالحرب، والتدبير بها في السجل. وكان العقيد أورديانو بونديا يحرص دائمًا على الحفاظ على لهجته الوردية، مما يمكن سامعه من تمييز صوته ومعرفته على الطرف الآخر للحدث، ولو أنه لم يكن يسمح قط بأن تصل الأمر إلى رفع الكلمة بينه وبين أصدقائه المقربين. وكثيراً ما كان يطيل تلك المكالمات، متجاوزاً الوقت المحدد بها، فيتحدث في أمور ذات طسعة عائلية. ولكن صورته كانت قد ساءت تبدل وتغير في عالم اللاواقع، بقدر ما كانت الحرب تشد وتوسع مداها. فعملت خصائصه حديثه، وبراب صوته، تغمض شيئاً مشيناً، وتتمدد عن يقين، فتحتلظ كلماته، بعضها ببعض، حتى تصبح بلا حسن ولا معنى. وكان العقيد جيريبيدو ماركيز يكتفي، في مثل تلك الحالات، بالإصغاء البحت، بينما يردد شعوره بأنه يتحدث مع مجهول من عالم آخر. فكان يهيئ مثل تلك المحادثات، بإدارة معتاح الجهاز معلقاً إنيانه، وهو يقول :

ومد ذلك الحين، حتى في أحلك أيام الحرب، كان يروى كل يوم عصراً وكان في كثير من الأحيان، وعندما تغيب ريميدوس طميلة، يدير، بدلاً منها، عجيبة آلة الخياطة، وكانت أمارانتا تشعر بالاضطراب والدهشة أمام ذلك الصبر والإخلاص والخضوع من رجل يتمتع بكل تلك السلطات، وكان يخلع سلاحه في صالة الجيوس، ويدخل إلى غرفة حياضها دون سلاح ولم يكف، طوال أربع سنين، عن التصريح به بحبه، لكنها كانت دائماً تجد طريقة بصدده دون أن تفرحه ذلك لأنها، وإن لم تترصد إلى حبه، لأنها لم تكن تستطيع العيش دونه ولم تكن ريميدوس الجميلة، التي كان يبدو عليها عدم لاهتمام بأي شيء، والتي كان يُظن أنها كانت متحفظة حقاً، غير شاعرة بذلك بالإخلاص والحب، تأثرت التدخل لصالح العقيد جيريلدو ماركيز ثم اكتشفت أمارانتا فجأة أن تلك المظلة، التي كانت تزيدها، والتي لم تكن تستعجب بعد لو تدرك من الرشد، هي أحمل مخلوق رأى البشر في ماكوندو وأحسنت بشيء من الحقد يولد في قلبه، شيئاً يذبح الذي أحسنت به يوماً إزاء ووييكا هراحت بصلي له لكي لا تتراخى في حقها إلى الدرجة التي تنتهي فيها موت ريميدوس فأبعثتها عن مشعل الخياطة

وصادف ذلك الوقت الذي كان العقيد جيريلدو ماركيز قد بدأ فيه يشعر بالغسق والتبرم من الجيوس، فجمع كل طاقته وقدرته على الإقناع، وكل حائه الذي كان يخفيه في دخله حتى الآن، وأعلن استعداداه للتصحي، من أجل أمارانتا، من كل أمجادها التي كلمته أفضل سني عمره، ولكنه لم يفلح في إقناعها.

وفي عصر يوم من أيام شهر آب (أغسطس)، حيث أمارانتا نفسها في خروعة نومها، تحت وطأة عنادها الذي لا يطاق، وعزمت على أن

تندب حظها وتبكي وحدها حتى الموت، بعد أن أعدت لخاطفها الصور الدؤوب رأيتها الأخير، قلقة

- ليس وحدها، بل إلى الأبد - فقد كبر عن مثل هذه الأمور

بعد ظهر ذلك اليوم، انصل العقيد أوريسانو موندانو بالعقيد جيريلدو ماركيز وكانت بكافة معادته عادية، لا تقدم ولا تؤخر في نظرات الحرب الراكدة، وسيل انتهاء الحديث، وكان العقيد جيريلدو ماركيز يتأمل نظراته المقفرة في البنية، وفطرات الماء المتلألئة على فروغ أشجار الدور وقد بدأ يحس بالصراع في وحدته، فقال لحادثه وهو يدير الآلة حرباً

- أوريلانو، إن الخطر يهطل في ماكوندو

وأعقب دت صمت طويل ثم هصر الجهاز فجأة لكي ينقل عبرت العقيد أوريلانو بومديا الجافة التي لا ترحم:

- لا تكن خيباً، يا جيريلدو، طبيعي أن تخطر السماء في شهر آب (أغسطس)

وكان الرجلان هم يتنقذ صدى زمن طويل، فآثر هج العقيد جيريلدو ماركيز من قسوة ردة الفعل - ولكن أثره سجد وقبضه انقلب إلى دهشة وتمسج، عندما عاد العقيد أوريسانو بومديا، بعد شهرين، إلى ماكوندو فأورسولا نفسها استعربت التيقن الذي كان قد طرأ عليه، لقد وصل دون ضجة ولا حرس - وقد لعب جسمه بثائر رغم الحرارة الشديدة، وكان مصعبته ثلاث عشيقات أسكنهن في غرفة واحدة، كان يقضي فيها معظم وقته راقداً في أرجوحته وكان يكاد لا يقرأ حتى البرقيات التي تنقل إليه أنباء عجميات الحرب الرتية وذات يوم، جاءه العقيد جيريلدو ماركيز، ليأله رأيه في إخلاء نقطة حدودية، حيث كان الخطر بأن تنقلب الحرب بسببها إلى صراع دولي فأمره ثلاثاً

- لا تزعمني بهذه الصعائر أطلب المصح من العلية الإلهية

كانت تلك أكثر مراحل الحرب حرجاً. فقد أخذ الملاكون الأحرار الذين أيدوا الثورة في البدء، يعقدون اتفاقات مع الملاكين المحافظين، لتجلبوت دون إعادة النظر في صلات الملكية أما الياسيون، الذين كانوا يسهرون في الحرب على مصالحهم وهم في المنفى، فقد أعلنوا معارضتهم لقرارات العقيد أوريليانو بوينديا الحازمة. ولكنه لم يعر اعتراضاتهم أدنى اهتمام. ولعمري قراءة أشعاره التي كانت قلائد خمسة دواوين، وكانت مهجورة في قعر صندوق خاص بها. وبعد المساء، أو في وقت القيلولة، كان يدعو إحدى سلكه لفضاء بعض الوقت معه، يتلذذ بها لثة عارضة، ثم يام نوماً عميقاً لا يرققه فيه اهتمام بأي شيء. كان هو وحده الذي يعلم أن قلبه قد ألقم بالسوار، وقد قضى عليه بعدم اليقين إلى الأبد.

في البداية، أسكرته شدة العودة، والاتصاوات المذهلة، فترك نفسه على هواها مشدودة بهوة العظمة. كان يسعد أن يقيه ويده اليمنى هو الدوق مارليورو، أسناده في من الحرب، والذي كانت برته العاقرة، المنصوعة من العرو ومحالبت النمر، تبعث في الكبار مشاعر الاحترام، وتثير في الصغار مشاعر الرهبة.

وعنده قرر ألا يقترب منه أي إنسان، حتى أمه أرمولا، إلى ما دون ثلاثة أمتار. حتى إذا حضر إلى أي مكان، سارع أهوه إلى رسم دائرة حوله، بطبشور الخوار، لا يتخطاها أحد سواه، حيث يقف ليقرر، مصير العالم، بأوامر مقتضية لا رجعة فيها ولا اعتراض عليها. ولم ذهب إلى مائور، للمرة الأولى، بعد إعدام اللواء مونكان، سارع إلى تلبية الرغبة الأخيرة لصحيفته. فأخذت الأرملة النظارة والوسام والساعة ولحفتم، ولكنها لم تسمح له بأن يطأ عتبة بيتها. فقلقت له :

- لا تستطيع الدحرج، أيها العقيد. فقد تكون مائداً في حربك، ولكني قائدة بيتي

ولم يبد العقيد أوريليانو بوينديا أية إمارة للعقب، ولكن روحه لم تعرف الهدوء إلا عندما نهت حرسه الخاص بيت الأرملة وحولوه إلى رقاد

كان العقيد جرييلدو ماركيز يقول له أتد

أنه لثلبث، يا أوريليانو. فألت تنعش وألب حي

وفي ثلث العترة، دع فاده الشوار الرئيس إلى مؤتمر ثان. فوجد بينهم كل أشكال البشر وأنماطهم المختلفة المثاليين، والهمسوجين، والمعمرين، والمجودين الحائدين، والمجرمين العديدين. بل لقد كان بينهم موظف محافظ سابق لجأ إلى الثورة تحلصاً من حكم صدر بحقه لسرقته أموال الدولة. ولم يكن الكثيرون منهم يعرفون لماذا يقتلون. وسط ذلك الاجتماع المتعدد الألوان، والذي كانت دوافعه المعارضة تؤدي إلى انهجار داخلي، برزت شخصية ذات سلطة شامخة : اللواء تيوفيلو فارغاس. كان هدياً فحاً بكل عروق دمه، متوحشاً غير مدجج، أمياً، موهوباً بصيرة وإيمان ومهنة طبيعية، كانت تثير حماسة رجاله الهوجاء

كان همد العقيد أوريليانو بوينديا، من ذلك المؤتمر، توحيد قيادات الثوار ضد مناورات السياسيين. فتجاوز اللواء تيوفيلو فارغاس مقاصده وفي ساعات من وقت المؤتمر استطاع أن يملك التحالفات القائمة بين أفضل القادة المؤهلين، وأن يقيم بدلاً منها تحالفات أخرى تولي قيادتها العليا بعه. وقد قال العقيد أوريليانو بوينديا لنفسه، تعليقاً على ما كان يلحظه :

- إنه وحش شرس، ويجب مراقبته والحذر منه. فهذه الرجل أخطر عصب من وزير الخريفة. وعندها رفع أحد الثقياء الشباب، وكان يتميز

دائماً بحجله ! رفع أصبعه بتأن وتردد ، واقترح قائلاً :

- الأمر بسيط ، أيها العقيد . يجب قتله

ولم يصطرب العقيد أوربينو بوبندي نتيجة للزم هذه المكرة وبرودتها ، ربما من الطريقة التي جاءت بها . فقد سكت ، بعمى من الثانية ، أنكاره هو . فقال :

- لا تتوقعوا مني أن أصبو أمراً بذلك .

والواقع أنه لم يصدر بذلك أمراً ، ولكن اللواء بوبينو ودرغاس وحده بعد خمسة عشر يوماً وقد قطع إرياً . فقد قطعت ضربات من فأس إثر كمين نصب له . سلم العقيد أوربينو بوبندي القيادة العليا وفي الليلة التي عثرف فيها مادة الثوار بسلطته ، استعاق راجماً وهو يصيح طالباً دناراً . فقد اجتاحه برد داخلي عسى العظم ، يهدبه والشمس طالعة ، الأمر الذي كان يحول دون توبه شهوراً بطولها ، حتى تكيف لوضعه هذا وتعود عليه . وهكذا أحدثت الأحداث اذرة تمسده عليه بشوة السطة فبحث عن دواء ليرد . فلم يجد إلا إعطاء الضابط الشاب الذي سبق له ان اقترح قتل اللواء تيوفيلوف درغاس . وكانت أوامره تنفذ قبل أن يصدرها ، بل أحياناً حتى قبل أن تصورها ، وتشتغل أكثر مما كان يجزئ عليه هو نفسه . وظل ينفرد في خصم سلطات هائلة ، فبدأ بفقد ثوابه .

كان أحياناً يعضب من سكان القرى المجاورة الذين كانوا يحيونه . فقد كانوا عنده نفس الذين يحيون العدو . وكان أتى حل يلتقي بفتيان يتظرون إليه بعين وبتكلمون بصوته ، ويسلمون عليه بنغم الحلب ندي كان يرد به عسى سلامهم . ويرسمون أنهم أبناءه . فأحس بأنه موزع بكرر معه ويجترها ، وبأنه كان وحيداً أكثر من أي وقت مضى . وتولدت لديه قناعة بأن ضباطه الخاصين يكذبون عليه . واحتصم مع الدوق مارلبورو ، وصار

يردد

- إن خير الأصدقاء من مات أخيراً .

وأثعبته طونه ، وحلقة خربة المعرعة الماتمة ، التي كان يواجهها دائماً في هذا المكان أو ذاك . حتى الأمكنة مصها كانت تبدو وقد شاحت أكثر فأكثر كلما عاد إليها ، بن تبدو أكثر خراباً ، وأشد جهلاً ؟ فلماذا ؟ وكيف ؟ وإلى متى ؟ فقد كان هناك دائماً شخص آخر خارج الدائرة المرسومة بعشور الحوار ، شخص ما بحاجة للمال ، شخص كان له دين مصاب بالسعال الديكي ، أو شخص ما كان يريد أن يذهب بلا رجعة لبيام نومة أبدية . لأنه لم يعد يطبق طعم الحرب التي في فمه ، ولكنه مع ذلك يستطيع أن يجمع آخر قواه لكي يزدي التحية العسكرية ، ويقول

- كل شيء عادي ، سيدي العقيد . لا شيء جديد .

ولم يكن هناك أظلم من تلك الرتبة «الأشياء عادية» و «كل شيء عني حاله» و «لا شيء جديد» ، وأشد منها إثارة للمحاوف في تلك الحرب التي لا تعرف نهاية . بمعنى ذلك أن تتوقف عربة الرمي ، فلا تحدث أية أشياء .

وهكذا ، كان وحيداً ، وقد تحلت عه البوموت ، يحارب الفرار عن الرد الذي لم يعلوه حتى موته . ولذلك عاد إلى ماكويديو ، يبحث عن ملاد أخير حيث يعيش في حرارة ذكرياته القديمة . وبعد سبع من عضال مرضه وشدة ، أنه لما أخبروه بقدوم جثة مفوضيه (محرب) ، جاءت لتشاف معاً معه الاتهامات التي ينبغي أن تأخذها الحرب بعد جمودها ، فعمل في أرجوحته دون أن يستيقظ تماماً ، وقال :

- خلوهم إلى بيت البعيا

كانوا ستة محامين ، يلبسون المعاطف العاحرة والقبعات العالية

ويحتفلون بذلك حرارة شمس تشرين الثاني (نوفمبر) بصير وبائل
روانيّ، واستضافتهم أرسولا في بيتها، وكانوا يقضون معظم نهارهم
داخل غرفة مغلقة، في مناقشات سرية حتى إذا جن الليل طلبوا حراً
ومجموعة من الأكورديونات، ودعوا إلى محور كاتريس. وقد أمر
العقيد أوريليانو بوينديا قائلاً:

- دعوهم وحدهم. فأخرف في النهاية، عاد بريدون

وفي أوائل كانون الأول (ديسمبر)، تم اللقاء الذي طال انتظاره، ولم
يستغرق أكثر من ساعة، مع أن الكثيرين كانوا يتحذرون أنه سينتهي
عن مناقشات ومجادلات لا تعرف النهاية

ومضى العقيد أوريليانو بوينديا، هذه المرة، أن يحبس وسط دائرة
الطيشور، الحواري التي رسمها له ماعدو في صالة الخموس الدافئة،
قريباً من بقايا أليانو الأكي. وقد اتحد له مقعداً بين مستشاريه السياسيين،
ورمّل نفسه بدثار من الصوف، وأصبح صامساً إلى مقترحات المدوين
الموجرة

كانوا يطبقون، أولاً، إعادة النظر في صكوك الملكية لكي يحصلوا
على تأييد ملاكين لأحواز، ويطلبون، ثانياً، التخلي عن الكفاح ضد
سلطة رجال الدين، عنهم يحصلون على تأييد الجماهير الكاثوليكية
ويريدون، أخيراً، الحفاظ على سلامة الأسرة، والتراجع عن القوانين
بمساراة بين الأولاد الطبيعيين والأولاد الشرعيين.

وكان تعليق العقيد أوريليانو بوينديا، بعد أن انتهت قردة المقترحات،
أن انهم، وقال

- هذا يعني أننا لا نقاتل إلا من أجل السلطة. فأجاب أحد المدعوين

- هذه تغييرات تكتيكية وإصلاحات مرحلية. فالهدف الرئيس حالياً
هو توسيع القاعدة الشعبية للحزب، وبمدها ستكون لنا نظرة ومراجعة

أخرى.

صارع أحد مستشاري العقيد أوريليانو بوينديا السياسيين ليقول

- هذا سافس. فإذا كانت هذه التغييرات جيدة، فلذلك يعني أن النظام
الحفاظ جيد. وإذا كنا نفضلها متوجس إلى توسيع القاعدة الشعبية
للحزب، فكأنكم تقبضون ما يعني أن النظام الحفاظ يستد إلى قاعدة
شعبية واسعة. وكل هذا، بالتالي، لا يعني إلا أن قد كنا نحن وفاتنا
طوال عشرين عاماً تقريباً ضد حواظب الأمة

وارد أن يتابع، ولكن العقيد أوريليانو بوينديا أوقف حديثه بإشارة
منه، وقال:

- لا تضع وقتك يا دكتور. فالهم أننا، عند هذه اللحظة، لن نقاتل
إلا من أجل السلطة

ثم تناول الوثائق والأوراق التي قدمها له المدعوون، دون أن يكلم من
الابتسام، واستعد لتوقيع. ثم خلع على القول

- عما دامت الأمور على ما هي عليه، فلا مانع لدينا من القول

✓ فتبادل رجاله النظرات، بعضهم إلى بعض، مستعربين. وقال العقيد
جيرييلدو ماركيز ملطف ومعدو

- معذرة، سيادة العقيد. ولكن هذه حيانة

توالت الريشة المفضوعة بالخبر في يد العقيد أوريليانو بوينديا، وجمع
العقيد كل ثقل سلطته، وأصدر إليه أسره قائلاً

- سلم سلاحك.

ونام العقيد جيريلدو ماركيز، فوضع سلاحه على العذولة، بينما
تابع العقيد أوريليانو بوينديا قوله به

- اذهب إلى النكتة، وضع نفسك ثم وقع الساس، وناول الأوراق

المبعوثين؛ قائلاً لهم .

- أنت هي أوراتكم أيها السادة . فارجو أن تحضروا منها على بعض العادة

وبعد يومين مما حدث، حكم على العقيد جيريلندو ماركيز بالإعدام بتهمة الخيانة العظمى . ورفض العقيد أوريليانو بويديا، وهو متهاled في أبحاثه، الرجاء المقدم إليه من كل من حازو يسألوه الخدم والرأفة وعشبة تصد أحكم، خرفت أورسولا أوامر العقيد مالا يرجعه أحد قد خدمت عليه عرفه . وقد رادته ثاب الحداد التي ردتها جلالاً وهبة مادية وظلت واقعة حلال المقابلة هي دامت اتفاق ثلاث . وقالت له بهود وصفاء

- أعرف أنك سوف تعدم جيريلندو . وأني لا أستطيع عمل شيء لردك عن ذلك . ولكنني حسب مكى أحذرك وأندرك . فأنسم بك برفاه أبي وأمي . ويذكرى حوريه اوكاديو بويديا ، وأمام الله . أنني ما إن أرى جنته حتى أخرجك من وكرك . أنني أحبأت . وأنت بيدتي لأنتين . وقبل أن تعاد العرفة ، ردون أن تنتظر أي جواب ، أصابت قائلة . وهذا ما كنت سأفعله لو أنك ولدت بسبب خنزير .

وفي بيت البيلة التي ظالت ، حتى كادت لا تعرف بهبه ، وبسبب كان العقيد جيريلندو ماركيز يستعد أصال تلك الأيام الخوالي ، والتي كان يحضيه مع أمارات في مشعل الخياطة ، كان العقيد أوريليانو بويديا يقضي الساعات الطوال ، وهو يحفر بأصابعه قشرة وحدته القاسية ، سما يحده الأمل بأن يستطيع مصم عرا . وكان خطاب السعادة القليلة عبده ، منذ أصيل ذلك اليوم البعيد الذي اصطحه فيه أبوه كي يشاهد الحداد ، هي اللحظات التي كان يقضيها في مشعله بصيعة العضة . حيث كان يحصي وفنه ، وهو يصوع السمكات الصغيرة ، وقد أشعل اثنتين وثلاثين

حزباً . ونكت بكل عهده مع الموت ، وتفرغ كخنزير على مراب الهده ، فعل كل ذلك لكي يكتشف ساحراً . وبعد ما يقرب من أربعين عاماً ، مصائل البساطة .

وعند الصجر ، وبعد أن حطمه العذاب في تلك البيلة المؤرقة ، ظهر في البرائة ، قل ساحة واحدة من موعد تهيد الإعدام فقال للعقد جيريلندو ماركيز :

- لقد انتهت المهلة ، أيها الصديق العزيز القديم . عدع مرحل قبل أن يقتلك اليموض هما

ولم يستطع العقيد جيريلندو ماركيز أن يخفي الأرواء الذي أوحى له به ذلك الموقف . فأجاب

- لا أوريليانو . أفضل الموت على أن أراة قد لمسحت إلى طابعه جوار

فقال العقيد أوريليانو بويديا

- لن تراني كذلك . هي البس حداءك ، وساعدي على وضع حد لهذه الحرب القذرة

ولم يكن يحضر له أن يشعل الحرب أسهل بكثير من إنهاته . فقد اصغر لأن يتحد مظهر الدموي الشرس الذي لا يعرف اللين طوال عدم يكامه ، لكي يكره الحكومه على عرض شروط ملائمة للثوار كمد نفسي هاماً آخر كي تمكن من إزع أنصاره ومحترسه بأن المصلحة تقضي بقبول تلك للشروط . وقد بلغت القسوة عبده حدوا لا يمكن أن يتخيلها المرء ، عندما عزم على القضاء على ثورة ضباطه الخاصين خلص ، الذين ثاروا عليه يداهون المسومة على النصر . وانتهى به الأمر إلى الاستعانة بقوات العدو كي يقضي عليهم .

ولم يتميز عمره كمحارب كعادته غير خلال تلك الفترة - وقد أشعل نار حماسة إيمانه بأنه إما يقاين من أجل تحرير ذاته، لا من أجل مثل عليها مطلقاً، ولا من أجل شعائر اليايين، الذين يحولونها كيها طاب بهم حتى درجة نسي ما ينقضها، حسب المناسبات، وكثيراً ما كان يعيب عليه بهوره اللا محدي صديقه العقيد جيريلدو ماركيز، الذي كان يهمل من أجل الهرطقة بالإيمان بعصه الذي كان يقاين به من أجل النصر ولكنه كان يعجبه وهو يتسم قاتلاً.

- لا تقنن. فالموت أصعب مما يمكن أن يتصوره الإنسان. وقد كان ذلك صحيحاً في حالته. فلقد سمحه إيمانه بالاعتقاد بأن مهائنه لا تغير إلا في ساعة محتومة، نتيجة لخصائنه غير مربية، وغلود مقدر بأجل. فغاب لا تضر به أخطار المعارك التي يخوضها. وأخيراً تمكن من الصور بهزيمة كانت أكثر صعوبة، وأشد دموية، وأعظم ثمناً، كلفه النصر إياه. وبعد كان العقيد أوريليانو بونديا يعود إلى البيت، من حين لآخر، عشرين عاماً من الحرب. ولكن السرعة التي كان يصل بها فلتمساً، ومظاهر القوة التي كانت تهيئ به، حيثما حل، والهالة الأسطورية التي كانت تعظم شأن وجوده، فتأثر بها أمه أورسولا بصها، كل ذلك كان يجعل منه غريباً في داره.

أب في المرة الأخيرة التي وصل فيها إلى ماكريدو، وأنام في بيت آخر، مع محظياته الثلاث، فلم يهر بيت لأسرة سوى مرتين أو ثلاث، كان يعرف فيها نفسه ويقتل الدعوة للبناء. وف كانت تعرفه رئيسديوس الجنية، ولا الترومان (١) انداد وساء في الحرب إلا معرفة سطحية حتى أمارات لم تكن مدبرة على لومة فيه، بين صورة الأخ الذي قضى فتوته

(١) الثلاثة هم أبناء أركاديو الذي هو ابن أخيه خويو أركاديو، والذي حكم ماكريدو في قبايه.

في مشعله يصنع سمكات ذهبية صغيرة، وبين الأيخ المحارب الخرافي، الذي وضع بينه وبين سائر الإنسانية مسافة عشر أقدام (ثلاثة أمتار). ولا شع أن الهلثة قد أصبحت مربية، وعدد تخيل أهله أنه سيعود إلى سابق سيرته الإنسانية، وسيرجع إلى حب أهله، استيقظت المواطف العائلية، التي كانت قد غشت طويلاً، وظهرت من جديد وبأنوى عما كانت عليه في يوم من الأيام. فقالت أورسولا:

- وأحرأ، سوف يكون لنا رجل في البيت من جديد.

وكانت أخته أمارات أول من ذهب بها الظن إلى أنهم قد فقدوه إلى الأبد، والأحيلة لهم فيه. كان ذلك عند يده ودحواله البيت، قبل موعد الهلثة بأسبوع، دون أن يصحبه حرس، من يتفهمه خادمان حافيان، وهما عند عتبة البيت سرحاً لئلا يفلت عن ظهر بعل، كما أنزلوا الصنوق الذي كان يحتوي على أشعاره. وكان ذلك حراً بقي له من أمثله الامبريالية. وروثه أماراتنا يمر قرب باب مشغل الحياطة، فنادته بيد، على العقيد أوريليانو بونديا أنه يجد صعوبة في معرفتها وتذكرها. فقالت له مداعة وفرحة سعيدة برجوعه.

- قد أماراتنا

ثم أرتة اليد المربوطة بالعصبة السوداء، قائلة:

- انظر.

فابتسم لها العقيد أوريليانو بونديا بمن استماعة ذلك اليوم الذي رأى فيه العصاة لأول مرة. وكان ذلك في صباح اليوم الذي رجع فيه إلى ماكريدو محكوماً عليه بالإعدام. وهظ قاتلاً.

- يا لذهول! كيف يمر هذا الزمن!

كان على قطعات من الجيش النظامي أن تحرس بيته. فقد سحر منه

الدم، وبعثوا حيث كان يمر، فقد اتهموه بأنه يثرأ الحرب وهو لا يستهدف سباً إلا القضاء عليه بأي ثمن. كان يرتش برذاً وحشياً، وقد اعتلأ بطلاء من جديد، بالدمامل والبثور.

وبد سمعت أورشولا، قبل ستة أشهر حدث بقرب الهدنة، فتحت غرفه عرسه وطلعتها، وأحرق في روباها بيت لمر، ظناً منها أنه عائد كي يقضي شيعوخته بهدوء، بين ألعاب ريمبيوس (١) المقدنية. وحق أنه، في الستين الأخيرتين، ندّم بلحياً، كل ديوبه المستحقة، ومها ديون الشيوخوخة. ولما مرّ أمام مشغل الصبغة، وكانت أورشولا قد رتبته بعناية خاصة، لم يلاحظ أن ممتلكاته كانت قد سرق في أفعالها. وبم ير كذلك آثار الرمز الخيرية الصغيرة التي حلقها وراءه، والتي يمكن أن تبدو بعد ذلك الحيات الطويل، كآرثة مادحة لن ظلت الذكريات حية في نفسه. وبم يتألم تضافط الطلاب عن الحذر، ولا لخيوط العكسوت المتصعة في الرواي، ولا ليعبار المتراكم على أزهار اليجوبيا، ولا للشقوق والخير التي أحدثتها خشرات والديدان في حشيش هوانهم السقف، ولا للأشمن الذي نبت في رز الأبوابة. ولم يؤثر فيه أي مكس للحجر كان يترصده، فجس في الشرفة مسعاً بدثاره، دون أن يبرح حذاءه الطويل السابق، كأنه عو يتظر مادده صحو مدعوه لسنهوش. وأبصى ما بعد الظهر كنه يرقب الخطر المتسلط من السماء على أزهار اليجوبيا. وأدركت أورشولا أنها من تحتفظ به في البيت طويلاً. وتكررت في نفسها قائلة:

«إد لم تأخذ الحرب عسوف يأخذ الموت. ريدا لها أن تعكبرها صاف وينقح حتى عدته بيوة»

في ديث المساء، وعلى مائدة العشاء، قطع أحد الشوامب، الذي أسموه أوريليانو الثاني، خبزه بيده اليمى، بينما احتسى الشوربا بيده

(١) زوجته التي لم تمر طويلاً

اليسرى وقطع أحوه، الذي أسموه أركاديو الثاني، غره بيده اليسرى، واحتسى الشوربا بيده اليمى. وكانت حركاتهما متعسفة بدقه، حتى لبعض من يراهما أنهم لسا أحوين جلس أحدهما قبالة الآخر، بل نعبة تجلس أمام مرآة. وقد اخترع التوأمان ذلك المشهد مد أن أدركا تشابههما النام، ومثلاً على شرف القادم الجديد. ولكن العقيد أوريليانو بوسيدا لم يسه بذلك. كان يبدو غريباً وبعيداً عن كل شيء، حتى إنه لم يلاحظ ريمبيوس المحصلة عندما سرت عاربه إلى غرفتها. وبم يجره أحد، على تعكير استمراره ونأمله في أفكاده، سوى أورشولا. فقد قالت له في منتصف العشاء:

«إد كنت تريد أن ترحل مرة أخرى، محلول على لأقل، أن تذكر كيف كنا هذا المساء»

وعنده أذره العقيد أوريليانو بوسيدا، دون اندهاش ولا مفجاء، أن أورشولا كانت لإنسان الوحيد الذي استطاع أن يسر عور بؤسه. وعجراً، للمرة الأولى منذ سنوات طويلة، أن ينظر إليها وجهاً لوجه. كان كل جسمها غصوناً ونجماً، وكانت أسنانها مسحورة، وقد حال شعرها فباب لا يوب به، وانطماً البريق الذي كان في بفراتها عشارها بأنفس صورة لها في ذاكرته. فعاد إلى عصر ذلك اليوم، حين شعر أن قدر المرق يكاد يسقط عن الطاولة. وما كان تذكره هذا إلا ليرى صورتها مرقاً. وفي مثل لمح البصر، تبين ما جعلته فيها معيشة نصف قرن من الرض، من حدوش وجرح وآثار بارورة وقروح وبدوش، وتبين أن مظهر هذا التهمم والانهطام لم يوقظ في نفسه أي إحساس بالشفقة.

وبدل أنصى جهله وهو يبحث في قلبه عن المكان الذي تغنى فيه حبه وأهراً، ولكنه لم يجد لثلاث سبلاً. فقد كان في الماضي يخالجه شعور معقد بالفجل، عندما يكشف في جلده رائحة أورشولا. ولقد أحس،

أحياناً كثيرة، بأنكره، تلتقي بأفكاره ولكن الحزن قد طوت كل ديث حتى ريميدوس، زوجته نفسها، لم تعد الآن سوى صورة مهرورة مخلوقة كان يمكن أن تكون ابنة وأب النساء النواتي عرفهن في صحراء الحب، ويعثرن بدوره على طول الشاطئ، فم يحلن أي أثر في قلبه، فقد كان أكثرهن يدخن غرفته في حاله الظلام ويحاذيها قبل العجر، فلا يبقى من غير بعض القرف ولاشتمزاز في ذكره الجسد، أما العاطفة الوحيدة التي قاومت الزمن والحزن، فقد كانت تلك التي كان يحملها لأخيه خوريه أركاديو عندما كانا طفلين. ولم تكن تلك العاطفة مبيدة حتى الحب، بل عسى الصالح والوفاء.

فمنع على مطلب أروسولا معتزلاً بقوله :

- أسمع، وأستحيك العذر، فالواقع أن الحزن قد أودت بكل شيء.
أمضى الأيام التي تلت، وهو يعمل على محو كل أثر مروره في هذا العالم مجرد مشعل الصياغة العنيفة من كل أثر شخصي، وأعطى ملبسه خداميه، ودفن ملاحه في ماء النار، بعض الشعور من الدم الذي دس فيه أبوه، ذات يوم، الرمح الذي قتل به بروديبيو أجويلار (١) ولم يبق إلا على مسدس واحد وبنقة واحدة فيه، ولم تتدخل أروسولا هائلة الوحيدة التي حاولت فيها أن تنبيهه عن فعل ما كانت حين أراد أن يحطم صورة زوجته ريميدوس التي كانت م تزال في صالة الجيوس يضيء أمامها مصباح خارجي عنده نالت له .

- لم تعد هذه الصورة ملكاً بشئ منذ زمن طويل إنها أثر من آثار العادة

وعشية الهدنة، وحين لم يبق في البيت ما يذكر به، ذهب إلى المطبخ، وهو يحمل صندوق أشعاره، في الوقت الذي كانت فيه سائناً

(١) كذا ذلك إثر جولة من صراع الديكة.

صوفي (السقية) تستعد لإشعال الموقد. فقال لها، وهو يناولها أول دفعة من الأوراق المصفرة

- أشعليه بهذه هذه أشياء قديمة أفضل أشتت لأمن سواها.

وشعرت سائت صوفيا، وهي اللطيفة الصامتة أبدأ، والتي لم تتعود أن تعارض أحداً حتى أبيضها الصميرين، أنه يطلب منها أمراً غريباً لا يسمح به، فقالت له :

- هذه أوراق عمة.

فأحباها العتيد

- لا، ليست هامة. فهي أشياء يكتبها المرء لنفسه. فقالت له :

- إذن، فأحرقها أنت أيها العتيد

ولم يحرقها وحسب، بل حطم الصندوق بالقدم، ورمى بقطعه إلى الدار وكانت، قبل ذلك بساعات، قد جاءت بيلار تيريرا لزيارته. فعجب لها العتيد أوريليانو بوبديا، فهو لم يرها منذ سن طويلة فكادت قد شاحت وسمت، وعقدت ضحكته، المجلجلة الرائعة ولكن الذي أدهشه كذلك هو مدى العمل الذي بذفته في قراءة ورق اللعب. فقالت له :

- حذار صمت

وقد تساءل عما إذا كانت المرة الأخيرة، عندما قالت له ذلك وهو في دروه مجده وعظمت، نوعاً من الرؤيا الإلهامية المفاجئة بقدره وبعد قليل وصل طبيبه الخاص كي يكمل له عملية استئصال الدمايل والنشور من تحت بطنه نسله سراً عفوياً، كأنما لا يعلق عليه أية أهمية، عن الوضع الدقيق لقلبه ففحصه الطبيب ثم رسم له دائرة بصبعة اليد على صدره.

أطلق يوم الثلاثاء، يوم إعلان الهدنة، وطباً ماظراً ودخل العقيد أوريليانو بونديب إلى المصطح في الساعة الخامسة صباحاً، فشرّب قهوته حسب عادته. فعالت له أورسولا.

لقد حشأ إلى الدب في يوم كهذا وقد أحضت الناس جميعاً بمبائك المفتوحتين

للم يدرك شيئاً مما قالت، فقد كان همامه مصحاً على استعدادات الخش، وأصوب أبواق النعير، وإصدار لأوامر، التي كانت جميعاً تعكّر صفاء الجو عند العجر وكان الطبيعي أن تبدو له تلك الجدية شيئاً عادياً، بعد كل السنين التي قضتها في الحرب، ولكنه شعر بركبتيه تصطبكان وتصعقان، وبأمواج متتابعة من القشعريرة تحتاج جسده، وهو الشعور نفسه الذي أحس به، ذات يوم، بحضور امرأة عاربه وأخيراً وقع في مصيده من مضائق الخش، الذي يكاد لا يبين، عندما راح يعكر في ما لو أنه تزوج من تلك المرأة. أما كان يمكن أن له بعدو إنساناً سعيداً لا يعرف الجهد والحرب، مجرد حروفي بلا اسم، مجرّد حيوان سعيد وصحت هذه الهرة المتأخرة طعام فطوره طعماً مراً، ما كان ينتظر قط أن تصبه

وعندما حضر العقيد حينئذ ماركويز، في الساعة السادسة صباحاً مع جماعة من الضباط، كي يصحبوه، ألفه أكثر صمتاً، وأشد استعرافاً في لفكرته، وأكثر شعوراً بالوحدة من أي وقت مضى. وحاولت أورسولا أن تضع على كتفيه دثاراً جديداً، قائلة له

«تري ماذا سيظن رجال الحكومة قد يظنون أنك إذا استسلمت لأنك لا تمت ثمن دثار تشريه

ولكنه لم يفر. وعد عبدة الباب، رأى انظر ما يزال يهطل، فوضع على رأسه سعة قديمة من الخش، كانت يوماً لأبيه غوريه أوكادير بونديبا. وحدها قالت له أورسولا:

«علمي بأنك، إذا صادقت وقتاً عصيباً شيئاً هنالك، سوف تفكر بأمل».

فانقسم لها من بعيد، ووقع يده ملوّحاً بأصابعه المنبهدة، ودون أن ينس بيت شعرة، غادر البيت، لكي يواجه صباح الناس، وصرحات الشثمة والسب، وصوب اللعنة، التي كانت تلاحقه حتى غادر البندة

أسطفت أورسولا عارضة الحديد خلف الباب، وهي عازمة على ألا ترمعها ما دامت على قيد الحياة. وقالت في نفسها:

«لنتعفن ونهترى هنا في الداخل، فسوف نتحول إلى رماد في هذا البيت دون رجال. ولكننا لن نمنح هذه البلدة اليائسة سعادة أن ترائنا بيكي ونتحب

وأضفت صباح اليوم بطوله تبحث عن ذكرى لأب في أكثر الرواب ليغالب في اليلع والنيان، ولكنها لم تقع على شيء.

جرى الاحتفال على بعد خمسة عشر ميلاً من ماكوسو، في ظل شجرة كابوك ضخمة، بنيت حولها، فيما بعد، بلدة بيبيرلاندا، فاجتمع مندوبو الحرب والحكومة، وجنة الثور الذين كانوا يتقون أسلحتهم وقام على جدعتهم جماعة من الراهبات المبتدئات الشيطانات الصاخبات، يتسابقن البيضاء، كأنهن رفاً من الخمد أ جعله المطر ووصل العقيد أوريليانو بونديبا على ظهر بغل يعطيه الوحل، دون أن يحس ذاته فقد كان يعذبه، أكثر من شور إعلابه، انهيار أسلامه. فقد بلغ الحد الذي لم يعد بعده أمل، بلغ ما وراء الجهد والخش إلى الجهد. وقد ألهنوا لأوامره بالأ تعزف الموسيقى، وألا تطلق لأصهم النارية، وألا تفرع أجراس المرح، وألا يصدر أي هتاف من أحد. فكان لا يريد أي شيء من شأنه أن يخذل جلال حزن الهدنة. حتى أجبر المصور الجوال الوحيد على إلتفاف كل لوحاته السلبية لأنه التقط له صورة، كانت هي الوحيدة، التي كان

يمكن أن تبقى من بعده .

لم يستغرق لاحتيال سوى الوقت اللازم لتوقيع الوثائق فقد وضعت طاولة مسندية صيدته وسط خيمة السيرك المصوبة لهذه العاية . وقد جلس حولها مستويون ، ويسهم آخر الضباط الذين ظنوا على مساكنهم للعقيد أوريليانو بوينديا . ومن التوقيع حصول الممثل الخاص لرئيس الجمهورية أن يقرأ وثيقة التسليم بصوت عال ، معارضة العقيد أوريليانو بوينديا قائلاً :

- لا لزوم لإضاعة الوقت في الشكيات .

بينما استعد لتوقيع الأوراق دون قراءتها . ولكن أحد ضباطه قطع الصمت المهيمن على جو الخيمة كله ، قائلاً :

- أيها العقيد ، مرحب أن نرون عند رجائكم ألا تكون أول ملوطين

واستجاب العقيد أوريليانو بوينديا لرجاءه ، وبدأت الوثيقة حول الطاولة دورة كاملة ، في جو من الصمت المطبق ، حتى ليكاد المرء يسمي التوقيع من صوت حركة الريشة على الورق . وظل مكان التوقيع الأول على الوثيقة فارغاً ، واستند العقيد أوريليانو بوينديا لملء الفراغ . وعندها قال ضابط آخر

- أيها العقيد ، ما يزال هناك متسع لعمل الصواب .

ولكن العقيد أوريليانو بوينديا وقع نسخة الأولى ، دون أن يبدو عليه أي تغير في ملامحه أو تعابير . وما كاد يتهي من ذلك ، حتى بدا في مدخل الخيمة أحد العقلاء الثوار ، يجرّ بعلاً على ظهره صندوقاً . وعلى الرغم من كونه شاباً في أول ريعانه ، كان ذلك العقيد جافاً وإن بانث عليه علامات العسر . كان هذا خازن الثورة في إقليم مأكوبندو . وقد استغرقت رحلته ستة أيام ، وهو يجرّ بعله الجائع ، لكي يصل إلى المكان عند إعلان الهدنة . فأزّل الحموله عن البعل بطريقة احتشالية ، وفتح

الصندوقين ، ثم وضع على الطاولة اثنين وسبعين سبيكة ذهبية ، واحدة بعد الأخرى

وكان الناس جميعاً قد سوا كل شيء عن تلك الثروة . فهي فوضى السبه الأخيرة ، وبعد أن حُرمت القياده العامة ، وانتهت الثورة إلى مزاج بين قادتها ، وصفت للمسؤولية حتى استحالت تحديدها ، بقيت ثروة الثورة من الذهب ، فحوك الذهب إلى سيدك عطيت بالصخر ، وحفظت بحيث لا تصل إليها يد . وأدخل العقيد أوريليانو بوينديا سبائك الذهب الاثنين والنس في محضر الاستسلام والوثائق المرفقة به ، ثم أنهى العمل دون أن يسمح لأحد بإلقاء خطاب . ولكن العقيد الشاب ظل واقفاً أمامه مسرعاً يحدق فيه بحبه العنيت الصفتين . سأل العقيد أوريليانو بوينديا

- هل تريد شيئاً آخر ؟

فأجاب العقيد الشاب

- نعم ، الإصم

فكتبه له العقيد أوريليانو بويندي بخط يده . وتناول قطعة من رغائق السكرت ، وكأماً من يعمون ، بما قدمتته الرعايات ، ثم انسحب إلى حجرة عسكرية أقيمت له لكي يتريح فيها . وعندما دخل الخيمة ، جبع بميصه وجلس على حافة السرير العسكري . وفي الساعة الثالثة والرابع من بعد ظهر ذلك اليوم ، تناول مسدسه وأطلق الرصاصة على نفسه في وسط الدائرة المرسومة بصيغة اليهود ، التي رسمها طبيبها الخاص على صدره . وهي تلك المسدعة نفسها ، في مأكوبندو ، رصعت أورسولا العضاء عن قدر الحليب الموضوع فوق النار في الموقد . فقد دهشت لتأخرها من الغيلان . وفوجئت لما رأتها قد امتلأت دوماً ، فصاحت :

- لقد قتلوا أوريليانو .

ثم رست بنظرها بحر ماء العار بحكم ما تعودته في وحدتها. فرأت
روحها خوزيه أركاديو بونديا وقد يلكه المطر

وكان يبدو حزيناً تحت المطر، وقد طفت عليه الشبحوخة والمعجز أكثر
عما بدا عليه يوم مماته. فقلت أورسولا

- لقد أضلوا عليه الدر من الخلف ولم يكن حوله محس يغمض له
عيه

ولما رحب الليل وحنّ الظلام، رأت في السماء من خلال دموعها،
دوائر مشعة تتلافي سريعة وامضة، شبيهة بجمع الشهب، فظنت أنها مدر
الموت. فظنت قابعة تحت شجرة الكستناء، تبكي وتصحب في حضن
روحها، حتى أدخلوا العقيد أوريليانو بونديا، ملموفاً بدثاره الحشن
المطبخ بدمه الجاف، وعياه جاحظتان وتنهجان غصياً

نقد بها من الخطر فقد سلكت الرصاصة مساراً أميناً، واستطاع
الطبيب أن يدخل في صدره عقيلاً مبللاً باليود، وبعد أن أخرجه من
الجرح في صدره، قال بسرور

- هذه أعظم عملية أحرثتها في حياتي فهذا المسار هو الخط الوحيد
الذي يمكن أن تمر منه الرصاصة دون أن تمس أي عضو حيوي

ورأى العقيد أوريليانو بونديا الراهب وهو يحط به، ويرتل
أنشيد من الحرية من أجل راحة نفسه وقد شعر بالدم، عندئذ، لأنه لم
يطلق الرصاصة في فمه كما كان عازماً، ولكنه لم يفعل لأنه لم يكن
يريد أن يصدق نبوءة بيلار تيريزا.

فخاطب الطبيب قائلاً

- لو بقي لي بعض السلطة لأعذمتك دون محاكمة. لا لأنت أنقذت
حياتي، ولكن لأنك أظهرتني غيباً.

وأعادت له هزيمته أمام الموت، خلال ساعات قلائل، الكفالة والعظمة
التي فقدتهما أما الناس الذين أشاعوا عنه، اختلافاً، أنه قد باع الحرب
والثورة لقاء بيت جدراته مصنوعة من سبائك الذهب، فقد جعلوا هم
أنفسهم الآن، بروو القصص عن محاولة انتحاره، وكيف أنها دليل
على الشرف، معلين أنه شهيد عظيم.

وعندما رفض وسم الاستحقاق الذي منحه إياه رئيس الجمهورية،
رأه الك أعدائه في غرفته، الواحد بعد الآخر، وجعلوا يطالبون بأن
يقض شروط الهدنة ويعلن الحرب من جديد. وقد غص البيت
بهداياهم، لعلمهم بربلون أكثر موقعهم المعادي في الماضي.

وأخيراً، وبسبب تأثره بدعم رفاق السلاح، لم يستبعد العقيد
أوريليانو بونديا احتمال الاستجابة لرغبتهم والخاصهم. بل ظهرت عليه،
في بعض العترات، حماسة طاعية لفكرة الحرب من جديد. حتى ظن
العقيد جيريلندو ماركير أنه لم يكن يتظر سوى السب والمصبة
لإعلانها

وقد جاءت المناسبة عندما رفض رئيس الجمهورية أن تدع للمحاربين
القدماء، أحراراً كانوا أو محاضطين، رواتبهم، مشروطاً بتقديم ملف كامل
تصادق عليه لجنة خاصة. وتلا ذلك أن صدر قانون جديد بالرواتب عن
مجلس النواب. فأرعد العقيد أوريليانو بونديا هادراً

- هذا إخلال بالقوانين وخروج على الاتفاق وخرق له. فسوف
يلعنون أودل العمر في شيخوختهم قبل أن يصل البريد.

وللمرة الأولى، غادر مقعد الهزائن، الذي اشترته له أورسولا في فترة
السفاهة وأملى، وهو يذرع الفرقة جيشاً وذهاباً، برقية لرئيس الجمهورية
واضحة لا يس فيها. وكانت برقيته، التي لم يذع نصها قط، تشكل أول
خرق لمعاهدة بيرلاند، وتهدد باستئناف حرب لا هوادة فيها، ما لم

يقدر رئيس الجمهورية دفع الرواتب، خلال مدة أقصاها خمسة عشر يوماً. وقد كان من هذلة موقعة أنه كان يتوقع انضمام قدامى المحاربين الميخانيين إليه. أما جواب الحكومة فلم يكن سوى مضاعفة الحرس على باب بيته، بحجة حمايته، ثم منع الناس من زيارته مهما كان سبب الزيارة. واتخذت احتياطات وإجراءات مشابهة في مختلف المناطق، ضد القادة الذين كانوا قيد المراقبة. وقد أجريت هذه العملية في الوقت المناسب، وكانت جذرية وحاسمة، حتى إن أقوى معادوي العقيد أوريليانو بوندي كانوا، بعد شهرين من توقيع المعاهدة، أي حين شعبي من جرحه، بين صيب أو حفي، أو موظف مستوعب في إحدى تواتر الدولة.

عاد العقيد أوريليانو بوندي غرفته في شهر كانون الأول (ديسمبر)، وما إن حانت منه التمتع إلى الشقة حتى أتبعه من الكثير في الحرب وحدثت أورسولا شبات البيت، بحيوية ونشاط لا يتطرقان عن في مثل عمرها، وقالت بعد أن تأكدت أن ابنها سوف يعيش :

- والآن، سيرى الناس أي نوع من البشر نحن من يجدوا داراً أفضل من ذلها، ولا بيتاً أكرم من بيتنا، بيت المجانين.

فقد نظمت الدار، وظلت الحدران، وعُتِر الأثاث، وزرعت الزهور الجديدة في كل مكان، وشرعت لقوافد وفتح الأبواب، لكي يدخل، إلى كل أنحاء البيت، ضربه الصيف الرائع ثم أعلنت نهاية للحداثة المتكررة، وجمعت الثياب السوداء التي طُلِدت ارتدتها، المرة تلو الأخرى وجمدت، هي ذاتها، ربتها، وثيابها القديمة الخشنة التي استبدت بها ثياب الصبايا وصدحت في الدار موسيقى البيانو الالقي، وأحالت جو البيت إلى فرح ومرح فتذكروا أماراتها، وهي تسمع الموسيقى، يتردد كرسبي وهره العارديب المسائية وزاتحة الخراس المرافقة فأزهزت في

خدايا قلبها انداوي بقايا ذكرى صافية يفعل الزمن.

وذهبت يوم عسراً، وبعثا كانت أورسولا تنظم صالة الاستقبال، طليت المساعدة من أحد الجنود الذين كانوا يحرسون البيت، فأذن به قائده بذلك. وشباً قشياً، أحدثت أورسولا تكلف الجنود أهباء أخرى، كما كانت تدعوهم أحياناً لتناول طعام نعداء، ويهديهم ثياباً، وتعلمهم القراءة والكتابة.

وعند أنزلت الحكومة فيود الرقابة، بقي أحد الجنود في البيت، وعاش في خدمته سنوات طويلة. وقد وقع قائد الحرس الشاب في حب ريميدوس الجديدة، وحبها حباً حوياً ولكنها صلبة، فقبض عشقاً، ووجد ميتاً تحت نافذتها. وكان ذلك لدى بروج حجر أول يوم في السنة الجديدة.

بعد سين طويلة، تذكر أوريليتو الثاني، وهو على فراش الموت، عصر ذلك اليوم المطير من شهر حزيران (يونيه)، عندما دخل غرفة النوم ليرى ابنه الأول. وعسى الرغم من أن الطفل كان هزلاً ويكاد، ولا تبدو عليه أي من ملامح آل بونديا، فلم يتردد لحظة في الاسم الذي يطلقه عليه. فقال :

« سوف نسموه خوزيه أركاديو (١) ».

ورافقت زوجته فيرناندا ديل كارابو الجميلة، التي كان قد تزوجها منذ عام مضى، أما أورسولا فلم تتمكن من إخماء شعورها بقلق غامض. وخلال تاريخ العائلة الطويل، ونتيجة لتكرار الأسماء بشكل ملح، تولدت لديها مشاعر، أوصفتها إلى نتائج كانت تظن أنها محترمة. فكل من كان يحمل اسم أوريليتو كان انطوائياً مغلقاً على ذاته ونافذ البصيرة وكل من حمل اسم خوزيه أركاديو كان عصبياً ولكنه رقيق موسوم بالمأساة، ما عدا اثنين لم يمكن تصنيفهما، وهما خوزيه أركاديو الثاني وأوريليتو الثاني. فقد كانا، في طعونهما متشابهين، كثيري الحركة والأذى، حتى إن أمهما سانتا صوفيا لم تكن تستطيع أن تميز أحدهما عن الآخر. وبذلك عمدت أمارات، يوم تعميدهما، إلى وضع سوار في يد كل منهما، عليه الحروف الأولى من اسمه، وألبسهما ثياباً مختلفة

(١) باسم جده، الرجل الذي

ونكحهم جميعاً بدأ الذهاب إلى المدرسة، جعلها يتجاذلان السواوين والثياب، ويدعو كل منهما لآخر باسمه. وجرى في أسرهما معمم المدرسة، ملكيور إسكالود، الذي اعتاد أن يميز خوزيه أركاديو الثاني بقصيصه الأخضر فلم يدر بأية ملائكة يستحير حين اكتشف أنه يلبس سوار أوريليتو الثاني، وأبى الآخر يقول، كذلك، أن اسمه هو أوريليتو الثاني، عسى الرغم من أنه كان يلبس القميص الأبيض والسوار الذي يحمل اسم خوزيه أركاديو الثاني. ومنذ لم يعد يميز أحدهما من الآخر بشكل يقيني بل إن أورسولا كانت تتساءل، بعد أن كبر، وهرقت بين ملامحهم الحياة، ما لإد كانا هم نفسهما قد أخطأ، ذات مرة، في التسمية التي كان يعيها، فاتحد الواحد منهما اسم الآخر إلى الأبد. وقد كانا، حتى بلغ من الرشد، كأنهما أكتان موهوتان. فكان يستيقظان في اللحظة ذاتها، ويحسان، في اللحظة ذاتها، بالرغبة في قضاء حاجتهما، وتعييهما الانحرافات الصحية ذاتها، بل كان يريان الأحلام ذاتها.

كان أهل البيت يظنون أنهم يسقان حركاتهما، فيما بينهما، لأهم يستعبدان لإصع الناس في الخطأ. ولم يدركوا حقيقة رافعتهما إلا حين ندمت لهما أمهما اليعقوب، فأكد الثاني، قبل أن يلدونه لأول، أنها كانت بلا سكر وروت سانتا صوفيا (أعديسة) بحادثة لأورسولا، وأنها كانت مدببة فعلاً أن تصع سكر في الكأس فقال أورسولا، دون أن تصيها الفعنة :

« إنهم جميعاً هكذا، يولدون مجانين.

وخفت حدة العرض مع الأيام، وفعل الرمن معه لاحظ بينهما. فالذي خرج من البعثة وهو يحمل اسم أوريليتو الثاني صار كبير الهامة صحم الجسم كأجداده، والذي بقي يحمل اسم خوزيه أركاديو الثاني صار نحلاً مائى العظام كالعقيد. ولم يبق بينهما سوى سعة واحدة تجمع

بهما ورثاها عن العائلة، ألا وهي ظهرة الوحيدة. وربما كان ذلك هو الذي جعل أرسولا نظر أن خطأ قد وقع في اسميهما منذ طفولتهما فتبادلا اسميهما، لأنهما لا يتطابقان مع هيتيهما وخلفيهما وطبعيهما وبهيتيهما.

وورد الاختلاف الجاسم بينهما إبان الحرب. فقد طلب خوزيه أركاديو الثاني من العقيد جيريسو ماركيز أن يصطحبه ليشهد تنهيد أحكام الإعدام. فلبى طلبه رغم معارضة أرسولا يسم كان أوريباتو الثاني يرتجف لجرد الحديث عن مشاهدة أحكام الإعدام، ولذلك فضل البقاء في البيت. وفي سن الثانية عشرة، سأل هذا الأخير أرسولا عما عثره المعرفة للفتنة. فأجابته:

- فيها كتب ملكيادس، والأشياء العريية التي كتبها في أواخر سبي عمره.

فراده ذلك الجواب حياءً للاستطلاع بدلاً من أن يهينه. فالحق عني أرسولا أن تعطيني المعانيخ، وأعداً بإصرار ألا يمسد شيئاً. ولم يدخل أحد مكتب ملكيادس منذ اليوم الذي خرجت فيه جثته منه. فأعلق بفعل مدّ الصدا مافله.

وعندما فتح أوريباتو الثاني سوافد المكتب، دخلت إليه أشعة هدنة، وكأنها كانت تدخذه كل يوم فتشير جساته. فلم يكن هي المكان أي أثر للبار أو بيوت العناكب. حتى العكس من ذلك، كان كل شيء نظيفاً، وكأنه مكنوس ومنظف لشوّه حتى بدأ أنظف وأفضل مما كان عليه يوم الدس الخسري تعمر ههجرة لم يجعب، ولجمال المعدن لم يتأكسد والحمرات ما زالت تشع متقعدة في اللوقد الذي مكّن خوزيه أركاديو بونينا من الحصول على الرزق المتبحر. وكانت الكتب منهدة على الرفوف، وقد غلغت بورق مقوى شاحب اللون شبيه بجلد الإنسان.

المديح، وكذلك المخطوطات التي لم تمس. وكان هواه المكتب أنقى منه لي مسائر غرف الدار. عسى الرغم من أنه ظل مقعلاً حتى مدى أعوام طويّة. وكان كل ما في العرصة نظيفاً ومهيأً أحسن حال، حتى إن أرسولا، عندما دخلتها بعد بضعة أسابيع، لم تحس مكسرة وسطى ماء كي تفصل لأرضها، لم تجد ما تفعله فيها.

كان أوريباتو الثاني يستغرق في قراءة كتاب كان بلا غلاف ولا عنوان ظاهر. ولكن ذلك لم يمنعه من أن يكتب عني محتواه بلدة عجبية. وكان الكتاب يروي قصة نكاح المرأة، التي كانت لا تأكل، إذا جئنا إلى حادثة، إلا حياتاً لمر تلصقها بالديبيس، وقصة الصيد الذي استعار صابوره شبكته من جدره. ولما قدم له سمكة بدلاً من ذلك، كان في بطن السمكة ماسة كبيرة، وقصة المصباح الذي يسمح بباللرغبات وبهيه، وقصة بساط الريح. وقد عجب العلام، أوريباتو الثاني، فسأل أرسولا ما إذا كانت تلك الأمور صحيحة، فأجابه بأن العجبر، عندما كانوا يزورون ماكوندو منذ سنين بعيدة، كانوا يحملون معهم قناديل المعجيبه وبساط الريح، وأضاف متنهفة:

- ولكن ما يحدث هو أن العالم صائر إلى الروال رويداً رويداً، وأن تلك الأشياء لم تعد تفعل إلى هنا.

وعندما أنهى أوريباتو الثاني قراءة الكتاب، وقد وجدت منه بعض القصص، بعضاً من بعض صفحاته، بدأ بدراسة المخطوطات واستحال عليه فهمها لأحروها. كانت تبدو له كتاب مشورة على جبل غيل وكانت أقرب إلى كتابة الأنعام الموسيقية مما إلى حظ الكتابة المعروفة. وبسبب كان ذات يوم، شديد الحرارة ولا سيم عند الظهيرة، يسلك كل جهده للحداد إلى سر نخطوطات، أحسن فجاء أنه لم يكن في المعرفة وحيداً. فقد كان ملكيادس جالساً، ويده على ركبتيه، مقابل الضوء.

القدوم من النافذة. كان لا يبلغ الأربعين من عمره، ويرتدي صدرته الحربية الشكل مسهد، وقبعته الشبيهة بجناحي غراب، يتلامع على صدغه الأشياء المنحجم اللذائب بفعل الحرارة، تماماً كما سبق أن رآه أوريليانو وخوضه أركاديو في طفولتهما.

وسرعان ما عرفه أوريليانو الثاني، لأن تلك الذكرى الورتائية كانت تتغل من جيل إلى جيل. وقد وصلت إليه عبر ذاكرة جده حياه أوريليانو الثاني :

- سلاماً

فأجاب ملكيادس :

- سلاماً، أيها الفتى.

وملئله وعلى مدى بضع سنين. كان يلتقيان كل عصر تقريباً معبدته ملكيادس من العالم: وحاول أن يزرع فيه حكمته القديمة، ولكنه رفض أن يترجم له المخطوطات. وذكر له السبب قاتلاً ينفي ألا يعرف أحد معها قبل أن يبلغ سنه مئة عام.

وكنتم أوريليانو الذي أمر هذه اللعائنات، وحافظ على سريتها ولكنه شعر، ذات يوم، بانتهيار ذلك العالم الذي لا يعرفه سواه. عندما دخلت عيه أوردسولا العرفة، في اللحظة التي كان فيها منكبادس. ولكنه لم ترو. مسائله

- مع من كنت تكلم؟

فأجاب أوريليانو الثاني

- لا أحد.

فقال أوردسولا :

- ذلك ما كان يفعله جد أيك. فقد كان مثلك يحدث نفسه أيضاً

خلال ذلك الوقت نفسه، كان حوربه أركاديو الثاني قد أشبع رغبته في حضور تنفيذ أحكام الإعدام. وسوف يتذكر طوال عمره معات تلك الطبقات الست، التي دوت في آن واحد، وصدف المتردد بين التلال، ونبت الأبناسمة الباهتة الخيرية لأحد المهكومين بالإعدام، وعيه النالتهين. وقد ظل منتصباً بعد أحد يتدل بالدم، دث الذي ظل ميتساً حتى بعد أن نكو وثاقه المربوط إلى العمود ووضعوه في صندوق مليء بالكبس. حتى قال حوربه أركاديو الثاني في نفسه :

- ما يزال حياً. سوف يدفنونه وهو حي.

وقد أترأشده في نفسه، حتى كره الحرب وكل ما هو عسكري، لا بسبب لإعدامات وحسب، وإنما بسبب تلك العدة المخصصة من دمن معدمين وهم أحياء. ولم يذكر أحد، فيما بعد، متى بدأ على وجه التحديق يقنع أجواس برج الكنيسة. ويساعد الأب أنطونيو إيرازيل، حبيبه الكاهن السابق في أدبه الصلاة. ولا متى بدأ يربي ديكه يقتال في باحه الأهرشية

ولما علم العقيد جيريبدو ماركيز بأمره، وبوجه بقسوة، وأحد عيه أن يتعلم المنس التي يشجبه الأحرار. وعداها أجاب قاتلاً

- حقيقة أنني أظن أنني قد تحولت إلى محاط. وكان يبدو عليه كأي يؤمن بأن ذلك قدر محتوم. فثأر جوابه العقيد جيريبدو ماركيز، فأخبر أوردسولا بأمره. فليدت موقعة قتلة

دث أمر حسن، فمعه يصح كاهناً، ليُدخل الله هذا البيت أخيراً وسرعان ما انكشف أن الأب أنطونيو إيرازيل كان يعدد لتوب القريبات الأولى كان يعمله تعاليم الدين، وهو يحتل الريش عن ركب الدبكة استعدداً بنفسه. وكان يشرح له، بالأمثلة البسيطة، وهو يضع الدعايات الحاصات في أعشاشها. كف نكر لله، في اليوم الثاني من

الحقيقة، أن العرج يمكن أن تتكون داخل البهنة

وبعد تلك الفترة، بدأت تظهر على الخوري أمراض الشجنوخة، مما دفعه للقول، بعد بضع سنوات، أن الشيطان ربما يكون قد خرج متصراً في ثورته ضد الرب، وأنه ربما يكون هو الذي يجلس على العرش السماوي، دون أن يكشف عن هويته الحقيقية، كي يحدج الأبرياء ويدفع خوري أركاديو الثاني وراء حماره تعلمه، فتوصل، بعد بضعة أشهر، إلى أن يكون في مثل خبرته في التعاويد اللاهوتية التي تبليط الشيطان، من واحد من وأمره في المكاس والمنصائد التي كانت نصب في حظائر قتال الديكة

وخضعت له أسراراً مرة كتأجب حاد قبة عالية وريطة عنق، واشترت له حذاء أبيض، ونقشت له اسمه بحروف مذهبة على الشريطة المصعقة بشمعتة وتبل يومين من موعد العرياد الأول، اصطعبه الأب أنطونيو إريابل إلى عرسته، حيث أعلق للباب عليهما، ليأخذ اهترافه، ومعه ناموس الخطايا

وكتبت قائمة الخطايا طويلة جداً، حتى دم الخوري المعجور في مقعده قبل أن يبيع بهائيه، لأنه كان معتداً على النوم في الساعة السادسة وكان الاستجواب نجياً حقيقياً ضد خوري أركاديو الثاني ولم يعجب حين سأله الأب إن كان قد ارتكب أفعلاً تبيحة مع الماء فأجاب صامداً بالغي. ولكنه شعر باختلال توازنه عندما سأله ما إذا كان قد ارتكب مثل تلك الأفعال مع الحيوانات. وكان تناوله القربان في أول يوم جمعة من شهر أيار (مايو)، مدموماً بحب الاستطلاع الذي كان يؤرقه وقد ألقى السؤال، فيما بعد على بيثرونيو القديمت (خدام الكبيسة) المربص، الذي كان يعيش في البرج، ويروي أنه كان يتعمد بالخمافيش فأجابه بيثرونيو:

هناك مسيحيون فاسدون خطاة، يفعلون مثل هذه الأمور بالخير.

والج خوريه أركاديو الثاني في حبه للاستطلاع، مراح يسأل أسسه كثيرة جداً، حتى عيل صير بيثرونيو، فأعترف له قائلاً:

أنا لأذهب بهذا الشأن كن بيلة ثلاثاء. فهذا وعدتي ألا تبوح لأحد فأخذك معي الثلاثاء القادم

ولم يحض بيثرونيو وعده ليلة الثلاثاء التالي، مترب من البرج، وهو يحمل مقعداً صغيراً، ما كان أحد ليعلم لماذا يستعصه واصططح خوريه أركاديو الثاني إلى حرج قريب في تلك الناحية وسراً العتي بذلك العروت البلية، حتى لم يشهد، إلا بعد مدة طويلة، في محرن كاتارير وأصبح من رجال مصارعة الديكة وقد حاطبت أوسولاً، عندما شاهدته أول مرة يدخل النار ومعه تلك الطيور الخبيثة المقاتلة، قائمة بحرم

لقد جلبت الديكة على هذه الدار من الحرارة والنموس ما يكفيها ويريد، حتى تأتيها منه بأمر يد. بعد هذه المخلوقات إلى مكان آخر، فلا أريد أن أراه هنا

فأبعد خوريه أركاديو الثاني الطيور عن الدار دون مناقشة، ولكنه تابع تغديته ولاهاء بها وتغريتها في بيت جدته بيلاز تيرير، فقد وضعت هذه تحت تصرفه كل ما كان يريده لعلها تراه في بيئها وقد وضع، فيما بعد، موضع التنفيل، كل لمعرفة التي أخذها عن الأب أنطونيو إريابل فخرج من مال ما يكفي لتطوير تربيتها، ولتحصون على مددات الرجال الحقيقية

في تلك الفترة، لم تكن أوسولاً لتعرف، هنذا تقاربه بأخيه، كيف ائترق، إلى هذه البرحة، التواضع، بلان كانا يدوان كأنهما كائن واحد في طفولتهما ولكن استمرابه بدأ يتلاشى عندما لاحظت، بعد قليل،

كيف أحد أوريليانو الثاني يتحول فجأة إلى الكسل والملاذات فقد بقي طوال انحباسه في مكتب ملكيادس، مطوياً على نفسه كما كان العقيد أوريليانو يودع في شبابه ولكنه في الفترة التي سبقت معاهدة بيرلاند، أخرجته مصادفة البعثة من انظرائه واستغراقه، ودعت إلى مواجهة للواقع في الحياة

فقد دخلت عليه، يوماً، صبية تباع أوراق اليانصيب، التي يبيع فيها صاحب اليانصيب آلة الأوكورديون الموسيقية حيث عمدة ظاهرة، دون أن يستعرب فكثيراً ما كان الناس يظنون أنه أخاه خوريه أركاديو اللثقي. ولم يحاول هو أن يرفع اللبس، أو يصحح خطأها، حتى عندما حاولت أن تستدر حظه بدموعها وانتهى الموقف بأن صحبه إلى غرفتها وقد أحت بعد لقاءهما لأول حياً دفعه نهم، عند سحب اليانصيب، فبيع الأوكورديون. ثم اكتشف أوريليانو الثاني، بعد أسبوعين، أن تلك الفتاة كانت ثعاشه وتعاشر أخاه على التوالي، ظناً منها أنها واحد. وبدلاً من أن يعتمد إلى إيضاح الأمره عمل على ترتيب الوضع بحيث يستمر، ولم يعد يبعها إلى مكتب ملكيادس. فكان يقضي فترات ما بعد الظهور في فناء المدار، يتلرب على العرف على الأوكورديون اعتماداً على السمع، على الرغم من اعتراضات أورسولا، التي كانت قد تمتع الموسيقى في أذاره نظراً لجمالها المتناهي، ولأنها كانت تحتقر الأوكورديون فهو عندها آلة لا تصلح إلا لملأفقر السوديين، من رثة مرسييسكو الإنسان. ولكن أوريليانو الثاني أفلح في أن يكون عازف أوكورديون ماهراً وقد تابع العرف عليه حتى بعد أن تزوج وأنجب أطفالاً، حتى صار واحداً من أكثر الناس احتراماً في ماكوندو

ظل حلال ما يقرب من شهرين يقاسم أخاه تلك المرأة بل كان يتلخص عليه ويراقبه ويصعد له حظه حتى إذا أيقن أن خوريه أركاديو

الثاني لم يبع، في ليلة ما، إلى عشقتهم مشتركة، ذهب هو إليها ليعاشرها وقد أحس في صباح أحد الأيام أنه مريض ويعد يومين، من ذلك، وحدها في الحمام وقد مضى معاوضة حشبية، ينصح عرفاً ويسكي بدموع ساحبه وعندها أدرك الأمر وأعترف له أخوه بأن تلك المرأة قد طردته لأنه بقل إليها مرضاً من الأمر من الذي يدعوها بأمراسل الخد وأخبره بأن بيلار بيريرا كانت تحاول علاجه فأحضر أوريليانو الثاني نفسه، سرّاً، لوصول البيرمانيات الخارقة، واسرائيل امرأة سول ثم شعبي كل منهم وحده، بعد أشهر ثلاثة قصبتها في الأم مناصرة مكتومة. ولم ير خوريه أركاديو الثاني تلك المرأة من بعد فقد يب حصل أوريليانو الثاني على معرفتها، وبقي معها حتى مماته

كان اسمها بيريرا كويس وقد جاءه إلى ماكوندو إبان الحرب، مع روج، جمعتها به مصادفة، كان يعيش على بيع أوراق اليانصيب. فماتت نابعد هي العمل ذاته كاتب شابة خلاسية نظيفة، ذات عيون صفراوين لورتي الشكل، عجبان وجهها شرسه همد ونكهة كانت ذات قلب كريم، وكانت هائلة راتعة في حياة الحب.

وقد جن حوب أورسولا، عندما عشت أن خوريه أركاديو الثاني كان يربي ديكه القتال، وأن أوريليانو الثاني كان يعرف على الأوكورديون في رحلاته الصحابة، وأنه يبادل، دون تحفظ، محظية لمسات. وكأنه قد جمعها فيهما كل ردائل العائنة، دون أن يأخذ أية فضيعة من فضائنها وعندها اتحدث قواربه بالأ يحمل أحد، بعد اليوم، اسم خوريه أركاديو أو اسم أوريليانو ومع ذلك لم يجرع على معاوضة أوريليانو الثاني في إزادته. فقللت له :

- حسناً، ولكن بشرط واحد وهو أن أريه نفسي.

وقد حافظت أورسولا على نشاطها الجسمي وحيويتها، وراعة

حلقها، وتوارثها العقلي، مع أنها كانت تنافس على الملك من عمرها وتكدس تفقد بصرها نتيجة لسادات العينة (أي الماء الأزرق). ولم يكن هناك من هو أفضل منها لتربية إنسان فاضل بحرص على صحة العائله، إنسان لم يسمع قط بشؤون الحرب أو دنكة القتال والبيعيا والمصاعرات الطائشة، تلك الدواهي الأربع التي حسب رأي أورسولا قد جرت سلاكتهم إلى الدمار ولذلك عاهدت معها، بكل وقار، قائلة - سوف يصبح هذا حوريًا، وإذا مد الله في عمري، فإنه سوف يكون البيا.

وانمجر جميع من سمعها صاحكًا، لا في العرمة وحدها، بل في الدار كلها، حيث اجتمعت عصبة أوريبانو الثاني الطائشة وبني الناس (الحرب في مستودع الدكرات، عبر أن طيعها قد عاد شبحاً لدى ازياد القوقعة الناجمة عن رفع مديانات زجاجات الشميانا. قال أوريبانو الثاني، وهو يرفع كأسه، - في صحة الياب.

وشرب المدعوون الخب جميعاً، وعزف صاحب الدار على الأكورديون وانطلقت الأسهم نارية ليداناً بالفرح، ودوى قرع الطبول في أرجاء البدة وما انبلج الفجر، ورفوى الصيوف بالشميانا، محرو ست يقرن، تركوها في الشوارع للناس ولم يهاجأ أحد بكل هذا، ولم يعتبره أحد عاراً. فقد صار مثل هذه الأحداث شيئاً عادياً منذ تسم أوريبانو الثاني إداره البيت وقد كان سبب هذه الخمرة واضحاً، إذ ليس هناك أهم من ولادة الياب.

واستطاع أوريبانو الثاني، خلال سنوات قليلة، ودون جهد يذكر، ولا ما أسعفه به، أن يجمع ثروة من أهم الثروات في إقليم المديو لأقليم المستنقعات) بفضل تكاثر حيواناته غير الطبيعي. فكانت خيئه تد ثلاثه

موائم، ويبصر دجاجة مرتين في اليوم، ونسج حاريره حتى درجة حوسبة ولم يمكن أحد من تفسير تلك الظاهرة عن غرلوثة الأثقال، إلا إذ كان يستخدم طرائق سحرية. وكللت أورسولا تقول لابن حفيدها لأرعى
 لن يدوم لك هذا الخط إلى الأبد فاستعد منه واقتصد شيئاً الآن.

ولكن أوريبانو الثاني ما كان ليهتم بما تقول. فهو ما يفتش بعث رحاحات الشميانا لكي يسكر اصدهاؤه، وما تمكك بهائمه ترفاد جنوباً في الولادة ويرداد هو اعتماداً بأن سطوع نجمه لا يمت إلى تصرفاته بصلته، بل هو ناشئ من عشيقته يسرا كوتيس التي كان حبها فصيلة تعبير عظم الطبيعة وتوطدت ناهته بمصدر ثروته، حتى جعل يسرا كوتيس قرية دائماً من حيواناته. وقد ظل يعيش معها حتى بعد روحه وإحباب أطفاله، بمواقفه ووجته قبراندا.

كان أوريبانو الثاني قوي البنية، عملاقاً كأجداده، معماً بالحيوية بل كان يحوق أجداده، بما لم يكن لديهم، بسحره الذي لا يقاوم ولم يكن لديه ما يكفيه من الوقت لتعبه بقطعانه وقد كان تكفي أن يقترب من البهائم، وصحه يسرا كوتيس، فيسمر، وهو على صهوة جواده، بالأرض التي تتكاثر فيها حيواناته، حتى يصاب كل حيوان منها بطاعون التكاثر الهائل والذي لا شفاء منه

وبعد حصل على تلك الثروة بمحض المصادفة، تماماً كما ظنت المصادفات هي الأصل في كل ما جرى له من أمور طيبة في حياته الطويلة

فقد بقيت يسرا كوتيس تعيش من دخل اليانصيب حتى نهاية الحروب، وكان أوريبانو الثاني قادراً، من وقت لأخر، على سرفه مدحرات أورسولا وكان وليها يشككلاً رجلاً خفيف الظل فلا هم

لهم، لأن ساما معاً حتى في الأيام الممطرة، وأن يثرثرا معاً في السرير حتى الصباح وكانت أورشولا تصرخ في وجه ابن حبيدها، عندما تراه راجعاً في الصباح كمن يحشي في ثوبه

سنة امرأة سب ضيقك ودمرد، فقد سحرثك، وليس بعيداً أن أراك يوماً نسوي من مرض القوسج، وقد استقر ضمير طيبي في بطنك.

وقد مرّ وقت طويل حتى اكتشف حوري أركاديو الثاني أنه قد عرل، وأن أحده قد حلّ محله. ولم يدرك معنى عاطفة أخيه وعشقه فكان يذكر عن بيتر كوتيس أنها امرأة عادية، وأنها كسوة في العرائش، وغير موهوبة في تعاطي الحب. وأصبح أوريليانو الثاني أدبياً عن صراح أورشولا، وسعيرة أخيه، روح يفكر في احترام مهنة تمكده من إيجاد بيت لبيتر كوتيس، لكي يموت معها مومها ومحبها، في ليلة حب محمومة لا تعرف حدوداً

وعندما عاد العبد أوريليانو بويدبا لفتح شعبه من جديد، وانكسأ على عممه مشدوداً بيدائل الشيوخية الهادئة المملئة، عن أوريليانو الثاني أن ذلك قد يكون حرفة رابعة. مماذا، بو كرس وقته بصياغة الأسماك الذهبية وروح يحشي الساعات الطوال، في تلك الغرفة الصغيرة الخارة، وهو يشاهد كيف تتحول صحائف المعدن القاسية، بفعل الجهد والبصر من ذلك الرجل العقيد الذي ضيع أوهامه، إلى حراشيف ذهبية

ويحدث به مهنة شاقة، وأخت عليه ذكرى بيتر كوتيس، وشذته غثوث المثلث بعد ثلاثة أسابيع. وفي تلك الفترة، خطرت لبيتر كوتيس فكرة لأرانس، بعد نريتهما واكتشافها متكاثرات لأرانس، وكبرت بسرعة لم تكده تتروك بها من الوقت ما يكفي لبيع تلك الياقوتات. ولم يدع أوريليانو الثاني، في البدء، التمساح الفذهل في تكاثرها. ولكنه، ذات ليلة، وقد سئم أهل البلدة كل ما يتصل بياقوتات الأرانس، شعر بحركة

هزينة وراء جدار اللؤلؤ. ففالت له بيتر كوتيس *
- لا تفق. فهي الأرانس

وتم يستطعم اليوم طوال تلك الليلة، سبب الصبح الهائلة، صادرة عن تلك الحيوانات، وحركتها الدائبة. وقد فتح أوريليانو الثاني الباب عند الفجر، رأى في ضوء الصباح الوليد أرض الدار وقد عطشها أمواج الأرانس الرق وانفجرت بيتر كوتيس صاحكة، ولم تستطع مقاومة الحكمة المعطلة، فقالت له *

- هذه مراليد الليلة الماضية وحده

صباح بهلع *

- يا الهي، فلم لا تهرين ذلك على البقرة!

ويعد بقعة أيام. وفي محاولة منها لتنظيف باحة الدار استعاضت بيتر كوتيس عن لأرانس ببقرة. فولدت البقرة، بعد شهرين، ثلاثة بوائيم. وهكذا بدأت الأمور. وبين عشية وضحاها، صار أوريليانو الثاني مالكاً لأراضٍ وقطعان لا يتسع له الوقت معها لتوسيع اصطلاته وحظائر حانيزه. كان ذلك نوعاً من الخصب الذي يسبب الدوازه ويبعث على القمعهم بحور. ثم يكس أوريليانو الثاني يستطيع مقاومة التصرف اللاهني تعبيراً عن قرحة ومرحه. فتراه يصبح أحياناً *

- كمس أبها البقرة، فالحياة قصيرة

وكانت أورشولا نساء، فمدا يهر ويبس معها، فيما إذا كان الرجل قد وقع في ورطة ما، أو فيما إذا كان يسرق أو صار لص حيوانات، وكانت كلما شاهدته يفتح رجلاه شمبات، كي يستمتع بصوت رعوتهما على رأسه، تصحب به معنفة يده لإسرافه. وقد أخت في إزعاجه، حتى إذا أوريليانو الثاني، وقد استمتع ذات يوم وهو يمهض فرحاً وحبوراً،

مجدد وهو يحمل صدوقاً مليئاً بأوراق المال، وعبه صمغ وعرشاة ثم انطلق يصي ماغى صوته أغاني فرانسيكو الرجل القديم، يسا كان يرحل أحباراً، من الداخل إلى الخارج، ومن أعلى إلى أسفل، بأوراق عسمة فيه كل منها يرو واحد فصار اليب القديم، الذي ظلوه باليونان لثمن، مد الفترة التي جنس فيها البانوا الأكي، ن مظهر غريب، وفي حلقهم القصحة العنقية الكبيرة، ووسط صراخ أورسولا المتصاعد، وقد صافت درعاً بي رأب وسمعت، وفي عمرة أفرح أهل البلدة الذين غصت بهم الشوارع، وقد أحشدوا يشهدوا درة والإسراف، انتهى أوريليسو انشي من عمله ذات بأن رن المكان الممتد من الشرفة حتى الفصح، مروراً بالحمامات وغرف النوم ثم ألقى ما تبقى من أوراق العملة في بناء الدار، هاتفاً

والأد أرحو ألا يحدثني أحد في هذا البيت عن حال بعد اليوم، وهكذا كان بعد انشرفت أورسولا لأوراق المالية التي غطت اخذران، وأخذت طلاء البيت باليونان الأبيض ثم دعت له فائلة يا إلهي، أعدنا مقبره، كك كاً يوم أسب هذه البينة، كي لا نحاسب في الحياة الآخرة على كل ما بآؤناه

ولكن لاستجابة له عائلا كان معكوسه، فقد صعدم، مصادفة، واحد من العمال ندين كانوا يرفعون الأوراق للماله عن اخذران، يتمثال صمغ من الحسن بقديس حوربه جاء به بعضهم، هي آخر سي الحرب، إلى الدار فنبطم التمثال لأخوف على الأرض، فكان محشواً ما تقطع الذهبية وب كان أحد يذكر من جاء هذه بقديس بالحجم الطبيعي قالت أماراتنا .

جاء به ثلاثة رجال إلى هنا وسألوني أن نحفظ لهم به حتى يتعرف المنظر تطيب مهم أن يصعوه ها في الراوية، وبقي حيث هو

منذ ذلك الحين، لأن الرجال لم يرجعوا قط كي يأخذوه.

في الأيام الأخيرة، كانت أورسولا توفد عنه الشيوخ، وترجع أمامه، وما كان يحظر لها، ما دام ذلك قديماً، أنها كانت تعبد ما يدهر أربع مئة ليلة ذهباً واد في حربها ذلك الدبل غير المقصود على ونسبها ومن تشأ أن تحس ثمت الكرامة الهائنة من القطع الذهبية، فعيايتها في أكسس ثلاثة من القتب، وودتها في مكان سري، في انتظار عودة الثلاثة المجهولين كي يستعيدوها وكانت أورسولا بعد زمن طويل من هذا، في أواخر سيجوحنها، مشرك أحياناً في أحاديث المسافرين، وتحدث من يرون بالبيت، تسألهم إن كان سبق بهم أن مروا ومن الحرب، من هاء، وتركو عندهم، أمه، عمالاً لبقديس حوربه مصروعاً من الجبس، ويضا يتعصي من الشتاء

كانت الأمور التي بشد انتباه أورسولا، بل وبدهشها، هي تلك الحجة، أموالاً عادية وكانت ما كوندو يعرف في معدم هائل فقد حل محل موت الطين والقصص التي يدها الرواد الأوائل، أسية من حجارة الطوب والقوميد، أبوابها، وبها هذا من حشمت، وأرضها من الإسمنت، في جمل سعتي ما بعد انظهم، الخائنين بحوارتهما، محتشمين ومن يق من مرة حوربه أركاديو نوسيب القديمة سوى أشجار سور معتزة، التي هومت كل عوامل طبيعة ونقشاتها، مأساوية، والهر، بمباهه الشماعة اشتدقه فوق حجارته ما قبل السربية، والتي أحدثت تطحنها صريرات حوربه أركاديو الثاني المجهولة فقد عرم على تطلف مجرى النهر، سقم فيه ملاحه بهرية وكان ذلك حسماً أحرف شبيهاً بأحلام حبه الأول (جد أيبه)، لأن المجرى الصحري كان كثير «محدرات، سريع التدفق، في يحول دون إنشاء ملاحه بين ما كوندو والبحر ولكن حوربه أركاديو الثاني كان يتشكك بمشروعه في سورة عروو غير المقهور. وكان، حتى

دنت الوقت، لا يبدو منه ما يدل على سعة حياته ولم يعرف عنه أنه
عاشر امرأة غير عشرته العشرة لبيتر كوتيس وكانت أروسولا تعتبره
أضال نموذج في تزيين العائنة كله فلم يكن قادراً على أن يورز في
شيء حتى صراع الديكة حتى حدثه العقيد أوريليانو بوينديا ذات
يوم، عن المركب الإسباني المذوق على بعد ثمانية أميال من البحر،
وروى له أنه رأى بعينه إطره لتكلس خلال الحرب تلك القصة التي لم
يصدقها الكثيرون طوال سنين ولكن خوريه أركاديو الثاني وجد فيها
نوعاً من الكشف، فباع ديكه لأفضل من دفع له، واستأجر رجلاً،
واشتري أدوات، واندمع بعاد في معمرته الكبرى فحصل إلى كسر
الصخور، وحفر لأبيه، وسرعيل الحجارة وتسوية الشلالات وكانت
أروسولا تردد قلقة -

- أعرف كل هذا عن ظهر قلب فكان الرمان يعيد نفسه، وكانت عدد
من حيث بدأنا،

ولما ظن أركاديو الثاني أن النهج بات صاحياً للملاحة، حدث أخاه
لوريليانو الذي عن خططه تفصيلاً، بأعضاء أخوه الذي لازم لمشروع

وتواري خوريه أركاديو الثاني طويلاً عن الأنظار، فبدأ بعض الناس
يرورون أن دعه شراء مركب لم يكن سوى حله بفرار جمال أخيه ولكن
الناس لم يشعروا أن تدفوا خبر سعيه عجيبة تغرب من البسة وتصارع
أهل ماكوندو إلى ضعة النهر، وكانوا قد سوا معامرات خوريه أركاديو
بوينديا الرهيبة فرأوا، وهم شبه مسجونين دهشة أول مركب، وآخر
مركب، يرسو في البسة والواقع أنه لم يكن سوى طواقفة من حلزوع
الأشجار، يجرفه نحو عشرين رجلاً بحبال غلظة، وهم يحادونها
متعدياً عليها، على صعتي النهر وكان خوريه أركاديو الثاني يحس
في مقدمة المركب، يوجه العجلة، معامرة الصعبة، وبريق الرصا في

عبيه وقد جاء معه، على القارب، جمع كبير من الصياد للماحرات،
يحتشم من الشمس الحارقة بمظلات فائقة الألوان، ويعطون اكتفاهم
بشالات من حرير، وقد دهن وجوههم بأصيفه كثيفة، ورتين شعورهم
بأزهار طبيعية، وأحطل أذرعتهن بحبات ذهبية، ورمض أسنانهم
بالحجر المسية

كانت تلك الفطافة المركب الوحيد الذي استطاع خوريه أركاديو الثاني
أن يوصله إلى ماكوندو، ولعمرة واحدة، وبنو أنه لم يعترف قط أن عمله
لم يكن إلا إغناء لإزدانه وحسب وقد قدم لأخيه تقرير تفصيلياً ووصفاً
خارقاً عما تم له، ثم لم يلبث أن عاد إلى هويته في صراع الديكة من
جديد ولم يبق من تلك المعامرة العاشقة من شيء سوى روح لا يتكرر
وعن التحديد، عما جلبته السيدات المقدمات من فرسا، فسكن
بكفاءةهن ومهازتهن المستمرة تقاليد الحب، وجذب لخراب بحس
عشرتهن إلى محرن كاتارينو، وحوكن الشارع إلى سوق دي قنديل يابانية
وأرغبات همدية وقيقة وقد كن هن اللواتي يظن ذلك المهرجاء
الدامي الذي أغرق ماكوندو في السكر طوال ثلاثة أيام، ولم ينتج أي
شيء له صفة الدوام، المهم إلا أنه كان المناسبة التي تعرف فيها أوريليانو
الثاني إلى فيرناندا ديل كارينو.

نوبت رينديوس الحبيبة منك جمال ولم تقو أروسولا على دخول
دواحبها، ولما أن جمال أمة حميدها الهادي كان يجمعها ترجمف
خوفاً وقد نجحت، حتى الآن، في منعها من الخروج إلى الشارع
وحيدة ولم تكن تخرج إلا للذهاب للصلاة بصحبة أمارانتا وكانت
تفرض عليها أن تعطي وجهها بحمار أسود فكان الطاشون العاسقون
من الشباب، عن كانوا يتكثرون بشباب رجال الدين ويرددون في مخزن
كاتارينو أدعية صلواتهم العاجزة، يقصدون الكنيسة، ولا هم لهم إلا أن

سترفوا النظر، ولو للحظة واحدة، إلى وجه ريميدوس الجميلة ورد
تأمل الناس حديث من جمالها لأسطوري، بحرارة ودهشة وابتهاج في
طوبى يسلم الماريو (مشفقة استنقعات) وعرضه ومضى زمن طويل قبل
أن يتمكنوا من رؤيتها. وكان لأفضل لهم هو أن الفرصة ما وانتهت قط،
لأن أكثرهم لم يعدوا، من بعد، إلى النوم الهادي. سبيلاً أم الرحل
الذي توصل إلى ذلك، وكان أجيباً، فقد فقد إلى «أيد صعد» دهنه،
ووصل في متاهات الصياغ والبؤس، إلى أن مرته، بعد ذلك، فطار ليلى
داسه يساً هو نائم على سكة الحديد.

وقد كان، يوم رآه الناس في الكنيسة أوم مرة، يرتدي برة من الخمل
لها حوش حضراء، وصداً موشحاً، فأدركوا أنه مدم من بلاد نائية،
وربما من مدينة خارج بلادهم. وقد جذبته السحر الخلاب في ريميدوس
الجميلة. وكان حتى جيلاً يدر عليه الجراء والوفاء يعرف كيف يساهي
بهيشة الجميلة، حتى لكأن يشترى كريسي، إذا قورن به، ثم يكن غير
فصل ما يقع الصبح بعد. فهناك السورة، بتسامنهن الحاقدة، أنه
الرجل الذي يستأهل صاحبة الخمار.

وم يصاحب أحداً من م كوندو، ولم يكن يظهر إلا يوم لأحد، مع
إطلاله الصباح، وكأنه أمير خرافي، يعمو صهوة جواد ركابه من قصة،
وسرجه من مخمل. ثم يغادر السدة حذلاً تنتهي الصلاة. كان حضوره
سلطة أدرك الناس معها، منذ أن شاهده أوم مرة في الكنيسة، أن مارة
قاسية صامته قد بدأت يسه ومن ريميدوس الجميلة، وأداه بعقد سها
هو عبارة عن اتفاق خفي، مضمونه التحدي الذي لا حيلة لأحد فيه،
والذي لا يمكن أن ينتهي إلى الحب وحسب، بل ربما كان الموت نهايته
المختومة

وظهر السيد العارس في الأحد السادس، مد وحمولة، وهو يملك

بيده وردة صفراء. واسمع للصلاة وانما كعادته. ولم انتهت الصلاة
تقدم نحو طريق ريميدوس الجميلة، فاعرضها وقدم لها وردته الوحيدة.
فتأوتها منه بحركة طبيعية، وكأنها كانت قد أعدت نفسها لهذا الكريم.
وعند ذلك، وحسب، كسحت من وجهها لحظة، وشكرته بانسامة. ثم
لم تعمل غير ذلك قط. ولم تكن تدرك اللحظة للسيد العارس وحده، بل
لكل الرجال الذين شاء بهم سوء حظهم أن يروها، لحظة سرمدية
خالدة.

منذ ذلك اليوم بدأ ذلك السيد العارس يأتي بدوسمقيين إلى جوار
مدينة ريميدوس الجميلة، حيث يعرفون أغانهم، ويستمعون في ذلك
أحياناً حتى العجور. ولم يرق به غير قلب أوريليانو الثاني، الذي أشفق
عليه وحاول أن يثنيه عن دأبه. وقال في ذات مساء:

لا تضع وثث أكثر مما يجب. فساء هذا البيت أسوأ من البقال.

ثم عرض عليه صداقته، ودعاه للاغتسال معه بالشبانيا، وحاول أن
يضعه أن الإثبات في أسره أحشائهم من حجر. ولكنه لم يتمكن من أن
يشبه عن عناده. وأثارت ملك اللبالي الموسيقية الطويلة حتى العقيد
أوريليانو بوندي، بهتد بأن يشعه من عنه برصاص مسدس. ولم يعد
معه شيء، ولم يعدعه عن تصده سوى اليأس الذي آل إليه، مستحال،
وهو الأنيق الكامل، إلى شخص في أسبال مدره. وتوَدَّ أنه كان قد
تحدث عن سلطة والثروة في بلدة البعيد، ولو أن أحداً لم يعرف شيئاً
عن حقيقة أصله، ثم تحول إلى إنسان يتشاحن مع لأحرين وشاحرهم
في أماكن القمار، واستيقظ، فاب يوم، وقد تفلطح بيراره. وكان أند
في مأساة حراً أن ريميدوس الجميلة لم تعرف اهتمامها قط، حتى عندما
كان يحضر إلى الكنيسة في مظهر الأمير. وعندما طلت الوردة الصفراء
منه، فعلت ذلك دون تفكير بأي سوء. وما كان ذلك إلا لأنها أعجبت

بحركه فشاوت أن تنهوا بها ولم تربع حماتها كي تربه وجهها، بل لترى وجهه جيداً

واحق أن ريمديوس الحيلة لم تكن من هذا العالم فقد ظنت أمها، سأت صوميا (القميص)، تعلقها في الحمام حتى بعد أن بلغت مبلغ النساء وكانت قبسها ملاسها، مع أنها كانت تعرف كيف تلبس وحدها دون مساعدته وكان أمها يراقبونها ليحولوا دون أن ترسم حيوانات صغيرة على الجدران، بعض مغسومة ببرازها وقد بلغت العشرين من عمرها دون أن تتعلم القراءة والكتابة، أو تجيد استعمال الشوكة والسكين على مائدة كاتب، بطبعها، تغاوم كل التقاليد كأنه كانت. وعدم أحس بها مائد اخر من عن وجده بها، صدمته بذلك لأن حخته كانت تخيفها. فقالت لأمرأتها :

- أنظري ما أسدحه فهو يدعي أنه يموت بي، كآني مرض الفولنج العيف.

حتى إذا وجدوه ميتاً فعلاً قرب مائدتها، لم تزد على أن تمسكت برأيها السابق، فقالت :

- ألا تلاحظون أنه كان بسيطاً ؟

كان تبدو ذات رؤيا مائلة، تمكنها بوضوح من إدراك حقائق الأشياء الكاسية وراء شكيكاتها كان ذلك على الأقل، رأي العقيد أوريلياتو بويدي هو لم يكن قط ليري في ريمديوس الحموية متخلفة عقلاً، كما كان الآخرون يظنون بل، على العكس تماماً، كان يقوى عهد دائماً

- كأنها عاتلة من حرب قامت عشرين عاماً

أما أورسولا فكانت تحمد الرب وتشكره، لأنه كاماً العائنه فصحتها إنساناً نادر البقاء. ولكنها كانت في الوقت ذاته، تخشى جمالها الخارق، لأنها كانت عدها فضيلة متناقضة فهي مصيدة شيطانية في

قلبت اسرهة ومن أجل ذلك هورت أن تبعده عن العالم، وأن تصونها من كل إغراء أرضي، وهي لجهل أن ريمديوس الحموية كانت في مأمن من هذه العدوى عند كانت في بطن أمها وسم يحظر لها، وسم تصور أنها يمكن أن تفعل، أن يتم انتحارها منكمه جمال، في المهرجانات، لأن ذلك كان عبث من عبث الشيطان. ولكن أوريلياتو الثاني : وقد أحجسته وسيطرت عليه الفكرة العنصرية بأن يشكر على شكل عمر فجاء بالآب أنطوسو ييرميل إلى البيت، كي يقنع أورسولا بأن المهرجانات (الكريسمال) ليس عيداً وثيقاً، كما كانت تقول، بل هو تقليد كاثوليكي وقد اقتنع أخيراً، وإن على مضض، فوافقت على التوقيع

وشاع الخبر القليل بأن ريمديوس بويدي سوف تكون ملكة المهرجانات، وتجاوز حلال ساعات فلاله، ريميم الماريو (منطقة المستعمرات) مبلغ أماكن مائية كان أعدها يجهنون إشباع جمالها العظيم، وأيقظ حتى من كيو برون في اسم عائنها رمزاً للثورة ولم يكن للحق والقلق أي أساس أو مبرر بعد كان العقيد أوريلياتو بويدي أكبر الناس في ذلك الحقبة، حتى عدا صحبه تقدم العمر وانقشاع انوهم وقد بدأ شيئاً فشيئاً يبعد كل صلة به بومع البلاد، فحبس نفسه في مشعلته، ولم يبق له مع العالم الخارجي سوى العلاقات المتضعة بنجاره أسماك أندھية.

وكان بقي لديه جندي قديم من خرس الدين كانوا يقيمون حول بيته، في أوائل أيام السلم، فيذهب لبيع تلك الأسماك سكان إقليم الماريو، ويعود مثقلاً بقطع العملة والأخبار.

بعد عاد إليه مرة بحمر يعيد أن حكمته المدهظين مريد، بدعم من الأحرار، لإصلاح التقويم، كي يصح بإمكان رئيس الجمهورية أن يقى في سلطة مئة عام. ولكن الحكومة وقعت، أخيراً، اتفاقاً مع روما، وأن كاردينالاً حضر معها، يحمل على رأسه تاجاً مجللاً بالجوهر، ويجس

على عرش من ذهب، وأن وراء الأحرار حرصوا على أن يأخذوا صورة معه، وهم يجشون على ركنهم يقبضون حلقه، وأن جماعة من قطاع طرق اسلمين حطفت معه من غرفة إسبانية كانت ترمي العاصمة، وأنه في يوم الأحد، الذي ملا ذلك، كتب ترخيص عاتية في البيت الريفي لرئيس الجمهورية

فقال له العقيد

- لا تخدشي في السياسة فكل ما يهم هو بيع لأسماك ولقد أعرفت أوسولا في بضحت عندما بلغتها شائعة تفيد بأنه لا يريد أن يعرف شيئاً من أوضاع البلاد، لأنه كان يعتني من مشعبه وهي، بحسب العملي الخفيف، لم يستطع أن تدرك حسن العقيدة الذي كان يدل سمكاته الصعيرات بقطع العملة الذهبية ثم يحول هذه القطع الذهبية إلى سمكات ذهبية صغيرة، وهكذا دواليك يبردا عمله وتعبه كما باع أكثر، وكأنه كان يريد أن يملأ تلك الخلة لمرة كثيرة بالأعصاب

والواقع أنه لم يكن يهتم بالتجارة قدر اهتمامه بالعمل نفسه فقد كان بحاجة إلى ندقة والتركيز الشديد لترصيع الخرائط، وغرر اليواقيت الحمراء الصغيرة في أماكن العيون، وتطريق الأذان، وجمع الرعاف فلا يقى له وقت من الفراغ يملؤه بزوال أهوام الحرب. كانت دقة حرفته المفرطة تتطلب منه الانتباه الشديد والاستمرار التام، الأمر الذي جعله يشيع، خلال مدة قصيرة، أكثر من شخص في كل سبي الحرب

وبما كان عمره العقري يتقوس بتسعة بخلوسه الطويل بدأ نظره يضعف ويضع بسبب عمله الدقيق. ولكن تركيزه الذي لا ينقطع أوصله إلى سلام الروح وكانت آخر مرة استمع فيها إلى شيء من الحرب، يوم حادثة جماعه من الحربين الرواد تطلب منه الدماء كي تتم المصادقة على التعاقد طوال الحياة، كما سبق أن وعدت الحكومة، وكما كان دائماً

يبدو على وشك الصدور، ولكن لم يحدث ذلك وقد كان لهم - السو دت - وانظروا كيف أرفص أنا رائي التقاعدي، لكي أحس نفسي غداً انتظاره حتى الموت.

كان العقيد جيسبير ماركير، في البدايه، يأتي لزيارته في وقت الأصل، فيجسسان معاً على عتبة باب الدار الموجه للشارع العام ويتكلمون أحداث الماضي ولكن أذنانهم لم تستطع احتمال كل الذكريات التي كان يوقظها فيها ذلك الرجل المتعب، الذي أسرعه به صلعه إلى حافة الشجوخة المبكرة، فعمدت إلى إزعاجه بلا سبب واضح، حتى انقطع عن الزيارة، إلا في المناسبات الخاصة ثم آل به لأمر إلى أن توارى تماماً بعد أن أقعده الشلل

ولم يستطع العقيد أورديانو بوسيدا، وهو الهادي الصامت، المعلق الحس على سمة الحياة الجديدة التي اضطرب بها البيت، أن يدرك، إلا بعد لأي، أن سر الشيوخة السعيدة ليس إلا في عقد اتفاق شريف مع الوحدة فكان يشقظ في الساعة الخامسة صباحاً، بعد نوم خفيف، فيشرب في المطبخ فنجان القهوة مرة اللائم، ثم يحبس نفسه الهاء بطوله في مشعله وفي الساعة الرابعة، من بعد الظهر، كان يعبر الشقة، وهو يجبره مقعده فلا يتب لهار شجيرات اللورد، أو بهاء الوقت، ولا لوضع أمارات الصمم، التي كان لكأبتها صوت مرجل يعلني، يتببه المرو واصحاً حد معيب الشمس ثم يحبس على عتبة الباب مقابل الطريق العام، حتى يجبره البعوض على الدخول وفي بعض الأحيان، كان يتجراً أحد الناس، فيسأله وهو يمر به

- كيف حالك أيها العقيد؟

يجيب فكللاً

- كما ترى، أنتظر أن يمر موكب جنازتي.

وهكذا، لم يكن يفلق الذي سببه ظهور اسم عائلته على الناس،
بمناسبة تنويع ريميديوس اسمه ملكة جمال، يستند إلى أساس ولكن
الكثيرين كانوا يرون غير ذلك

بدمع استلذه إلى الساحة العامة، وقد نعتج فرحها بصاحب، دون
أن يتصور الناس، ولو لدحضه، الخطر الذي كان يحيط به. ومع
انهرجان (الكريمال) دروته، وحقق أورديانو الثاني حلمه في أن يتكرر في
رعي ثمر وكان يدير بين الحشود المتفاعلة، وقد يبع صوته لشدة ما صاح،
عندما ظهرت بجاء، على طريق الماريو، جماعة كبيرة من تكتريين،
تدو يهيم امرأة حموية على مصه مدبهة كانت امرأة لا أجمل، بل لا
يمكن لحيال الإنسان أن يتصور شبيهة لها. ورفع أهل ماكونكو انعتهم،
للحظة، ليتأملوا جيداً تلك غلوفه المدهشة المتوجه بالرمود، والتي كانت
مردي عباءه من فرو السمور لأبيض، قلم تكن تبدو ملكة تبرجت
بالشذور الذهبية الرقيقة والورق لمعروش، من منكة حقبية ذات سلطة
شرعية. وكان بين الجمهور من راح عقه، فشت في أن يكون التحدي
وراء تلك الظاهرة. ولكن أورديانو الثاني قطع الشك باليقين، فأعس أن
القادمين ضيوف شرف عديهم وبحكمة سيما، أجس ريميديوس
لجعية ولذكة الدخيلة على العرش نفسه. وساهم العرباء، الذين تحصروا
بري البود في إسكان الجمهور، حتى انتصاف الليل وراودوا في ذلك
بمهارتهم المانقة في اللعب بين لأسهم النارية، ورشاقتهم البهلوانية، مما
ذكر بالعجز والمباهم وهجاء، وقد بلغ الاحتفال أوجه، فخرق واحد من
الناس ذلك التوازن الدقيق، فصاح قاتلاً.

- هاش حزب الأحرار. هاش العقيد أورديانو بونديا.

وضيع بهاء الأسهم النارية في هدير البنادق، وحنفت أصوات الهمع
أنعام الموسيقي، وكمن الرعب فرح المتشبين. وقد دعم الناس، حتى

سرات طوبيه من بعد، أن حرس الملكة الدخيه كاد مؤمناً من كسنة من
حود خشن الطامي، أحفر، تحت ملاسهم الفحة أسلحتهم الرسمية
وأصدرت بحكمه بياناً تعلن فيه وحص هذا لأتهام، ووعدت بالحقين
في الحادثة الدامية، ولكن الحقيقة لم تظهر إلى البور واستقرت بين
الناس الروبه التي نفيد أن الحرس الملكي، دون أي تحذ من أي نوع أو أية
استشارة، اتحد به موقع قتالية، بإشارة من قائده، ثم فصح الدرع على
الجمهور بلا رافة

وكد خيم الهود، ثم يق في البدة التي من البدو المعروفين يبعث في
في الساحة العامة عدد كسر من القننى والحرس. سعه بهوانات، وأربع
حمامات، وسبعة عشر من طوك، وروى النعب، وشيطان واحد، وثلاثة
موسيقين، ووريقان اثنا من أمراء قرنسا، وثلاث أميرات يابانيات
وقد فجع خوريه أركاديو الثاني، في حمى الموضى التي تمت الهمع
الذي ساد الحشود، في حمايه ريميديوس الحميلة وحمل أورديانو
نشاني، بين درعيه، الملكة الدخيلة، التي غرق ثوبها ونطعها عشاء نه
بالدم، ونقدها إلى البيت وكانت تدعى فيرنده، ديل كاريو وكان سوس
به أن انجحت كأجمل امرأة من بين خمسة آلاف من أحمل ساء البلاد
وقد جالرو بها إلى ماكوندو، بعد أن وعدوه بأن تعلن منكة جمال
مدعشر

فاعتبت به أورسولا كساو كانت استنها، ولم شت البلدة في
براحتها، بل أشعقت على سداجها وبعد ستة أشهر من المذبحة، وحين
شفي الحرحى، وندت آخر الأزهار الموضوعة على القصر خصعي، ذهب
أورديانو الثاني إلى مدينته السعيدة، حيث كانت تعيش مع أبيها، لكي
يحضرها، ثم تزوج منها في ماكوندو، وأقام لها احتفالاً بهيجاً صاحباً،
دام عشرين يوماً.

الكذبة، لعمري يصطوره ستر كوتيس لأن بدا الطبيعة بعنفه وفي أحد الأيام وجه إليها لورينساو ساني إيمانه بلا مبرر، فتجبت الوديع في «نصيحة» وصحبت سكر الأمور، فقالت له

— معنى كل ذلك أنك تريد أن تتزوج منك.

وشعروا منه بالإحراج والتجمل، فصاح أوريليانو الثاني الغضب، ورد عليه بهجوم من الهياج التعملي، راعها أمه ثم تفهمه، وأنها قد أهانت وأسمت إليه، فانقطع عن زيارتها

ولم تكتب برا كوتيس خطة عن تفهم العظمه نفسها، ثقه لأياش نيرة في أسر حه عزمها، وذهب إلى سمعها أنعم لموسقى وأصوات لاسهم النيرة احتشاداً بالترديد، فم تر في كل ذلك، ولا في صخب نهجه العارمة، غير برودة طيش من بروات أوريليانو الثاني، وامتدعت في نفسها (خذث)، وجعلت يهدىء باتساماتها حتى الناس الذين كانوا يجيئون إليها راثين لمصيرها، وكنت تقول لهم — لا عليكم. فالدكات بعض بعضهم.

وقد حالت مرة، لجداره لها، شقة خفية، عندما جاءتها الأخيرة بشموع نفي، بها صورة أخيب الضائع.

— إن الشعلة الوحيدة التي ستعيد مصداقاً دوماً

وكما نبات لماماً، عاد أوريليانو الثاني إلى بيتها حين انتهى شهر العسل وقد حدها، ومعها صحنه اللذعن ومصور جوال وقد حمل معه العبداء والثوب الأبيض، انضح ببعض دقع الدم، اللذين كانت فيرناند ترتديهما يوم مهرجانه. وعندما حمي وطس الحفنة عصر ذلك اليوم، ألس بيتر كوتيس نبات منك، وأعطى حكمة مظنة لمدهشقر مدى الحياة. ثم وزع على رفاقه نسخاً من صورته. وأسلمت هي فيدها للعبة ولكنهما، في داحل صهء، أشعنت عليه عندما أدرك الخوف

(١١)

بعد شهرين اثنين، كاد الرواح أن ينهي بالعسل ذلك أن أوريليانو الثاني أراد أن يسترضي ميرا كوتيس، بعد أن آذاه بوجه من ميرنا ديل كاريو، فدفتر العاطف صورة لها شياث تدو به كمسكة مدعشقر وعندما غمض فيرناند، ناخبر حرم أمتهتها في صديق عزمها، وعادرت مكدسو دون كلمة وداع. فدخل بها أوريليانو الثاني على طريق «ماريجو» (مطعمة المستعفات) وبعد رجاء حارة، ووعد بأن يصبح ما أنسه، ألدح في إرجاعها إلى اليب، وحل في محظيته ميرا كوتيس ولم يد عن يتر كوتيس أي علائم لمعق، لأنها كانت علة بقوتها فهي التي جعلت منه رجلاً، ولم يكن قبل إلا طفلاً، حين أخرجه من مكتب ملكيادسي، وقد امتلأ رأسه بأفكار خيالية، دون أن تكون له أية صلة بالرواح فصحت مكانة في العالم وكانت الطبيعة قد صعبت منه كائناتاً بطوائياً مسحياً، يميل إلى التأمل في وحدته، فصنعت له مراحاً نقيصاً للأول، مليناً بالخيابة، واسع الأوس ومحتة المرح بالخيابة، ولدة «مسرة» والتبدير، حتى حوكنه، باهناً وظاهراً، إلى الرجل الذي كانت تعلم به منذ يعاقتها

هكذا، وبعد ذلك كله، تزوج، إذن، كما يتزوج الأباء جميعاً، عاجلاً أو آجلاً ولكنه لم يجرؤ على إعلامها مقدماً وقد اتخذ موقفاً أشبه بمواقف الأطفال، متظاهراً بالعصب، معظماً الحس والصعنة

العطيق الذي كان يعتجل في صدره، والذي دفعه إلى احتراع كل هذه المباديل استرضاء لها

وفي الساعة السابعة مساءً، استقمت في سريرها، وهي ما تزال في ثياب المنكة. وكان قد مضى شهران على روحه، فأدرك، على العود، أن أمور رواجه لا تسير على ما يرام. فالتفت لمدة الانعقاد وبعد يومين لم يعثر خلالها على الرجوع إليها، بل أرسل إليها، بدلاً من ذلك، وسيداً يربط معها شكلبات الاقتراح وشروطها، أدركت عندها أنها كانت بحاجة إلى التعبير أكثر عما قُرب. فقد بدا أنه مستعد لمنصحة نفسه في سن المظاهر. وها أيضاً جافعت على اقترانها، وصهلت الأمور منذ البداية، وأظهرت من الخصوص والإدهاش للواقع ما أكسبها من كانوا يقوون. إنها بيت سوى أمراء مكينة. ولم تحتفظ من أوريميانو الثاني إلا بذكرى واحدة، وهي حداثته الجدي الطويل الماع، الذي كان يريد، كما قال هو نفسه، أن يسه في معشته. وقد وصفت أخدها في أسهل صندوق لها بعد أن نعت بالخرف، وأعدت نفسها لانتظار لا يأس به. وكانت تقول في نفسها:

- يجب أن يعود، عاجلاً أو آجلاً، ولو من أجل أن يمس هذا الخداء ولم تتظر طويلاً كما قدرت.

فالتوقع أن أوريميانو الثاني قد أدرك، منذ ليلة عرسه، أنه سوف يعود إلى بيترا كوتس قبل اليوم الذي يجب أن يمس فيه ذلك الخداء الجدي الماع

فقد كانت فيرناندا، امرأة ضائعة في هذا العالم، فقد وجدت وثبتت على بعد ست مئة ميل من البحر، في مدينة حرة، ما تزال تعترق شوارعها بيلطة عربات مواب المثلث وهي تزل في ليالي الفزع وهي مدينة فيها اثنان وثلاثون ناقوساً نقر أجراس الموت في الساعة السادسة

ماء. ولم ير أحد فيه الشمس تدخل بيت الإمارة الموصوف بحجارة القبور الهواء فيه كمنع الحياة بين سروات الدار، وفي ألوان العرف الشاحية، وفي القاطر الراشحة ماء في بستان الياسمين البري. ولم تعرف فيرناندا عن شؤون العالم إلا ما كان يتأهل إلى سمعها من بغصات حربة يصدح بها يمينان في بيت محاور، يعرف عليه عارف وطء النفس حلال سين طوبى على ألا يتريح أبداً

كانت تجلس في غرفة أمها المريضة، تلك الغرفة الصغرى الخضراء بفعل الأشعة الحمراء النافذة إليها من رجاج البوابة فتصعب إلى التمارين الموسيقية التي كان صاحبها يسأب على عرفها بجذ وشباطة. وإن كانت هتت نقر أحياناً. وكانت تشعر أن تلك الموسيقى كانت تأتي من العالم الحي، بينما كانت هي تهالك وهي تصغر أكاليل اللؤلؤ من سبع شجر المحبل.

وكانت أمها تصيح عرقاً بفعل حمى الماعدة الخامسة، بعد الظهر، وهي تحبها من أمجد الماضي. وقد رأت فيرناندا، عندما كانت صغيرة، امرأة جد جميلة ترتدي ثياباً بيضاء، في ليلة مقمرة، تعبر البستان إلى لكبه. ولم يقدمها في تلك المرأة العذبة إلا أنها كانت تشبه في كل شيء. فكانت كانت ترى نفسها بعد عشرين سنة. فقالت لها بين سكتين من سعالها الملوأصل

- إنها أم حدثت النكة. فقد اندق عنفها وهي تحاول أن تطفف غصن ياسمين، وعانت

وبعد سواب طوبى، وصدمت شعرت فيرناندا أنها تشبه أم جدتها بدأت تشك في رؤياها الطفولية، فوجدتها أمها لقله يمانها، قائلة - نحن قوم أثرياء ودور سلطان، وسوف تصبحين ملكة في يوم من الأيام،

وأنت هي بدت. مع أنهم لم يجلسوا إلى الطاولة الكبيرة المصنوعة
سمعت من كتاب، وخافلة بأنية نفضي، ولا تشاولا عجائاً من الشوكولا
امدابه بماء. وقد ظلت حتى يوم روجها تحم بمملكة أسطورية، على
الرغم من أن أباه الدون فيرناندو اصطر إلى رهن البيت كي يشري لها
ثياب عرسها. وما كان ذلك عن مباداة وجون عظمه، ولكنها ريت
هكذا فهي تذكر أنها منذ وعده وهي تقضي حاجتها في بناء من ذهب
عليه شعار العائلة. وكانت أول مرة خرجت فيها من البيت، وهي في
الثانية عشرة من عمرها، في هربة تجرها الخيول. فدخلت بها إلى الدير،
مع أن لساقفة لم تكن إلا عبور شارعين

وقد عجبت ريلاتا لما رأيها تظل بعدة عهس، فتجلس في مقعد به
مسد عال، ولا تشاكرهن لبعضهن في العرس. وكانت الزمهرات يقلن
هن

- إنها تختلف عنكي هرو تصبح مكة

وصدفت وميلاتها ذلك، لأنها كانت أحمل من رأيي في حياتهن من
العتبات، وأكثرهن أناقة وأههرهن. وقد تعلمت، في ثنائي سنوات،
نظم الشعر باللاتينية، والعرق على آلة الكلافسان، وتعلمت كيف
تحدث عن الصنوبر والبراة وصيف مع الرجال، وفي شؤون الدين مع
الأساقفة، وأن تناقش في أمور الدولة مع الحكام الأجانب. وفي شؤون
الله مع الباب. وبعد ذلك، عادت إلى بيت أمها كي تصغر أكاليل الموت
من معبد التحيل

وقد وجدت البيت كما كنا قد ذهب، فلم يبق فيه سوى الأثاث
الضروري. أما الشمعدانات وأواني الفضة، وأدوات البيت الأخرى، فقد
بيعت تباعاً بدمع بمقاب دراستها. ثم قضت أمها تحب وطاة الحتمى
النسابة. وكان أبوها الدون فيرناندو، الذي كان يرتدي برته السوداء،

ويكاد يحتق من ضغط قيثه المشاء، ويعلق على صدره سسمة ذهبية.
يعطيها كل يوم اثنين قطعة فضية من أجل مصروف البيت، ويأخذ
لأكاليل الحنارية التي خدمتها في أسبوعها المصرم. كان يقضي معظم
يومه جسر مكتبه، لا يخرج إلا نادراً حتى إذا فعل، فكان يعود نيل
السادة مساءً ليحرك حبات سبخته وهو يتلو دعاءه. لم يتحد قط به
صديقاً حميماً ولم تسمع هي، في حياتها، شيئاً عن الحرب التي دمرت
البلاد ولم تقطع البتة عن سماع نمازين البيازو في الثالث بعد ظهر كل
يوم

وكانت قد بدأت سسى أحلامها في أن تصبح مكة، حين سمعت
طرقتين خفيفتين على الباب. وفتحت الباب، فماتت عكراً جميع
الطعمة، احتمالي الحركات، في وجهه بدبة، وعلى صدره وسام. فدخل
إلى مكتب أبيها، وأغلق الباب. وبعد ساعتين جاءها أبوها في مشعل
الخطاطة، فقال لها :

- جمعي حاجتك، سوف نقومين برحلة طويلة

وهكذا جازوا بها إلى مأكريدو وبين عشيه وصباحه، وبضربة واحدة
حاسمة، ألوردتها الحياة موارد الواقع، بعد أن قضى ذووها سنوات طويلة
وهم يحذونها عنه ويعفونه عنها

وعندما عادت إلى البيت، حبست نفسها في غرفتها كي تتعبد
وتنكي، فلا تمير انتبها لرحله الدون فيرناندو. كانت تحاول جاهدة أن
تنسى جرح تلك المهلة العظيمة. وكانت قد أنفست ألا تخرج من غرفتها
إلا ميتة، عندما وصل أوريباسيو اثني كي يعيدها. وكان ذلك محض
مصادفة وحظ. ذلك أنها، وقد أدهشها الغضب واحتفظها الحجل مما
حدث، كانت قد كذبت عليه كي لا يعرف هزتها الحقيقية، وكان
الدليل الوحيد عليها، عبد أوريلانو الثاني عندما انطلق كي يعود بها، هو

لهجنها، وهي نهجه أهل الهصب العاليه، التي لا يمكن أن يشهدها فيها
أحد، ومهتها في شعر الأكاليل الجاثرية من سمع الجبل

بحث عنها دون توقعه، وأبدى في بحثه تهوراً محيماً شبيهاً بتهور
جنوبه أركاديو بوسيد، عندما تسبق الجبال كي يشهد ما كوندو، وهوراً
أعشى لا يصدره، لا غرور أوريليانو بوسيد، الذي أشعل كل تلك
الحروب التي لا طائل فيها، وعدداً صديداً لورسولا في الحفاظ على
استمرار مملكتها. وهكذا بحث أوريليانو الثاني عن فيرناندا دون يأس أو
مثل سأل عن الأمكن التي تاع فيها الأكاليل الجاثرية، فاضاده بعضهم
من بيت إلى بيت، كي يعي أنفسهم. حتى إذا سأل أين يمكن أن توجد
أجمل امرأة يمكن أن ترها غير على هذه الأرض، جادته كل الأمهات
بينهن. وضاع في دروب ضبابية، وفي أماد زمنية مألها إلى السيد،
وفي دهاليز تنتهي إلى رحيل الوهم. قطع القياقي الصغير، متراصة
الأطراف، يردد فيها الصدى أنكراً ما أفصح عنها لسان، ويبحث فيها
القلق سراً مشؤوماً

وانتهى به الهباب، دون نتيجته، إلى بلدة مجهولة، كل أحراسها تفرغ
محنة نحيباً معروف مباشره، وبأنه لم يكن قد رأى في حياته، وأن أحداً
لم يسبق به أن وصف له، لحدوث الحشاكلة بلح العظم، والشرفات
لمهارة بعد أن يحرق النظيف وأنهت أحشائها. وعلى الباب رأيت لافتة
مسفرة، كاد يحويها المطر، وكانت أكثر لافتة تهتو للبحر لي الدنيا
وعندها

أكاليل جاثرية للبحر

بين سدك اللحظة والصباح الحبيدي، الذي عادت فيه فيرناندا البيت،
بحراسة رئيسة الرهبات، ثم بمسح غير قنيل من الرص، ثم يتكلم بكلمة
كي يحيط لها الرهبات جهازها، وكى تكلم، في الصلوات الستة،

الشعذانات وأوامي العضة وراة غرفة النوم الذهبي، ويقاب أخرى كثيرة،
بعضها لا نفع له، هي كل ما تحذف عن كارتة عائلية انظرت قريب كي
تصل إلى نهايتها

واعذر الدوب فيرناندا عن تلبية الدعوة لمواقيتهم، ووعده بأن
يرورهم فيها بعد، وعندما يفرغ من أشغاله الحالية. وما إن بارك الله
وودعه، حتى انصرف إلى مكتبه، وأعق على نصه بلبه، كي يسجل
لإعلان، يحطوط حريته، عيبها شارة المعنفة، التي يمكن أن تكون لون
اتصال إنساني بين فيرناندا وأبيه، فقد كان ذلك عندها، يوم ميلادها
الحقيقي. أما عند أوريليانو الثاني فقد كانت، تقريباً في آن معاً، بداية
السعادة ونهايتها

كاتب فيرناندا يعمل معها نفوذاً ثميناً له مميزات مذهبة صغيرة. أشر
فيه مرشداه الديني، بحبر بنسجتي، على أيام الصيام في العلاقة مع
زوجها. وهي لا تشمل أيام الجمعة المظيعة، والأحد، وأول جمعة من
كل شهر، وأيام التراجع، والنضحية، والدورة الشهرية. فإذا الأيام النافعة
في تقويمها قد اختزنت إلى اثنين وأربعين يوماً، كانت موزعة معشرة في
متعة كأنها شبكة عنكبوت بعسجية. وظل أوريليانو الثاني أن الرص
كفيل بحر مشكله تلك الشبكة العنكبوتية، فمعد احتفالات العرس إلى
أبعد مما كان متظراً. وأتعب لورسولا ما كانت ترميه من رجاسات
البرامدي والشمساي الصادرة، كي لا تحترق البيت. وكان يحيرها أن
العروسة كان ينامان في ساعات مختلفة، وكل منهما في غرفة، يسا
كانت لأهمهم النارية من برال تنطق، والموسيقى تصدح، ويستمر دبح
لواشي احتفالاً. فتذكرت لورسولا تجربتها، وتسلط ما إذا كانت
فيرناندا تلبس حرام العضة، مما سوف يشير لأناويل في الليلة، عاجلاً أم
آجلاً، وتسيب في حصون مأساة. ولكن فيرناندا اعترفت لها أنها،

بساطة، تنتظر مرور أسبوعين من أن تسمح لزوجها بمسها للمرة الأولى
وعند انتهاء الفترة فعلاً، فتحت فيرناندا باب غرفة نومها، ووطدت
نفسها على التهجئة، وكأنها من أصحابي التفكير، واستطاع أوريليانو
الثاني أن يرى أجسام امرأة على وجه الأرض هي عبيها يرق عين حيوان
حائض، وقد انتشر شعره الحساس الطويل على الوسادة. أذهته
مشهد، فتوقف لحظة، وهو لا يتيه إلى أن فيرناندا كانت قد ارتدت
فميص يوم أبصر طال حتى كعبه، وتدلّى كعاه حتى رسعها،
وتوسطه صدرية مستديرة كبيرة موشحة جعينة تعطي أسهل بظها ولم
يستطع أوريليانو الثاني أن يكت ضحكة عالية ترددت في أوجده بيت،
وقال :

- هذا أمعش ما رأيت في حياتي فقد تزوجت راهبة من راهبات
العدة.

ويعد أن أمضى شهراً دون أن يملح في إنناع زوجته بأن ترحع صها
قميص النوم، ذهب إلى بيتر كوتيس والتقط لها الصورة بلباس الملكة،
ود استرضى فيرناندا وأرجعها إلى البيت، رفضت لمطالبه في حتى
المصاحفة، ولكنها لم تستطع أن تمنحه الراحة التي كان يمي نفسه بها
عندما راح كي يعود بها من مدينة ذات لاتين والثلاثين باقراً كنياً
فلم يجد أوريليانو الثاني لديها غير إحساس عميق بخبرن ولا حظ
فيرناندا، قبل ميلاد طفلهما الأول، أن روحها قد بدأ يعود سراً إلى
فراش بيتر كوتيس

واعترف هو لها بذلك بلذة وحرارة، قائلاً

- هذا ما حدث فعلاً

وتابع موضحاً،

- كان عليّ أن أعمل ذلك من أجل أن تستمر الحيوانات في التكاثر.

واحتاج لبعض الوقت كي يقنعه تلك الدريعة العربية وبكنها، أمام
الأسر الواقع، وبعد أن تقدم بها أدلة لا تحصى، اكتتت بأن تحصى منه
على وعد بالأيضائه الموت وهو في سرير عشيقته وعاش الثلاثة على
هذه الشكلة راضين وظل أوريليانو الثاني منجماً وعاشقاً وقياً لهذه
وندت ورحت بيتر كوتيس تنبأه بعد المصاحفة، بينما كانت فيرناندا
تتظاهر بحمل أخيقته

ولكن ذلك الخيف لم ينجح تماماً في ضم فيرناندا إلى العائلة فطدا
الحت أورسولا عليها لتتخلص من وضع العمة للصومية بعد أن تصاح
زوجها والتي كانت مشار همن لدى الجيران ولكن جهوده ذهت
أدراج الرياح ولم تستطع أن تقنعه باستعمال الحمام، أو محصلة الديل،
ولا أن تبسج إناعها الذهبي للعقيد أوريليانو بوميد، كي يحسونه إلى
سمكات صغيرة وكانت أمارات تصاب من بهجت وطريقها الخاصة
بالكلام، ومن عادتها في تسمية الأشياء ثورية وجملت تعتمد إعاضتها،
بأن تحدث بالطريقة العصورية في حضورها.

- إثر بعض الراس يراتر خباطرون مري طريوري في ري كراتر
مرهم

ولفرعج فيرناندا، يوماً، عن سخرية أمارات، وأردت أن تعرف ما
تقوله ولكن الأخيرة، حرقت كلامها، وأجابات دون ثورية
كس أقول أنك واحد من أوتك اللاتي يجلطن بين إسنهن والجمعه
العظمة

واقطع الحديث بينهما صد ذلك خير حتى إذا اضطرتهم الظروف
بدت ترأسد، أو نكسما بطريقه غير مباشرة، ولم تتحل فيرناندا، رغم
عدة العائلة، عن إردتها في إملاء نقالدها ابوروتة فحصب أولاً من
عادة تناول الطعام في المطبخ وإذا جاع أحد أجبره على الانتظار حتى

وهت الطعام المحدد، على الطهونة الكبيرة في غرفة الطعام المغطاة بسمات الكنائس، وقد وضعت عليها الشمعدانات والأواني الفضية ولم تستعمل أورسولا دلت الضرب من الطعام، بل وأتته شيئاً عادياً من صميم الحياة اليومية. ولكنه شيئاً شتياً، ولقد في البيت حركاً مصطنعاً وكان أورسولا تثار عليه خوزيه أركاديو الثاني على الرغم من طبعه الهادئ. ولكن تلك العادات ترسخت في البيت، وكذلك عادة الدعاة مع السحرة قبل تناول العشاء، مما أثار حبا استصلاح الجيران وانتشرت شائعة مفادها أن آل بويديا لا يجلسون إلى طعامهم كالأحرار، بل حوكموا بآوله إلى صلاة حقيقة كبرى. ثم اصطدمت حركات أورسولا، ومشوهد إلهام السحرة لا التقليد، بمورثته فيرناندا عن أهلها من حركات المناسبات المكتوبة لكل حادثه. واستمرت بعض العادات القديمة ما بقيت أورسولا على قوائمها، وبقي لإلهامها بعض التأثير في حياة العائلة. ولكنه حين فقدت بصرها، وانبرت، تحت وطأة السن، في إحدى رواب البيت، أكملت البلاء القاسية التي بدلتها فيرناندا منذ وصولها، واتعتقت وغدت هي سيده النسب المتصرفة بمصيره أكثر من أي إنسان آخر. أما صانعة صوب (التقبة) فكانت من الرأل تاجر بالكائنات وتكرار مثلاً المشككة على هيئة حيوانات صعبة، كما شامت أورسولا. فماتت فيرناندا في تلك الليلة أمراً لا يبين، فأوقعها بعد هيل.

وأم أبواب الدار التي كانت تقطن مشرعه مند بروع الحجر حتى ساعة اليوم، فقد صارت تعد عند القيلولة، بحجة أن الشمس كانت تجمع حراره العرف لا تطلق، ثم ما لبثت الأبواب أن أبقيت معنقة دائماً تقريباً وأرليت باقة الأكس كمد أويل رعيح الخبز، الدخان كان معيق على باب الدار، مد إنشاء ماكوسو، وحت محبهم مشكاة فيها قنب بسرع الألفس

وتبته العقيد أورليانو بويديا لهذه التبعيلات، وحلس بعواقبها فقال محتجاً

نحن في سبيل إلى أن يصبح إنساناً من عدية القوم. وإد قامت الحال على هذا الحال مسوف نقاتل النظام لمعظم مره أخرى، ولكن، هذه المرة، لكي نقيم مكانه مكاناً

ومحاشيت فيرناندا، بدلتها، أن تصدده مباشرة فقد كان لا يعجب فيه استقلال طباعه، وكرهه للكبح لاجتماعي مهما كان نوعه كان يضيقه مع حجاب القهوة في الساعة الخامسة صباحاً، وقوعى مشعله، ودوره المعوش، وحدته في القعود على باب الدار في أصل كل يوم. ولكنه سمحت بيده دنت الشدود في آلية الحياة المعتدية، لأصاحب بأن العقيد معجور لم يكن سوى حيوان هذات السور وروال لأوهام، ولو أنه يظل قادراً، في سورة عحر ثائرة، على أن يقتنع البيت من أسسه وهذا قسز روجه أن يسمى بهما الأول باسم جدّه لم يجزؤ على المعرضه لأنها كانت قد وصت النسب مد عم فقط. ولكنه، عندما ولدت ابنتها الأولى، أعبت دون مردد أولس، أنها مسعها رويان باسم أمها، مع أن أورسولا كانت قد فرت أن تسيها ريديوس. وبعد أورليانو الثاني دور الوسيط، وأعجه دوره في غاوصات التي آلت إلى أن تعمد العنصه باسم رويان ريديوس. وظلت فيرناندا تسميها رويان دون إصاحه، بما كانت عاتمة روجه، والبلده جميعاً تسميها ميحي، تصعيراً ريديوس

ولم تكن فيرناندا، في البدء، تتحدث عن أهلها. ولكنه، مع الزمن، أحدث فجعل من أبيها مثلاً أعنى كانت تحدث عنه على مائدة وكأنه رجل لا مثيل له. وفص كل نظاهر الماطة، وأنه كان في سبيله لأن يصبح قديساً. ودهش أورليانو الثاني لهذا التقديس العازم المفاجيء

خفيه. فلم يستطع أن يكتب بركة مهدية. حول هذا الموضوع، في غاب روحه. وجازته العائلة في ذلك حتى أرسولا، وهي الشهيرة بحرمها المطلق وعيبتها العائقة بانجم العائلة، والتي كانت تتألم في سره بكل محاذرة أو احتكاك بين أعضاء الأسرة، حتى أرسولا أجارت معها أن تقرب منه إن مستغيب حفيد في أن يكون الب مد باب أكيداً ومثل ذلك بقولها

- لأنه حفيد قديس، وابن ملكة وسارق بهائم.

وتعود الأطفال، على الرغم من تلك أمهاته الصاحبة، على التفكير بأن جدهم كان حرمي، يكتب لهم المصائد الذهبية في رسائله، ويرسل بهم، في كل عام ميلاد، صندوق هدايا كبيراً جداً، لا يدخل من باب الدار إلا بعد جهد كبير. ولم تكن الهدايا، في الواقع، غير بقايا ميراث الأميري. وقد استحدثت لإقامة مذبح في غرفة الأطفال، معطى بمقابل لتقدير لأحبابهم الطيبة، وبهم عيون بقرية تمجدهم مظهر الأحياء. أما ثيابهم فكانت من سيج فيه ترشيح في، ثم يسقط أهل ماكروندو أحسن منها. وشتاً شتياً تحولت أبهة البيت العتيق خربة إلى معامة بيت آل بونديا المسر. وقد دفع ذلك التحول أوريليانو الثاني، إلى التعلق عائلته. - نقد أوسلو إليها كل المقبرة العائليه، ولم يزل، إلا أن يرسلو إلى شجرات الصفصاف الباكي وشواهد القبور.

وكان الأطفال يحضون العام بطوله وهم يتظرون شهر كانون الأول (ديسمبر)، مع أن الصاديق التي كانت تصدهم لم تكن قط تحوي ما يفيد منه الأولاد في لعبهم. ولكن الهدايا القديمة كانت أشياء نادرة وجديدة على البيت. وفي عيد الميلاد العاشر، وبما حوربه أركاديو الصغير يستعد للذهاب إلى المدرسة، وحمل الصندوق الضخم أبكر من مواعده في السنوات السابقة وقد مسره الحلة بمائة وإمعا في اخرص، علاه

قطعة وافية من القدر. وألقى به بطافه العوان المعتادة، مكتوبة بالحروف القوطية.

- إلى السيدة رفيعة العدر السيور، الدوما فيرمانا ديل كارينو دو بونديا.

وبمما كانت في عرسها تقرأ الرسالة، سارع الأطفال إلى فتح الصندوق. وساعدهم أوريليانو الثاني، فرعوا طبقة القطار الوافية، وانهلعو بمسامير الحدة، ووقعوا طبعة الشارة، فوجدوا في الداخل صندوقاً آخر طويلاً من برصاص معقلاً بمسامير بولية (براعي) ضخمة من النحاس. أخرج أوريليانو الثاني المسمار اللولبية الثمانية أمام إلماع انطفئ. ولم يكن يصر صفيحة الرصاص حتى أحمل، مطلقاً صفيحة عاليه، وأبعد طفليه عن مظهر الدور فيرماندو، وقد أرندى برة سوداء، واستمر على صدره صليب، وقد تمسحت بشرته وبدأت تخرج غدرات سامة، بعد أن بدأ يضح يبطه في سائل تصدر عنه فقاعات كان لا يلهي.

بعد ولادة طفنتهما، أعلنت الحكومة عن بويل العقيد أوريليانو بونديا، دون أن يكون ذلك متظراً من أحد. وأعلنت الحكومة عن رغبتها في الاحتفال باليوبيل، بمناسبة ذكرى معاهدة السلام في بيرلاندي. ولم يكن ذلك القرار صحيحاً مع الباسة الحكومية، فرفض العقيد ذلك التمجيد، وأعلن معارضته الشديدة له، قائلاً:

- إنها المرة الأولى التي أسمع فيها بكلمة يوبيل.

ولكن مهما يكن معناها فلا بد أن تكون حيلة

وازدهم مشعل الصياحه الصمير بالبحرئين. وعدد ابحامون بانوابهم الداكة، وهم أكبر سناً وأكثر كآبة من دي مل، عندما كانوا يحضرون حول العقيد كالعربان. ولم أراهم بين يديه، وهم الذين كانوا أصلاً سبب

يعتقد الخريف، لم يستطيع أن يطبق مكر نهائهم فأمرهم بالانصراف عنه، وأصر على أنه لم يكن بطلاً للأمة كما قالوا عنه، وأنه ليس سوى صانع حربي بلا دكرات وهو لا يحدم إلا بأن يموت تعباً وقد بسبه الناس وأثار حفيظه أكثر ما عده من أن رئيس الجمهورية بالذات كان يعكر في حضور الاحتفال في مكنودو، كي يقلده وسام الاستحقاق.

فأرسل العقيد أوريليانو بونديا إلى رئيس الجمهورية بحجره حرقاً أنه يتظر فعلاً، مدارج الصبر، تستلزم الاستحقاق، ولو أنه جاءت متأخرة، لكي يطلق عليه رصاصه، لا حياءاً له على تدابير نظامه العسكري الظالم وحسب، وإن لأنه أخذ بواجبات الاحترام اللازمة لمعجور لم يصبر به أي أدى لأحد. وبعد نعت الشدة التي صاغ بها تهديده درجة دفعت رئيس جمهورية إلى إلغاء رتبته في آخر لحظة. فأرسل له الوسام مع أحد عمه الشخصي. وتعرض العقيد جيريلمو ماركيز لكل أنواع الضغط من المسؤولين، مما حذ به إلى معادته سرير الكساح، والذهاب لرئاسة رفق السلاح القديم لعله يقمه. وعندما رأى العقيد أوريليانو بونديا ذلك المقعد المحترق. وقد حممه أربعة من الرجال، وتقدمت وسائله الكبيرة صديقه الذي شاركه انتصاراته وعاشه هزائمه في عمر الشباب، لم يشك لحظة في أنه جيش نفسه كل ذلك العاء كي يعبر له عن شدة أزره ومعاضدته. ولكنه عندما علم عن دافع الزهارة، طرده من المشغل، نائلاً

الآن فتمت مباحراً، بأنني كنت يمكن أن أسدي بك معروفاً عظيماً لو أنني سمحت لهم بإعدامك.

وهكذا جرى لاحتمال بالبريول دون أن يحصره أي واحد من أفراد العائلة. وانفق أن تكون مناسبة مع أسبوع المهرجان (الكريمال) ولم يستطيع أحد أن يسرع من رأس العقيد أوريليانو بونديا الفكرة التي كان

يشتبه بها، عن أن حكومة حطفت عمداً للتوافق بين الأمرين، كي يربد من فسوة السحرية منه. وكان في مشعبه سمع أنعام الموسيقى العسكرية تكريراً، ودوي المدافع لمخطفه على شرفه، والأحراس التي كتب تقريظ تسيحة السكر لله، ويسمع بعضاً من عبارات الخطاب الذي كان يلقي أمام نائب داره. عديم أظفوا سمع على الشارع. ويسمع به انصب دروته، وعصاف به ضغطه، واغتررب عيه بالدموع، للكرة الأولى مد أيام الهزيمة. وبالم، أشد ما تألم، لأنه لم يعد له حرية الشباب لكي يعملها حراً تحو بالدم أحر آثار الطم، وصافط. وعندما بلاشت أصداء الكريمر والاحتفال، حياءه أورسولا وهرعت عنيه باب مشعبه، فأجاب

- لا ترعجوني، فأنا مشغول

وأخذت أورسولا بصوتها العادي المألوف

- اتضح، فليس بهذا علاقة بالاحتفال.

وعندها رفع العقيد أوريليانو بونديا عارضة الباب، فرأى من فرجه سبعة عشر رجلاً في هساتهم وأشكالهم المختعة تماماً، على الرغبة ما كان يسو عليهم جميعاً طابع من الوحدة يكتمى معرفة هويتهم، ولو كانوا في مختلف أصقاع الأرض.

كانوا أبناء. وقد حصرو من غير اتفاق بينهم، بن ذوب أن يعرف أحدهم الآخر، من كل أنحاء الشاطئ، لشربمة لأطراف الضائعة، عندما سمعوا بأند اليوبيل. كان كل منهم يحمل دعبور اسم أوريليانو مع كنية أمه.

وأقامو في البيت أياماً ثلاثة، فقبلوا هاليه سافله، حتى لتكون حروباً قد شبت فيه. بينما كانت أورسولا في غاية الرضا من اهتمام قبيلها، وكانت فيرناندا في غاية اشعشراها. وبحت أمارشا، بين أوراق الماضي، عن

السجل الذي قيدت فيه أورمولاسم كل من الأولاد، وتاريخ ميلاده، ويوم عماده، وعند وجدته أضافت إلى اسم كل واحد منهم عنوانه الحالي.

وقد كانت تلك القائمة كعينة بأن يراجع فيها المرء عشرين سنة من الحروب، ولم يبق بالتمصيل عن رحلات العقيد الدينية، منذ ذلك العجز الذي رحل فيه عن مأكونزو، على رأس واحد وعشرين رجلاً، على طريق ثورة خيالية، حتى اليوم الذي عاد فيه آخر مرة بدثار حش ملطخ بالدم.

ولم يترك أوريليانو الثاني هذه العريضة تعلمت منه فاحتفل بحجي أبيه، ثم أبيه، وأقام وبهمة كبرى أراق فيها التسابيا وعرف على الأكويديون وقد كان تفسير ما فعله رعية منه في التعميذ، وهو متأخراً، عند مقدمه بعيدا عن المهرجان بسبب اليرقان. ولقد حطموا في الحفلة نصف أطباق البيت وصحافه، وهشموا شجيرات الورد، وهم يطاردون ثوراً كي يركبوه حماراً. وقتلوا الدجاج برصاص المدسات، وأجبروا أمارات على أن ترقص على أنغام موسيقى بيترو كريسبي الحورية، وأقموا رينيدورس الحميلة بلبس بنطال رجالي، وتسلق عمود مدهون بالشحم، وأفتوا في عرفة الطعام حريقاً مصبوغاً بالدهن فأوقع يربس.

ولكن أحداً لم يحترق بذلك، ولم يدم أحد ما أصاب البيت من حرائق وتلف. لقد كان ما أصابه جارة من هزة صحيحة.

في البداية، استصحبهم العقيد أوريليانو بويديا بعض الشك، فقد كان يشك في سبب بعضهم. ولكنه، من بعد، طار بهم فرحاً وإعطى كلهم منهم سمكة صغيرة ذهبية حتى حورية أركاديو الثاني، الذي كان معروفاً بتقوئه ونزواته، نظم بهم بعد ظهر أحد الأيام، ليقتضوه في مشاهد صراع الديكة. وكان ذلك يقرب إلى مأساة، لأن أكثر

الأوريليانويين (١) كانوا مهرة في التحكم في صراع الديكة فاكشعوا، من النظرة الأولى، خدع الأب أنطونيو ليراس وحيله. وبدت لأوريليانو الثاني إمكانية أفراح وسرور لا حدود لها بوجود هؤلاء الأقرباء المجير، امرئيين. فقرر أن يقتبهم جميعاً في مأكونزو للعمل معه. ولم يقبل ذلك إلا واحد منهم، هو أوريليانو تريست (الخرين). وكان خلاصاً، عملاقاً، عيباً، كجنته يميل إلى الاكتشاف. وكان قد جاب نصف العالم بحثاً عن الثروة، ولم يكن يهيمه للكان الذي يستقر فيه.

أما الآخرون، على الرغم من كونهم عاريين، فقد كفوا يعتبرون مصيرهم محتوماً. فقد كانوا صاعداً ماهرين، من الحرفيين الذين يرمونه بيوتهم ويمشون بسلام. وفي يوم أربعاة الرفات، وقبل أن يعودوا من حيث أتوا، لسعروا على الشاطئ الطويل، عرب أمارات أن تجعلهم يمدون ثياب، لأحد، يرفعوها إلى الكيسه ورافقوها فعلاً، وتكن عن سمنه، لا عن إيمان. إلى انائده فقصده مرسم الأب أنطونيو ليراس على جباههم صليب الرفات بالرماد. وعندما عادوا إلى البيت حاول أصغرهم أن يطفئ حبه. فوجد أن لإشارته لا تحي. وكذلك كان شأن إخوته فحجروا بالمد وأنصاعوا، والثراب والعرشاة ثم جربوا بحجر الخفاف ومخلون القمي، ولكنهم لم يعمحو في محو الصليب عن جباههم. أما أمارات وبشبة المصين فقد أرالوه بلا صعوبة فقالت لهم أوريسولا، وهي تودعهم

«لن يخطنكم أحد بعد الآن، فأنتم محيرون

فانصقوا راجعين جماعة، تصدمهم الموسيقى وطدمات الأسهم الدرية. وبعد حشو في البلدة شعوراً بأن سلالة آل بويديا قد نثرت بذورها لنبتى إلى قروب قادمة وأنقام أوريليانو تريست (الخرين)، وهو الوحيد الذي بقي منهم،

(١) أي الأولاد، لأن كل واحد منهم كان يحمل اسم أوريليانو مضاد إلى كيه أمه

في صاحبة البسمة وظلّ، وصله على جسده، يعرض في معمل الحديد
الذي حلم به جدّه الأول حوربه أركاديو بويديا أيام عبثه في دوامه
الاختراع

وبعد بضعة أشهر من وصوله، وبعد أن عرفته البليدة، واحترمه أهلها، بدأ
أوريليانو تريست (الخرين) يبحث عن بيت لياوي إليه ويأتي يامه وأخته
العذرة (وهي بيت يت العقيد أوريليانو بويديا) فأعجبه البيت القديم
الكبير، الذي كان مهذباً، في رابية المساحة العامة، والذي كان يبدو
حالياً وسأل عن أصحابه فقص به إنه ليس لأحد، وإنه كانت تعيش
فيه، من قبل، أرملة وحيدة تعدى بالمرء وكلس الحذران، وأن أحداً
سم يشاهد في الطريق لسبب حلت سوى مرتين، وهي تلبس ثبّة
معطاة يرهور اصطباغيه صغيرة، وتحتذي حذاء قديماً بصي اللون
وكانت عدها بعبر المساحة العامة في طريقها إلى مكتب البريد، كي
ترسل رسائله إلى الأستاذ راصافرا إلى قولهم أن وصفتها الوحيدة
كانت خدمه مربية، تقتل القطط والكلاب وأي حيوان يدخل البيت،
وتأخي بجثتها إلى الخارج، كي تسمم برائحتها انتة جرة البليدة وقد
مضى وقت طويل على آخر حيوان مفتول جمعته الشمس واعتبر الناس
أن صاحبه البيت وحادمتها قد ماتا قبل نهاية الحروب، ولم يبق البيت
صاحباً إلا لآله السبى، الأخيرة لم تشهد شتاء قاسياً أو أنواء شديدة وقد
ماكنت ربات مصانع الأبواب بعض الصدا، وكادت تسقط لولا ما كان
يسببها من بيوت العاكس وبدا على النوافذ كأنها خلعت بعمل
الرطوبة، وطول ما أفعلت وقد نظى بلاط الأرض، وعنته لأعشاب
والرهور السرية وعششت في شقوقه السحالي، وباصت فيه حيوانات
صغيرة أخرى كثيرة، وكان كل ذلك يؤكّد الرأي القائل بأن أي إنسان لم
يعش في البيت منذ نحو نصف قرن على الأقل ولم ينتظر أوريليانو

الخرين، ولم يحدث، وهو الشاب الشيط، عن مريد من لأدنة كي يبدأ
العمل

دفع الباب الرئيس بكفه، فتساقطت أحشائه المنحورة دون صوت،
في انهيار مكسوم لم يده عنه غير خيال الرمن ويقايا الأعشاش والمبيدات
الثرية وثوق أوريليانو الخرين في الباب حتى انقشع غمامة العماره
فاكتشف في وسط العرفة، نبت المرأة الهريلة، التي كانت ما يزال ترتدي
ثياب القرون، فاصي، وعلى جسمها، مروة بعض شعرات صفر ولم
يبق منها ما ينفذ النظر سوى عسيها الواضعتين الجملتين، وقد انظما
فيهما أخريش للآمل وتغلّقت بشرة وجهها من جفاف الوحدة

وبرعش أوريليانو تريست (الخرين) أمام ذلك المشهد، الذي بدأ كأنه هو من
عالم آخر، حتى كاد ألا يرى المسدس العسكري بقديم الذي كانت تلك
المرأة تصوبه نحوه، وتتم قاتلاً.
.. المعلقة.

وبقيت في مكانها، من وسط الغرفة، كأنها غزال رخام عتيق، وقد
تراكم في الخرفة أثاث قديم، وأخذت تتعفن بدلة ذلك العملاق
الداخل عليها، بمسكبه العريضين ووشم الصليب على جبينه فكانت
كأنما تراه خلال خيمة من غبار، عبر حجاب عصر عاشته، وعلى كتفه
بدقيه صيد يطنقتين، وفي يده قلادة شكت فيها الأواب. فصاحت
بصوت خفيض

.. بحق انه عليك أفلس حراماً أن تعدوا إليّ تلك الذكرى الأولى.

فقال لها أوريليانو تريست (الخرين)

.. أريد أن أستاجر البيت

وعندها صوت المسدس إلى الصليب على جبينه، وقد هجمت عليه

يبد ثابتة، ورفعت الرمد بحرم، وأمرته قلقة :

- أخرج من هنا.

رؤى أوريليانو الآخرين تلك الحادثة للعائلة، على مائدة العشاء معجبت أورسولا، ولم تقو على كبح دموعها ثم صاحت وهي تمسك رأسها بيديها

- يا إلهي، أما زالت معه تعيش 11.

لقد جاز الرمد، وجازت الحرب وأعباء الدنيا عديها، فأنتها روبيكا وكانت الوحيدة التي لم ترح روسكا وعيها وخيالها لحظة واحدة هي الحادثة أمارات فقد كانت تصورها تنعم في حجرها وكانت قد بدأت هي الأخرى تشيخ وتسقوف كانت تفكر فيها عند العجر، حين يسيطر حديد فيها في فراشها اليأس وكانت تذكرها عندما تعمل بهيفها المتهددين، يسطر المرحل وساميه الناحين باله والصابون عديم تليس شلحات الشيوخوخة البيضاء وخراطقتها دوات الطيئين، وعندما تبدل وسط يده الأسود، ذكرى انعقاد الفصح، فقد كانت أماراتا ما تصأ تفكر سروبيكا دون انقطاع، في كل لأوقات، سواء ستيقظت أم غفوت، وفي أحسن لحظات همزها وفي أسوأها. فقد حجمت الوحدة ذكرياتها، وأحزاب إلى رمد معظم الحس الضعيف، الذي مسحته الحياة نغيبها، يمسأعت الوحدة بقايا تلك الذكريات المرة وجعلتها وكثرتها وحتمها. بقي التي عرفت ريميدوس الجميلة بوجود روبيكا فكانت كتب مررت أمام بيها الحروب، ووت لها حادثة مؤلمة أو حكاية حرة. لعل أمة أحيي (1) تشاركها الصعائ التي تضيق، فتحا انصميه بعد موتها ولكنهم لم يلع مراده، لأل ريميدوس أحيله كانت

(1) هي في الواقع بنت ابن أختها، أي حميت

في منجاة عن كل العواطف التي تحديها الأهواء، بل كانت في مأى عن عواطف الآخرين

أما أورسولا فقد لما عندها شعور معاكس لشعور أماراتا فكانت تستعيد ذكرها من غير سوء كانت تستحضر صورة روبيكا، تلك الطفلة البائسة التي جيء بها إلى بيت آل بويدي، وهي تحمل حقبة فيها عظام أهلها، والتي انتصرت على العمل الي جعلتها وجعلتها لا تستحق أن تكون متممة إلى شجرة العائلة.

وعزم أوريليانو الثاني على أن يأتوا به لتعيش معهم في البيت. ولكن ضيق بيته أعظم يرفض روبيكا العيد. فقد كانت قد أوعت في حياة الوحدة والاعمال وتكيفت لها سير عويقة، تدوكت خلالها كل الأوان الشقاء والعدايب وروضت أن تتأازر عن حياتها تلك، بقاء شيوخوخة نفسيها معدبة بمشاعر الشقة والإحسان

في شهر شباط (فبراير)، عندما رحل أبناء العفيد أوريليانو بويدي الستة عشر، وصيب الرمد على صباهم، حدثهم أوريليانو قريست (آخرين) عن أسر روبيكا، خلال صعب لاحتالات فاتفقوا إلى البيت فبكوا مظهره في أقل من نصف يوم: غيروا، لأبواب والوانه، ودهنوا الوجوه باللوان راحية، وطلوا الجدران، وصبروا الأرض بالإسمنت من جديد ولكن روبيكا لم تسمح لهم بإصلاح المدخل، ولم تصل عتبة الدار وتركهم يرمون البيت بجهد لا يعرف الكل ثم حسنت ما فعلته السفقات، وأرسلت لهم، مع حاميتها العجور أريجيد، حفنة من الدراهم، كان قديمة نطل استعمالها منذ أيام الحروب، وكانت روبيكا ترض أنها ما زالت فيد التناول. وعندئذ انضج أحد البعيد، الذي لا يصدق، عن الانتطاع ما بسنها وبين العظم ويات جلياً أنه بات من المنعمر اسراعهم من عزلتها العنيدة ما دامت على قيد الحياة

وفي الزيارة الثانية التي قام بها أمام العقيد أوريليانو بونديا إلى ماكوندو، بقي واحد آخر منهم، وهو أوريليانو ستينو، ليعمل مع أوريليانو الآخرين. وقد كان هذا من أوائل الذين وصلوا إلى البيت من أجل العماد. وقد كانت أورسولا وأمرأتها تذكرانه جيداً، لأنه قد حطّم حلال سماعات، كل الأشياء اللطيفة الباهظة التي صادفها يدها. وقد هذا الرمن من شدة اندفاعه، الذي رافق غوّه، بعد، لأن شاباً متوسط القامة، في وجهه مدوب الجذري ولكن فترة يديه المخارقة على الكسر والتعطيم كانت م رالت على حالها. فقد كان، أحياناً، يعطّم عدداً من الأطاق حتى دون أن يستهوا. وبدلك حصلت ميراث أن تشري به طقمماً من أطباق القصددير، قبل أن يجهر له على ما بقي من أوانيها الصلبة الثمينة. ولكن هذا الإجراء لم يحم صحائف المعادن الثقوية من أن تنقشر بين يديه، أو تنشّي خلال وقت قصير.

ولكن أوريليانو ستينو، إلى جانب هذه الطاقة فيه، والتي كانت تؤله ولا أم في شعاعه منها، كان، من جهة أخرى، دعت الحقن توحى شخصيته بلفتة وكانت قدرته على العمل عظيمة ففي خلال وقت قصير، استطاع أن يزيد إنتاج الحديد كمية فاقت حاجة السوق المحلية، ودعمت أوريليانو تريست إلى تمكينه في توسيع عمله وبعثه إلى قرى إقليم «ناريجو» (منطقة المستعمرات) جميعاً. وهذا حرم على اتعداد خطورة هامة، ليس من أجل تحديث صناعته وحسبه، بل من أجل ربط البلدة ببقية العالم أيضاً فقال

— يجب أن نوصّل سكة الحديد إلى هنا

وكانت تلك هي المرة الأولى التي تسمع فيها تلك الكلمة في ماكوندو. وعندما سمعت أورسولا، وأبصرت، لمخطط الذي أعدّه أوريليانو تريست (آخرين)، والذي كان وليد السداد والمخطط التي كان حوزيه

أركاديو بونديا يرسمها ويوضح بها مشروعه بحرب الشمسية، عندما رأت أورسولا ذلك، ازداد شعورها، وثبت اقتناعها بأن الرمن يسير في دائرة، والتاريخ بعيد نفسه عما كان أوريليانو آخرين (تريست) يختلف عن حده إلا بأنه لا ينقطع عن الطعام والوم، ولا يرجع أحداً موارث غصبه فقد كان، على العكس من ذلك ينظر إلى أغرب لمشروع كأنها احتمالات نورية، ويقدر بالحساب تكاليفها والرمن اللازم لها بطريقة عقلية، وكان يعمل على إصالتها إلى أهدافها دون المرور في مراحل يائسة

وإذا كان أوريليانو الثاني قد ورت عن جدّه أبيه شيئاً، في حين أنه لم يرث شيئاً آخر عن العقيد أوريليانو بونديا، فقد كان ذلك عدم ميالته للمنطقة بالسحرية وعدم استعداده من دروس الإخفاق. ولذلك دفع المال اللازم لحد سكة الحديد واستقدم القطار إلى ماكوندو، باللامبالاة نفسها التي موّك بها مشروع أخيه، حوزيه أركاديو الثاني، الأخرق للمعالجة وبعد أن راجع أوريليانو الآخرين (تريست) فكرته، عاثر ماكوندو يوم الأربعاء التالي، محططاً بالعودة بعد انتهاء الأمطار

وانقطعت أخباره، وباء أوريليانو ستينو بأحباء العمل لثرييد. وبدأ يجرب صناعة الثلج بعصير العاكة بدل الماء. فكتشف بهذه الطريقة، دون أن يعرف أو يقصد، «مبدأ» الأساسيه لاختراع أنواع الشراب وعصير الفواكه. وكان في سبيله لسريع إنتاج محله، معروفاً أنه صار ملكاً له وحده، لأن أحبار أخيه قد انقطعت تماماً. وقد انقضى فصل الشتاء وتبعه فصل الصيف

وفي أوائل فصل الشتاء التالي، كانت إحدى المساء تعمل الشبب على الهر، في وقت من أكثر ساعات النهار حرارة. فتركت ثيابها وراحت تعدو في الشوارع والطرفوات مدعورة وفي حالة من الرعب شديدة، وهي تصرخ. ثم استطاعت أن توضح ما أحاطها، فقالت:

رأته أب شيء محيف كأنه مطيح بحر ورائه قرية
وفي تلك اللحظة، اهترت البلدة كلها، عندما دوى في الأفق صعير
كان يتردد صدها يشكل محفد، ثم تلا ذلك لهات متعب.

وكان أهل البلدة قد شاهدوا، في الأصابع الخاصة، مجموعات من
العمال الذين كانوا يشتغلون لخطوط الحديدية والعوارض الخشبية. ولكن
أحدًا لم يهتم بذلك الأمر، لأن الناس ظنوا أنه واحد من اختراعات العجبر
العائدين بطولهم ومراميرهم وصحبها القديم، بعد أن فقدت أقدوسهم
وأعمالهم قيسها لمرط ما كرروها على مدى مئة عام، وبعد أن فقدت
طعمها رقصاتهم وأعادهم من خصائص الأكسير التي اخترعها عباقرة رحالة
مادمون من مدينة القدس.

ولكن، ما إن أفاق الأهلون من دهورهم الذي أحدثته الصعير
والهبات، حتى اندفعوا رافات إلى الشارع العام، إذ بهم يشاهدون
أوريليانو الحزين (فريست) يتوَّج لهم بيده من القطار، ثم يرون، وهم مذهولون،
القطار مجللاً بالورود، وقد وصل أخيراً، مباحراً ثمانية شهور عن الموعد
المحدد لوصوله. ذلك القطار الأصغر للبرية، الذي كان لا بد له أن
يحمل إلى مأكومندو الكثير من المعروض والبنين، وخطات الخبز والفرح
وخطات الشر والترح، والنعيرب الكثيرة، من الأروم ومشاعر الحين

(١٢)

طلعت لا اختراعات العظيمة الكثيرة على الحياة في مأكومندو وأدلت
أهلها، فما يعلمون من أين ابتدأت دهشتهم. فكانوا يحضون الليل
بطوله، يتأمنون المصابيح الكهربائية الشدحة، معيها مجموعة محرّكات
كهربية جديها معه أوريليانو تريست (الحزين)، في رحلته الثانية في القطار وقد
مر وقت، واستعد جهد حتى عادو صوت القطار نوم. نوم، الذي
كان يدهشهم بشكله وصوته وحركته. وأثارت سطحهم الصور المتحركة
التي كان يعرضها بروبو كريست وما أصبح تاجر أعياء، في المسرح،
الذي كانت له شابينه فذكر مثله رأس الأسد. وكان مما يزعجهم أن
أحد الأطفال قد مات ودفن في أحد الأعلام قد دفنوا بهديه وفرقة دموعاً
محيية، ولكنه ما لبث أن ظهر في فلم آخر حياً، وقد بدأ في هيئة رحن
عربي

وكان الحضور الذي يدفع الواحد من أفراده شئين، كي يعاينهم
الممثلين معاناتهم ومعادعهم وأحزهم، ليحتفل هذه السحرية التي لا
مبرر لها، تحطم الناس المقاعد جميعاً، واضطروا رئيس البلدية، عد
إخراج الدون بروبو كريست، لأنهم عني الملأ أن السيمبا ليست سوى
آله أوهام لا تستأهل الاحتفال العاطفي من الجمهور المشاهد. وبعد ذلك

البياد فحسب بالأمال، أدرك، ناس أنهم كانوا ضحية حيلة غجرية كبيرة حديد، فعزروا، ألا تظن أندهم أرض السيام يعد ذلك فقد كان لديهم من الأحرار ما يكرههم، وليس بهم حاجة ليكون آلام الآخرين الزهية وقد حدث ما يشبه ذلك مع الحكيمات (المسويو عرافات) ذات الأسطوانات، التي جاءت بها السيدات العرسيات لتحل محل لأرض الميري، والتي أضرت، إلى وقت، ضرراً بالعلماء بالموسيقى، فهي الداية، أدى حب الاستطلاع إلى الرغبة في أعده، رواد الحلي الخاص، حتى قبل إن بعض السيدات اهتمامات كن يتكون بثياب عامة شعب، كي يذهبن لمشاهدة مخاكي من كتب ولكن الناس أصمروا في محبته حتى توصوا إلى نهجه أنه ليس طاحوناً سحرية، كما كان يظن الكثيرون، وكما كانت السدات، عرسيات يرضعن، بل هو آلة عادية لا يمكن معاريفه بجوقة الموسيقيين، حلية الإنسان، نفعة، حقيقة اليوية، وأجس ذلك الوهم، وتكشف أبعاده، حتى إذا انتشر استعمال الحكاكي بين الناس، ولم يعد يخدمونه بيت، صار لا يعتبر واسطة لتسلية الكبار، بل أداة يلهم بها الصغار فكاً وتركيباً

أما الهاتمة، من جهة أخرى، فلم يكن أمره كذلك. فعندما سمحت الفرحة لأحد سكان الحدائق فتحصه وتؤكد من حقيقته الملموسة في محطة سكة حديد، عثره الناس، لوجود يده، تطبيقاً لبدأ لحاكي ولكنهم مع ذلك عجبروا له جميعاً، حتى أنلهم إيماناً كان أهل ماكوندو كأن الله قد شاء أن يتحن قدرتهم على الدهشة ولاستعرب، وجعلهم في حد صاعده هائلة بين مرح وترح، وقيس وشك، وكشف ووهم، حتى لم يكونو يدرون ما قدر العلم الخفي في ما يرون، ولا أين يبدأ الوقع أو ينهي فقد التفت الخلق بالاهام، في اختلاط عجيب غريب، حتى إن نسج حوربه أوكديو موزيد قد عيل

صبره، ووجد عنه مظهر السبر، حيثه ودهاباً، يعدو في البست في رابعة النهار

ومد أن دُش الخط الحديدي رسمياً، وصدر يصل بانتظام، في الساعة خدبة عشرة من كل يوم أربعاء، وأقيم له مكان من خشب بيت فيه، فكان هو محطة والكتب وعرفه الهاف وشاك بيع سداكر، امتلات ماكوندو بالناس، من الرجال والنساء، الذين كانوا في ظاهرهم لا يحتفون، من حيث السلوك، عن الناس العاديين ولكنهم كانوا ذوي هبات وأشكال تشبه العاملين في السبك. بعد كان أولئك انتحار الخواكون المهورجون يعرضون، برشافة أساليبهم، بضائعهم من القدور البخارية الصافرة (محدث صغيراً) إلى نظام الحمة الذي يطمش إلى تحبين الص في اليوم السابع ولكنهم لم يعيدوا كثيراً من ماكوندو، أئيدة التي كونها تجارب مع العجر، ولو أنهم كانوا يجوبون أرباباً طائلة من بسطاء الناس، ومن أولئك الذين كانوا يتظاهرون بالقناعة مللاً وسأماً

وفي يوم من أيام الأربعاء، الذي لا يختلف عن سواه، وصل إلى ماكوندو السيد هيريت الباسم السمين، وثاوي طعام الغداء في بيت آل برسيا. وكان من أولئك الثنوديين، مسرحيين، الذين يرتدون باطيل ركوب خيل، ضيقة السيفان، وأخواب (الطوية)، وقبعات الغين، ويضعون على عيونهم نظارات ذات إطار حديدي، تبدو عيونهم من خلفها زمرديئة، ولهم بشرة كشرة ديك نحيل

ولم يلاحظه أحد على مائدة الطعام حتى فرغو من أكل أول قوس لور. وكان أوريلسانو الثاني هو الذي صادفه، حين كان يحتج، بدمعة إنسانية ركيكة، في فندق جاكوب، لأنه لم يجد فيه مكاناً له. فدعه إلى البيت، كما كان يفعل دائماً مع الكثيرين من الغرباء، وكان هذا يتاجر

بالطيد المتبدد، وقد فادته عذرته إلى بلدان كثيرة، حتى طاف حول
صيف العالم وجى لربحاً ممتازة ولكنه لم يفتح في إقناع أحد من أهل
ماكويديو بالصعود إلى الفضاء، لأن الناس وجدوا ذلك الاحتراع رجعيًا
ومأخراً، بالعباس إلى بساط الريح العجري الذي عرفوه وحرّوه وكان
يريد الرحيل في القطار التالي.

وعندما وضعوا على الدائدة قنوا ادفوز المنقطه وقد كانوا يعلقونه أحياناً
في غرفه الطعام ساعة العشاء، تناوب أول مودة دون حماسة شديدة
ولكنه ما لبث أن تابع أكل ادفوز، بينما كان يتكلم، وكان يأكل متسديداً،
فيتمدوى ويصغ، في دهون المفكر الحكيم أكثر من استمتاع الرجل
الأكول. ولما انتهى قنوا المور الأول، رجعه أن يأثوا بوحده آخر وعندها
أخرج من عليه أدوائه، التي لم تكن تعرفه، محفظة تحوي أداة بصرية
ومحصر مودة باهتمام ودقة وبأن، كأنه تاجر ماس ثم قطع ادفوزه بمضغ
خاص، وبدأ يرك كل قطعة منها بمجرى حساس، ويحسب قطرها بمكيال
صانع السلاح. وأخرج من العلبة مجموعه من الأدوات فاس به حرارة
الحرق ودرجة رطوبته، وكثافة الضوء، فأدخل الأخيرين بطقوسه تلك،
فما استطاع أحد أن يأكل كما يشتهي. وكان الجميع ينتظرون أن يتكلم
السيد هيربرت فينظر بالحكمة. ولكنه لم يمس بيت شعبة، ولم يمه
بحرف تعبيراً عما كان يدور في ذهنه، فسم يدر أحد ما كانت مقاصده

وفي الأيام التي تلت ذلك، شاهد الناس يصطاد الفراش في حقول
القرية بشبكة وسله صعبيرين. وفي يوم الأربعاء التالي، وصلت إلى
السدة جماعة من مهندسين الروراعيين، ومهندسي الطاقة المائية
والطوغرافيين، فامضوا أسابيع طويلة، وهم يدرسون المنطقة
التي كان يحويها سيد هيربرت وهو يصطاد الفراش ثم وصل السيد
جناك براون في عربة مقطورة إلى آخر القطار الأصغر، مظلة بالعصا،

محملة، بقاعد، سقطهم من الزجاج الأزرق. وقد وصل في هذه العربة
كذلك فريق من المحامين الذين كانوا يرددون البرب السوداء، يحطون
بالسيد براون ويبن يديه، ثملاً كما كانوا يفعلون مع العقيد أوريبيانو
نويديا، حين كان يسعون مركب سفلاته. وقد دفع المشهد الناس إلى
الفرار بأن أولئك المهندسين الروراعيين، ومهندسي الطاقة المائية
والطوغرافيين والمساحين، بل السيد هيربرت نفسه، بمطابطة المقيدة
ومرأشاته المرفوعة، حتى السيد براون يمتدحه نساو ورعاته الألمان الشرهين،
كل ذلك إنما كان ظاهراً بالمطرب

ولم يطل الشك بأهل ماكويديو، بل أنهم لم يكادوا يدلون التساؤل
حول ما سوف يحدث لسيدهم، حتى تحولت البلدة إلى ما يشه محيطاً
من البيوت الخشبية الصغيرة المغطاة بالنوياء، يقيم فيها اجانب، ما انكرو،
سواءدون جماعات في القطار، الذي لم تكن تتسع لهم مقاعده ومبازلون
أماكن الوعراف وسطوح العربات ثم جلب الأميريكويون ووجباتهم
التيبات شيايب المولسين وبيعات الشعوف الكبيرة. فبوا لهم قرية
منفصلة إلى جانب الثاني من سكة الحديد، وشق في شوارع عرسوا
على جوانبها أشجار النحل وكانت بيوت القرية ذات بوابه لها ستائر،
وأمل كل منها باحة فيها ظاوه بيضاء. وقد علق في سقف البيوت
مراوح، وامتدت أمامها مروج فيسحة ترح فيها الطواويس وطير
السمن

كان ذلك انقسم من، فباني مسجداً بشريط معدني شائك مكهرب
قراء، في كل صباح من الأصبحة الباردة في فصل الصيف، وقد أسودت
نكترة ما علق به من طيور النشور التي حترقت حية عليه
ولم يكن أحد يعلم ما الذي جاء هؤلاء الناس فقد قلبوا المنطقة رأساً على
عقب، وأحدلوا صغياً لا يدانيه حتى صخب العجبر وروا صاحب العجبر

وصحبتهم كان عربين. وصحة هؤلاء دأبه لا يعرف مباح أحد.

كانت بيوتهم أديان وروسان كاث من قبل من حسمت من العبدية
لإلهه فقد علكو نظام المظفر، وعكرو دورات مزاسم خصاص، وحكروا
النهر من مجراه القديم فنقصوه بحجارة البيضاء ومجارية خبيثية إلى
الساحية لأخرى من القرية حفص نقره، وشيدوا، في بيت العروة معة
من الإسمنت المسلح فوق خضريح حورية أركاديوه الذي يهب من
حجارتها، كي لا يغد ماء راحته بياضود المعة من جته وحكروا شارع
السيدات العربيات معونات، من أحسن العراء القديمة بلا حب، إلى
قرية أكبر من الأولى وفي يوم أربعاء، منجيداً حاولوا إلى القرية بقصة،
تصوق خياله، من العبايا العربيات، والاثاث الباليات، اللاتي اتفن كل
سور النديس القديم وضرائقه، وامتنكن كل أنواع المراهم والوسائل
و لأدوات التي يسخر الحبر العاجر، وتجمع الحجون المتردد، ونشع
النهم، ومخمر الحبي المسواضع، ويغم الماشن للعبد، وتصحب عوج
التوحشين

وامتلا شارع الأبركان بمحارن الأناوية^(١) والنوبل للشيرة التي كانت تشع
مصبة طوال الليل، عارضة بصائعها المستوردة من الخارج، حالة بذلك
محلّ الدكاكين السابقة ذات الألوان الزاهية وعصّ بيل البيت يصحب
جماهير المدايين الذين يندفعون بين طاولات القمار والميسر، وأمكن
الرمية والتسديد والتصويب، إلى الشارع الصغير حيث يستطيع المستقل
وتعصر الأحلام، وبين الطاولات مكدحة بالشويات ومقليد وصوب
الشراب من المخمور، التي تراها في الصباح وقد انقلب بعضها فوق
بعض، وقد تمددت بها أجسام لشر، بعضهم سكارى يشون بمناذعهم
مستعين، وبعضهم مصوليون سقطو، ضحية وصاحبة طائشة أو لكمة
تأثمة أو طعنة سكين ضلّت طريقها، أو ضربة رجاجة مشروب إثر

القرية ! جمع فوه ، وهو نوع من البهائم

مشاجرة بين طرفين

كان ذلك غرواً رهيباً فعلاً، حتى إن الناس لم يعودوا، في البطم،
ماديين على الخروج من بيوتهم ليسيرو في الطرقات، لأن قطع الأثاث
والصناديق كانت تسد تلك الطرقات، وبسبب العدو والرواح والضجة
في نقل الأثاث على العجلات، وعسل الحجارة في بيوت أوثك الدين
كانوا يشنون بيوتهم في أية بقعة حالمة دون عاء الاستئذان من أحد،
وبسبب ماطر الأزواج من العتيان والغبيات المجله، الذين كانوا يعلقون
أرجلهم بين أشجار الفور، فيضاجعون ويرسون الحب خلف ستارها
الشعافة أمام جميع الناس جهاراً، وفي رابعة النهار

كان فلاد الهادي الوحيد هو ذلك الراوية التي أنشأها الروح اليهود
العربيون على هيئة شارع همتي صغير، بيوته من خشب المصانة على
أعمدة وكان هؤلاء يجنسون أمام بيوتهم تكت في أصائل الأيام، ليعوا
أعانيهم ذات الأنام خريته، بعثهم العربية للشبهة يزفرقة المصانير.

وبعد حدث التبدل والنحير في البلدة خلال فترة قياسية من حيث
القصر فقد تمّ كل ذلك خلال ثمانية شهور بعد زيارة السيد هيربرت
فلم يعد أهائي ماكوندو القداس بقادير على معرفة بلدتهم إلا بصعوبة
حتى قال العقيد أوريليانو بونديا في تلك الفترة :

- انظرو البلاء الذي جلبناه لأنفسنا، لحدوث أن دعوت أميريكيا لأشك
المرد حذب

أم أوريليانو الثاني فكان يكاد يطير من السعادة التي كانت تعمه أمام
ذلك الحشد الهائل من العراء - فقد ازدحم البيت فجأة بالتصويف غير
المعروفين، من المصويين العلميين الذين لا يقهرون فأضاف إلى البيت
غرواً جديدة لها في ياحه الدار، ووسّع قاعة الطعام، واستبد بطاولة

الطعام القديمة طارئة جديدة تصنع أسنة عشر شعباً وبثل الصحاح القديمة
وجددت الصحاح والأطباق وأدوات الطعام الأخرى، وجعل يقدم الطعام على
دعوات واضطرت فيرناند، للسكون على مضض، بينما كانت تستقبل، كما
يليق بملوك، أولئك الصيوف المذبح الذين يتصلفون بكل صوف المعهر
والعريضة يشربون أوجال أحذيتهم في الشرفة، ويولون في البستان، ويعرضون
حصير الخيولان المجدول في أي مكان يخطر لهم لقضاء القيتولة ويتحدثون
كيف انطلق، دون أن يراهم حساسية البساتن، كما يفعل السادة المهديون

وأعاط أمارانتا غرو هؤلاء الرعاع، فعادوا الأكل في المطبخ على
عمادتها في زمن الماضي وألقى العقيد أوريليانو بونديا أن معظم الذين
كانوا يحدون لتجربته في المشعل، ما كانوا يفعلون ذلك عن محبة
واحترام، بل مدفوعين بحب الاستطلاع، لعينهم يشاهدون أثراً تاريخياً،
أو حيواناً محتضاً في متحف، فعصم أن يحبس نفسه في مشعله، وأن
يقع بابه بالعريضة، فلا يراه أحد، من بعد، إلا في عرض مادرو، صعد
يخرج للمجلس عند الباب.

أما أورسولا، وقد باتت غمر قديمها جراً، وتستند إلى الحائط مستعينة
ومستدي به، فقد كانت تشعر بهرح طفولي عند فتح ساحة وصول
القطار. فكانت تأمر الطبائحات الأربع قائلة :

« هليانا أن نعد بعض اللحم والسمك،

فيسارعن لإعداد كل شيء. يشرف سانت صوفيا النقية إشرفاً صارماً
كما يكون كل شيء جاهراً في الوقت المناسب. وتصير أورسولا قائلة
« يجب أن يظهر كل شيء، لأننا لا نعرف ماذا يجب أن يأكل هؤلاء
المرءية

وكان القطار يصل في أشد ساعات النهار حرارة حتى إذا حان وقت

الغلاء غلت الضمجة، وسادت الموعلاء، فاهتز البيت بشدة الصبح
وتدفع الصيوف الذين لا يعرفون مصيهم، والعرق يتصبب منهم، وهم
يسراحمون كالتفصيح، يدفع كل منهم كي يحمل أصل مكانه على
المائدة فتصطبهم الطبائحات بمضغين بيض، وهن يحملن قدور الحساء
الكبيرة، والصحاح الملأى بحطب أنواع الطعام، وأواني السلطة، وأوعية
الأرز، وبراكين عصير الليمون، وتسود الصوفى، حتى تقوم قياصة
هيرمان التي يشرف الشك في أن بعضهم كانوا يأكلون مربيين وكثيراً ما
كانت على وسك أو تصل حد الانفجار، فتصعب جام غصنها بين من
شائهم السوقة على ضيف يسألها ياريتياك عن مقدار حاليه

ومضى عام على زيارة السيد هيربرت، ولم يعرف الناس سوى شيء
وحد وهو أن العرب كانوا هازمهم على زراعه الموز في تلك الأرض
المسحورة التي حادها حوريه أوكاديو بونديا ورجاله، عندما كانوا يبحثون
عن طريق دلاخروحات العظيمة

وحده أشاء آخر من أبناء العقيد أوريليانو بونديا، وعلى حين كل
مهم حليب رماد وقد جدتها إلى هناك تلك الصخرة البركانية وقد
علا فزارها بالخيء بجملة تلخص أسب مجيء كل القادمين فعلا
« جت لأل الناس جميعاً يأتيون

كتب ريميدوس الجمية هي الوحيدة التي كانت لديها ساحة تجرها من
وباء الموز. فقد نشأت هادئة، ونجس شديداً الرائع، وحملت بعيدة عن كل
الشكيات، كدرة لفحت عذوبة عن ظنون السوء معيدة بعالم الجعائق
البسطة الخاص بها. ولم تكن تدري غانا تعقد الشمام حياتهن بأنواع من
الصدارات والخريريط، فصاحت لنفسها جليلاً وأسماً من نسيج نقيب،
كانت تبسه بأن تزل من رأسها وهكذا حلت مشكلة اللبائن، فظلت
تشمع بأنها عذوبة، لأن أصل حل تزيديها المرأة، في نظرها، هي البيت

هي أن تبقى عارية، وأصرّ عليها أهلها أن تقصّ شعرها، الذي كان يلبس على جسدها كالشلال، فبعضها حتى أخمص قدميها، وأن يعقده باليد اليسرى، لو أن تجمده وتربطه بشرائط قرمزية فكان أن حلفت شعري بالملوس، بكل بساطة، وصعب منه شعراً مستعاراً بقديسين. وكان العريب في موهنته وقدرته على تبسيط الأمور أنها كانت كما أوعيت في البعد عن التقاليد، مستجابة لمعوتها في حب ما هو عملي، وردد جمالها إشراقاً، وازداد تأثيره في الآخرين وتسيب لاضطراب لهم، وأثار سلوكها الرجال.

وقد تكررت أورسولا، عندما كان أبناء العقيد أوريبيانو يوسيب في ماكوسو أول مرة، أن اندم الذي يجري في عروقهم هو نفس الدم الذي يجري في عروق حميدة به، وعلوها خوف ارتاعت له من جلدته، بعد أن ظلت أنها سته، فأندرتها قائلة

افتحي عينيك جيداً إذا تروحت أيّ واحد من هؤلاء جاء أبائك بأذنان خاسير.

ولكن الفتاة لم تعر قولها أي اهتمام فبست ثياب الرجال، وتخرجت على الرجال، وهي تحاول ملق العمود المشحّم وكادت تثير مأساة بين أبناء عمها الذين فقدوا صوابهم أمام مشهدها الذي لم يكن له مثيل. ولذلك لم يكن أحد منهم ليام في البيت إذا جاء البلدة وأصرّت أورسولا على الأربعة الذين استقروا بينهم، أن يقبضوا في غرف مستأجرة، ولو أن ريميدوس الجميلة علمت بشك الاحباطات لماتت ضحكاً منها، فحتى اللحظة الأخيرة من حياتها في هذا العالم، لم تكن تدري أن قدرها، الذي لا محيص منه، هو في أن تكون امرأة من دنياها في كل يوم ضحية.

وكانت كلما خالفت أوامر أورسولا، فظهرت في قاعة الطعام، اثارت

بين نعيمه دعراً واضطراباً فقد كان واصحاً تماماً أنها كانت عذبة كل العري تحت جسدها خشن وما كان أحد يدرك إلا أن جمجمتها الخليفة كانت تحدياً، وأن الجسدية التي كانت تحسرها ثوبها عن مجديها، كي تحف عفا عنه الخمر، إلا إثارة جبرامية وكذلك كان أمر ثلدها يمس أعضائه، بعد أن تأكل مديها، أم الذي لم يعرفه أعضاء العائلة، ولكن العريب أدركوه سريعاً، فهو أن ريميدوس الجميلة كانت تنفث نساءً يذهب القلب كل رشة منه تعدت البشر وتظل عاتقة ظهيرة حتى بعد ساعات من مرورها.

ولقد أكد بعض الذين حبرو خطريات الحب، واحترق العالم كله لهم بخبرتهم فيه، أنهم لم يعرفوا قط في حياتهم، رعدة شبيهة بذلك التي تنتابهم من رائحة ريميدوس الجميلة الطبيعية. فقد كان سهلاً تحديد المكان الذي حلت فيه، وكما أقامت فيه، ومضى عافرتة، أكان في الشرفة فأت لزهار البيجوبيا، أم في الصالة، أم في أي مكان آخر من البيت كان أثرها وضاحاً يختلف عن أثر أي إنسان آخر. ولكن أحداً في البيت ذاب أرهاو البيجوب، أم في الصالة، أم في أي مكان آخر من البيت العذبة مد أمد بعيد، يمس كان سهلاً على العريب تغييره. ولذلك كان العريب من البيت وحدهم يدركون كيف مات فائد خرس الشاب من الحب، ولما استسلم لليأس ذلك الفارس الذي قدم من بلاد بعيدة

كانت ريميدوس الجميلة تجهل العك الذي تدور في مساره، وتجهل اليوس، القيم الذي يصيب من قمر بهم تعامل الرجال بلا غيبث ولكنها في النهاية تذهب ببقاياها هزولهم بلطفها الساذج. وعندما أفتحت أورسولا باقاعها بضرورة تناول طعامها في المطبخ مع أماراتا، كي تحب العريب ورويت، ارتاحت لأنها تحصنت من الرضوخ لنظام المائدة ولم تكن هي، في الواقع، تهتم بأن تأكل هنا أو هناك، أو في ساعات محددة،

بل أن تنصرف وفق نزوات شهيتها. فقد كانت أحياناً تستيقظ باكراً، فتناول بطورها في الساعة الثالثة صباحاً، ثم تنام النهار بطورها، وتمضي شهراً تعبش حسب توقيت يخصص لأهوائها، حتى يوجهها حادثة مفاجئة تعيدها إلى النظام مألوف. وعندما تحس الظروف، كانت تسيّظ في الساعة الحادية عشرة صباحاً، ثم تحس نفسها حتى الساعة الثانية بعد الظهر، وهي عارية تماماً في غرفة الاستحمام، تقتل العقارب، يمسها في تحرج من خصوصها العميق وبومها الطويل، وعندئذ ترش جسمها بماء الخزان بوصافه قرعة تستخدم لهذه الغاية، وكانت تمضي وقتاً طويلاً في هذه العمية وتعرها بحرص دقيق، تنفخ فيها وقعات مأس، حتى ليظن من لا يعرفها جيداً أنها إذ كانت تكرسها لعبادة جسدها الأخير بدلت. أما هي فقد كانت الطقوس التي تؤديها وحدها بعيدة عن كل شهوة. وبم تكن صبور وسبله لإرجاء الوقت حتى تحس بالجرع. وذات يوم، وبين كانت ريكيدوس تستحم، انزعج أحد العبياء فربطه من السقف، ووقف مبهور النمس أمام مشهد عريها العجيب. ولاحظت عيه لشدهتين عبر القرميد المروع، فكان رد فعلها خرواً عليه لا خجلاً منه. وصيرخت في وجهه فائته

.. حذار أن تسقط

ثمتم العريب فائلاً

.. لا أريد إلا أن أراك.

وأجابت :

.. آه، حسناً، ولكن انتبه، لهذا القرميد تالف

كان وجه الرجل العريب يصير عن دهشة وألم، وبدأ يكافح ويحاسب من إحساساته وعرائزه البدائية، كي لا يصحح أمام عيه السراب وحلت ريكيدوس الجميله أنه كان يعاني من الفزع، خشية أن يتحطم به

القرميد، فسمح أسرع من عاداتها، كي تحب الرجل البقاء في مواجهه الخطر وروب له، وهي برش ماء الخزان على جسده، كيف أنها تعاني مشكلة من حالة النقص، بسبب أوراق الشجر التي تنبع من الخطر، فشا عنها أن راحت العقارب بعيداً في حمام. وظن الرجل العريب أن ثمرتها تلك كانت وسيله لكم عواطفها. فلم يستطع مقاومة الإغراء، فعدم خطوة في معامره، بينما كانت ريكيدوس تترك جسدها بالصابون. وتمتم قللاً له،

.. دعيني أفركك بالصابون.

فألت له :

.. شكراً لنظفك، ولكن يديّ تكفيان تماماً

وتوسل لها العريب

حتى ولو ظهر لك فقط

فأجابت

ذلك مصعبه بنوم، وعمل لا لزوم له. فلا أحد يعرك ظهره

بالصابون

وعندما أخذت تشف جسدها، عرورت عيب العريب بالدموع، ونوس إليها أن تقبل الرواح منه. فأجبت بصراحه أنها من تتزوج أبناً من رجل ساذج بسيط، يقضي نحو ساعة من الزمن، ويبقى حتى دون غباء، هرد أن يرى امرأة تستحم وأحيراً، وعندما ليست جليابها، أيقن العريب ما كت تذهب إليه فثون الناس جميعاً، إذ كشف أنها لا تنس شيئاً تحت الجلياب. وأحسن أنه قد اكتوى إلى الأبد بسر ذلك الحديد الأبيض الساخن. فانشق قورميتون أحريين كي يزلوا إلى داخل حمام. فأنلرته قائلة بخوف :

إذنه حال جلاء وسوف تقتل نفسك.

ونحطمت قطع القرميد المتهاك، وانهارت محبشة لتجاراً وقعقة مخيفة، ولم يسع الوقت للرجل إلا لأن يصبح صيحة رعب، قبل أن تنحطم جمجمته، ويموت فوراً على الأرض الإسفلية.

وسمع العرياء في قاعة الطعام صوت الخطام في رفته، صهروا إلى المكان، وصرخوا الجحش فتنبؤوا على جلده راتحة ريميدوس الجميلة الخائفة وقد انسريت الراتحة إلى أجزاء الجسد كلها، حتى إن الدم لم يصدق من الجمجمة المصطمة، وتدفق بدلاً منه سائل كأنه زيت العسر غسخته عطر خفي. وأدرك الناس أنه راتحة ريميدوس الجميلة تصل تعذب البشر بعد الموت، حتى تحيي عظامهم رطاباً. ولم يثير أحد أية صلة بين هذه الخادعة الرهبة وقصة الرجلين اللذين سبق أن مات من أجل ريميدوس الجميلة. ولم يصدق العرياء، ولا الغدقاء من أهل مأكودون، الأسطورة القائلة بأن ما يفوح من ريميدوس الجميلة إنما هو أنفاس موت وليس صفحات حب، إلا بعد ضحية أخرى. ونقد تأكدوا من هذا الأمر حين ذهبت ريميدوس الجميلة ذات عصر، بعد شهور من ذلك، مع جموعة من صويحاتها، لزيارة المروحات الجديدة. فقد اكتسب سكان مأكودون عادة جديدة، هي التسمية بالرهات على المرووب الطريفة بين أشجار الموز. وكان الصمت على الطرق كأنما يجيء من عالم آخر، وهو صمت أثقل من أن يتحرك فيه الصوت. فقد كان نكرة أحياناً، لا يسمع كلمة قيلت على بعد أمتار، وفي أحيان أخرى يدرك الكلمات التي تلعظ عند الطرف الآخر من العتبة.

وكانت فتيات مأكودون يجدن المتعة في هذه التسمية، فتضاحكن، ويجلسن، ويحمن، ويتنبذن حتى إذا حلّ الماء، وهن يحدثن من مرتهن وكنائهن خيرة تحت في الأحلام. وقد كثر حديث الناس عن ذلك

الصمت وأهمية تلك الرهبة، فصرّ على أورشولا أن تحرم ريميدوس الجميلة من تلك التسمية، فسمعت لها بالذهاب، ذات عصر، ولكنها انشربت عنها أن تليس قبعة وثياباً محتشمة. وفي اللحظة التي أوغلت فيها العتبات في العاية، حين هوالها براتحة الموت. ومحنة أحس الرجال، الذين كانوا يعملون بين صفوف لأشجار، أنهم قد وقعوا تحت سيطرة سحر عجيب. هناك خطر غريب يهددهم واستجاب كثير من مهم لرعة جامحة في البكاء. وقد لحأت ريميدوس الجميلة وصويحاتها إلى بث قريب حين هاجمتهم عصابة من الدكور الموحشين ثم ما لبث أن انقضت الأربعة الأوريسيانو، الذين كانت صلبان الرماة على جباههم موحى بالاحترام لقدس، كأنما هي شارة معي، أو دليل على العصمة من لأدى. ولم تحدث ريميدوس الجميلة أحداً عن أن واحداً من أولئك الرجال المهاجمين قد استعمل العوضى الحاصلة، فتتمكن من مهاجمتها والقض على يدها بيد أقرب ما تكون إلى مخلب نمر يتعق بحافة علي شعير هارئة. وقد واجهت المهاجم بعفوية، ولحقت، في دهشتها، بما يشبه الوعضة، وتبينت بظرفته الأخيرة، فثبت صورته في قلبها، لشفق كجمهر متسهب. وقد رح ذلك الرجل يتماحور، في تلك الليلة، في شارع الأتراك، وهو يتحدث عن جرأته مسججاً، ويقدر أن سعدته قريب ولكنه ما لبث بعد ذلك، لا دقائق، حتى رفعه حصان، فحطم صدره بحماره. وقد شهد برعه الأخير حشد من الغرياء في منتصف الشارع، وهو يعرف في ما يقف من دماء.

ومستند، باتت الفرصة بضاعة بأن في ريميدوس الجميلة قوة محبة تعتمد على أربع وقائع لا يرمى إليها الشك. وكان بعض البارعين في الحديث يتدرون بالقول إن سلة حب مع امرأة يمثل جمالها سبباً أن يعارض امرء بعدها حياة. ولكن الزنوع أن أحداً لم يسلم أي جهد

لمحسوس على مثل تلك الديلة - ووجد كان يكفي لمحسوس عليها، أو حتى لتحاشي خطرهما الشعور بمناطفه سلبية بسيطة هي الحب ولكنه الشيء الوحيد الذي لم يكرر فيه أحد. وقد أفلتت أرسولا عن العذبة بها وكانت، قبل أن تأس من فكرة امتلاكها وودها إلى الحياة الطبيعية الصائبة، تحنها على الاهتمام بمقومات الحياة العائلية فكانت تقول لها دون إقصاح تام

- إن الرجال يطلبون أكثر مما يطلب المرأة يحب أن تطبخ دائماً، وأن تكس بلا منقطع - والمرأة تعاني من أحل أمور صعبة تافهة، أكثر من تطبخ - وكانت تغالط نفسها بمحاولة تدريبها على الحياة العائلية والسعادة العائلية - فقد كانت مقتنعة بأن الرجل، أي رجل في هذا العالم، بعد أن تشبع عاطفته، لن يتحمل معها يوماً واحداً إهمالها الذي لا يوصف وعندما ولد خوريه أركاديو الأخير - وعزمت يوماً صادفاً على أن تجعل منه باباً، تحولت لاعتقادها من ابنة حميدها، ولم تعد تسمى بأمرها تركتها لصيرها، وهي واثقة بأن يوماً سيحل تتحقق فيه المعجزة - وما دام العالم حافلاً بكل شيء، فهو لن يضيئ برجن ما، ملبد إلى درجة تجعله ملاكاً لزوجها - وقبل أرسولا، كانت أمارانتا قد توقفت عن محاولة جعلها امرأة ناعمة يوماً ما - فقد توصلت، هي الأخرى، ببساطة إلى استنتاج أن حميداً أحبه، بلهاء، مد ذلك الوقت الذي كانت تقضيانه معاً في مشعل الحياة، وكانت حميدة أحبه تدبر يد آلة الحياة دون أن يشو عليها أنها تكثر بما تعمل - فكانت تقول لها، وهي تعجب لعدم إحساسها بما يقوله لها الرجال من كلام:

- يبدو أننا سنضطر لوضعك في الأناضيب.

ومهما بعد، ود سررت أرسولا أن ترسل ريميديوس الجميلة إلى الكنيسة، وقد غطت وجهها بحمار، ظلت أمارانتا أن مثل هذا الأمر قد

يريد في ما يحط بها من سر، وشير الرجال، فلا تعدم منهم من يشو فيه حب الإضلاع، حله يبحث صامراً عن نقطة ضعف في قلبها، ولكنها، عندما شهدت الطريقة البلهاء التي عذمت بها ذلك الخاطب، وكان أفضل وأحلى من أمير في جوانب كثيرة، وظلت نفسها على الاعتقاد بأن لا أمل فيها على الإطلاق.

أما فيرماندا عدم تحول فقد أن تهملها - وعندما رأت ريميديوس الجميلة في ري ملكة، في يوم المهرجان الهادي، قالت عنها إنها مخلوقة رائعة ولكنها، عندما رأتها تاكل بأصابعها، ولا تستطيع أن تستطع بجواب، لا أن يكون غيبة في السداجة وبساطة العقل، ثم تأسف، لا على شيء واحد، وهو أن البلهاء في العائلة يعيشون طويلاً

وكان العقيد أوريليانو بويندي يعتقد، وقد استمر في اعتقاده، بأن ريميديوس الجميلة كانت لأدنى من عرف في حياته، وأنها كانت متفتحة تقيم الدين إثر الدليل على ذلك بقدرتها المدفلة وهي تسخر من الآخرين

وعلى الرغم من هذا الرأي، تركوها للعتبة الإلهية.

وظلت ريميديوس الجميلة تقضي في صحراء الوحدة، لا تتألم من أي شقاء، تتفتح وتضج في أحلامها دور كوايس، وفي حماماتها التي لا تنقطع، وفي وجبات طعامها التي تتناولها في ما اتفق من ساعات اليوم، وفي صحتها الطويل المميت دور، أن تجتر الذكريات - حتى أصبل ذلك اليوم من شهر آذار (مارس)، الذي قوروت به فيرماندا، أن تذهب إلى الستاد، كي تطوي غسيلها المصنوع من صبيح (البرابان)، وظلت من مساء الت مسعدتها في ذلك. وما إن بدأت العمل حتى لاحظت أمارانتا على وجه ريميديوس الجميلة صفرة كئيبة وشحوباً شديداً فساتنها فالتفت - ألمت على ما يرام؟

وبتمت ريميدوس خميعة ابتسامة خيرية، وهي تمسك بالطرف
الأخر من الملاعة، وقالت :

— علي العكس تماماً، فلم أشعر قط بأنني أحسن مني الآن

وعند هذه الكلمات، شعرت فيرناندا بسمة ناعمة مضبوطة تتربع
الملاءات من يديها، وتفرشها على اقتضاها، وشعرت أمارانتا بحصف
خصي في حيات شحتها، وأحسب بالحاجة لتتعلق بالملاءة كي لا تسقط،
في اللحظة التي بدلت فيها ريميدوس الخميعة ترتفع في الجو كانت
أورسولا، وهي التي شاركت على العمى، الوحيدة التي حافظت على
هدوئها وحضور ذهنها، لتدرك طبيعة تلك الرياح الخازمة التي لا يوقفها
شيء، فتركت الملاعات وهي تلوح بتحية الوداع بين حقلان الملاعات التي
راحت ترتفع معها، متحلية عن بيضة الخنافس، صابرة طمعت لا تثير،
حيث يتوقف الرمن فلا يعود الساعة عندها الرابعة بعد الظهر ثم يصبح
ملاءات معها في الأفلاك العليا إلى الأبد، حيث لا تستطيع أن تدايها
حتى أعلى طيور الناكرة ارتفاعاً وأقرباً على التحليق.

وقد ظل العرياء، طبعاً، أن ريميدوس الجميلة لاقت مصيرها المحتوم،
ورسخت لتقذرها الذي لا يريد، كما هي حال منكه الحبل، وأن عائدها
إلى أحرعت قصه صعودها الخرافية عليها تنفذ بذلك شرفها ولكن
فيرناندا، التي كادت تموت حسداً، نوصت إلى قبول المعجزة العجيبة،
وصبت رماً طويلاً لعل الرب يرد إليها أعظمتها وملائتها. وآمن معظم
الناس بالمعجزة، فأوقدوا الشموع، وأدوا الصلوات الشنع ولولا الحرية
البشعة التي دبح فيها لأوريانو جميعاً ما وجد الناس حديثاً، إلى آمد
طويل، غير حديث المعجزة

ونكي الرعب حين محل الدهشة بعد وقوع المذبحة وكان العقيد
أوريانو بونديا قد توقع نهاية مأساوية لأبيه، على الرغم من أن الإشارة

لبشعة لم تصبه كالمعتاد فقد حاول هذا الأب أن يشي ابنه أوريانو
سيرادور، وأوريانو أركاديا عن الإثامه في ماكوندو وقد نرلا فيها إن
الغرض الكبرى هم يكن يرى ما يمكن لهما أن يصعده في بلدة غدت
مكاناً غير آمن بين عشية وضحاها ولكن أوريانو ستيو وأوريانو
تريست قدم بهما، بالاتفاق مع أوريانو الثاني، عملاً في مصانعهما
ولقد كانت لدى عقيد أوريانو بونديا أسبه التي كانت مهمة

فهو مند. أي السيد برارن دحللاً إلى ماكوندو في أول سيارة له.
وكانت سيارة برتقالية مكشوفة لها صوت منبه (زمرور) غريب يرفع
عواطف الكلاب استلير فيه المخاوف القديم فقد غضب العقيد أوريانو
بونديا، عندما جعل الناس يطلقون صحبات لإعجاب الدالة على الترف
ومند الخفق لأنه أدرك السدل الذي حدث في طبع البشر فقد ولى
الزمان الذي كان الرجال فيه يركون ساءهم وأطفالهم، ويدهون إلى
الحرب، يدههم على اكتاسهم وقد أصبح السطحات العلوية في
ماكوندو، بعد هدنة بيرلاندي، وفقاً على المحافظين الذين يحولون المبادرة
والإنكار، وعلى قصاء يحسروهم سرية من بين مسافين النعير في
حرب المحافظين.

وكان أوريانو بونديا يقرب عندما يرى رجال الشرطة حماة،
سلاحهم عصاً على الخشبة في لعبة (البوفينغ)

— أي نظام نظام أساكن هذه المأدبة، إذن، خضاً كل نك الحروب؟
كانَ هذا لم يكن إلا رضى أن تدهى اليوب بالمو الأرق ١١

ومهما يكن من أمر، فقد تم تغيير الموظفين المحبين، منذ حلب في
لمطقة شركه المور، وحل محلهم موظفون آخرون غريباء صاوصون،
أسكنهم السيد براون في روائب الدجاج المكهرة، لعلهم يجدون فيها -
حسب وعمه - الإجلال اللائق بمناصبهم، وكى لا يعانون من حرمان البشة

ويذهب من الترف، وكى لا يتعرضوا للحجارة والذباب.

ذهب رجال الشرطة الأولون، وجاء بعدهم مرتقة فتنة حقيقيون، يحملون المزامير والمفوس. وكان العقيد أوريليانو بونديا عاكفاً في مشعلته، يفكر في هذه التعذيبات. أحسن لسرة الأوبى، حلال سموات وحدته بصمتها وكآبتها. أنه يقع تحت وعاء يقين عظيم، خلاصته عدم الاستمرار في الحرب حتى نهايتها التامة.

في ذلك اليوم معه من تلك الحقة، كان أخو العقيد مانيبيكو فيسان الذي كان الناس قد نسوه الآن، يصطحب حفيده البائع من العمر سبع سنين، كي يشتري له شرايباً من إحدى العصابات المقامة في الساحة العامة، اصطدم الطفل، عن غير عمد، برقيب شرطة، فانقلب كأس الشراب على برته. فبدأ ذلك الوحش إلا أن يطعم إزياً بمرأعته. وقد تدخل أحد قطع رأسه بضربة واحدة. ورأت البلدة كلها القتل يجرّ أمامها، حين نقه بعض الرجال إلى بيته. وقد حملت امرأة رأس الرجل البائس من شعره، وحملت الصرة التي جمعت فيها أشلاء العصي الصغير.

كانت تلك الحادثة بمثابة دروة العذاب للعقيد أوريليانو بونديا. فقد أحسن فحماً، وفي غمرة الألم، بالعصب الذي عرفه في شبابه، عند مشهد جثة المرأة التي قتلوه ضرباً بالعصي لأن كذباً مسعوراً عضها. فنظر إلى من تواجدوا إليه يستطلعون الأنباء، وتجمعوا أمام بيته، وأرعد صوت الحارب القديم، الذي عادته إليه قوته، وعاد إليه احتقاره لذاته. نصب عليهم جام غضبه وحقد، الذي لم يعد يطيقه، وصاح بهم قاتلاً.

- لسوف أسلح أولادي يوماً، لكي يحلص من هؤلاء الأسيريين القديسين

وفي غضون الأسبوع نفسه، وفي أماكن مختصة من الساحل، كان

محرمون مجهولون يطردون أبناء السبعة عشر، ويحرمون على تصويب بنادقهم، وإطلاق النار، على مركز صليب الرفاء (الرماد) في جباههم. فقد كان أوريليانو تريست (الحرير) خارجاً من بيت أمه قرابة السبعة السبعة مساء عندما اخترقت جبهه رصاصه بندقية (مظف) في الظلام. أب أوريليانو ستيبو معشر عيبه في أرجوحته، التي عتاد أن ينصبها في العمل، وقد حور في جبهته، حتى المقيض، مهملاً يستعمل لتحريك الجسد. وأوصل أوريليانو سيرادور خطبته إلى بيت أهلها، بعد أن صحبها إلى السيماء، وعاد عبر شارع الأثراك الذي كان ما يزال مصاء. عندما أخطى عليه شخص مجهول رصاصه من مسدس ثلثه على صدر من الشحم يعني فوق الدار. وبعد دقائق قرع شخص باب العرفة التي كان فيها أوريليانو لركابياً مع امرأة، وصاح قاتلاً.

- أسرع، إنهم يقتلون بخرتلك.

وروت المرأة التي كانت معه، في وقت لاحق، أنه وثب من السرير وفتح الباب، فادركته رجة من رصاصي مسدس هشت جمعت.

في ليلة الموت الرهيبة تلك، ويسم كان أهل البيت يتعدون لسهر الحرير على الجثث الأربع، خرجت ميرناندا كاضوبة تبحث عن أوريليانو الثاني، الذي كانت بيتر كوتيس قد حبّته في خزانة. فقد أدركت بحسب أن امرأة ما قد صدر بقل كل من يحمل اسم العقيد. ولم تسمح له بالخروج حتى اليوم الرابع من الحراش، وبعد أن بدأت البرقيات تتوارد من مختلف الأماكن على الساحل، عتبة بأن العدو الخفي (غير لمري) قد استنم التوجيهات لقتل لإخوة العيين عكمت جباههم بصليب الرماد (الرفاء) وحدهم.

وحبت أماراندا السجل الذي قيدت فيه العساكر والمعلومات الخاصة بأبناء أحبها، وأخذت تشطب اسم كل واحد منها عندما كانت ترد برقية

تعبد بمقتله حتى لم يبق منهم إلا الابن البكر.

وكان الجميع يدكروه جيداً، بسبب الشهادة الباشية على لود بشرته الأسمر الداكن واللون الأخضر لعنقه الكبيرتين. وكان اسمه أوريليانو أمادور (العاشق). وكان يعمل نجاراً، ويسكن في قرية نائية محببة في سهوح الجبال. وبعد أن انتظرت العائلة فترة أسبوعين، لم تحصل فيهم برفيه نبيء بمقتله، أرسل إليه أوريليانو الثاني رسولاً يحذره، طناً منه أنه يجهل الخطر المحقق به. وعاد الرسول مبشراً بأن أوريليانو أمادور (العاشق) كان سابقاً معاملي نبي ليلة الإبداء، وصل إليه رجلاً يحثان عنه في بيته، وأمرغاً عليه رصاصاً مستسبباً، ولكنهما لم يفلح في إصابة الصليب على جبهته. واستطاع أوريليانو أمادور (العاشق) أن يفر من خوف سور الدار، وأن يتوارى في مهابات الجبال، التي كان يعرفها جيداً بعض صدقاته ليهنود وتعامله معهم في تجارة الخشب، ومثل ذلك لم يستطيع أحد أن يعرف أو أن يسمع عنه شيئاً.

كانت تلك أياماً سردها في حياة العقيد أوريليانو بونديا أرسل إليه رئيس الجمهورية برفية تعزية بعده فيها بإجراء تحقيق واسع، وتقديم احترامه للمعتودين، وبناء على أوامر رئيس الجمهورية، حضر رئيس البلدية صلاة الجنزة، وقدم عبد الله أربعة أكبال جائرة، أراد أن يضع على كل بشر واحد منها. ولكن العقيد أوريليانو بونديا حال دون ذلك وأخرجهم إلى الشارع. وبعد التشييع، كتب تعقيد برفية شديدة البهجة، وأخده بنصه إلى الريد. ولكن الموظف رفض أن يرسله وعندها أضاف إليها جملاً وجارات أفسى وأشد، ووضعها في خلاف، ثم أرسلها في الريد العادي. وكتب على العقيد يوم وفاة زوجته، وكما هاني مرات كثيرة خلال مسي الحرب مدى موت أسر أصدقائه، لم يصبه شعور بالحر، بل هياج وفضيق أعظم، وإحساس رهيب بالمعجز هن

العمل. فلتهم بالتأمر حتى الأب أنطونيو ليراييل، الذي وسم أباة يوف (رماد) لا يروله، لكي يمكن أعداءه من تخييرهم. وكان الراهب المسكين قد عجز، فلم بعد يستطيع ترتيب أفكاره، بل كان كذاً أم يحذف الرهان تصيراته السورته العزيمه فيهم من عدى مير الكيسه فحده السب داب عصره يحمل الإثاء الذي يحضر فيه الرفاه (الرماد) كل يوم أربعه، وأزاد أن يسم كل العائنه به، لعله يثبت أنه يروله بجرحه غسله بالماء. ولكن خوف من الكارثة كان ما يزال شديد العنوق والأذهاب، حتى رفضت أماراتك بمسها أب مسسم بسجونه. ولم ير أحد بعد ذلك أيأ من آل بونديا، وكما أم الطولوه مقدسة في أربعه الرفاه (رماد).

وظل العبد أوريليانو بونديا مدة دساً بونديه انعملي وسم يكن ياكل أولاً، وقد أقبل صباة الأسماء الصغيرة واحد يجوب البيت على غير هدي، كأما هو مؤتم، بحر دثاره حلقه، ويجتر عصبه لأعنى، وقد اشتمل رأسه شيئاً حلال أشهر ثلاثه، وبهدس شارباه، معقوف الطرفين، على شعبه الشين يأساً بلا لون، ولكن عينيه، من ناحية أخرى، عادت جمرأ منتبهاً، ذلك الانتهاج الذي أفرغ من رأسه صباة ولادته، والذي كانت تهتر منه الكراسي والأشبه لجهرد النظر إليها.

وحاول في عدة به وحقة المنصلي أن يستير في نفسه قنوته على النبل وانفادول، التي كانت دسبه، أيام شبابه في الدروب خطرة التي كان يسلكتها، حتى وصل إلى صحره، لجد اوحشة ولكنه كان صائداً، كأنما قد خربه صباهه فألقت به في ست عرب يس فيه شيء أو إنسان يحبه أو يستير فيه عاطفة من الحب.

وبسم كان في أحد الأيام يبحث في معلمات لماضي، اندي سبق الحرب، فتح عرفة ملكيادس، فلم يجد معها سوى الخراب والرمح، وقد تراكم فيها العمار عر سوات السيلال وإلهمال. وقد تكديس الراب

عنى أعمدة الكعب التي لم يقرأها أحد منذ تلك الأيام، فأنثرت فيها الرطوبة وهي مرتبة على رمومها وبيوت طيقت العص والرطوبة والرياح الثالثة، ثم رهرة وتزعزعت وفي هواء مك العربة التي لم تكن في مثل نقائه هواء، وهي إشرافها التي لم تشابهها إشرافه في البيت، استعشت رائحة عذبة من الفكريات العذبة

وفي صباح أحد الأيام شاهد العقيد أوريليانو بونديا أمه تحت شجرة الكتان القديمة الكبيرة جالسة بيكي متحبة على ركنتي زوجها، لميت منذ زمن طويل.

وكان العقيد أوريليانو بونديا الوحيد، بين سكان البيت، الذي لم يكن قد رأى، بعد، أباه، ذلك الرجل القوي العجوز، الذي أنهكه نصب قرن من الزمان قضاء جالساً في العراء غادته أورسولا دائماً - تعال، وحي أباه -

فترقب لحظة أمام شجرة الكتان، فوجد أن المكان فارغ، وأن ذلك المكان لم يوقظ في نفسه أية عاطفة من الحب. فسألها :
.. ماذا يقول؟

فأجاب

- إنه حزين جداً وهو يعتمد أنك سوف توت - فابتسم العقيد وقال - فتولي له إن الإنسان لا يموت عندما يريد، بل يموت عندما يستطع

وأثار تدير أبيه للميت فيه بقايا كبريائه العظيمة التي كانت ما تزال يجمع بها نفسه، على الرغم من أنه رأى فيها دليلاً معجاً على استعداد قوته ولها روح يصير على أمه لعبها نعمة عن المكان في بحنة اندار الذي دمست فيه القطع الذهبية التي اكتشفت في شمال ساد حورية لمصوع من

أخبر فقالت له أورسولا بالعباد الذي تصعبه الشجوة وقوة تجارب الحياة

- لن نعرف ذلك أبداً

ثم أصابت فائدة

سوف يعود صاحب هذه الثروة يوماً، وهو وحده الذي يستطيع إخراجها من الأرض.

وراح أهل الدار جميعاً يسألون عن السبب الذي يدفع ذلك الرجل المعروف بسعائه للاهتمام بجمال مسالاً عن كرامات يطلبه بهذه الشهوة وذلك الإصلاح، وهو الذي ما أنام لدمال، طيلة عمره، وربما وهو الآن لا يطمح القليل منه، الذي يكفه لسدة مفاصله المتواضعة ومصرفاته العذبة فهو إنما يطلب ثروة هائلة لا يكاد يحيط بها عقل - حتى إن أوريليانو الثاني، عندما سمع بتقديره، أصيب بما يشبه الذهول أما رفاق العقيد الحرييون القدماء، الذين ذهب إليهم يطلب العون، فقد عمدوا إلى الاختباء منه وتجنب استقباله - وقد سمع عنه أنه كان يقول في تلك الفترة .

- إن العرق الوحيد بين لأحرار والمحافظين هو أن لأحرار يذهبون بصلاة في الساعة الخامسة، بينما يذهب المحافظون بصلاة الساعة الثامنة

وأصر العقيد على مطلبه واستبسل في سببه، ورجا من أجله بكل قواه، محالاً في ذلك ما عرف عنه من هيبة وقدر - وقد استطاع، بالانتقال من هنا إلى هناك، وشيئاً فشيئاً، وهو يقصد كل مطرح، بحماسة وكنعان وصبر ودأب ومثابرة لا مثيل لها، أن يجمع في غضون ثمانية شهور، ما لا يريد كثيراً على ما كانت تمنحه أمه أورسولا وأخيراً، ذهب إلى العقيد جيريلدو ماركيز، الذي كان ما يزال كسحاً، يجمد

العصبة به لعدة يعنيه في إشعال حرب شاملة من جديد.

والواقع أن العقيد جيراردو ماركيز قد ظل، طويلاً مدة من الزمن، الرجل الوحيد الذي يقصص من مفعله كساحه على جميع حيوط الثورة الصديقة. فبعد بغي، بعد هدنة ميروا لثبات على اتصال بالعصبة الثوار الذين حافظوا على وديتهم له حتى في زمن لانهر، في حين لاد العقيد أوريبانو بريديا معناه الاحباري في مشعنه مع أسماك الدجج الصغيرة. فقد حرص العقيد جيراردو ماركيز معهم حرر لإدلال اليومية البشة غريه وعرف حرب الاستعدادات والاندراوات و«تعالوا غداً» و«هي أي وقت هذا الآن» ونحن ندرس حالتك بـ تستحق من لاهتمام، وغيرها من علامات السويك وإجمال تلك الحرب الخاسرة، دوس شت، صد الناس يدون بك الطيبة والعواطف، ويعني لهم أن يوقعوا لك الموافقه على مريب التضاعف. ولكنهم لا يوقعون، رغم ما يدونه بك من علام الإحلاص.

فلقد كانت الحرب المعجبه الأولى، التي اوتقت فيها الدماء طوال عشرين عاماً، أسهل عليهم من حرب الشريف القاتل، تلك التي تهكمهم بها كأ

وكان العقيد جيراردو ماركيز قد نجح من ثلاث محاولات اغتيال، وشفي من خمسة جروح، وحرج مسجماً من عدد لا يحصى من المعارك. ولكن حصار الانتظار قد أصابه، عدوى شبيهه، وهدته الشجوة الباسية وهو يحلم بأمراتنا وتحديدها بين موقع الصورة الساطعة على هبته قطع لاس في أنت المستعد الذي كان يعيش فيه. أما آخر أحبار المقائين المخصرين، فكانت عبارة عن صور لهم في جريدة، وهم يرفعون رؤوسهم الدسة إلى جانب رئيس جمهورية غير معروف، يقدم لهم هدية من بضعة أزوار حمراء عليها صورته، كي يصعدها على ياقات

معاطفهم، ويعد لهم عنماً مصبوعاً بالدم والياوود كي يلعو به معوشهم أم الآخرين، الأكثر عرة وشراً منهم، فكانوا م يراون يتصرون رسالة في ظل لإحسان العام، وهم يصورون جوعاً، ولكنهم يعيشون في حزمهم وغضبيهم طويلاً، ويتعمقون في شيوخو غتهم على مرائب الجيد الليد.

ولذلك كله، عندما دع العقيد أوريبانو بريديا العقيد جيراردو ماركيز إلى مشاركه في أن يشعل ثورة شعوب لا يعني ولا قدر أثراً للعصانج والفساد الذي كان يدعجه ويؤيده المختل لأحيي، لم يتمالك لأحر نغسه، ولم يقو على أن يحول دونه لشجيرة شعقه هزّت بده، فعال متهدداً

آه، يا أوريبانو، فلقد كنت أعرف أنك قد شجنت وهرمت ولكني أكتشف لأن أنك أكثر شيوخوحيه من بيدو عيك

وكل ما حدث به حتى عاد ملوناً كخرباء، يحدث كعالم بملك، وأن
تذكر الأمور التي حدثت في البيت قبل أن يسي أركاديو وأما رائحة
الهند ويتعلم اللغة الإسبانية

كان يكمي أن تستعيد ذكريات أيام الشمس وليالي القمر، التي نضها
مسكر خوربه أركاديو بومبيا تحت شجرة الكستناء، وكم نكت موته
قبل أن يعود العقيد أوريليانو بومبيا ليحده على شدة الموت، ويكفيها أن
تحب أنه بعد كل تلك الحروب التي خاضها وخرج منها سالماً، بعد
كل ما عاناه من آلام، لم يبيع الخمسين من عمره

كانت مديناً مخملي وقتاً طويلاً في صبح حيوانات الكراميل، على هيئة
حيوانات صعبرة، ويتقي لها من الوقت ما يكمي للعناية بالأصعاع،
والنظر إلى ساض عموهم قبل أن تسقيهم جرة من ريت الخروع. أما
الآن فهي لا تفعل شيئاً فهي تذرع البيت جبنة ودهاباً، من الصباح
والمساء، وهي تحمل خوربه أركاديو على جانبها ولكن عدم كفاية
الوقت كانت تجعلها تترك الأمور دون أن تكمل أكثر من نصف عملها

كتب أورسولا، في الواقع، تقاوم الشبحرة، وهي لا تعرف عدد
سبي عمرها وهي دائماً حيث لا يعني لها أن تكون، ما تفنأ تلاحظ
العرباء بأستلفتها لمذكورة لهم، ما إذا كانوا تركو في البيت، ومن الحرب،
تمشاً من جيس للقبس خوربه أمارة ريشم يتوقف بطول النظر ومن
يستطيع أحد أن يعرف تماماً متى بدأت تفقد بصرها والواقع أن أحداً لم
يكشف قط أنها فقدت بصرها كلياً حتى أواخر سبي حياتها، حين
أتمدها بعجره، ولم تعد تستطيع معارفة سريدها أما هي فقد أدركت
عدها قبل ميلاد خوربه أركاديو وقد طلت، في بادئ الأمر أن ذلك لا
يعدى ضعفاً مؤقتاً، فجعلت تتناول، سرّاً، حلاصة افنخ، وتغسح عينيها
بعسل الحل ولكنها ما لبثت أن أدركت أنها إنما كانت تحبط حبط

(١٣)

كانت أورسولا في دوامة السنوات الأخيرة من حياتها، لا تستطيع
توفير سوى القليل من الوقت الذي كانت تهتم فيه بثقافة خوربه أركاديو
الناوية ثم جاء وقت إعداده للسفر سريعاً إلى الدير وكاتب أحبه
ميحي مورعة الوقت والعيش بين ترمت فيرماند، وذاكرة أماراند، حتى
بقت للعمر الذي يرسل فيه إلى مدرسة الراهبات، لمعيش حياة داخية في
الدير حيث نعيم العرف على الآلات الموسيقية كم هيأها أهلها
وكانت أورسولا تعيش معده بين ما كان يساوره من القلق الشديد بشأن
نجدة الوسائل التي استعملت لتجفيف من حده طباع الخبير الأعظم
العديد، وتهدته أعصابه.

ومن تكي أورسولا تعرف مصروية ذلك إلى عجره وشيحوحتها
وضمعتها، ولا إلى تعمر التي كانت تحجب عن بصرها ملامح الأشياء،
بل كانت تعرف ذلك إلى شيء عامض لا تستطيع سر عوره ومعرفة كفه
بوصوح، بلتس الأمر على خيئتها، ولا تجد سوى صد ان من الراهب
الشدراج انحدراً في انهياره كانت تشعر بأن رماق وقائع الحياة اليومية
يغتن من يديها، فتقول

— إن السر، في هذه الأيام، لا تمر كما كانت تمر من قبل فهي
تشعر أن عمر الأبطال كان أعطاً في الأيام الخوالي فيكفيها أن تذكر كم
مضى من زمن قبل أن يذهب بها الذكر خوربه أركاديو مع بعجره،

عشواء في ظلام دافس حتى إنها لم تحسرها فعلاً باحترار النور الكهربائي، ولا تنسب نور أوران مصباح عرفة البيت إلا حرواً عادياً ولم تحدث أحداً قد عرفها، لأن ذلك كان يعني عندها اسرافاً فاضحاً معجرها وانعدام بصيرة معاند القدرة وراحت تدعم نفسها باعد الأشياء وصورات الناس، بعدها يرى بالذكورة ما لا يمكنه من رؤيته ذلك الخجائب الكثيف من العيوم السوداء الكثيف ثم جعلت تسمي بروائع الناس والأشياء، تستند به في الظلام بقوة عبيد، عن الأحكام والألوان، وتنفذه تماماً من عار الاستسلام فكانت تصعب في عتمة المعرفة أن تدخل الخيط في سم الإبرة، وتخط العروة، وتعرف متى يعود الخليل على الدار ثم اكتسبت قدرة لا تحصى في تحديد مواقع الأشياء حتى كثيراً ما كانت هي نفسها تسمى أنها عمياء

وفي أحد الأيام، أنام فيربسا الذي وافقته بحثاً عن حاتم روجها الذي هيئته، ولم يجده غير أورسولا التي عثرت عنه على أحد الرفوف في عرفة الأطفال وقد كان طبعاً، في مثل حالها، أن تراث، لأخري، في روحهم وعدوهم، إلى هـ وهائل، دون انتباه منهم، مستخدمة في ذلك حواسه الأربع لأخري، كمن لا يكتشف أحد صمعه وقد استطاعت أن تكتشف بعد زمن أن كل فرد في العائلة، دون وعي منه، يسلك الطريق نفسه، ويأتي الأفعال والتصرفات ذاتها، بل يعيد تقريباً الكلمات عنها في الوقت نفسه من اليوم وما كان يتعرضون لفقدان شيء إلا حين كانوا يرحلون عن تلك الرتبة وذلك النظام الدقيق حياتهم بأبسط تعاصيله

فعلت سمعت أورسولا فيربسا تعبر عن انزعاجها وتندب حفظه لضياح حاتم روجها، اكتسبت بتذكر ما فعلته فيربسا مما يحرج على المألوف من أعمال يومها، وتوصلت إلى أنها مشرت في الشمس المحصر

التي يدع عنها طفلها، لأن ميسي كانت قد اكتشفت في الليلة السابقة وحدة من بق السرير، وبما أن الطفلين كانوا حاضرين عند عطفية التنظيف، فقد تكررت أورسولا بأن فيربسا، لا بد أن تكون قد وضعت لختام في المكان الوحيد الذي لا يصلح إليه، وهو الرف ولم تبحث فيربسا عن الخاتم إلا في أمكن تحريكها اليومي جثة ودهباً، وهي لا تدري أن البحث عن الأشياء الصائغة تعرفه الرتبة في العادات وعمل الأشياء، ولذلك يذهب بحث الإتصال عنها هباء

وقد تمكنت أورسولا من حلال رعايتها لخوريه أركاديو وتعليمه، من الاصطلاح مهمة شاقة، وهي أن تكون على علم بأحدث التعبيرات وسبلات التي تحصل في البيت فعندما علمت أن أماراتا كانت تنوي كسوة القديس الذين في عرفة الرمز، تظاهرت بأنها تريد أن تعلم الطفل اختلاف الألوان، وكانت تقول له،

- هيا، قل لي ما لون الثوب الذي يرتديه الملك روفائيل.

وبهذه الطريقة، كان الطفل ينقل إليها المعلومات التي أكتسبها إليها فعدان البصر واستطاعت أورسولا، قبل أن يرحل خوريه أركاديو الضمير إلى المدرسة، أن تميز ألوان ثياب القديسين من مجرد لمسهم بها وقد كانت تحدث أحياناً بعض حالات الوقوع في الخطأ التي لم تحمط بها فهي عصر أحد الأيام، وبمس كانت أماراتا تقرر في الشرقة ذات أعمار البيجوي، اصطدمت بها أورسولا، فعبرت أماراتا عن ضيقها بدت قائلة :

- انتبهني لطريقته، يحق السماء.

فما كان من أورسولا إلا أن أجابت

- أب التي يجب أن تنبهني فإخطأ منك، لأنك لا تجلس في مكانك

وقد كانت واثقة بما تقول. ولكنها اكتشفت في ذلك اليوم أمراً لم يتنبه به أحد حتى ذلك الحين. فقد أدركت أن الشمس تبديل مكانها بشكل ملحوظ، على مرّ الشهور. ولذلك، كان الدين يجلسون في الشرفة يصيرون أماكن جلوسهم تدريجاً دون شعور بهم. ومنذ ذلك الوقت، كان يكفي لأورسولا أن تعرف تاريخ اليوم والشهر، حتى تستطيع تحديد المكان الصحيح الذي تجلس فيه أمارانتا.

وقد كانت أورسولا، على الرغم من الرجفة في يديها، وقد بدت ظاهرة ترعاه بوضوح، وعلى الرغم من مشيتها الراحعة بثقل بطيء، فقد كانت ما تزال ترى في محتف أمّاكي البيت. كانت كأنها، ما تزال يشاطها الشفيع أيام كانت تتحتم أمباء البيت وحدها. وقد كانت، في أواخر أيام شبوحته، تتمتع بصعاء ذهبي ملحوظ، يمكنها من مراجعة تاريخ العائنه وتمحص كل تفاصيله، حتى النافه منها والبسيط. وقد استطاعت، للمرة الأولى، أن تلقي الضوء على حقائق كانت مشاعلها قد صرفتها عن ملاحظتها.

ويجب كان أهل الدار يعدون الأمور لرحيل حوريه أركاديو إلى المدرسة، قامت أورسولا بمراجعة مي غايه السقة لما كانت عليه حياة العائلة منذ إنشاء ماكوسو. وأعادوا النظر في أفكارها وآرائها القديمة بشأن أبنائها. ما أدركت أن فسوة العميد أورينيانو بونديا، التي أفقدته حب العائلة، لم يكن سببها الحرب، كما كانت تظن من قبل. فهو رجل لم يعرف الحب قط. فهو لم يحب حتى زوجته ريمينيوس، ولا سبب الدليل المبررات في حياته، وهي كثيرات، وأقل من تلك وهؤلاء كان حبه لأنائه، وقد ظلت أنها اكتشفت أنه لم يحص معاركه الحربية كلها عن مثالية، وأنه لم يتحلل عن النصر الذي كان قريباً لأنه تعب كما فتر الآخرين، بل إنه قد ربح ونحسر بدافع واحد هو خطيئة المرور

وتوصلت إلى نتيجة جعلتها تعتقد أن ذلك الابن، الذي كان يمكن أن تقدم حياتها من أجله ببساطة، لم يكن قادراً على الحب.

ففي إحدى الليالي، سمعته يبكي وهو ما يزال جلياً في أحشائها وكان يحبه واضحاً، حتى إن حوريه أركاديو بونديا، وكان دائماً قرب أورسولا، استعاق فرحاً. ثم شعر بالسعادة الجرد التكميل بأن منه قدر على الكلام وهو في بطن أمه. وظن بعض الناس أنه سوف يكون متيناً. أما هي فقد اهتز كيائها كله لأنها أيقنت أن التهممة العميقة الصادرة عن جيبها إنما كانت الدليل الأول على وب الخزي. ودعت إليه أن يموت الجين في رحمها. ولكن سمعها الصبي الذي مير شبحوختها الطويلة، مكثها من الاستنح، وهو ما ذكرته في ماسبات كثيرة، أن بكاء الطفل في رحم أمه ليس دليلاً أو مؤشراً على أنه سوف يتكلم في بطن أمه، أو أنه سوف يكون متيناً، بل دليل لا يقبل الخطأ على أنه سوف يكون شخصاً غير قادر على الحب. وعندما هبطت بصورته في خيالها، استيقظت أحاسيس الرأفة والشفقة فيها عليه.

أما أمارانتا التي كانت تحبها فسوة قبحها وتجربها مرارها العميقة، فقد أظهرت تفتت المراجعة أنها أكثر النساء رقة ووجداً وحياً. وأدركت أورسولا بوضوح حزين أن العقاب سدي سيته أمارانتا ليترو كريسي لم يكن سببه شهوة لانتقام، كما كان يظن بعض الناس، ولم يكن سم مرارها، كما ظن الآخرين، هو الذي دفعها إلى جعل حياة العميد جيرينيلدو ماركيز حيه وفشلاً وموتاً بطيئاً. وإنما كان ذلك كله ناشئاً عما كانت تعانيه، في خاليتها، من معركة شرسة بين حب لا يعرف الحدود، وجبن لا يتجاوز. وانتهى بها الأمر إلى أن انتصر فيها خوفها اللامعقول الذي ولده معها، وسبب لها عذاب قبيحاً الممروق.

في تلك العترة ذلتها، بدأت أورسولا تذكر اسم روبكو، وتذكرها

جسدهم معاجيء وادت فيه توبتها لتأخيرة ولإعجاب الحديث بها فلقد أدركت أن روبيك وحده، وهي التي لم ترضع من لبنها، بل كانت تتعذى من تراب الأرض وكلس حدران، وهي التي لا يجري في عروقها الدم الذي يجري في عروقها هي، بل يجري بدلاً منه دم مجهول ورثته من أناس مجهولين، ما تزال عظامهم تقعقع في قبرها روبيكا ذات القصب الملوكي والطن الشره، كانت هي الوحيدة التي غدت شجاعة الحازمة التي جعلت أورسولا تنمي لو أنها كانت ابنتها، أو لو أن بنتها أمارانتا كانت تحبها فكانت أورسولا تقون وهي تتقرى تصاريس الحائط :

- روبيكا، ما كان أشد ظلمنا لك، يا روبيكا !

واكتفى أهل البيت بأن اعتقدوا بأن أورسولا قد فقدت صوابها وأصبحت بالخرف منذ أن بدأت تمشي وهي رافعة يدها اليمنى مثل كبير الملائكة جبرائيل ولكن فيرناند، وحدها أيقنت أن شعماً من الوضوح الساطع كانت تختفي في ظلال التجوال ذلك أن أورسولا كانت تعرف وتعلم، دون تردد، المبالغ التي أتمقوها خلال السنة الماضية بطولها وقد توصلت أمارانتا إلى العكرة عينا عند رأت أصها في المطبخ تصيح صجأة، وهي تحرك الحساء في القدر، صاهلة أن هناك من يسمعه، أن مطبخة الذرة، التي كانوا قد اشتروها من الصجر الأوائل، والتي اختفت خلال الوقت الذي سبق رحلات خوربه أركاديو الخمس والستين حول العالم، كانت ما تزال في بيت بيلار تيريرا. وكانت بيلار، هي الأخرى قد شارفت على المئة عام من العمر، ولكنها كانت ما تزال محافظة على قوتها ورشاقة حركتها، على الرغم من سميتها وبذنتها التي كانت تخيف الأطفال، مثلما كانت ضحكها قلباً تخيف الحمام. ولم تدعش بيلار تيريزا عندما علمت أن أورسولا قد عرت الحليقة، لأن خبرتها علمتها أن

الشبحوحة اليفظه تمكس الإنسان من تمبير الأشياء أكثر مما يمكنه من ذلك اللجوء إلى ورق الصنب

عند أدركت أورسولا أن الوقت الذي أتيح لها لم يكن كافياً لتعويض مهنة خوربه أركاديو الصغير ونجاحه، استسلمت لتحرر الذي كاد يقضي عليها، وسدنت بدأت تنفع في الخطأ تلو الخطأ، وهي تحاول أن ترى بعينها الأشياء التي كانت تستطيع تغييرها بالحنس بشكل أفضل ففي صباح أحد الأيام، صبت ماء في الصخرة من جبر عن رأس الصبي، فلما مهد أنه ماء الزهر وسبب بها حب استطلاعها، وعادة دس أنفها في كل أمر، حوادث ونزاعات كثيرة، كانت أحياناً تؤدي بالآخرين إلى صبا جام غصهم عينا، وإلى حلحلة كسرة في كيانها، عندما بدأت تشعر بالآثر عاج من الضيوف ومرحهم غير اللائق. فحاولت أن تتخلص من الظلام الذي كان يطبق عليها كحمة من بيوت العاكب وعند بدأت نعرو عدم حديقها إلى صاد الرمان الذي أصدر عليها حكمه، وليس إلى هزمتها أمام العجر والظلام.

كانت تقول في نفسها إن الأمور كانت محتفة عندما كان الرب لا يستل الشهور والسن ويحالف فيها، كما يعيش الأثراك في قياس طول السيج (الآن يكبر الأولاد أسرع، وتطور العواطف والمشاعر بشكل مختلف.

وكانت فيرناندا اللامبانية، مد أن صعدت ريميدوس الجميلة إلى السماء، روحاً وجسداً، تروي في إحدى زوايا البيت شاذية متخمرة، لأنها فقدت ملاءتها وأعطيتها. وصل أن تبرد جثث أولئك اللين كانوا يحضون اسم أورميانو في القصور، أنار أورميانو الثاني البيت كله، بلا مردود. فاردحم البيت بالسكرى يعرفون على آلة الأكورديون، ويفرقون أنفسهم بالشجباتيا حتى لكانهم لم يعودوا مسيحيين، بل كلاب ميتة.

وكانت دنت البيت المحبوس، الذي كلف ما لا يعد ولا يحصى من الصراع
والآلام، ومن حيويات الكراميل المصروعة على شكل حيوانات صغيرة،
كان مقدراً له أن يصبح ملتقى لكل الجنائن من لحظة

عمرت أورسولا كل هذه المخاطر في دهب، بينما كان من في البيت
يرتوي حقيقة حورية أركاديو الصغير للرحيل، ثم تساءلت حول ما إذا لم
يكن من الخير لها أن تسبق في قبرها وتستريح، بعد أن ينهال عليها
التراب وكانت تسأل الرب، بلا وجل، ما إذا كان يرى أن البشر
مصنوعون من معدن حتى يحتجوا كل هذه النصوص من لأكم
والعذاب ثم تتحول من سؤال إلى سؤال محممة في التأمل والتفكير، فما
تريد نفسها، لا مزيداً من بيكيت الصغير

ومعجاف، أحسنت برصبة شديدة في أن تتصرف كما يتصرف
الأميركيون، وأن تسمح لنفسها بنقطة ثورة وتمرد على ذاتها فقد حانت
اللحظة التي طال تمتتها، وبكنها كانت نهصرها أو تبعدها عن إطار
سلوكها وقد عرمت الآن على أن تدفع عنها الرصاص وأن تستنهم حكماً
دعماً واحدة، عنها تحجب عن قلبها المسكين ما كان يسوء تحتها من ملائيم
الأطباء من الكلمات البديئة، التي كانت تحتجها طويلاً قرون كامل من
الانتظار المفض القاتل. فصاحت قائلة .

- يا سقارة !

فلت أمارتاء وكانت ترتب الثياب في الحقيبة، أن عقرأ لمتها،
فلت مذكورة .
- أين هي ؟

وردت أورسولا .

- ماذا ؟

فالت أمارتاء :

- الحشرة، البقعة

فأشارت أورسولا بأصبعها إلى موضع القلب من مدرها قائلة
- ها

سائر حورية أركاديو الصغير يوم الخميس، في الساعة الثانية من بعد
ظهيرة، إلى المدرسة ولم ترح صورته حيال أورسولا، منذ أن غادر
البيت فكانت تتعيلها دائماً كما كان ساعة ودعت مصحيف السيرة،
جدياً، عصي الدمع كما علمت أن يكون - يكاد يجمع الحزن وهو يرتدي
برته المخملية الموشحة بالأحمر والأزرق المحامية، ذو البياقة المنشأة حول
العنق فلاك غادر غرفة الطعام التي كانت تعبق برائحة ماء الزهر الذي
سكبته على رأسه وسائر جسمه، كي تستطيع اقتناء أثره أني تجول في
الدار وقد التقى أفراد الأسرة جميعاً في عشاء الوداع. أما هي فكانت
تحاول إخماد عصبيتها خلف مظهر المرح فصملت بحماسة بالغة
لخطبات الأب أنطونيو ليريبيل ولكتتها، عندما خرجت الحقيقة المبطنة
بالخجل، ذات الرواية المضيق، من البيت، انقلب الأمر كله رأساً على
عقب وكان الذي خرج من البيت بعش لإنسان عربي
أما الوحيد الذي أبقى المشاركة في الوداع فهو العقيد أوريليانو بوينديا،
الذي تمت قائلاً .

- لم يعد ينقصنا سوى هذا الإزعاج ' بلانكا !

وبعد ثلاثة أشهر من هذا الحدث اصطحبت ميرلينا وأوريليانو الثاني
سيمي إلى المدرسة الداخلية ثم عادا ومعهم آلة الكلافسان الموسيقية،
فوضعا مكان ليليانو الأكبر.

وفي تلك الفترة، بدأت أمارتاء بحبيلته كمنها وفدت طعنة الموز
وأناق سكان ماكوندو الأوائل على أنفسهم، وبأنهم محاصرون، قد سد

عندهم الأماكن والطرق والعمارة العرب. جدد فبنوا شوارعاً
يعبرون على التبت بوسائل العيش البسيطة ولا يعرفهم في ما سئروا إليه
ولا شعورهم بأنهم كانوا يدرسون على البناء والاسمرار في العرش بعد أن
أفروهم الظروف.

وظل البيت يقبل المدعوين بسول طعام العشاء ولكن العادات
القديمة لم تعد فعلاً إلى سالف عهدا، لا بعد سن وسين، وحدث عدم
وحدة شركة المور وعد طرات تبدلات أساسية على معاني الصيافة
القيدية ومراسمها، بعد أن سادت قوايين فيرناند في الدار وقد
استطاعت فيرناندا، حريجة المدرسة الهندكية، بعد أن قيعت أورشولا في
ظلام صمها، وإهمكت أورشولا بإعداد كعك مويها، أن تختار الضيوف
بحرية مطلقة، بعد أن تحصصهم بطقوس والعادات الشرعة التي ورثها
عن أمها فأحالت صرامه طقوسها البيت إلى قاعة تشايليد
لأرستقراطية، في بلدة نلسن، رأساً على عقب فوضى العرياء ورعايتهم
ولسراهم في التبدل السريع لثروتهم.

فكانت فيرناندا، بكل ساطعة، ترى أن الناس المهديين هم الذين لا
يمتثلون بأية صلة إلى شركة المور حتى صار أحور زوجها، خويوه لوكاديو
الثاني، ضحية حماسها لتبشير انجسري. دنت لأنه ترك، من جديد،
ديكة القتال الممتاره، واندفع بحماسة المنتهية المعهودة إلى العمل في
شركة المور. فقالت فيرناندا:

— لن نطأ قدمه أرض هذا البيت ما دام مصاباً بحرب العرياء
فكرست فيرناندا جوارها طاعياً من الجدي على البيت، حتى لم يعد
زوجها، أوريليانو الثاني، يطبق الحياة فيه. وبات لا يستمتع بالعيش إلا
عند محطته بيترو كوتيس. فحق وسائل متعة ومبائله إلى بيت بير
كوتيس بحجة إراحة زوجته من بعض المشاغب ثم نقل الأسطوانات

وحظائر بدعوى أن خصوبة الحيوانات قد تفتت. وأحيراً نقل مكتبه
الصغير الذي كان يجري فيه حسابات أعماله، إلى دار محطته، راعياً
أن الحراة في دارها أحب وأن الحيوان هناك ألطف. ولم تكن العودة إلى
سابق العهد أمراً سهلاً، بعد أن أدركت فيرناندا أنها أصبحت أرمله ولكن
زوجها على قيد الحياة. ولكن أوريليانو الثاني ظل يتردد على البيت
ويأكل عيشه، وتابع الحرس على إلقاء بعض المظاهر، كأن يستلقي إلى
جانب زوجته في السرير. ولكن هذا لم يعد كافياً لإقناع أحد ولا
صيمبا فيرناندا.

وفي إحدى الليالي، سها أوريليانو الثاني، معجاء الصباح، وهو ما
يرى في سرير بير كوتيس فلم تعابه فيرناندا بكلمة واحدة، خلافاً
لكل التوقعات. ولم تصدر عنها أية تهيدة حرة. ولكنها أرسلت في
اليوم نفسه، إلى بيت محطته، حستونين ميتين شيا به أرسلتها في
وضع النهار، وأصوت لوموه بأن ينقلا عبر الشارع العام، لكي يرى
الناس ذلك جميعاً. وكانت ترحل ألا يقوى زوجها اتصال على احتمال
تلك الإهانة، فيعود ذليلاً إلى ملووده ومعلقه. ولكن تلك الحركة البطولية
الدرامية سها لم تكن سوى دليل آخر، إذ كانت هناك حاجة لدليل،
على أنها، كانت تهمي عمداً بطبيعة زوجها، وطاعه كما كانت تجهل طبيعة
لمجتمع المناصرة فيه، والتي تختلف كل الاختلاف عن طبيعة أهلها
لمجتمعية. فجميع الذين رأوا الصديقين، الحستونين في الشارع العام،
أيقنوا أن هذه هي النهاية الطبيعية لقصة كانوا يعرفون تفاصيلها الدقيقة
أما أوريليانو الثاني عما كان منه إلا أن أقام وبمعة كبرى دامت ثلاثة أيام،
احتفالاً بالخرقة التي نالها.

منذ ذلك أحدثت فيرناندا تحو محي سبياً في انجهااتها. فطعت عليها
ثياب الزهية الفاخرة، وغمرت نفسها بالإقنونات العتيقة، وسيطر على

سوكها غرور لا معص له سيما كانت ستر كوتيس، المحظية، تردد نائفاً
وتعجز شاباً متجبناً مرتدي أحمل الثياب الفحوة من الحرير الطبيعي،
وشع من عيبيها يريق السعادة والعنفوان، كما الذهب المذمت من عيبي
صبه عرة متوقفة مدحاح وقد عاد إليها أوريليانو الثاني بنفس من العنة
شديد حديد. كما كان في العهد الأول، الذي سم تكن تحبه فيه مناته،
بل لأنها كانت تخط يده وبين أحبه التوأم حتى كانت تظن أن اله قد مسحها
رجلاً في قوة اثنين.

وراجعهما الهوى ينرق أيامه الخوالي، فكانا كثيراً ما تمتعي صوبهما،
حين يبدآن الطعام فما يبت أن يصمت في كل منهما اللسان، وهما على
المائدة، فربما لأطباق معطاة، ويأويان إلى مخدعهما، حيث يكادان
يموتان جوعاً ووحداً وحجاً. وقد أعجب أوريليانو الثاني بمشاهدته لدى
السيدات المرسيات، في ريارته القليلة لهن، فاشترى لبسترا كوتيس
سريراً محجلاً بكثة (ستارة)، كأنه سرير أميرة وجلل الوافد يستائر
محمية، وغطى سقف العرفة وجسدها بربايا من الكريستال الشفاف

وازدادت شراهة أوريليانو الثاني، حتى عدا فاة متلفاً أكثر منه في
أي زمن مضى فكان القطار، القادم في الساعة الحادية عشرة من كل
يوم، يحمل له صديق من المشروبات الروحية، كالشمانيا والبراندني
وكان عدد الصناديق في ازدياد مستمر فكان إذا استلمها وعاد من
المحطة، دعا إليه كل من صاده في طريقه إلى وليحة معاجة، سواء أكان
المدعو غريباً أم من أهل البلدة، معروفاً أم لم مجهولاً، دون أي نوع من
أنواع التمييز حتى السيد براون نفسه، وهو المتخوف على نفسه بعيداً عن
الناس، والذي لم يكن يتكلم إلا اللغة الأجنبية، رضح لإشارة معرية من
أوريليانو الثاني مرات كثيرة وكثيراً ما مكر في بيت ينيرو كوتيس سكرأ
حتى الموت وكثيراً ما كان يتصرف تصرفاً يذيع رعايته الأثام، المتوحشين

إلى الرقص على الألحان النكماشية، وهو يمدن بها مصاحباً عرف
«أكورديو» حتى إذا بلغت الحفلة أوجها، كان أوريليانو الثاني بصريح
بأهلي صوته :

«كهي أيها القمر - كهي، فإن الحياة قصيرة

لم تكن حياة أوريليانو قط أفصل مما صارت عليه الآن، ولا كان في
حياته محبواً إلى هذا الحقد، كما لم يصل تناسل حيواناته إلى مثل العراة
من التكاثر الذي وصل إليه فقد كان يذبح في الولائم، التي لا تحصر
بها، صعداً كبيراً من رؤوس الماشية والخنازير والطيور، مما جعل أرض
الدم موحشة سردهاء فائقة من كثرة الدم المسوح، وتراكت فيها البقاي،
حتى نكأها كومة عظام ونفايات، أو كأنها مربة تلصق فيها البقايا وسقط
المنبع وكثيراً ما كانوا مضطرين بتعجير أصابع الدياميت لإبعاد تطيور
«الحارحة الكامرة، خشية أن تقتنع عيون المدعوين

وورداد ورن أوريليانو الثاني، بعد أن سمن وقصصهم، نتيجة لشهية
الهائلة التي لا تشبعها سوى شهية خوربه أركاديو عندما عاد من رحلته
حول العالم.

وانتشرت شهرته بالهم اللا إنساني، واشتهر خبر كرمه، الذي لا
سابق مثيلاً له يتجاوز حدود المقوف، حتى تجاوز تلك حدود إقليم المستنقعات
(الماريجو) فتوافد إليه دور البطنة، محسوسون بالهم في طول
الساحل وعرضه وأقيمت عند ستر كوتيس مباريات منهم، لاختبار
القدرة الفائقة على احتمال كميات الأكل الهائلة، وشرك في ذلك كل
«مشهورين بالهم في أنحاء البلاد وزير أوريليانو الثاني، في المباريات،
بطلاً لا يقارع ولا يقلب حتى حل يوم السبت البائس، الذي ظهرت فيه
(كاميلا ساجاستوم) وهي امرأة ثوبية، عرفت في البلاد باسم (العيفة)
وقد استمرت المباراة بينها وبينه من السبت حتى الثلاثاء صباحاً فكان

العشاء في الساعات الأربع والعشرين الأولى لحم عجل مع البطيخ،
والفول الفلي، مضافاً إلى ذلك صدوق ونصف من الشمبانيا وعلى
أوريبيانو الثاني أنه قد انتصر فقد كان أكثر حماسة وقوة من المرأة،
خصمه العبيد، ولو أن أسلوبها أسلوب محترف وقد يكون هذا هو
السبب في أنها لم تثر الناس الذين احتشدوا في البيت، للمشاهدة، حتى
صافى بهم.

وكان أوريبيانو الثاني، الذي أسكرته بشوة الظفر الظاهر، يستهم
الطعام بلا تمير، فيما كانت (العيلة) تقطع اللحم يحدق ومهارة كأنه
جراح، وتأكل متأنية متلذذة وقد كانت كبيرة الحضة هائلتها، ولكن
بعومة الأثني ورفقتها تغطي على ضحامة جلسها كانت جميلة الوجه،
رفيقة اليدين ناعمتها وكانت شخصيتها ساخرة لا تقوم، حتى إن
أوريبيانو الثاني قال بصوت خفيض لمن حوله إنه كان يحصل لو تجري
إمباراة بينه وبينها في السرير لأعسى المائدة. ولم يأه تصرخ من محذ
العجل دون أن تحرق قواعده الطعام الأصول، قال بشيء من الجدية، إن
هذه العيلة اللطيفة الرائعة المبرية التي لا تعرف الشبح، هي من بعض
النواحي المرأة المثالية عده. ولم يكن أوريبيانو الثاني محطناً في تقديره
عقد كانت شهرتها، وللقائلة بأنها أكلة جيف، دون أساس من الصحة،
نسبها آتي رحلت. فهي لم تكن - كما ورد عنها - ساحرة ثيران، ولم
تكن ذات حية، ولم تكن تمت إلى السيرك اليسوي بصله، بل كانت
مديرة لمدرسة عنه. وقد تعلمت طريقتها في الأكل وهي أم محترمة
لحائسة، كانت تبحث الأولادها عن طريقه نظامية تمكنهم من الغذاء الجيد،
دون استعمال للمشروبات الاصطناعية، بل بوساطة هدوء البدن المطلق.
وقد امتدت نظرتها، التي برهن التطبيق العملي على صحتها، إلى أن
الإسكان السوري الطبيعي يستطيع أن يأكل حتى يعليه التعب. وقد تعلمت

عن بيتها وعن دروس العناء لأسباب خلقية وأسباب رياضية، لتزول
رجالاً مشهوراً يبطئه ونهجه، ولا يعتمد على أية قواعد أو أنظمة
مدروسة، وقد ملأت شهرته بذلك البلاد.

ومنذ اللحظة التي وقعت فيها حينها عن أوريبيانو الثاني، أدركت
أن معدته لا تقهر، وإنما الذي يمكن أن يطلبه هو طبعه فقد أخذ في العيلة
الأولى يصيح قوله وطافته بالضحك والثرثرة، بينما المرأة - العيلة تحافظ
على هدوئها. وإنما أربع ساعات. وحسب استيقظ، شرب كل منهما
عصير خمسين برتقالة، وأربع كاسات كبيرة من القهوة، والنهم ثلاثين
بيضة بيضة، وفي صباح اليوم التالي، وبعد سهر طويل، وبعد أن أتيا على
خبرين كاملين، وقوا من النوم، وحسب أربعة صناديق من الشمبانيا،
خيل للمرأة العيلة أن أوريبيانو الثاني قد اكتشف، مصداقة، نهجها
وطريقتها في الأكل، ولكن بطريقة عشوائية لا مبالية ثم أدركت أنه
أخطأ عما كانت تقدر. ومع ذلك شعر أوريبيانو الثاني، عندما وضعت
بيتر كوتيس ديكن مطبوخين من الحيش، أنه بات على وشك الإصابة
بمرض الهضم، وقالت له

- يا، كنت لا تستطيع، فلا تأكل المزيد. ولخرج من المباراة متعادلي.
وقد كانت جادة في اقتراحها، لأنها أحست أنه لم يعد يستطيع ابتلاع
نقمة أخرى. وأنها صميرها شعورها بأنها تساهم في قتل خصمها.
ولكن أوريبيانو الثاني فسر اقتراحها بأنه نوع من التحدي الجديد،
فالتهم قطعة كبيرة من ديك الحش، متجاوزاً حدود قدرته العجيبة.
فأغمى عليه وانكأ على وجهه فوق المائدة، وقد وقع انه في طبق الطعام
الذي يبقايا العظام والعضلات. ثم أخذ الريد يخرج من فمه، كأنما هو
كعب، فكاد تحطه حشرات البرع الأخضر. ثم شعر كأن بدأ تدعه، في
غياهب الظلام الدامس، من على محووه لا فرار لها ثم بدا له،

كومضة صبحر أخيرة، كأنه الموت كان في انتظاره لدى سقوطه. وجاهد حتى استطاع أن يقول - خدومي إلى فيرماندا.

وظلّ رفاقه الذين حملوه إلى بيته أنه ربما كان يتمدد وحداً قطعته لزوجته، بأن لا يموت في سرير محطته.

دهنت بير، كوتيس حذاءه اللامع المفضل لديه، والذي كان يحب أن يحتديه في بعشه. وعندما كانت تبحث عن ينقله إليه في بيت فيرماندا، علمت أنه نجا من الخطر.

ثم استعد صبحته خلال بضعة أيام. فاحتفل، بعد خمسة عشر يوماً، بوليمة لا عهد لأحد بمثلها، فرحاً بخلصه من الموت.

وظل يعيش مع بير كوتيس ودوم، في الوب ذاته، على زيارة فيرماندا يومياً، كما كان أحياناً، يتناول عنده طعام العشاء في البيت. وكان قدره شه أن يعلب له الأدور في الحياة، حتى عما حقيقاً لزوجته وروجاً لمحطته.

كان ذلك فترة استراحة لفيرماندا. فخلال حياة الإهمال المزقة التي كانت تحياها، كان الشيء الوحيد الذي يشعلها ويحيا وقتها هو دروس العرف على آلة الكلافسان الموسقة خلال ساعات الفيلوة، ثم التلي بالرسائل الواردة من ابنه وانتها. ولم تكن رسائلها المطوية إليهم، مرة كل أسبوعين، تنقل شيئاً من الوب. فقد كانت تحفي عنهم عذابي فلا محمدتهما عن كابة البيت، الذي بات يتحول، تدريجاً، إلى مسكن شبه بمسكن دويب الكلاميكلي، رغم الأتوار التي كانت تضيء أرواح البيحويين، والحرارة الحنقة عند الساعة الثانية من بعد الظهر. ورغم موجات الاحتمالات التي كانت تتناهي إلى البيت من الشارع العام كانت فيرماندا، تعرق في عزلتها ووحدها، تتجول في البيت، تلازمها

ثلاثة أشباح حية وطيف خوريزه أركاديو بونديا ليت، الذي كان يجيء إليها، يجلس في الصالة، نصف، انصاء، مصعباً في عبوس يعرفه عن آلة الكلافسان الموسقية.

أما العقيد أوريديانو بونديا فبات ظلاً فهو، منذ خروجه إلى العقيد جيرييلديو ماركيز مقترحاً عليه إشعال حرب لا أمل فيها، بات لا يعدو مشقه، إلا ليبون تحت شجرة الكتنة. ولم يكن يقبل زيارة أحد، إلا الخلاق، الذي كان يأتيه مرة كل ثلاثة أسابيع. وكان يتنازل وجبة الطعام الوحيدة التي تحمها إليه أرمسولا فلا يسأل عن نوع الطعام. ويتبع صبح الأسماك الذهبية الصغيرة بحرارة الماضي وحملته. ولكنه كف عن بيعها منذ أن علم أن الدس لا يشتروها حفية، بل لأنها أثر من التاريخ.

وقد أشعل في الذر ناراً هائلة، وأحرق فيها لعب ريميديوس كلها، ذلك الدعب التي كانت تزين بها غرفتها يوم رواجهم. وقد همت أرمسولا، وهي التي لم يكن يحفي عليها شيء مما يدور في البيت، ما كان يعمل بينه، ولكنه دم نهد وسيلة تمكنها من رده عن قراره. فقالت له:

- لك قلب من حجر

فأجابها قائلاً

- ليست المسألة مسألة قلب. فقد امتلأت الغرفة بالعث.

وكانت أمارتا ما تزال تحمك كمنها. ولم تدرك فيرماندا لماذا كانت تكتب الرسائل إلى ميمي، بل وترسل إليها الهدايا أحياناً، ولكن دون أن تذكر بها شيئاً عن خوريزه أركاديو. كأنها لا تريد لها أن تسمع عنه شيئاً. ولم تستمر فيرماندا عن ذلك، بواسطة أرمسولا، كان جواب أمارتا:

- استمرت دون أن تعرف السبب.

وقد روع هذا الحواب في قلب هيرماندا لعرأ لم تستطع قط أن تسبر
كنهه

كانت أميراتنا طويبة القامة، عريضة المنكين، متكبرة معتزة بنفسها،
ترتدي دائماً الملابس الماحرة المعلقة بالدايتيلا، وتحمل في شكلها وهيئتها
عروراً يعال السنين والدكرينات الخريفة فكانها كانت تحمل على جيبيها
صليب الزواة (الرماد) المعبر عن عذوبتها والواقع أنها كانت تمسح
ونكن في الرباط الأسود على يدها، فلا تترعه في يقطعتها ولا يومها
كلت تعسفه وتكويه بنمها وتحضي سحابة يومها، وهي توشع كمها،
حتى ليحبل للمرء أنها كانت تعمل فيه طوال يومها، وتعمل فيه عندما
يجن لديها وكأنها لم تكن تريد بملك أن تحمد بار عزلتها ووحدتها،
بل أن توجعها

وما كفى يشعل بال هيرماندا في سني هجرها هو أن ميمي، عندما
ستعود إلى البيت نقصه عظمتها الأولى، لن نجد أبدا أوريليانو الثاني في
البيت ونكن عسر الهضم الذي أصابه قد أطاح بمحافها واتقن الأب
والأم، عندما وصلت ميمي، على أن تفهم ميمي أن أوريليانو الثاني كان
ما يزال روجاً مثالياً، مواظباً على واجباته المربية، وعلى ألا تلحظ ابتهاج
الكأبه التي كان بيت عازفاً فيها فكان أوريليانو الثاني يقضي في العام
شهرين، يكون خلالهما روجاً مثالياً يقيم الحملات التي تقدم فيها
البوطه والكعك (اجاتو)، وتشيخ فيها الفرح تلك الطفلة اللعوب، التي
كانت تضح بالحبية ولا سيما حينما تجلس لمعرفة على آلة الكلافان
الموسيقية وكان واضحاً أنها لم توث إلا القليل من طبع أمها، فكانت
كانها نسخة من أماراتنا، يوم كانت الأخيرة لا تعرف مرارة العيش، تورع
المرح، بطيشها، في البيت، بهركات رفعها، وهي من بين الثانية عشرة
والرابعة عشرة من عمرها كان ذلك قبل أن يلتوي قلبها بهواها المكتوم

ليثرو كرسبي، فمعبره من التقيص إلى التقيص مرة وحدة وإلى الأبد
ونكن ميمي كانت تحتجب عن إمارتها، وعن سائر أفراد الأسرة، بأنها
لم يكن محكوماً عليها بقدر العزلة والوحدة كانت منسجمة مع الناس
والمعالم من حولها، حتى عندما كانت تعطف على نغمها باب الصلاة في
الساعة الثانية من بعد الظهر، لتدرب على آلة الكلافان الموسيقية بشكل
نظامي صارم كانت تحب البيت، فتقضي العام وهي تحم بصاحب
صوبحاتها اللاتي كان يثيرهن وصولها في العطة ولم تكن بعيدة عن
الولع بحملات أيها وكرمه المشاف. وقد بدت عليها آثار الوراثة،
بوضوح، عندما حلت العطلة الكبرى الناشئة. فقد وصلت ميمي إلى
الدار بصحبة أربع راهبات، وستين واحدة من رقبقاتها في الصف،
دعتهن لقضاء أسبوع معها عند أهلها، وحدها، دون أن تحبر أحداً
بالأمر. فتأوهت هيرماندا قلابة :

- يا للهول، لهذه الطفلة متوحشة كئيبة.

واضطرت لاستعارة الأسرة والأراجيح من الخيران، وأن تقدم طعام
الوجبة الواحدة على تسع دفعات، وأن تنظم ساعات الدخول إلى
الحمام كما يحدث في استعارة أربعين كرسياً صغيراً، لكي لا تظن
أوبك البنات يطمس. عوال الدهر، بيزاتهن الروقاء من مكان إلى آخر في
الدار وقد كانت تدث الدعوة شتلة شتلاً دريعاً، لأن التلميذات ما كن
يتهمن من تناوب طعام الفطور، حتى يبدأ تغليم وجبة العشاء وهكذا
دواليك حتى العشاء فلم يقم سوى برحلة وحدة إلى العابه خلال
الأسبوع بطوله، وما أن يحل مساء، حتى شعر الراهبات بالإجهاد من
كثرة العمل، فلا يستطعن حركاً، أما البنات، اللواتي لم يكن ليعرفن
التعب، فكن يطمس في فناء الدار، وهن يعين صق طبع من أناسيل من
المدريسة، ضمحله لمعاني وقد كدن، ذات مرة، أن يوقعن لورسولا،

التي أصرت على أن تقوم بعمل ما دفع، ولا سيما حيث كان يكثر ازدحام البسات. وقد اضطرت الراهبات اضطراباً شديداً، في أحد الأيام، لأنهن شاهدن العقيد أوريليانو بويديا يسول تحت شجرة الكستناء، دون أن يميز أي اهتمام للتلميذات في هذه الدار. وكادت أملاكنا تثير العرع في الجميع، حين دخلت إحدى الراهبات إلى المطبخ، وكانت هي تملح الشوربات. مسائلها الراهبة من ذلك المسحوق، الأبيض الذي كانت ترشه بقضة يدها على الطعام. فأجبت أملاكنا:

- ذريج

وقد سبب البسات ازدحاماً هائلاً لينة وصولهن، عندما حاولت كل منهن دخول الحمام قبل أن تلوي إلى فراشها. فما انتهت أواخرهن من ذلك إلا مع ساعات الصباح الأولى. وعندها جليت فيرماندا اثنتين وسبعين إناء وضعتها في العرف، فحلّت بذلك المشكلة اللينة. ولكنها أدت بذلك مشكلة صعبة. فقد بدأت الغثيات، منذ العجر، يقعن صفاً طويلاً أمام بيت الخلاء، تحمل كل منهن إناءها يدها، وتنتظر دورها لإفراغها. وقد أظهر معظمهن مقاومة شديدة لكل أنواع المصاعب فكّن يترهن في البستان، في آخر ساعات اليوم، ما خلا بعضهن اللواتي بدت عليهن بعض ظواهر الحمى، وتقيحت حتى جلودهن قرصت اليعوض.

وعندما صافرت البسات، كانت أزهار لمار قد أنفتحت، وتحطم الاثاث، واستلأت الحفيران بالرسوم والكتابات. وضمرت فيرماندا بالراحة لرحيلهن، وضمرت لهن كل صنوف التحريب. وأرجعت الأسرة والكراسي لأصحابها، واستمضت بالاثنتين والسبعين إناء، فوضعتها في غرفة ملكيادس. وقد سميت تلك الغرفة، التي كانت معلقة مهجورة، والتي كانت قديماً تدور حولها حياة البيت الروحية، غرفة الأواني. وقد كانت هذه التسمية، في نظر العقيد أوريليانو بويديا، هي التسمية المناسبة

لعرفة ملكيادس، ذلك لأنه، بينما كان أفراد الأسرة ما يزالون مبهوتين بسحر كون عرفه ملكيادس كانت معصومة من العبار والدمار، كان هو يرى أنها قد امتحالت إلى مكان للقمامة. وعلى كل حال، لم يكن يهمه أن يعرف الصحيح. ولم يكن ليعرف شيئاً عما آلت إليه العرفة إلا لأن فيرماندا قد أرعجت بعدوه ورواحها، وسببت له الاضطراب في شعله، طوال عصر يوم كامل، وهي ترتب الأواني في تلك العرفة.

في تلك الفترة ذاتها، عاد حوريه أركادير الثاني إلى الظهور في البيت من جديد. فقد مر أمام الشرفة دون أن يعي أحداً من أهلها، ثم مضى في طريقه إلى المشغل لكي يتحدث إلى العقيد. وحسب الرهن من أن أورشولا لم تستطع أن تراه، فقد ميزته من صوت كعب حذائه، وعجبت لما تذكرته من الهوة التي كانت تفصله عن باقي أفراد العائلة، تلك الهوة التي كانت تفصله حتى عن أحبه الثوام الذي كان يلهو معه، وهما صعيان، باختراع أخيل على الناس، كي يحتلط عليهم أمرهما، أما الآن فلم تبقى بينهما سمة مشتركة. فقد كان هو طويلاً نحيلاً، وفور الهبة، دائم التكبير، حزناً جاداً، كهارس عربي مسلم، عبي وجهه لغة كنيية من لون الخريف. وقد كان أكثر الثوامين شهياً بأمرهما سناً صوفياً (الثقة)

وقد لام أورشولا معها، لأنها كانت تساه أحياناً وهي تحدث عن أفراد العائلة. ولكنها عندما أحسب أنه في الدار، لاحظت أن العقيد استعمل في مشعله، خلال ساعات عمله، عادت إلى ذكرياتها القديمة، تصحسها ماقتعت بأنه، في فترة الطفولة، تبادل وأحاه شخصيتهما، وأنه هو الذي كان يجب أن يدعى أوريليانو. ولم يكن أحد يعرف شيئاً عن حياته. فقد عرف عنه أنه، في وقت من الأوقات، دم يكن له بيت ثابت، وأنه كان يربي الديكة عند بيلاز تيريرا، ويبيت عنده أحياناً

والواقع أنه كان يقضي معظم لياليه في غرف السيدات العريسات وقد كان دائماً بعيد المرارة يعيش بلا حافلة ولا طمّوح، كشهاب هابر في نظام أورسولا الشمسي.

والواقع أن خوضه أركاديو الثاني لم يعد واحداً من أفراد العائلة. كما لم يكن بحث إلى أية هائلة أخرى بصفة، منذ ذلك الفجر البعيد الذي صاحبه فيه العقيد جيريليدو ماركيز إلى الثكنة، لا لكي يشهد تنفيذ الإعدام، بل ليبقى ذلك محموراً في ذاكرته بـ دام على قيد الحياة، ولا يسى الاتسامة بخربة السخرة على وجه ذلك الرجل الذي تطلق عليه البار تصيداً حكم الإعدام. ولم تكن تلك أقدم ذكرياته، بل كانت الذكرى الوحيدة الباقية من حياة الطفولة وكانت هناك ذكرى أخرى، هي صورة رجل عجوز، يلس صداراً عتيقاً، وقبعة كجناحي غراب، يروي له قصصاً عن أشياء عجيبة، أمام نافذة لها إطار يهر البصر بنور. ولكنه لم يستطع تحديد رمز تلك الذكرى كانت مشوشة مضطربة في ذهنه، يكاد لا يعلم عن تفاصيلها شيئاً فهي مجردة من الحين، على عكس صورة اهكوم بالإعدام، التي كانت تحتكم بترجيح حياته معللاً، وما تنفك تراجعه بين اثنين والآخر، عترداد وصوحاً في ذاكرته، كلما ازدادت إيماناً في الماضي، فكان مرود الرمن يقربها منه، ولا يربها إلا وصراحاً

وأرادت أورسولا أن تستعمل وجود خوريه أركاديو الثاني، على يرحج العقيد أوريلينو بويشيا من هزلته. فكانت تقول له :

« ادع له للخروج والذهاب إلى السجما حتى ولو كانت الأتلام سيئة، لعله يتنفس الهواء النقي »

ولكنها ما لبثت أن اكتشفت أنه، هو نفسه، أقل استجابة لرحلتها من العقيد نفسه، وأنها كليهما محصان مدرج لا تنفذ منه العواطف ولم

تستطع أن تعرف قط، كما سم يستطع أحد أن يعرف، عما كان يتحدثان في خلواتهما العذوية في المشعل ولكنهما أدركت أنهما الوحيدان بين أفراد العائلة اللذان يشتركان في مشاعرهما، وتجمعهما صلة من نوع خاص.

ولحق أن خوريه أركاديو الثاني نفسه لم يكن قادراً على إخراج العقيد من عزلته وقد بعد صبره في أسوع غررة النبات، ووعم أن ألعت قد سطا على عرصة عرسه على الرغم من إحراق نعب ريكيدوس الخبيثة وعلق أرجوحته في المشعل، ولم يعد يمارده إلا نقصاء حاجة في ألبستان وب كانت أورسولا لتستطيع التحدث معه، ولو في أفعه لموضوعات. وكانت تعرف أنه لا يلتقي نظرة على ما تقدمه له من طعام فقد كان يترك الطعام على طرف طاولة العمل، إلى أن ينتهي من صنع سمكة صغيرة ولم يكن يعبه في شيء سواء أجمعت الشوربة أم برد النظم وقد ازداد قسوة منذ رفض العقيد جيريليدو ماركيز مساعدته في بدء حرب الشيوخة التي كان يتوي إعلانها، فتوقع على نفسه، حتى اعتبرته الأسرة كأنه قد مات. ولم تبت منه أية بادرة، تدل على رد فعل إنساني، حتى حل ذلك اليوم، الحادي عشر من تشرين الأول (أكتوبر)، حين خرج إلى دب الدار يشهد مرور السيوك في الشارع العام، ولم يكن ذلك اليوم، ليعتلف، عبد العقيد أوريلينو بويشيا، عن غيره من سائر أيام السنة أو السنوات الأخيرة

استيقظ في الساعة الخامسة صباحاً على صوت الصمداخ والصواهير الصادر من الناحية الأخرى من السور وكان الرقاد يتقاطع حينئذ، كما كانت الحال منذ السبت الماضي. ولم يكن بحاجة لسماع جميعه الخافت على أودق شجر الستاك لكي يعرف بسقوطه فقد شعر به عندما أحس بالبرد الذي يعمد إلى عظامه. وكان، حسب عادته، يتلفح يده لونه

الصولي، وقد ارتدى سرواله القطني الطويل، الذي ما انك يمسسه، حتى بات يسميه تقدمه بـ «السروال المافظ» وقد لبس نظاله الصيق ذلك دون أن يزرع عراه، ولم يضع هي يافة قميصه «الر الذهبي» الذي اعتاد أن يصعه دائماً فقد كان يريد أن يستحم وعطى رأسه بدثاره كأنه رداء حمام، ومعد شاربويه المتهدلين بأصابعه، ثم مضى إلى البستان كي يور

كان الوقت م برال ميكراً، قبل أن تبرج الشمس، حتى إن حورية أركاديو يونينيا (١) كان م برال، عني عادته، نائماً تحت سمع الخيل التي مرقها المطر فلم يره، كما لم يره من قبل هناك، ولم يسمع العبارة العامضة التي وجهها شبح أبيه، لدى اسيقاطه، عندما فاجأ رذاذ البول الدائم التساقط على حداته فأرجأ لاستحمام، لأنه شعر بالبرد والرطوبة، بل بسبب صباب تشربس لأرب (أكتوبر) الذي أنقل على صدره. وفي طريقه عائداً إلى المشعل، لاحظ رائحة العتيلة المحترقة التي كانت سائتا صوبها (الثقية) تستعصب لإشعال «عرو». ما نطر في المصبخ حتى تحس القهوة بإيحاد منها فحاناً بلا سكر وسأله سائتا صوفيا عن أي يوم كان ذلك من الأسبوع فقال لها إنه الثلاثاء، الحادي عشر من تشرين الأول (أكتوبر) وتأمل تلك المرأة العسيرة، التي قد بهت روضه، ولكن انعكاس الذهب على وجهها جعلها تتلألاً كالذهب، وهي تبدو في تلك اللحظة، أكثر من أي وقت مضى هايتها. وكأنه غير موجودة. تذكر أنه في الحادي عشر من شهر تشرين الأول (أكتوبر)، وهو في أوج حربه، أيقظه من نومه شعور مفاجيء عريب بأن المرأة البائسة معه قد ماتت. وكانت ميتة فعلاً وهو تاريخ لا يسله، لأنها هي الأخرى سأله، قل ساعة من نومه أي يوم كان ذلك اليوم.

ورغم هذه الذكرى، لم يدرك إلى أي مدى تحلّت عنه السوءات

(١) والد العقيد أوزيالتو يونينيا الميت.

وجعل يتأمل ويفكر، يسم القهوة تعني على النار، بشك ادراء، دون أي دره من حين، بل مجرد حب استطلاع تلك المرأة التي لم يعرف اسمها ولم ير وجهها، لأنها اتسب إلى أرجوحته، وهي تعثر في الظلام. ولم يستطع، في رحمة النسوة اللاتي كن يتسلطن إلى أرجوحته وحياته عني تلك الصورة، أن يتذكر أنها هي كادت تعرف بدموعه، وهي في بشوة البقاء معه، وأنها أقسمت، قبل ساعة من عونها، أنها ستجبه ما دامت عني قيد الحياة. ولم يعد إلى التفكير فيها من حين، بل أضع عن التفكير في أية امرأة أخرى، ودخل مشعله، حاملاً شجان نهوته، والبحار يتصاعد منه. وأشعل النور كي يبدأ بصع سمكاته الصعيرت التي كان يضعها في طاس من التوتياء. كانت صمعا صبح عشرة سمكة فقد أخذ، منذ فرّ الأبيعهما، يصع سمكين في اليوم. حتى إذا وصل العدد الخمس والعشرين، صهرها في البوتقة، كي يعاود صنعها من جديد.

واستمر في عمله الصباحي، حتى لم يعد إلى التفكير بشيء. ثم يتبه إلى اشتداد هطوط المطر عند الساعة العاشرة، ولم يدحض مرور شخص سريعاً ياب المشعل وهو يصيح طالباً إغلاق الأبواب فل أن يمرق البيت. بل لم يكن يشعر بوجوده ذاته، حتى دخلت عيبه أومسولا، وهي تحمل له طعام الغداء، وأطفأت النور، قائلة:

- يا لهذا المطر! فأجاب:

- إنه تشرين الأول (أكتوبر).

فان ذلك دون أن يرفع عيبه عن سمكة اليوم الصغيرة الأولى، لأنه كان يرصع مكان عيبه بالياقوت. ولم يحتس الشوريه، إلا حين انتهى من آخر لسة على سمكته، وضمها إلى ريفقاتها في الطاس، ثم أكل قطعة اللحم المطبوخة مع البصل بده شديد، وأكل الأرب الأبيض، وقطع الموز المقلية، وقد وضعت جميعاً في طبق واحد.

كانت شهيته لا تتبدل بحسب الأحداث، مبيتة كانت أو حنة واستوى عليه، بعد انقضاء شعور بالحنين وانكسار وكان قد عمد، نتيجة بواسوسه العميقة، أن يدع ساعتين بعد الأكل سراحة ولهضم، فلا يعمل حلالهم، ولا يقرأ، ولا يستحم وقد يهبط عليه ذلك الاعتقاد، مدروس طويلاً، حتى إنه كثيراً ما أخر بعض العمليات العسكرية، كي لا يمرض جنوده لعسر الهضم نفسه.

استلقى في أرحوخته، وراح يتفعل سرح الانصلاح من أدبه برأس مكبيه رجليه النوم بعد مصي بضغ دقاتك وقد رأى، في ما يرى النائم، أنه يدخل بيتاً خالياً، جلزائه بيضاء وقد هيمن عليه شعور بأنه أول إنسي يدخل إليه. وتذكر في حلمه أنه رأى الحلم معه في البينة الخاصة، بل في ليال كثيرة خلال السنوات الأخيرة وثبت أن الصورة كانت تحي من ذاكرته عندما يستيقظ من نومه ولا بد أن يكون في تكرار هذا الحلم شيء خاص به، وهو أنه لا يمكن أن يذكره إلا حين ير.

والواقع أن ما حصل هو أن العقيد أوريديو بويديا، كان قد ظن أنه أعنى طويلاً، عند طرق الخلاق بابه، مع أنه لم يخف سوى ثوان قليلة، لم تسع لأن يرى فيها حلماً طويلاً. مقال للحلاق :
ليس اليوم، فليكن يوم الجمعة

وكان قد مضى على دمه دون حلالة فترة ثلاثة أيام، هبت وقد تناثرت فيها شعرات بيضاء ولكنه لم ير من الضروري أن يحلق دمه اليوم، ما دام سوف يقص شعره يوم الجمعة والأفضل أن يعمل الشيش معاً وقد أدت به تلك القينونه عبر المرغوب فيها إلى أن مات صباح عرفاً فأبقت مائل عرقه اللوح الدوب المتخلفة من ثور إيطيه ولم تظهر الشمس رغم توقف المنظر عن السقوط ونجشاً العميد أوريديانو بويديا

نجشاً عالياً، فصعدت من معدته إلى فمه حموضة الشورباه فكانت شبيهة برودة فعل عضوية، دفعته إلى وضع دثاره على كتفيه، وإلى الذهاب إلى بيت الخلا، حيث مكث أكثر مما ينبغي، قابلاً قرب الراحة المتحمرة التي كانت تتصاعد من الوعاء الخشبي، إلى أن تبين بعمل نظام عمله الرتيب أن ساعة العمل قد أتمت.

وتذكر خلال مكوته الطويل أنه في يوم الثلاثاء، وأن حوزيه أركاديو الشبي لم يأت إلى المشغل، لأنه كان يوم دفع الأجور في شركة الدور وقادته الذاكرة، كما كانت تفعل خلال السنوات الأخيرة، دون إقضاء أو وعي منه، إلى التفكير بالعرب. فتذكر أن العقيد جيريسو ماركيز كان قد وعدته يوماً، أن يقدم له حصاناً أبيض (ذا نجمة بيضاء في جبينه)، ثم لم يعد يسمع منه أي حديث عن الموضوع منذ ذلك الحين.

وراح يستغل من نصه إلى أخرى، ومن ذكرى إلى أخرى، يستعيد، دون أن يتوقف عندها أو يعلق عليها بأي حكم فقد اعتاد أن يعكر بسرو، لعن الذكريات التي لا حيلة له فيها لا تلامس شغاف قلبه وحساسياته، ثم يكن يقوى على تركيز دمه على شيء. وإذا عد إلى المشغل، شعر أن جوة أصبح جافاً، فقرر أن يستحم، ولكنه وجد أن أماراتنا قد سبقتة إلى ذلك. بدأ يصمم سكة يومه الثانية. ولما كان على وشك لحم دهب بهاء، بورت الشمس من خيف اليوم، ساطعة قوية، حتى بدا كأن بريقها أحدث صوتاً شبيهاً بصوت قارب يحمر هباب اليم وعصن البحر، الذي عساه المنظر على مدى ثلاثة أيام، بالسمل الطيار وأحسن بالحاجة لتدو، ولكنه حاول أن يحسك معه رشاً يرمع من جلبي السمكة الصغيرة. وفي الساعة الرابعة وعشر دقائق، غادر المشغل إلى البستان، فتناهى إلى أدبه صدى آلات موسيقية نحاسية بعيدة، وقدقمة صندوقي كبيره وأصوات أطفال فرحين. ولأول مرة منذ شبابه، استلم

لا يسمع بمرء رادته، فوقع في المصيدة التي نصبها له حين.

وعادت إليه ذكرى عصر ذلك اليوم، يوم العجبر، عندما صاحبه أبوه كي يشهد الجسد وتركت سائتا صوفيا (الصبة) ما كانت مشغولة فيه من شؤون المطبخ، وأسهرت إلى باب الدار وصاحت بمرء صوتهما - إنه السيرك.

وبدلاً من أن يتجه العقيد أوريليانو برونديا إلى شجرة الكستناء، عدل، هو الآخر، طريقه وذهب إلى باب الدار المثل على الشارع العام. وختلط بالشاهدين المستطعمين الذين كانوا يتأملون العرض. مرأى امرأة على عتق النيل، وقد ارتدت ثياباً محلاة كلها بالذهب، وشاهد جملاً كثيراً ورأى كذلك فتاة هولندية تضبط إيقاع موسيقى بمغرفة ومقلاة. وشاهد المهرجين، في آخر العرض، يقفرون هالياً في الهواء كما أدرك وحدته وعزلته البائستين، بعد أن مر العرض، واحتمى كل شيء، حتى لم يبق إمامه، مما يمكن أن يرى، سوى امتداد الشارع الطويل (السير)، والحواء الذي كان يعرج بالنمساك الطائرة، وسوى بعض المستطعمين الذين كانوا يحملون في فراخ هدم اليقين.

وعندما عاد نحو شجرة الكستناء، وهو يفكر في السيرك، حاول جهده أن يستمر في التفكير فيه وهو يسيرون، لكنه لم يستطع الاحتفاظ بشرط ذكرياته. فأنزل رأسه بين كتفيه، كما يفعل صومر صغير، حيث ظل بلا حراك دون أن يبرح جبينه جلذع شجرة الكستناء. ولم يدرك بأمرة أحد من أفراد الأسرة، حتى صباح اليوم التالي، في الساعة الخادية عشرة، عندما خرجت سائتا صوفيا (الفتية)، إلى مؤخرة البستان، لإلقاء النفايات، فزاع اثنيانها خفق أجمحة النور الهابطة

(١٤)

توافقت عطلة ميمبي الأخيرة مع فسرة اخذها على العقيد أوريليانو برونديا. وقد أعقق باب الدار، ولم يعد فيها مجالاً للمحادثات، ولم يعد يتكلم أحد في الدار إلا همساً وكان على الخالسين على مائدة الطعام أن يكونوا صامتين، وأن يعيدوا صلاة السبعة ثلاث مرات في اليوم. وقد صار للممرينات على آلة الكلافسان الموسيقية مقيم حزين وعلى الرغم من أن ميرناندا كانت تكن عداً حمياً للعقيد، إلا أن وقار الاحتمال، الذي أقامته الحكومة لذكرى علوها الميت، قد أثر فيها كثيراً، حتى إنها هي التي فرقت على البيت حذاءً صامراً.

وكان أوريليانو الثاني قد رجع إلى البيت كي ينام فيه خلال عطلة ابنته، ميمبي، حسب الاتفاق. ولكن يبدو أن ميرناندا قد استعادت حقوق الروحة، لأن ميمبي عندما وصفت في عطلة السنة التالية، وجدت لها احتفاءً، كانت حديثة الولادة. وقد صمدت، على الرغم من رأي أمها، باسم أمارانتا أورسولا.

وقد أثمت ميمبي دورتها الدراسية. وكان خير برهان على صدق الشهادة التي نالتها، كعازفة جوقة على آلة الكلافسان الموسيقية، عرفها بمهارة الحاناً شعبية رائعة من القرن السابع عشر، في الحصة التي أقيمت بمناسبة تخرجها، وصادت نهاية فترة الحشد. كان عرفها يدل على استحقاقها للإجازة في الموسيقى. وقد كانت الفتاة ذات شخصية نادرة،

حظت بإعجاب المدعوين أكثر مما حظي بذلك فيها كان يبدو عليها أن طبعها الطعوسي الخفيف لا يؤهدها لأناء أية فعالية جادة، ولكنها ما إن كانت تجلس إلى آلة الكلافسان حتى تتبدل إلى فتاة محتففة كعباً، دنت مظهر يرحي بدونها المبكر بإمارات غاية في الوضوح وقد حدث كذلك طوال حياتها

والواقع أن ميمي لم تكن ذات موهبة جليلة، ولكنها استطاعت أن تتحج في الحضور على أحسن الدرجات بجهد هذا المتواصل كي لا تحالف لومر أمها. وبو أن أمها كانت قد فرصت عليها أية مهنة أخرى لما كانت الشريحة لتحلف قليلاً أو كثيراً فقد كانت ميمي، مد طموحها، تفرح تحت شدة ميرماندا، وعدتها في إتخاذ القرارات المتطرفة. ولم تكن على استعداد لقدومة عدها، ولو أدى ذلك بها إلى ما هو أشق من دروس الكلافسان.

وقد حيل ميمي، يوم حفلة التخرج، أن الشهادة، بحرونها القوطية، وحرونها الرتيبة الكبيرة، قد حزننها من عهد عطونه تهادياً لا خصوصاً. وظلت، هي نفسها، أن ميرماندا لم تعود بعد إلى تلك الآلة الموسيقية، التي صارت الرهبات أنفسهم يعبرها من آثار المتاحف. ولكنها ما لبثت أن اكتشفت خطأ. فلم بعد أمها تكتفي بتزيم نصف سكان البدة في الحفلات الموسيقية، التي كانت تقبها في الصالة، ولا بسمهرات الإحسان، ولا احتفالات لمدرسية، والميرجانات الوطنية التي نظم في ماكورسو، بل تجاوزت ذلك إلى دعوة كل مادم جديد كانت تقترض أنه يستطيع تقديم مواهب مبتها

وبكس، بعد موت المفيد أوريليو بويدي، وإعلان فترة الحداد في الدار، استطاعت ميمي أن تعلق آلة الكلافسان الموسيقية القديمة، وأن تحييها انفتاح في إحدى الخزائن. ومندت بم تكلف ميرماندا نفسها عشاء

البحث عنه أو الزوال عن أنصاعه

لقد احتملت ميمي كل تلك المظاهر بصبر صوفي غير محدود، مثلما أحصلت فترة الدراسة. ولكن ثمن ذلك كان حريتها. وقد رعبت ميرماندا عن تهذيبها، وسرها الإعجاب الذي كان يبعثه فيها في الناس، فلم تعد تعارض في مدم صوحياتها إلى الدار، ولا هي أن تقضي ما بعد الظهور في العابة، أو أن ترض أوريمياتر الثاني، أياها، إلى السيماء، أو لبراره الساء اللواتي كانت تن بهن، شريطة ألا يكون فيم السيماء بما بهي عنه لأب أنطونيو بيرابيل من على مبر الكنيسة في الصلاة

وفي تلك اللحظات المريحة، كانت تسبذ أدواق ميمي وملاحم زهور. فقد كانت معادتها تساقض مع النظام الصارم. كانت تنطلق في الحفلات الصاخبة، وفي أحاديث الحب ومصصه، وفي الاجتماعات السرية الخاصة بين الصواحب، حيث يتعلم التدجين، وتتحدث عن أمور الرجال وأنسائهم، وصادف مرة أن شططن فجور لمعقول، إذ شرعن ثلاث رجالات من مشروب الروم الكحول، ثم نعرن ورحن يقارن بين أجزاء أجسادهم. ولم يس ميمي، طوال عمرها، تلك الأمسية، حين عادت إلى البيت، وهي تضع عيدان المسوم، دون أن يحنظ أحد تعبير سحتها. فعلت إلى لئلتة، وكانت هناك أماراتنا وميرماندا تناولان الطعام دون أن تكلم إحداهما، لأخرى.

وكانت قد أنصت ساعتين وهيتين في عرفة يوم صاحبة بها، تكي وتصحك. ومن وراء الأكمة كشفت ما كان يتعصم من الشجاعة، كي تهرب من المدرسة الداخلية، وتقول لأمها، بطريقة أو بأخرى، أنها تستطيع أن تضع آلة الكلافسان في شرحها

كانت ميمي جالسة إلى طرف لئلتة، تتناول حساء الدجاج، وهو يرل إلى معدنها كأنه أكبر معشر، عندما اكتشفت أماراتنا وبرسانا وما

خودهما من هالة الواقع التي تعصمهم وقد بلغت جهداً كبيراً، وهي تحاول كبح عاصف نفسي لا توجههم به كانت تطويها عنده من الصنعة والتكتم، وفقر الروح وجنون العظمة

كانت تعرف، منذ عطلتها الثانية، أن أباه كان لا يعيش في البيت إلا عرجاً على المظاهر ونتيجة معرفتها بعيرندا، أمها، وبعد أن قابلت بيترا كوتيس بنفسها، توصلت إلى أن أباه كان على حق ولكن كانت، هي نفسها، تفصل أن تكون ابنة الحضية. وكانت ميمي ما تزال تحت تأثير شوة الخمر، فعكزت بالعضبة التي يمكن أن تثيرها لو أنها عبرت بصوت عالٍ عما كان يدور في خيالها. وقد بدا أثر ذلك كله عليها، رغباً جلياً، حتى إن ميرندا، لاحظت ما كانت عليه، فسألته:

« ما بالذ؟ »

فأجابت ميمي:

« لا شيء. كنت فقط أئين مقدار حبي لكما كليهما.

وقد دمرت أمارانت من شحنة الحسد الواضحة في إعلان ميمي وضطربت ميرندا، حتى خيل لها أنها سوف تُجرى عندها استمناقت ميمي في منتصف الليل ورأسها يكاد يتشظى من شدة الألم. ثم تقبّلت سبلاً أصغر كاد يحرقها، فأعفتها أمها رجاجة من زيت الكاستور، وغفلت لها نطها بمصفاة، وعمرت رأسها بأكراس الثلج، وقرصت عندها الحمية، وعزلتها عزلاً تاماً خلال خمسة أيام. ثم استدعت لها طبيباً فربما حديثاً غريب الأطوار.

وقرر الطبيب، بعد فحص دام ساعتين، قراراً حلاصته المبهجة السديمة أنها مصابة بأحد الأمراض النسائية العربية، وتحدث ميمي عن شجاعتها، وانتابها حالة يأس حورية، ولم يكن أمامها إلا أن تلود بالصر تحت وطأة الألم ولكن أروسلوا، وهي، على الرغم من عجزها السام، كانت ما

تزال بشيطة الإدراك، وقد توصلت إلى التشخيص الدقيق لحالة ميمي، وقالت:

« يبدو لي أن ما حدث لها هو ما يحدث للسكارى. ولكنها ما لبثت أن طردت تلك العكرة من ذهنها، ولامت نفسها مجرد التفكير بهذه الأفكار النافثة.

وشعر أوريليانو الثاني بتأنيب الصمير عندما رأى ميمي، بما كانت عليه من ضعف وعاهد نفسه على الاهتمام بها في المستقبل وهكذا، شأت بين الأب وابته علاقة صديقة صريحة مرحة، حرره من وحده الحملات لمة القاسية، وحررتها من وصاية فيرماندا، التي كادت تتحول إلى أزمة عائلية لا مناص منها. وأرجأ أوريليانو الثاني جميع التزيمات، نكي يواظب على صحة ميمي، ويرافقها إلى السينما أو السيرك. وكترس لها معظم أوقات فراغه

وكان أوريليانو الثاني قد بدأ في العترة الأخيرة يصرع من يداته وسمته المترابطة، حتى بات لا يقوى على ربط شريط حدائه ومالت مبالته في التلذذ بالأطعمة المختلطة إلى حمن طبعه نرفاً ضيقاً ولكن اكتشافه لاشته أعداء إليه مرحة القدم، وأبعدته صحبته لها، تسرياً، عن متابعة لذاته. ثم بلغت ميمي العمر الذي تفتح فيه أرواح المعتاة

ولم تكن ميمي جميلة، كمد تم تكن أمارانت في صباها ولكنها كانت مرحة جسدية، تزور في الآخرين تأثيراً جليلاً، لأنها كانت بسيطة غير معقدة. وكانت طريقة تفكيرها حديثة تصدم وقار فيرماندا وحشمتها التقليدية. ولكنها، مع ذلك، كانت تعج في أوريليانو الثاني خير منه لها. فهو الذي قرر أن تغادر غرفة النوم التي كانت لها منذ طفولتها، بما فيها من ثنائيل لتقليد بهم عيون متوحشة تركي فيها محاور الشباب وأثت لها غرفة جعل لها فيها سريراً كسري الملكة ومرة رثة عريضة،

وستائر محمولة، دون أن يمرى أنه كان يشيء نسخة عن غرفة بيترا كوتيس.

وكان كريماً مع ميمي، فلا يعرف كم كان يعطيها، لسبب بسيط، وهو أنها تأخذ من جيوبه ما تريد. وكان يحيطها بكل أدوات الرقة ويستحضراتها التي كانت تصل إلى ميمارن شركة للوز. وحفظت غرفة ميمي بقطع من حجر الخفاف لتجميع أطفالها، ومجموعات الشعر، وفراشي الأسنان وميضاتها، والفطرات التي تفتت العيين، والكثير من مواد التجميل والتجميل والدهون الجديدة.

ودخلت فيرماندا غرفة ميمي، فذهقت عذى اكتشفت أن راية ثرين ابسها ومراة ريتها شيعتان تماماً بما لدى السيدات المربيات. وكانت فيرماندا، في تلك الأيام، تزوج ونسها بين طعتها الصغيرة أمارانا لورسولا، التي كانت علية، وبين الرسائل المؤثرة مع أهباء غير معروفين. وقد تبست التفاعم القاتم بين الأب وابته، بدت كل جهدها حتى انتزعت منه وهذا بالأا يصحبها إلى بيت بيترا كوتيس. ولا شيء غير ذلك.

ولم يكن لذلك الوعد والطلب أي معنى، لأن العظيمة كانت تشعر بأشد القلق من تلك الصحبة الوطيدة بين عشيقها وابته، حتى باتت لا تطيق ذكره. فقد كان هناك نوع من الحرف الغامض يعذبها، فكان غريرتها جعلتها تدرك أن إشارة من أصبح ميمي الصغيرة كانت كمينه بأن تمكنها من الوصول إلى كل ما لم تستطعه فيرماندا فتعمر بذلك حباً خائلاً دائماً ما دامت على وجه الحياة.

وحد أوريليانو الثاني نفسه، للمرة الأولى، بتعرض لعناد بيترا كوتيس، ولاحتفال سموم محبتها حتى دت ياوره خوف شديد من لد نرد صديقه، التي جلبها من بيته، إلى بيتها ولم يحدث

ذلك، لأنه ليس من امرأة كانت قادره على معرفة رجل مثلاً عرفت بيترا كوتيس عشيقها. وقد كانت تدرك أن الصديق يمي أن تبقى حيث هي، لأن أوريليانو الثاني كان لا يكره شيئاً كرهه لنقل الأمعة، الذي كان يعقد حياته. وهكذا بقيت الصديق في أماكنها وعمرت بيترا كوتيس على استرداد الروح، فشحدث سلاحها الوحيد الذي لا تستطيع أبته استخدامه معه.

ولم يكن سعى لذلك الجهد أي معنى، لأن ميمي لم تكن معمة بالتدخل في شؤون أبيها. ولو أنها كانت مهتمة بذلك فكان تدخلها الصالحة محظية، وهي لا تكذب مجد من الوقت ما يكفيها لنفسها، فكيف تضيقه في زواج الآخرين. فقد كانت تكسر غرلتها نفسها، وتسوي سريرها كما علمتها الرهيات. وكانت، في الصباح، تهتم بشيائها، فتجلس في الشرفة للتطير، أو تحيط مستعمدة آلة أمارات القديمة ذات بيد لمحيطة. وكانت، عذى يقبل الآخرون، تنسج ساعتي على آلة الكلايمان الموسيقية. فكانت تهده التضحية اليومية منها مريح نفس فيرماندا وأعصابها. ولهذا السبب ذاته، ظلت تعرف في المناسبات، والاحتمالات الكنسية، ولأمميات المدرسية، وإن كان الطلب عيب قد فن في الآونة الأخيرة. وكانت، بعد الظهور، تسري قبلاً، وتيس ثباتاً بسيطة، وتحثدي حذاءها الصلب، وتذهب لزيارة صديقاتها، إذ لم يكن لديها ارتباط مع أبيها، فتبقى معها حتى وقت العشاء. وعندئذ يصل أوريليانو الثاني، إلا في حالات نادرة، يعضطجها إلى السبا.

كانت من صويحات ميمي ثلاث فتيات أميركيات، تحكّن من حرق السياج المكهرب الذي كان يحيط بمجمع سكنهن، وأنشأ علاقات صداقة مع بات مأكولكو. ومن هؤلاء باتريسيا براون. وقد فتح السيد براون أبواب بيته لميمي، اعتزافاً به بكرم الأوريليانو الثاني وحسن ضيافته.

له، في الحفلات الوحيدة التي يقبل الأميركيون الاحتلاط بهم، بالسكان الوطنيين. ولما علمت فيرناندا بالأمر سبت طفلتها أمارتا لورسولا والأطباء الخفيين، وأقامت الدنيا وأقعدها. وكان مما قالت لمي.

- فكري بما يمكن أن يفكر فيه العقيد في قبره. وكانت ترجو بذلك أن تدعمه لورسولا في موقفها. ولكن المجور العمياء رأت، خلافًا لما توقعه الآخرون، ألا مانع من الذهاب بمي إلى الحفلات الرفيعة، وإقامة علاقات الصداقة مع من كن في عصره من الأميركيين، ما دامت تحافظ على عاداتها السويدية، ولا تتحول عن مدعها إلى البروتستانتية.

وأدركت مي رأي أم جدها، الأول تمام، فكانت في الصباح التالي بكل حجة تستيقظ أكثر من عاداتها، وتذهب إلى الكنيسة لفصلاة. ولكن فيرناندا اشتفت في معارضتها للأمر، حتى اليوم الذي أبلغتها فيه مي أن الأميركيين يحبون أن يستمعوا لعزفها على آلة الكلافسان الموسيقية عندها، وهدم فقط، استسلمت فيرناندا، واقتضى ذلك أن تخرج آلة الكلافسان من البيت، وتنقل إلى بيت السيد براون. وهناك قارت العارفة الشابة عاصمه من التعصيق والإعجاب الصادق، والحماسة والتهاني. وعلمت صارت تدعى، خلال حفلات الرقص، إلى السباحة يوم الأحد في المسبح، وإلى العشاء مرة كل يوم جمعة.

وتعلمت مي السباحة حتى عذت بطله فيها، وتعلمت لعب التنس، واعتادت أكل لحم حريز مرجسيا مع شربات الأنانس. وبن حفلات الرقص والسباحة والتنس، وجدت مي نفسها مدمجة في الفعة الإنجليزية، واشتدت حماسة أوريبانو الثاني وإعجابه بنجاحه، وتقدمها، فاشترى لها، من بلع متجول، موسوعة (انسكلوبيديا) إنجليزية، من ستة أجزاء، حافلة بالصورات الملونة. فحكمت مي على المطالعة فيها في ساعات فراغها. وحدث القراءة لديها محل الاهتمام

الذي كانت تبذره، مع صويحياتها، بقصص الحب وتجاربه وجراته في حنوتهم الصغيرة. ولم يكن ذلك لأنه نظام عرض عليها، بل لأنها فقدت الاهتمام بمناقشة تلك الأمور التي كانت شائعة بين الناس عامة. وتذكرت حادثة سكرها مع صديقاتها، وبظرت إليها كمعاصره طعولية مضحكة وروتها لأبيها، الذي رأى فيها حادثة هزلية مسية أصحكته أكثر مما أضحكتها. وقال لها وهو يمزج كلامه بالضحك.

- آه، لو علمت أمك بذلك.

كما كان يردد دائماً، كلما أخبرها مسراً من أسرارها بشيء من الثقة. وقد جعلها تعد بأن تعضي إليه يامر أول علاقه غرامية لها فأحبرته بأنها تستلطف شاباً أحمر الشعر، أميركياً شامالياً، كان قد جاء لقضاء عطلة مع والديه. فقال لها أوريبانو الثاني ضاحكاً:

- يا لهول، لو علمت أمك بذلك!!

ولكن مي أضافت أن العشي قد عاد إلى بلده، ولا تعرف عنه شيئاً. كانت رجاحة عقل مي في تزامن هدوء البيت. وباء على ذلك، جعل أوريبانو الثاني يحضن وتناً أطول لبشر كوتيس. ولم يكن يصعب أية فرصة لإقامة حفلات، ولو أن روحه وبذره لم يعودا على ما كانا عليه، ليعامض، من القوة، مما كان يقلل من فرص استمتاعه كالسابق. وكان، في مثل هذه المناسبات، يخرج الأكورديون من محبته، على الرغم من أن بعض أحراره كانت قد بليت، منبطها بأشرطة خذاته. وكانت أمارتا تترام في البيت، تطرد كمها الذي لا ينتهي. واستلمت لورسولا للمحرم، وهو يدفعها إلى قاع الظلمة، حيث لم تعد ترى سوى شبح خوريه أركاديو موبدا تحت شجرة الكستاء. وكانت فيرناندا توطئ سبطاتها شيئاً شيئاً. وكانت وسافها الشهيرة إلى أنها، خوريه أركاديو، لا نقل شيئاً من الكذب ولكنها تبعت معه

التكتم بشأن رسائلهم إلى الأباطرة ليهوئيل، الذي شخصوا وجود وهم جيني بحيث في معيها التعليق، وكانوا يهيشونها لإجراء عملية تخاهضة (١)

صار من الممكن القول إن السلام والسعادة قد ساءا، وسيخيمان لمدة طويلة في بيت آل بوينديا المتعب، نولا موت أمركت المفجئ، وما حليه معه من هياج وإفلاق جنديين. فلم يكن أحد يتظر ذلك الحدث وعلى الرغم من أنها كانت في شيخوختها معروفة من الناس، فكانت ما تزال تبدو قوية حارمة مستقيمة القوام، لها صحة كأنها هي الصخر الصلب، كما كانت دائماً

لم يدر أحد ماذا كان يدور في فكرها، منذ أصبل ذلك اليوم الذي رفضت فيه نهائياً طلب العقيد جيريسندو ماركيز، الذي جاء يحطب ودها، ثم حبسها معها تبكي وحدها. وطلب على تلك الحال حتى استسلمت من ملقيها بدموع وهي لم تيك يوم صعود ريبيديوس الجميلة، ولا يوم مذبحة لأورليانو، ولا حتى يوم موت العقيد أورليانو بوينديا، وهو الذي ما أحببت أحداً مثلاً أخيه في الدب. وقد كان حبها به حياً سم تعبها هي مصها إلا حبسها شاهدت جثمانه تحت شجرة الكستة. فصادت في رفع جسده، وألسته حلة الحارب، وزنته، وحلقت له لحيته، ومرتحت شعره، ودهنت شاربه وعففته بعناية، لم يعرفها هو في سنوات عمره ومجده. ولم يعتقد أحد أن ذلك كله كان يذامع الحب. فقد اعتاد الناس من أماراتا خيراتهم الرهيبة بطقوس الموت والجنائز. وما كان يعيظ فيرباندا فيها أنها كانت تجهل علائق الإيمان الكاثوليكي بالحياة، ولا تعرف منه إلا ما كان ذا صلة بالموت. فكانه لم يكن عليها دناء، بل احتفال جمائزي.

(١) Telepathy، التصطر وهم اتصال عقل بأكثر طريقة ما نخرجها من اللزوم

والوديع أن أمارات كانت عارفة في حرائر ذكرياتها، فلا يتسع وقتها معهم دقائق لطلق الديني. وقد سمعت الآن أولد الصبر، وما يزال حبيب وشوقها على أشدهما. فكانت كلما سمعت شيئاً من أخوان بئرو كريسي، شعرت بالحاجة إلى البكاء، غاماً كلما كانت تشعر رمان شبها، حتى نكأن السنين مرت بها دوراً ثائبر، وكذلك كانت حال الحشرات والألام. وقد كانت ملهات الموسيقى التي ألقت بها، بعضها، فوق المرنبة يدعوى تعفها بالطرونة، ما ترون تستأثر يذكرتها، كأنها تدق في رأسها بمطروق صغيرة لا تتوقف. وقد حاولت أن تعلمس كل تلك الذكريات بعد طعنها الموحلة المعاصرة، التي سمحت لنفسها بها، إزاء ابن أخيها أورليانو حورويه، كما حاولت أن تعود بحمالية العقيد جيريسندو ماركيز القوية الهادئة، ولكن ذلك كله ذهب أذواح الرياح. ولم يتحج في كست ذكرياتها حتى لحوقها إلى أمر تمثل فيه دورة الشبحوحة الباتسة، حين كانت تمثل حورويه أركادير الصغير، قس سمره إلى اللير بثلاث ميسر، فجعلت تعبت به ومداعبه بطريقة لا تداعب بها الحدة حميلدها، بل بالطريقة التي تصرف فيها امرأة مع رجل، كطريقة السيدات الفرنسيات التي كان الناس يحذنون عنها. وهي الطريقة نفسها التي طال اشتهت أن تعفها مع بئرو كريسي. عندما كانت في الثانية عشرة أو الربعة عشرة من عمرها، وخصوصاً عندما شاهدته يرفض يبطاله الضيق، ويدوح بعصاه السحرية صابطاً إيقاع الموسيقى.

كانت أماراتا تتعذب أحياناً من أنها تلعف وراءها اليوس والشقاء، وتألم أحياناً أخرى بسبب وخرها أصابعها بالإبرة. وكانت كلما ازدادت أماً ازدادت غضباً. ففكهاأت إلى المرأة من الأحرار التي خلفها ذلك الحب العطر، المنقش، الذي كان يسحبها وراءه حتى الموت.

وكم كان العقيد أورليانو بوينديا يفكر في الحرب، ولا يستطيع أن

بمساهد، كذلك كانت أماراتنا لا تستطيع إلا أن تكرر في روبيكا ويسا استطاع أسوها أن يطمس بعض ذكرياته، لم نجد هي سبيلاً إلا لإدراكه من ذكرياتها فكانت تدعو الله، في السنين الأخيرة، أن يجيها أمراً واحداً، هو عقاب الموت قبل روبيكا، وكانت كسب مَرَّت أمام بيتها، وشهدت تمادي خراب فيه، شعرت بالسعدة نظراً إلى الله يستجيب لدعائها وقد كانت دت يوم تحيط، وقت الأصيل، في الشرفة، جدها الحبيب يقف، يضغطه، إلى أنها سوف تسمع قريباً بيا موت روبيكا، بينما هي جالسة في مكانها، وفي وضعها ذاته، وفي ضوء الأشعة نفسها ومكانها في مكانها حالة تتنظر كمن يتنظر رسالة ومربها وقت كانت خلاله تقطع أزارار ثيابها كي تحيطها من جديد، كي لا يجعل التوقف عن العمل انتظارها طويلاً ممصاً

ولم يلاحظ أحد في الدار أن أماراتنا بدأت منذ ذلك اليوم تحوكم كفتاً جميلاً لروبيكا وعندما روى بها، أوريلى، نو ترست (الخرس)، فيما بعد، كيف تسكنت حال روبيكا، فبدت شيئاً تفصح جلده، ولم يتق على جمجمته سوى يقلي حصل قلبية من الشعر، لم تستغرب لأن تلك الصورة التي وصفتها تشبه تلك التي كانت تحيلها منذ زمن وكانت قد حرمت على أن تحفظ جثمان روبيكا وأن يحمي نجاعيد وجهها وتغصانها بالدهون، وأن تضع لها شعراً مستعاراً من تماثيل القديس، لقد قررت أن تجمل جثمانها، وأن تضعها في كفن من الكتان، في عشر مبطن بالقطنية له إطار أرجواني، ثم تنقله في جنازة مهيبه رائعة، لتضعه من بعد تحت تصرف دود القبور.

لقد وضعت الخطة بحقد ليس له مثيل، حتى إنها أصيبت بالقشعريرة عندما سألت نفسها ما إذا كانت تستطيع أن تضع مثلها عن حب، ولكنها لم تسمح مثل تلك الأفكار بأن تجعلها تتخبط في خطتها أو تترجع عنها

من عمدت، عوضاً عن دت، إلى الاهتمام بتفاصيل الخطه ودلائقها، حتى إنها لم تصح اختصاصية، وحسب، بل فنانة حقيقية في طقوس الموت وتقاليده الجنائز

أما الأمر الوحيد الذي لم يفكر فيه، ولم يحظر لها عنى بال، في حفظها الرهبة فهو أنها يمكن أن تموت هي قبل روبيكا على الرغم من دعائها وصلاتها سرب وكان ذلك ما حدث فعلاً ولكنها، في لحظاتها الأخيرة، لم تشعر بالإحباط، بل، على العكس من دت، شعرت بالتحور والخلاص من كل مرارتها، لأن الموت قد منحها اعتباراً للإعلان عن نفسه لها من موعده سجين فقد رآته في عصر يوم شديد الحرارة، يحيط معها في الشرفة، بعد رحيل مبني إلى المدرسة بتقدير وقد رآته وعرفته، لأنه كان على هيئة امرأة ترتدي ثياباً رفاه، ولها شعر طويل، وتبدو بهيئة عتيقة، وتشبه إلى حد ما صورة بيلا تيرير، في العهد الذي كانت تعمل فيه في المطبخ وقد صادف، في مرات كثيرة، أن كانت فيرناندا حاضرة عند ذاك، ولكنها لم تره قط، على الرغم من حقيقة كونها واقعية ودات طسعة إنسانية، حتى إنها طلبت من أماراتنا، مرة، أن تعبر لها الحيط في إبرتها.

ولم يحدد لها الموت موعد موته، ولا ما إذا ساعة وفاته سوف تحيى قبل ساعة وفاة روبيكا ولكنه أغمضه بأن تبدأ بإعداد كفنها عند اليوم السادس من شهر نيسان (أبريل) التالي وأذن لها بأن يكون الكفن بالصورة التي تختارها ربة وجمالاً، وأن تسمى بتفصيله عنايتها بتفصيل كفن روبيكا وأحبرها، أيضاً، بأن موته سوف يكون دون ألم ولا تعب ولا مزاوة، وسوف يحدث عند هروب شمس اليوم الذي تفرغ فيه من خياطة كفنها

واجتهدت أماراتنا أن تطير الزمن ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً

وأوصت على خيوط من الكتان في منهي الدقة وعزلت الخيوط بنفسها وأسمرت في العناية بالعملية الأخيرة، حتى جعلتها تدوم أربع سنوات بدأت بعدها بعملية التطهير وبالقصر الذي كانت تقترب فيه العملية من نهايتها، كان إدراكها يرداد بأن معصرة وحدها يمكن أن تطل أمد عملها إلى ما بعد موت روبيكا ولكن تفكيرها منحها نوعاً من الهدوء الذي كانت تحتاحه، جعلها توهي النفس على قبول ذلك الاحتمال وعندها أدركت معنى حقيقة الأسماء الذهبية الصغيرة المنوعة المزرعة، التي تقوِّع ليها العقيد أوريلينو بونديا فتوقف العالم على ظاهر جفنها، بينما تحور باطنها من المروءة كلها

وقد تأملت أماراتا طويلاً، حتى تجلّى لها ذلك الكشف كان باستطاعتها، من قل، أن تنقي ذكرياتها، وتعيد بناء عملها تحت شمس أخرى، فتستعيد، دون أد تصاب بالفشعريرة، رائحة الخزامى المسالية بستر كريسبي، وتحرر روبيك من العذاب الذي تصطلقي به، لا عن حب ولا عن حقد، بل نتيجة للإدراك العميق غير المحدود لأبعاد الوحدة لم تضطرب للعقد الذي لحته، ذات مساء، في عارة ميمي، فلما منها أنها تعنيها، بل لأنها اكتشفت، فجأة، بأن شبيب يعود إلى صورة أخرى، لا تختلف براءة عن صورتها هي. فهي تشبهها أيضاً في أد الصقينة أفسستها ولكنها صمعت، بكل قواها، على أن تتبع قدرها، فلا تتعذب نتيجة لإيمانها بأن كل عودة إلى الماضي مستحيلة، وبأن تفريغ الماضي مستحيل وبأن هدها الوحيد أن تكمل كمنها، بدلاً من تأخيرها بتفصيل لا لزوم لها، كما كانت تفعل في البداية فأسرعت بالعمل وقبل أسبوع من الموعد الذي حيث أنها ستصنع فيه آخر غررة، في ليلة الرابع من شباط (فبراير)، ودون أن تدرك عن الدوافع والأسباب، أوحى لميمي أن تدرك من موعد حملة حرف على آلة الكلافسان الموسيقية، تنظم

في اليوم التالي بعدك التاريخ، ولكن الفتاة لم تصغ لها وعندها بدأت أمارات تبحث عن طريقة تفرج بها الموضوع لثمان وأربعين ساعة وقد حسبت أن الموت قد امتحان لرغبتها لأن عاصفة قد ثارت في بية الرابع من شباط (فبراير)، فحطمت محطة الكهرباء

ولكنها في اليوم التالي، وفي الساعة الثامنة صباحاً، حاطب أحر غررة، في كمنها، الذي بدا كأجمن قطعة فيه صمعتها امرأة، ثم أعلنت، دون أي حزن أو تمثيل، أنها سوف تموت مع غروب الشمس. ولم تكتف بإعلام أفراد الأسرة بذلك، بل أخبرت البلد بأكملها، ذلك أن أماراتا كانت تظهر أنها بذلك إنما تصنع سلوكها السابق، في حياة الدماء التي عاشتها فهي الآن تقدم خدمة أخيرة للناس، معتقدة أنها أفضل من يؤديها، وهي أن تنقل الرسائل إلى الموتى.

وقبل أن ينتصف النهار، كان قد شاع في كل أرجاء ماكوندو أن أماراتا بونديا سوف ترحل عن هذه الدنيا مع غروب الشمس، وأنها سوف تحمل معها بريد الموت. هذا حالت الساعة الثالثة من بعد ظهر ذلك يوم، حتى كان في قاعة البست صندوق كبير مملوء بالرسائل أما الذين أثاروا عدم الكتابة فقد حملوا أمارات رسائل شعوية، سجلتها في دفتر لملاحظات، فأكرة مع كل رسالة اسم المرسل إليه وتاريخ وماتته. وكانت تتخاطب أصحاب الرسائل، يهدوه قائلة لهم

- لا تفقدوا - فأول عمل سأقوم به عندما أصل إلى هناك هو البحث عن صاحب الرسالة، ونقل رسالتكم إليه وكان ذلك كله يبدو على شكل تحذير هزبة ساخرة، ولم يد على أماراتا أثر للقلق ولا شيء من الألم. كل ما بد، عليها أنها كانت تقوم بواجب أحته، فأعد إليها ذلك بعضاً من شباطها.

فقد ظلت نامتها مشوية ورشيقة ولولا تنوء وجنتيها، بشيء من

الفسوة، وبولا فقدمها معصر أسنانها، فكانت هيئتها تعكس ما أصغر
من منها الحقيقية بكثير

لقد حرصت على أن موضع الرسائل في صندوق محكم لإغلاق،
مطلبي ومحتوم، وأمرت بأن يوضع في قبرها بطريقة تجمعها في سائر عن
الرواية وفي الصباح، رآها البحار الذي أحد يأساتها لصبح العيش،
ييسا كانت منتصبة في قاعة لاستقبال وكان الأمر لخطاظة ثوب جديد
وود عادت إليها دياميثها القديمة، وانتعش نشاطها، في مساعدتها
لأخيرة، حتى حسب فيرلاند، أنها إن كانت تصغر من الناس

أما أورسولا فلم تثبت قط في أن أمارانتا قد حادها الندير بالموت، فقد
عرفت، من تجاربها وحيرتها، أن كل بويديا لا يموتون من مرض ولكنها
حشيت، عند كثرة الرسائل، أن يذهب السلس حية، في حماستهم
وغلوائلهم لعل رسائلهم تصل إلى ذويهم سرعه ولهذا طالبت بإحلاء
البيت بإصرار وواحد تصبح بالداخلين المتطفلين ولكنها لم تفلح في
إحلاء البيت حتى الرابعة من بعد الظهر وفي تلك الساعة، خرجت
أمارانت من توريغ ثيابها على العفراء، ولم تترك فوق معشها الخشبي غير
لكنحل سري غيار واحد تبدل به ثيابها واحداً المصلي البسيط الذي
اختارت أن تختديه في الموت. وقد اهتمت بهذا الأمر الأخير، لأنها
تذكرت أنهم اضطروا لشراء حذاء جديد للعقيد أوريليانو بويديا عند
موته، لأنه لم يكن يملك ما يخلده غير الحذاء الذي يسه في مشهه

وقل الساعة الخامسة بقبيل، وحس أوريليانو الثاني، ليضطحب مرمي
إلى الحصة الموسيقية فوجيء عندما رأى «مار» وكأنها تستعد لعملية
الدمس فقد كانت أمارانت تبدو، في تلك اللحظة، أكثر الناس حيوية
وصفاء، حتى اتسع لها الوقت لمحاولة اقتلاع ثيابها واستادبها أوريليانو
الثاني وميمي وودعاهما، وهما مضحكاه، ووعدها بأن يقيما حفلة كبرى

يوم السبت القادم، بحسبة يامنها

وناهب الأخير إلى لأب أنطونيو إيرابيل بأن أمارانت سجل الرماثل
إلى ابني، فحضر في الساعة الخامسة تماماً ومعه القريد المقدس
وانتظر نحو ربع ساعة وشهد مخرج من سموم من موضع الاستحمام
ولكنه عندما رآها مخرج إليه بقيص يوم من القطيعه، وقد أمدت
شعرها على كتفيها، حسب اختوري المحبور امسكين أب القوم، في كانوا،
يهرؤون به فأعاد صبي أجوفه من حيث أتى ولكنه فكر في أن يشهر
بأسه. فبجعل أمارانت يعترف الآن، بعد أن رفضت لاعتراف طوال
عشرين عاماً، ولكنها كتبت بالقول بأنها ليست بحاجة لأي عون روحي
ما دام وجدانها نظيفاً

«غضب فيرلاند، وساءلت بصوت عال، وكأنها أرادت أن يسمعها
الأخرون، عما تكون خطيئة الخيعة التي ارتكبتها أمارانتا حتى بفضل
موت محبة ورجعي على عار لاعتراف وعددك استلقت أمارانتا،
وحملت أمها أورسولا، ندم الدليل العلني على أنها تموت عذرة
فصاحت أورسولا بصوت تسمعه فيرلاند، قائلة :

دعاً للشبهة والرهيم عند أي من الناس، إن أمارانتا بويديا تعاد هذا
العالم كما جاءت إليه

لم يهني أمارانتا بعد ذلك من ردها ظلت مصطحبه على لأرائك
كأنها مريضة فعلاً ضمرت شعرها الطويل جدائل لعتها حول أذنيها،
تماماً كما أمرها لموت أن تفعل من أن تحل في العيش وطيب من
أورسولا امرأة، وشاهدت وجهها للمرة الأولى بعد ثبث وأربعين عاماً
فراحت وجهاً قد عثره العمر وبذلكه أدمعاه وعجبت لمقدار الشبه بين
وجهها والصورة الذهبية التي كانت له في خيالها ثم أدركت أورسولا،
من انصمت الذي غييم على عرفة الروم، أن الظلام قد حل، فحاطبت

- ودعي فيرماندا هدية من الصلح والصفى جبر من عمر من الصداقه

وأجبت أماراتنا

لم يعد لحدث مع الآن

لم يسع ميمي إلا أن تفكر بها عندما أصيبت الأوتار على المسرح المخذ، وبدأت تقسم الثاني من البرنامج وعند منتصف المقطعة الموسيقي، أصرت شخص منها، وهمس في أذنها الخمر، فتوقعت الحفلة واضطر أوربيانو الثاني إلى أن يدفع الناس، يسبق طريقه بينهم حتى إذا وصل شاهد جسمان البتول العجوز، عجماء، قد تسك لومها، وما يزال الرباط الأسود على يدها، وقد لفتت بكميم الرائع جمال وكانت مسجاة في قاعة الجلوس، بجانب صندوق الرسائل

ثم تنهض أورسولا من سريره ثانية بعد انقضاء الديالي التاسع حداً على أماراتنا. وكانت سالت صونيا (التقية) تعنى بها فتأتيها بوجبات الطعام إلى غرفة نومها، ويضاء انعطاف لتعنى به، كما كانت تطلعها على آخر الأخبار في ماكويديو وكان أوربيانو الثاني يروها، حاملاً إليها الثياب. فتضعها إلى جانب سريرها، مع الأشياء التي تلمها في حياتها اليومية، حتى استطاعت، خلال فترة قصيرة أن تكون لنفسها عالماً خاصاً بها في متناول يدها واستطاعت أن تستثير محبتها الشديدة في أماراتنا أورسولا الصغيرة، التي كانت تشبهها إلى حد كبير، والتي علمتها القراءة

كان وضوح دهي أورسولا، مع مهارتها في قضاء حاجاتها، يجعل الآخرين يعتقدون أن أعباء عمر اثنة عام قد همت كيانها، فضعف بصرها، ولكن أحداً لم يضر بالحظة واحدة، أنها كانت عمياء تماماً

وكانت أحوال نتي بلعتها تمنحها منسجاً من الوقت، والهدوء، وانصمت الداخلي، يمكنها من مراقبة حياة البيت. فكانت أود من ثمة إلى حزن ميمي الصامت. وقد قالت لها مرة *

- تعالي إليّ فما دنا وحيدتين الآن، أرجو أن تمرني لهذه معجوز انسيكية بما يزعجك

ولكن ميمي تحدثت من الحديث بصحبة قصيرة ولم تدع عليها أورسولا، ولكن ضلونها كانت صحيحة، لأن ميمي لم تعد إلى زيارتها كانت تشعر أنها تنهياً لمخروح قبل أن يبعين موعداً، ولأنها لا تستطيع الهدوء، لحظة واحدة، في انقضاء أودع الذي مخرج فيه، وأنها كانت تقضي ليالي يحنها وهي تنفس في مراثيها في العرفه المجاورة، وأن الخفيف الصادر عن طيران فواشة واحدة كان كدياً تآريتها وسمعتها ذات يوم معنى عن خروجها من البيت ليندها إلى أبيها، أوربيانو الثاني وعجيب أورسولا بصعف فأكره فيرماندا وتفكيرها، عندما لم تثبت في الأمر حين وصل زوجها إلى البيت يسأل عن اسمه فقد كان واضحاً أن ميمي كانت واقعة في دوامة من المشكلات والأسرار، تفصح ذلك كله لمواعيد السريعة، والقلق الوصيح غير المكتوم، وقد برز ذلك كله ليل المساء الذي قلبت فيه فيرماندا البيت رأساً على عقب، لأنها شاهدت ميمي تقبل رجلاً في السيماء.

كانت ميمي مطوية على ذاتها، ووصل بها الأمر إلى الحد الذي اتهمت به أورسولا بالوشاية بها والواقع أنها هي التي وثت بعسها فقد كانت، في العشرة الأخيرة، تلحف وروها من الآثار الدالة على سلوكها ما يدع أنظار العائدين. ولم تأسر فيرماندا، هذه المرة، في اكتشاف أمرها، إلا لأنها كانت مهككة بملاقاتها مع الأطباء المجهولين، وعلى الرغم من ذلك، لاحظت صحت استهت العميق، وأربماشاتها

المعاجزة، وترواوت عصبها وتناقضاتها الكثيرة.

بدأت فيرماندا تزدب ابتهاجاً مريباً شديداً - وسعحت بها بالذهاب إلى بيوت صديقاتها القديمت، وساعدتها في ارتداء ملابسها للحدائق السبت المساهرة - وقررت ألا توجه إليها أي سؤال يحرجهما ثم جمعت لديها أدبه كثيره بين أن ميمي كانت تعمل غير ما كانت تزعم ولكنها لم يسح بشكوكها، وانظرت أن تحين الفرصة المناسبة لذلك فهي أحد الأيام ذكرت ميمي أنها ذهبت إلى السينما مع أبيها، ولكن فيرماندا سرعان ما سمعت، بعد ذهاب ميمي، أصوات الانفجارات، التي تعتبر من الاحتمال، صادرة من ناحية ست ستر كوتس، وتباهت إليها موسيقى أغورديون أوربينانو الثاني المعروفة تماماً وهذه ارتدت ثيابها، وذهبت إلى السينما ولدى دخولها تعرفت إلى ابتهاج على الرغم من الظلام الخضم على المقاعد واستشارها الشعور تتحول ظهها إلى يقين، استشارة عالية، حالت دون تميرها الرجل الذي كان يقلل ابتهاجها، ولكنها سمعت صوتها الرجف وميرته من بين قهقهات المجهور وصباحهم الصباح بعد سمعته يقول ميمي

أسف يا حبيتي

فانترعت ميمي من مكثها، دون أن تفور لها كلمة واحدة، وفادتها، وهي تشعر بعارها وحجلها، عر شرع الأثراك المردحم بالناس والمحال بالصخب، حتى البيت، حيث أدخلتها غرفة نومها وأقفلت الباب عليها

وفي اليوم التالي، وفي حوالي الساعة السادسة من بعد الظهر، سمعت فيرماندا صوت الرجل نفسه، وقد جاء يزورها، كان فتى بروني اللون، به نظرة عيوس قائمة، ما كانت لتستعربها لو عرفت العجبر، وكانت له هيئة تغري أبة امرأة - و كان قسها أقل تحجيراً، لأعراها

وأوقعها في الحباث التي أوقع فيها ابتهاج كان يرتدي مرة من كتان قديم، وقد تراكت على حدائه طبقت من الدهان الأبيض، ويحمل بيده دبة خريضة من خش، اشتراها يوم السبت الماضي.

ثم يعرف في حياته الماضية، وربما لن يعرف في مستقبل عمره، حوماً كذلك الذي شعر به في تلك الساعة ولكنه احتفظ برياسة جاشه، وسهر على أعصابه، فطن في منأى من الأفرود

كان يبدو أصل اللبقة لولا بعض العجب والشظف البادي على يديه، وانأكل في أظفيرة، نتيجة لعدم الذي كان يراوله وكان كاهياً فيرماندا أن تمنحه سريعاً حتى تترك أنه عامل يدوي وقد عرفت أنه كان يرتدي أفضل ما لديه من ثياب يوم الأحد النظيفة ولكن جرب شركة امور لا بد أن يكون قد أكل جسد سم تعطه فرصة للكلام، ولم تمكنه من عبور عبة الباب، الذي أغلقت سريعاً لأن العرش لأصغر كان قد صار أمواجاً بردهم قرب الباب ثمهم بالدخول وقالت له

- «بعد من ها - فليس لك شأن لدى الناس المحترمين». كان يدهي موريسو بايلوب ولد وشأ في ماكوسو يعمل ميكانيكياً في شركة المور قبلته ميمي مصدفة حين ذهبت، في أصل أحد الأيام، مع بانريسيا براون، كي تجلب السيارة للشراء في اللعبة انقريه وصادف أن كان السائق مريضاً، وكلف هو بقيادة السيارة يهما - ويومها حققت ميمي رعتها بأخوس قريباً من مقود السيارة، لشهد، عن كذب، كيف تعمل وتسير وقد قام موريسو بايلوب بما لم يقم به السائق الأصل، فعربها بما كانت تريد أن تعرف وقد جرى كل ذلك في المشره التي كانت فيها ميمي تتردد على ست السيد براون - وكان الناس يرون في قيادة النساء بسيارات عملاً غير لائق - ولدت قمت ميمي بالمعروفة النظرية وانقضت بعد ذلك بضعة أشهر دون أن ترى فيها موريسو بايلوبيا

ولكنها كانت، فيما بعد، تستعيد جمال وجولته، وكيف أثر ذلك فيها في أثناء الرحلة. ولم يكن فيه ما يثير سوى حسومة يديه، وقد تمددت إلى ياترب مراد، في وقت لاحق، عن صمها بتطرف في الشعور بالثقة بنفسه حتى درجة العجرفة.

وفي المرة الأولى، بعد ذلك، التي صحبت فيها أياها إلى السيماء، وكان ذلك يوم سبت، رأى موريسو باينوبو يجلس فرياً من مكانهما وقد بدت نظيف الثياب. وقد لاحظت أنه لم يكن يهتم بتبعية القديم بل يدأب على الانتعاش إليهما بين حين وآخر. وكأنه لم يكن يقصد رؤيتهما وحسب، بل أن تدحض أنه كان مهتماً بهما وأزعجها به سريره العفد ذلك. وفي آخر الميم تقدم موريسو باينوبو من أورينيلو الثاني فحياء وقد امتدتحت ميمي من ذلك أن سها معرفة. والواقع أنه كان قد سبق خوريسو باينوبو أن اشتعلت عند أورينيلو ترست (آخرين)، في يديه العمل بالإنشاءات الكهربائية. وقد لاحظت كذلك أن الشاب كان يحاسب أداها محاطة من هو ارفع منه مقاماً، أو موظف لصاحب العمل. وقد بددت هذه الحقيقة الكريمة التي نكها له سبب تعجرفه وتعاليه.

ولم تنح لهم فرصة للاجتماع وحدهما، ولأن تشالام من الكلام ما يجاور فيه الصداق أو مساء، حتى كانت تلك الليلة التي رأت فيها، في ساهها، أنه بعدد من العرق، دوب أن تشعر تجاهه بالعرفان بالجميل، بل بالحن والنعص. فكانت شعرت بأنها قد منحت فرصة كأن يتظرها، يساً كانت تبدل جهدها، بعكس ذلك، لحسب كل من يههم بها من الرجال جميعاً وليس موريسو بسوا بعيداً.

ولذلك اشتد سخطها، ونكها بدلاً من أن ترداد كراهية به، باتت رعبها في رؤيته لا تقوم، وبعد صبرها خلال ذلك الأسبوع حتى إذا

حل يوم السبت، ملعت رغبتهما تلك حد الحموح. وقد بدت جهوداً جبارة كي لا يدهظ موريسو باينوبو حقائق قلبها، الذي كاد يصرح صدرها، تعاني من تخليط من الشعور بالمبطة واللذة والحن. وتجرأ موريسو باينوبو، للمرة الأولى، فضم يده يده، ولكنها استطاعت بعد برهة قصيرة أن تنحصر من ذلك الشعور الذي كان يسيطر عليها. ولكن توتنها سرعان ما تحولت إلى نوع من الرضا الحاد، عندما لاحظت أن يده كانت كيدف نيفة متعرفة وباردة. وقد أدركت، في تلك الليلة، أنها لم تستريح خفة واحدة قبل أن يسير موريسو باينوبو عدم نفع طموحه وهكذا تغلب الأسبوع بطوره ثقل ذلك القلب وتلك الرغبة في رأسها. ولجأ إلى كل صنوف الحيل كي تصحبها باتريسيه، مرة أخرى، لإحصار السيادة. وفي آخر الأمر، امتعنت بالأميركي الشمالي - الأحمر الشعر، الذي كان قد جاء في ملك الأيام إلى مكوئمو، نقضاء العطلة فرعت أنها كانت تريد معرفة أنواع السيارات الجديدة فاصطحبها إلى لرات. ولكن ميمي ما إن رأت موريسو باينوبو حتى توصلت إلى لروم سوهم عن حذع الذات. وتبيئت أنها في الواقع قد بدت درجة من التوتر لا تستطع معها أن تكبح رعتها في أن تحسبه. ولكن اقناعها بأنه أدرك هذا الأمر، وبد كأنه متيقن من عدم رأها فادها، أعانها حتى الحلق، قالت ميمي:

حت لأرى الأصناف الجديدة

نقال لها.

- ذلك هلز جميل.

وأدركت ميمي أنه كان يحتال بعروده وحن كبريائه، فشرعت تبحث عن طريقة تهيه بها. ولكنه لم يدع لها فرصة لذلك، إذ قال لها بصوت خفيض

- لا تنزعني فليست هذه هي المرة الأولى التي نعلم فيها امرأة برحلي.

فشعرت بالهزيمة، حتى إنه غادرت المرائب دون أن ترى أوصاف السيارات الجديدة وأنصب كبة طويلة، من المساء حتى الصباح، وهي تنقب في مرآتها، وتدفق دموع الغيرة والغضب.

لقد مد بها الشاب لأيركي الأحمر الشعر، والذي كانت قد بدأت تهتم به فعلاً، كأنه لم يكن سوى طفل من يرال في فمائه وعدها لاحظت أن المرآة الصغرى كانت تسبق موريسيو بأسلوبها فتشعر بصدمته فقد رأت تلك المرآة، من قبل، هو في مرآة تصلح السيارات وحسب، كأن رائحة الدهان كانت هي التي تجذبها وقد رأت تلك المرآة غيوم حول رأسه قبل أن تدخول السبا

وعندما بدأ موريسيو بإيلونيا يلاحظها كالمشبح، لا يتبنيه أحد غيرها، أدركت أن بينه وبين المرآة علاقة من نوع ما وقد كان موريسيو بإيلونيا، دائماً، حاضراً في حفلات الموسيقى، وفي البيت، وفي الصلوات العامة وقد كانت تحتاج إلى مشاهدته كي تعرف بوجوده فالمرآة كان يدل عليه

وذلك يوم، أبدي أوريسيانو الثاني انزعاجه من حقن أجنحة الفراش في المكان، فشعر برغبة مفاجئة في الإفصاح له بسرهما، كما سبق لها أن وعدته ولكن عزيمة الأثني جعلتها تعتقد هذه المرة أنه يضحك، حسب عادته، ويقول "أترى، ماذا تقول أمك لو علمت بالأمر" وكانت ميمي وأنها شذيان شجيرات اللورد، مصاحبة فيراند، صبيحة دهر، ودعت ميمي من المكان الذي وقعت فيه وعيد يوم الجمعة في البسان، عندما صعدت إلى السماء، ولقد شعرت، خلال حفلة مرت كالومض، أن المعجزة ستكرر بابتها، لأنها تصبقت فجأة من خفق

الأجنحة المفاجيء وكان ذلك خفق أجنحة الفراش وشاهدت ميمي أسراب الفراش، وكأنها ولدت فجأة من الثور واصطوت حصفت فيها

وفي ذلك لحظة، دخل موريسيو بإيلونيا يحمل عذبة كبيرة، كانت - حسب قوله - هدية من باتريشيا براون، فاحمر وجه ميمي خجلاً واجتهدت حتى بلغت ريقها وعبت على اضطرابها، بل تمكنت من اصطاع بسمة طبيعية، حين طميت إليه أن يتكرم بوضع العذبة على حافة الشرفة، لأن يديها كانتا ملتصقتين بسبب العمل في الحية ولم تنحط فيراند في ذلك الرجل سوى لونه الأصفر ولئلا تذكره في المستقبل، عندما ستطرد من باب النار، أنها سبق لها أن رآته قالت فيراند - إنه رجل عجب يظن من يرى وجهه أنه سوف يموت قريباً.

وظلت ميمي أن أمها كانت ما تزال تحب تأثير الفراشات ولذا فرحت من تشبيب شجيرات اللورد، غسدت بدميها، ونقلت العذبة إلى غرفة نومها لتتحجج وكانت العذبة نوعاً من اللعب الصبي، مزلفة من خمس عتب متدرجة الحجم، في داخل كل عذبة منها واحدة أصغر منها وهي آخر اللعب وأصغرهم، وجدت ورقة كتب عليها يحفظ ميمي، دون غناية، للعبادة التالية

- سوف يلتقي يوم السبت في السبنا

وبدأ أصابت مفاجأة ميمي بالدهول، عندما تحيكت كيف بقيت العذبة مرة طويلة على حافة الشرفة، في مناول يد فيراند، عرضة لحب استطلاعها وعصرها الإعجاب بمهارة موريسيو بإيلونيا، ورق قلبها لبساطته حين توقع أنها ستوايه إلى مواعده.

كانت ميمي تعرف أن أيامها ستكون مشغولاً يوم السبت، ولكنها كانت، يوماً بعد يوم، تزداد لهفة وغرقاً، مع مضي أيام الأسبوع، وأخيراً

وقد موت أمرأتنا بقليل، استوفعت وحده من الوصوح والعصود، في
حصم جوبها، فأصابها الهلع من صورة مستقبلها المجهول، ثم سمعت
عن امرأة تقرأ لمستعمل بورق اللهب، قد هبت لزيارتها سرّاً ولم تكن
تلك إلا بيلار بيرير!

ومنحت بيلار بيرير ميمحي داخلية، استطاعت أن تدرك النواصع
الخفية لزيارتها، فقلاب لها:

- حسبي، هلست بحاجة بورق اللهب لكي أعرف مستقل فرد من
أهل بويديا

لم تكن ميمحي تعرفه، كما بن تعرف أيداً، أن كندت العرافة الساحرة،
التي تبلغ المئة عام من العمر، ليست سوى جدة أسها، وما كانت لتصدق
أنها كذلك بعد أن أعجب لها براقية فظة أن ذلك النوع من توتر العشق
الذي تعديه لا يمكن أن يهدأ إلا في فراش الحب، وكان هذا الرأي معه
هو رأي موريسيو بايلوبي، ولكن ميمحي كانت تيدل المستحيل من الجهد
كي لا تصدق هذا الرأي. وقد وصل بها الأمر إلى أن عزت مثل هذا
التكبر منه إلى تكوين عقلي غير سوي ملازم لطبعة العمال بل كانت
نظن أن هذا النوع من الحب يهزم الحب الآخر لأن من طبع الرجال أن
ينكروا سحر مجرد أن تشع شهيقهم.

ولم تكف بيلار بيرير بأن بددت يميني محاولتها، بل رادت على
ذلك بأن عرضت عليها السرير العتيق الذي حملت فيه أوكاديو، جلدًا
(جداً ميمحي)، ثم حملت من بعد أوريبانو خوري وعلمتها كذلك كيف
تمسح الحبل عند لا تكون رابعة فيه، مستعمال تبخيرة لصقة من دقيق
خردل، كندت التي تستعمل ضد البرد والركام، وأعطتها حدة وصعاب
يمكنها أن تستعملها في الحالات المستعصية، فتطرد الشئ، بل تبعد

ألمحت في إفتاح أيها بأن يسمح لها بالذهاب وحدها إلى السيمما، وبأن
يأتي لإعادتها إلى البيت عند انتهاء العرض. وحوّمت فوق رأسها إحدى
الفراشات، بينما كانت لأصواء غلاما المكان، ثم حدث ما كان متبرراً
لما أطفئت الأنوار، وصل موريسيو بايلوبي وجلس بجانبها وشعرت
ميمحي كأنها بحوض في متسع من التردد، وأن الخوف يمرض حنوها،
وأنها لن تستطيع الحجة هي فيه، إلا إذا أنقدها. كما رأت في صامها
من قبل - هذا الرجل، الذي كانت تصرخ منه رائحة الشحم وريث
الحركات، والذي لم تكن تكاد تتيه في الظلام، قال لها

- لو سم تانت، لما رأيتني من بعد مرة أخرى وأحست ميمحي بثقل يده
على ركبتيها، وعرفت، في ثلث اللحظة، أنهما باتا معاً على وثك
الوصول إلى الطرف، الآخر من صحراء سيبان، فعالت وهي تيسم
- ما يصدمني بشئ هو أنك تقول دائماً لا ينبغي لك أن تقول.

وأصبحت ميمحي مجوبة به فقدت شهيقها لنوم والظلم وانكناأت
على ذاتها، ونفوقعت في أعوار وحدها، حتى صار أبوها معه مرعجاً
لها، وأبدعت شبكة معقدة من المواعيد الزلقة تفسد بها فيرماندا. ولم
تعد ترى واحدة من صديقاتها وتجاوزت كل التقاليد والأعراف في سبيل
أن تنفي موريسيو بايلوبي في أي مكان وفي أي زمان.

كانت، في البدء، تخرج من حشونة طباعه. وفي المرة الأولى التي
التقي فيها وحدهما، في الحقل المتفرع تحت مرآب نضليح السيارات،
ردها، بلا رافة أو رحمة، إلى حال بيهية خرجت منها متعبه مجعدة
ولكنها أدركت بعد فترة من الزمن أن معاشته به ذلك كانت صورة
أخرى من صور خدان. ومنذ ذلك الحين فقدت طمأنينتها العسبة،
وصارت تعيش من أجله وحده، يعتدل فيها بهم مقيم لأن تعرق في
رائحة الشحم وريث السيارات المعسول بالنصابود الرديء، التي كانت

تأنيب الصمير وقد كان ذلك لعمالة أثر هائل في سلوك ميمي، إذ اكتسبت جرأة كنت التي عرفت في ذلك اليوم الذي أكثرت فيه من شرب الكحول ولكن وفاء أمارنا أكرهها على إرجاء مراه و خلال ليالي السهر الحزين التسع، ثم تبعه ثانيه عن موريسو بابلويا الذي احتفظ بعهد الناس الذين رُحِقوا إلى الدار.

وقلت ذلك فترة الحداثة العروبة، مع ما يرافقها من احتجاب إجباري عن الناس فافتراقها إلى أجل، فكانت تلك الأيام أيام هيجان، وتوتر داخلي لا يمكن احتواؤه والسيطرة عليه، و رغائب منتهية مكتومة مما كان من ميمي، في أول يوم خرجت فيه من الدار، إلا أن سرعت إلى ست بيلا تيريرا وهناك أسست معها موريسو بابلويا دون مقاومة، ولا حياء، ولا أية شكليات، وباندفاع طبيعي، وخدم عديم حياء، إلى درجة أن ذلك طرح بولسا إلى سوء البية والظن لا تهمهم بخبرة النجربة وهكذا، وعلى مدى ثلاثة أشهر، راحا يخرسانا الحب مرتين كل أسبوع، تحرسهما براءة أوريليانو الثاني الذي كان لا يشك بالأعجب بئته فلم يربط في سلوكها، وكان كل همه أن يساعد في التخلص من تشدد لهما وقسوتها

عندما دجأت فيرناندا ميمي وموريسو بابلويا في السجدة، شعر أوريليانو الثاني بعبء ثقيل على وجدانه، فقدم إلى ميمي في غرفة نومها، حيث سجنها أمها، فلما أنه ميخضف عنها عندما يترج بها أن تعترف له بأنها مدينة له بما لم تكشف له من أسرارها ولكن ميمي أنكرت كل شيء وكانت تبدو واثقة من نفسها، عاكفة على داتها، منروية في وحدتها حتى شعر أبوها، أوريليانو الثاني، كأن لم تكن بينها وبينه علاقة صداقة ومشاركة، وكان الذي كان لم يكن سوى وهم ضائع.

وفكر أوريليانو الثاني في أن يحدث موريسو بابلويا في الأمر، ظناً أن سلطته كمعلم سابق له، يمكن لها أن تردعه وتشبه عن خطئه ولكن بئرا كويس أقنعه بأن ذلك العنصر هو من شذوذ الماء وظل هائماً محتاراً مردداً، لا يمر به سوى الأمل بأن تعود ابته عن شططها مع نهاية سحها.

لم يبد على ميمي أي أثر للحزن، بل، على العكس من ذلك، كانت أورسولا تشعر من غرتها الجاورة، أن العناء كانت تنتم يوماً هادئاً، وأنها كانت تقوم بأعمالها بهموه، وتأكل بانتظام، وتستمتع بوجدتها، أب الشيء الوحيد الذي كان يحير أورسولا، بعد مرور شهرين على العقاب، فهو أن ميمي كانت لا تستحم في الصباح كالأحرين، بل في الساعة المساعة مساء وقد فكرت عدة مرات في أن تبهرها لخطر العقاب، ولكن ميمي كانت ساعده بها، طأنه أنها هي التي وشت بها فعضلت أورسولا ألا تزججها بتعالى أم جدها عليها

وكان العراش الأصغر بها جرم النمل مع غروب الشمس وكانت ميمي، لدى خروجها من غرفة الاستحمام كل مساء، تصادف فيرناندا وهي تكافح، بيأس، لقتل العراشات بمصحة مبيدة للحشرات وكانت تطاردها، وهي تقول:

- إن هذا الشيء رهيب يا دمنة لقد علمت طوبى عمري أن فرش النيل مجلبة لشوم

وفي إحدى الأسببات، دخلت فيرناندا مصادفة إلى غرفة نوم ميمي، فيما كانت الأخيرة تستحم، فوجدت في العرة عدداً كبيراً من العراش لا يستطيع المرء معه أن يلتقط أنفاسه فأسكت بأول غرفة وقعت في يدها، وشرعت تطرد الفراشات وتطردها ولكنها تمحدث في مكانها، وكاد قلبها يتوقف علماً حينما ربطت بين استحمام ابنتها في المساء وبين

لصعاب دقيق الخردول التي انعطت من خرقنة وتدحرجت أمامها على الأرض هذه المرة ثم تنظر العريضة المناسبة، كما فعلت في المرة السابقة محمد نصباح الباكر، في اليوم التالي، دعت محافظ البدة لجديد إلى الجداء. وكان معها من أهالي المرتفعات. وطلبت منه أن يعين بها حارساً بلياً، لباحة مدار الخلفية، لأنها لاحظت أن هناك من يسرق بها الدجاج.

في مساء ذلك اليوم، أطلق الحارس النار على مورييسو بايلوبيا، وهو يتزح قطع الملاط والقرميد كي يتسلل إلى مكان الاستحمام، حيث كانت ميمي في انتظاره عارية ترتجف هباحاً وحباً، بين العقارب والقراش، كما كانت تتطهر كل مساء في الشهور الأخيرة. واستقرت الرصاصات في عموده الفقري، فأنعمته طريحاً في سريره حتى آخر حياته. وقد مات طامعاً في السن في عمره، دون أنه وجع أو اعتراض على مصير، ودون خطة خيانه واحدة تعذبه الذكريات والعراش الأصغر الذي لم يدع له لحظة راحة وأمن، وقد خفت به وصمة عار تكويه مبارق دجاج

(١٥)

ملأ الأحداث التي يمكن أن يودي بها كوندو، فنقسم ظهرها، تظهر جلية عديم حي، إلى بيت بونديا بابن عيمي بونديا. وكان الرضيع العدم غير متسق، ولا يعرف الثبات على حقل، فما كان لأحد أن يهتم بالانتماس في المضائق الخاصة باستعداد فيراندو لاصعدة من حد اجرة الملائم، في مكثها من العمل على إحصاء الطفل، وكأنه لم يوجد أصلاً. ولقد أكرهت على قبوله لأن العزوف لم تكن لتساعد على رفضه فقد وجدت نفسها مجبرة على حملاته طوال عمرها، لأنها لم تجد الجراءة في نفسها لتتقدم ما كانت عازمة، في سرها، على فعله فقد كانت تفكر فعلياً في إمرته في الخوص

حيث فيراندو الطفل في مشعر العقيد أوريليانو بونديا القديم وأنسحت في إقاع سانت صومنا (الثنية) بأنها وجدت، انصفاً، عائناً في سلة على وجه الماء. وكان من الممكن أن تموت أورسولا دون أن تعرف أصل النطق ومبشاه. وقد صدقت أموات أورسولا الصغيرة نعمة السنة العائمة، حين دخلت مرة، عن طريق المصادفة، إلى المشغل، بينما كانت فيراندو تطعم الطفل الصغير

أما أوريليانو الثاني، وكان قد تخلى نهائياً عن زوجته بسبب الطريقة غير المعقولة التي عالجتها بها موضوع ميمي الأساوي، فلم يدرك وجود حبيده إلا بعد ثلاث سنوات من وصوله إلى البيت. وكان ذلك عندما

أملت الصعير مرة، في لحظة الشمال من فيرواندا، فصر من مسج
عبوديتها، فظهر على الشرفة، خلال برهة تقل عن ثانية، عارياً كما
وددت أمه. وكان ذا شعر كأنه عوسجة، وله عضو ذكرى كأنه حرف دينك
حيش. لبس كأن لم يكن طعلاً آدمياً سورياً، بل صورة مصغرة موسوعية
بواحد من أكنة خوم البشر.

لم تكن فيرواندا تنتظر تلك خينة القمرة من قلبها اللعين فكان
الطمع بمثابة محرك لبعار السي ظلت أنها استأصلت جذوره من المار
فبعد اللحظة التي نقل فيها موريسيو بأسلوباً إلى يته، صعدت إلى خفة
دقيقة التعاقيل، أصعب التفكير في كل جزء منها، لعلها بذلك تصل
كل آثار الخري والعار إلى الأبد. وقد صبح اليوم التالي، حرمت
أمتها، دون أن تحير روحها، ووضع ثلاثه عبارات داخلية لايتها في
حقبة صغيرة. ثم مضت إلى غرفة نوم ميمي، قبل موعد القطار بنصف
ساعة، وبادلتها قائلة

- هيا يارينا.

ولم توقع بها ما كانت ترفده بها. ولم تكن ميمي تنتظر من أمها
شيئاً مثل ذلك، بل لم تكن راغبة في مثل ذلك. فهي لم تجهل الوجهه
لتي كانت ستجهاها، وحسب، بن تساوب عندها الأمور، حتى لو كانوا
سياحاً حمودها إلى المسيح. فم تيس بيت شعة، ولم تعج بها بقصد
الكلام منذ تلك اللحظة التي دوت فيها طبقه الحارس في الساحة الخلفية
بندار، وصررت بصراحة موريسيو بيلوليا الأليمة.

وعندما أمرتها أمها بالخروج من غرفة نومها، خرجت دون أن تسرح
شعرها أو تغسل وجهها. فصعدت إلى القطار كأنها مومة، حتى إنه لم
تر أسراب العرش الأصفر الذي كان يحوم فوق رأسها آتياً توجهت. ولم
لمور فيرواندا، بل لم تكذب نفسها بما أن تدري ما إذ، كانت ابتها بعد

انقطعت عن إرثه الكلام، فأصبحت كأنها شاهد صريح، أم أنها لم بعد
قادرة على الطق بسبب هول المأساة.

كانت ميمي أبعد من أن تشعر بروعة الرحلة عبر المنطقة الساحرة
بخلانها، فلم تشاهد سائين الدول الظنبه المتراصة الأطراف على جانبي
سكة القطار، ولم ترى موت الأجانب البيضاء ولا بساتينهم التي عمرها
العبار. ولم تشعر بالغرابة، ولم شهد السوة اللاتي خرجن بساتينهن
القصيره، وملابس الاستحمام الخفيفة، وقمصانهن المخططة باللون
الأزرق، وهم يمشون بالزرق في ظلال شرفات دورهن. ولم تر العربات
التي كانت تجرها الشيران على الدروب التوائية، وقد ازدحمت فوقها
مطوف المور. ولم تشهد القصايا اللواتي كن يتواثرن كالسك في مياه
الأنهار الزرقاء الضافية، فيسفن لركاب القطار حسرة مرة بمسح يهوهن
النائنه الجميلة، ولا بيوت العمال المؤساء المتواضعة الواضحة، يسم
هراشات موريسيو بايموباً تطير بيها، ولا الأطفال الخصر الصغر على
عتبات تدنق البوب البيضاء، ولا النساء الخوامل اللواتي كن يتصوهن،
صراخاً، بالكلمات البديهة لدى مرور القطار بهن.

لقد سبق لتلك لمشاهد أن كانت نعم قلب ميمي عطفه وسعاده،
وهي عائدة من الكنيسة. ولكنها الآن تمر بها فلا توقف قلبها من سباته
وعنايه. لم سبق نظرة واحدة عبر نافذة القطار، حتى بعد أن قطعت مروح
المور برطوبتها الخائفة. ثم مر القطار في حقوب تعطيتها شقائق النعمان،
ومعها يقايا هيكل متعجم لسعينة إسبانية، ثم يتم صوب الشاطئ دي
الهواء العليل، على الرغم من بحرارة القتل والأجلاج، مروراً إلى المكمل
الذي انتهت فيه أوهام حوريه آر كاديو بوبندياً منذ قرن من الزمن.

في الساعة الخامسة عصرأ، وصحت إلى آخر محطة في إقليم
المستعمرات (الماريجو)، فتحركت ميمي مثلما تحركت فيرواندا. فلاحظت

بها عديم نزل من القصور وصعدا إلى عربته صغيرة شبه الخدش
يكبر، بحرف حصان مريض كأنه مصاب بالربو وعبرتا المدينة المقفرة،
عمر شوارع كثيرة، تأكلت بفعل مدح الدارود، يسمع من السموم على
جوانبها عرف على آلة البيانو، كذلك يعرف ندي كانت سمعه
فيرناندا، أيام صباها، في وقت القيلولة

ثم أبحرت على متن مركب بهري، تحدثت عجته الخشبية الكبيرة
فرمعه كأصوات الانفجارات، وبه مفاصل معدنية تأكلت بفعل الأكسدة،
فصار حثكها بعضه بعضا يصدر شرراً كد هي الحال عند باب در

أغلقت ميمي على نفسها باب حجرتها وجعلت فيرناندا تدحرج
عليها مرتين في اليوم، فتصنع بها طبق الطعام فربما من سريرها، لتعود
لتأخذ دواء أن تشبه ميمي وما كان ذلك سهلاً لأنها عرمت على أن
تقضي جماعاً، بل لأنها كانت تقرب رائحة طعام، ولا تثقل معدتها بقاء
شيء فيها، حتى إنها كانت تلعظ الماء إذا شربته، ولم تكن تقري،
حينئذ، أن خصوصيتها قد تعلت على مصفاة الخردل، وهو أمر لم تعلم
به فيرناندا، أيضاً، إلا بعد عام، حين جاء بالنظف إليها

وقد بعثت ميمي من حو الحجارة الخائى، وأمرصها اهزاز الحواجز
المعدنية، بين الحجرات وهي لأرصها، وأعيشها رائحة بطيخ التي كانت
تتمتع بفعل حركة المعجدة الخشبية الكبيرة في المركب، فصبت حساب
الأيام والتاريخ، وانقضى زمن دون أن ترى آخر الفرائشات الصفراء، بعد
أن مرتها إرباً صمائع مروحة المركب ودقته فأدركت واقعاً لا مرد له،
ألا وهو موت موريسو بايلوب ولكنه لم تسلح لقبول تلك الفكرة،
ولم ترخج لتلك الواقع، بل دأبت على التفكير فيه، حتى وهي على
ظهر البحر تقطع الشهاب الوعرة في تلك الأرض الصحراوية المقفرة
العجيبة، التي كاد يصعب فيها أبوها، أورييانو الثاني، حين جاء يحث

عن أمها فيرناندا، أجمل امرأة عرفها وجه لأرض

لم يرح موريسو بايلوبيا محمله ميمي ولا ذكورها، وهي تسلق
الحبال، على الدروب الهندية الصيقة، التي تؤدي إلى المدينة الخربة،
التي تتردد في أرستها المحصنة أصداً مويس الموت وأخبر المبعثة من
انتين وثلاثين كنيسة بها

وأضحت تلك البنية في ذلك البيت الملكي الاستعماري القديم، الذي
كان مفعراً من أهله، فوق حشبات رمتها فيرناندا على أرض إحدى
الحجرات، حيث كان العوسج هدي وكان عطاؤهم مرقاً من الستائر
اتسرعها عن النوافذ، وكانت رثة تعرف كلما تحركت تحت جسم
الواحدة منهما

وتبست ميمي مكان وجودها حين مر أمامها، في حش الأرق اندي
كانت تبه، ذلك الرجل الذي كان يرتدي حله سوداء، والذي سب أن
رائته حين جاء به إلى البيت في صندوق من رصاص في ليلة عيد الميلاد
مد من بعيد وفي صباح اليوم التالي، قادته فيرناندا، بعد الصلاة،
إلى ميسى قائم كشيب، عرفت ميمي، مد رائته، أنه الدبر الذي كانت
تحدثه عنه أمها، عندما كانت تذكر شأنها الملوك فيه وهناك أدركت
أنها وصلت آخر المطاف من رحلتها وبكثرت ميمي في قاعة كبيرة ترينها
صور رية لأسافة، تعود للعهد الملكي الاستعماري. وكانت م ترال في
لوبيه المردن بالرهور السوداء، وبس حذاء له كعب عال صند، وقد
توزم قدمها فيه يسب برد خفيف في مطقة بهضاب، يشما كانت أمها
نحدث مع أحد الرجال في مكتب الجوار وحلت ميمي واقعة جامده،
وسط الفاعة، وهي تفكر بموريسو، يسب تسرب، من رجاء
النوافذ، أشعة صفراء ثم دلفت إلى القاعة راحة رائحة الحمال، وهي
تحمل لمحي حقننها بعباراتها اللادخية الثلاثة فأمسكت بيد ميمي، حين

وحدث قريبها، ودون أن تتوقف، قالت لها :

- تعالي، يا ريتا

فأسكتت ميمي بيدها، وأسست نهدا لها . وألقت فيرناندا آخر نظرة لها عليها، وهي تحاول أن تارتد بين حطوها وخطر الرهبة . ثم رأت الباب اخديدي ينزل وراءها، فيسد مدخل القبر

كانت ميمي، حينئذ، معكر غورسيو بابلوب، مجلس الشحم ورائحة ريت الساراب، وبالفراش الذي كان يحلق دائماً حوله . وقد ظلت تفكر فيه طوال حياتها، حتى ذلك الفجر الحزين . وهو ما يزال بعيداً أمامها عندما ماتت في شيخوختها، ولها هوية غير هويتها، دون أن تتعطف بكلمة واحدة في حياتها، في ملأى لمجرة مظلم قائم كتيب في كراكوها

وعاد فيرماندا إلى مكربدو في قطار يحرمه البوليس المنع . لاحظت خلال رحلتها سوكو المسافرين معصية، كما لاحظت الاستعدادات الحربية في العري التي يربط بها الخط الخديدي . ودلها بجر العمام، بما يشبه الحقير، على أن شيئاً خطيراً كان على وشك الحدوث . وترى حتى تنص إلى ماكوندو للحصون على المزيد من المعلومات . روي لها أن حورية أركاديو الثاني كان يحرض عمال شركة المور على الإضراب . فقالت في نفسها :

- ما ينقصنا سوى هذا، فوضوي في العائنة

واضجر الإضراب بعد أسبوعين من ذلك التاريخ، ولكنه لم يؤد إلى نتائج حسنة حذرة . فقد كان العمال يرفضون رعايتهم على العمل . وتفن بطوف اسويوم لأحد . وهو مطلب رآه الناس مشروعاً، حتى إن الأب أنطونيو إيراسين دافع عنه لأنه وجدته موافقاً مع شريعته الرب . ونجح الإضراب، ثم تلاحقت بمباحات العمال في الشهور التالية . وبرر حورية

أركاديو الثاني من عالمه لجهول الذي كان يتواري منه، وهو الذي سم يكن الناس في البهده يعرفون عنه إلا أنه مالىء بلدتهم بملومات العربات . فأتحد فراراً نارياً مشبواً بالعاطفة، يشبه القرار الذي اتحدله في الماضي، يوم باع ديكه القتال لكي يؤسس شركه غريبة لمصاحنة استعمال من عمله، رئيساً لمعمل في شركة، ووقف إلى جانب العمال يسأندهم.

وسرعان ما اتهم بأنه عميل في إحدى مؤامرات العالمية ضد النظام العام . وبعد كان، في إحدى الليالي خارجاً من اجتماع سري . وكان ذلك لأسبوع قد حصل بالشائعات السوداء . أطلق عليه مجهول أربع مصاصات من مسدس، نج منها بأعجوبة . وتوتر جو في الأشهر التالية، حتى شاعت الأخبار إلى أورسولا، وهي حسسه الظلام في قرتها . فشعرت أنها تعيش، مرة أخرى، واحدة من الحقبة السوداء، التي حيرها أيام كان اسها أوريسينو (العقيد) يحمل في جيبه حبوب الثورة علاجاً لها . وشاءت أن تحدث حورية أركاديو الثاني، فعلمت نيه إلى تدث السابقة، ولكن أوريسينو الثاني أجبرها أنه قد احتفى منذ الليه التي شهدت محاولة عتياله، وأن أحداً لا يعرف شيئاً عنه . فصاحت أورسولا قائلة

- غاماً كما فعل أوريسينو (العقيد) مكان التاريخ بعيد نفسه

ولم نكتف فيرماندا كثيراً بالخلاف والشكوك التي كانت تسود تلك الأيام . فقد قطعت صلاتها بالعالم بعد الشجر العيف الذي جرى يها وبين زوجها، أوريسينو الثاني، لأنها قررت مصير ميمي دون الرجوع إليه . وعزم أوريسينو الثاني على إنقاذ ابنته، ولو بمساعدة البوليس، إذا اقتضى الأمر ذلك، ولكن فيرناندا أطلعتها على أوراق تثبت أن ابنته قد اختارت العيش في القبر بمحض إرادتها

وهو نفع أن يمحي قد وقعت تلك الأوراق بعد أن أصبحت حلقاً من الحديد، وبمخس الأزدراء اللامبالي الذي أدعت فيه لقيدها إلى حيث وصلت ولم يتسع أوريليانو الثاني، في داخله، بصحة ذلك الدليل كما لم يتسع بأن موريسيو بيلوبو قد دخل بأخيه الدار ليسرق المدجاج. ولكنه تلوح بالحبستين شهدته وجدانه وضميره. ومكنه موقعه ذلك من العودة، بلا أسف أو حزن، إلى أحضان يثرا كوتيس. فاستأنف حقلاته الصاخبة وولائحه المثرقة بحرية تامة

كانت ميرناندا في منأى عن علو السدة. وقد أصحّت أدبها عن تشخيص أورسولا الخفيف ولم يكن يهدها سوى وضع اللسان الأخيرة على محطتها. فكتبت رسالة مطولة إلى أبها حويوه أركاديو، وكان قد بات على وشك أن يصبح راهباً مبتدئاً. وأخبرته في الرسالة أن أخيه ريمانا قد أسلمت نفسه إلى سلام الرب، بعد إصابتها بإحدى الصعرة. ثم وضعت أسراراً أورسولا في رعاية سائتا صوفيا (التقية) تربيته وانصرف لتعليم مرسلاتها مع الأطباء المجهزين، بعد أن اضطرب نظام تلك المراسلات، في أثناء لأحداث التي جرت ليمحي. وكان أول أمر قامت به هو تحديد موعد أحير لإجراء العملية التخاطبية التي تأخرت كثيراً وأجتها الأطباء المجهزون بأن ذلك غير ممكن ولا معقول، في ذلك الجو من الاضطراب الشعبي في مكدونو. وكانت في عجلة من أمرها، وفي جهنم كان يجري في البده فحوت بهم رساله أخرى تشرح لهم فيها أنه لا وجود لمثل ذلك الجو المزعوم من الاضطرابات، وأن ليس في الأمر سوى طرفة جنون لابن حمص الذي يلهو لأن بالأعمال النقايبية، كما كان يلهو، قبلاً بصراح الديكة، ومن بعد بالملاحة.

وكان الأمر ما يزال معدقاً بسبب ويسهم، حين وصلت إلى الدار راهبة عجزور، وكان اليوم لرماء. فطرت الباب، وهي نعلق صله بيدها،

فصحت لها سائتا صوفيا (التقية) الباب ونظمت أنها تحمل لهم هدية، فأرادت أن تحمل معها السلة المثلثة بستر جسمي من قماش تبلا ولكن الرهبة ردتها، قائلة بأن الأوامر التي لديها تقضي بأن تسلمها، في عابة السرية، شخصياً إلى الدونه ميرناندا ديل كارينو دي بونديا كان ذلك ابن يمحي.

وقد كتب مدير هيرماندا الروحي السليبي رسالة مطوكة لها، يشرح فيها أن الطفل ولد قبل شهرين من مولده، وأنه سمح لنفسه بأن يعمده باسم جده، أوريليانو. لأن أم الطفل لم تيسر ست شمة حين طلب إليها أن تذكر رغبته في التسمية

وحارت ميرناندا، سنها وبين نفسها، من مخزية الصدر، وبكتها غامك، فلم تبد شيئاً من حقهق للراهبة، بل قالت به وهي تسم - سوف يذكر لهم أن وجدانه طافياً بهذه السلة - فأجاب الراهبة - ولكن أحداً لن يصدق ذلك.

فالت ميرناندا

- لا أرى لماذا لن يصدقني الناس، ما دعوا قد صدقوا الكتاب المقدس (الثورة)

تأولت الراهبة طعام العشاء في البيت، في انتظار عوده القصر الذي ستعلمه عانده إلى حيث أتت. وقد حافظت على ما أمرت به من كتمان أمر الطفل، فلم تذكره في حديثها. ولكن هيرماندا كانت ترى فيها المشاهد المفقوت على عهدها، وبكم حوت دروال عادة القروى الوسطى التي كانت تقضي بنسب الرسوم الذي يقل لأخبار السيئة. وعندئذ قررت أن تعرق الطفل في برميل ماء بدي وحين الراهبة. ولكنها لم تجرؤ على تعيد خطتها، وأثرت بالانتظار صابرة، لأن حلم الرب اللاتهابي

يلجأها إلى ما ينقلها من ذلك العبد المزعج

وأتى أوريليانو جديداً لعدم الأول من عمره في الوقت الذي تفجر فيه العبدان الشعبي بشكل عيب ودون مقدمات وكان خوريه أركاديو الثاني ومائتر انقادة القبايين يعملون، حتى ذلك حين، في الخفاء فظهروا فجأة في بهايه الأسبوع، وأشعلوا قنبيل، المظاهرات في قرى منطقة المور كلها ولم تعمل الشرطة لإزاء ذلك سوى الحفاظ على النظام. ولكنها، في ليلة الإثنين، داهمت بيوت المسؤولين جميعاً واعتقلتهم وأودعتهم سجن عاصمة الإقليم، حيث قيدت كلهم بأغلال من الحديد وربها وخلاص وكان بين المعتقلين خوريه أركاديو الثاني، ولورنو جابيلان، وهو أحد عقلاء الثورة المكسيكية المهي إلى مأكوردو، والذي روى أنه كان شاهد عيان على بطونة رفيقه أرتميو كروز وقد سم إطلاق سراحهم، على كل حال، في غضون ثلاثة أشهر، نتيجة لفرارهم بين الحكومة وشركه نور، الذين سم تتوصلا إلى اتفاق على من يقدم لهم الطعام في السجن وكان احتجاج العمال، هذه المرة، على عدم النظافة والرعاية الصحية في أماكن السكن، وغياب الخدمات الطبية، وشروط العمل القاسية الرهيبة. وقد ذكروا كذلك أن أجورهم كانت لا تدفع لهم بالدماء، بل قسائم لا تقبلهم إلا لشراء لحم خنزير فريجيا من محازن الشركة. وقد سجن خوريه أركاديو الثاني لأنه أعلن أن تلك الطريقة من الدفع لم تكن سوى وسيلة تمول بها الشركة منها التي تنقل بها الفواكه فقد كان على ذلك سجن أن ترجع مزرعة، من ميو أوريليانو في أميركا الشمالية حيث توصل المور المشحون، إلى مزارع، لتحصيل المور في الإقليم؛ إلا إنه شحت بالمواد التموينية إلى محازن الشركة أما الشكاوى الأخرى فقد كان الناس جميعاً يعرفونها فلم يكن أطباء الشركة يفحصون المرضى، بل يقومونهم في صف طرير أمام المستوصفات ثم

تضع بهم ممرضة حبة دواء بدون الرمز على المستهم. سواء أكان الواحد منهم مريضاً بالملاريا أم السيلا أم لإكتنام (الإمساك) وقد انتشر هذا العلاج، إلى درجة أن الأطفال كانوا يذسبون المصطفيين، مكرات ومكرات، فيأخذون حبات الدواء المزعوم وبدلاً من ابتلاعها كان يستعملونها مؤشرات في لعبة البجر وكان عمال الشركة يبيعون مردحمين في بيوت بائنة مبنية من الخشب وكان المهديون، بدلاً من إنشاء المراحيس للعمال، يخصصون مراحصاً متحركة لكل خمسين عاملاً، يحضرونها في أيام عيد الميلاد، ويقدمون العروض العامة حول كيفية استعمال ثقت مراحيس، كي يبقى صالحة للاستعمال أطول فترة ممكنة من الزمن

وكان كبار همامين لمريمين، يحلبهم السوداء، والذين كانوا في الماضي محبطين بالمعبد أوريدو بوسديا، وأصبحوا الآن وكلاء شركه المور، يعقون بعمال كل صفوف التهم والندوى وقد رفع العمال مذكرة بمظالمهم حظيت بتأييدهم جميعاً، وأمضوا رسماً طويلاً وهم يحاولون تقديمها إلى المسؤولين الرسميين في شركة المور ولكن جهودهم ذهبت لأدراج الرياح لأن السيد براون، عديم عرف بالانتقام الذي توصلوا إليه بالإجماع، لم يكن مه إلا أن يهد عرقته البويرية للحممة بانتظار، وبواري عن أنظار أهل مأكوردو جميعاً، مع جميع البويرين من المسؤولين في شركه

واتفق أن اكتشف بعض العمال واحداً من أولئك المسؤولين، يوم السبت التالي، في أحد بيوت الدعة، فأجبروه على توقيع نسخة من مذكرتهم التي تحمل المظالم، بينما كان عارياً مع امرأة وافقت على جره إلى هذه المكيدة ولكن المصامير، ذوي الوحوش الرسمية الأقرب إلى الحداد، أثبتوا في المحكمة أن علاقة دندو المسؤول بالشركة، ولكي يبعدوا

كل ملمح أو أثر لشك، لدى أي إنسان، في حجتهم، ألقوا به في غيابة
السجن، بتهمة انتحال صفة غير صفة

وبعد فترة وجيزة، فجأ العمال السيد براون متكرراً في إحدى عربات
الدرجة الثالثة في القطار مارغموه على توقيع سحرة من مدكرة
مطالبهم وأحضر في اليوم التالي إلى المحكمة، أمام القضاة، وقد صيغ
شعره بدون أسود، وهو يتكلم اللغة الإسبانية بطلاقة وأثبت المحامون أنه
ليس السيد حاك براون مدير شركة «مور»، المولود في برانيل من ولاية
ألاباما، بل تاجر لباتات طبية، ولد في ماكوندو وعُمد عليها باسم
داجوميرتو موسيكا وحين واجهت المحاكم، بعد فترة، محاولة أخرى
قام بها العمال، فما كان منهم إلا أن عرضوا على الملاءمة شهادة وفاة
السيد براون، وألصقوه في الأمان العامة، مصدقة من قاضل ووزراء
أجانب وكانت تلك الشهادة تنص على أنه في التاسع من حزيران
(يوليو) الماضي دهسته في شيكاجو سيارة إطفاء وصارت دومة تلك
الأحداث كتفسير كتب الصحراء، مما أثبت العمال، وجعلهم يقلعون عن
متابعة تقديم مطالبهم إلى سلطات ماكوندو لتأجيلها، صوب محاكم
العيا.

وها أثبت المحامون المختصون باحتراح لأوهام أن ليس مطالب العمال
أي قبة لسبب، في هذه الباطنة، هو أن شركة المور لم تستخدم في
الماضي، ولا تستخدم في الحاضر، ولن تستخدم في المستقبل عمالاً
حاصرين بها فهي إنما تستأجر بعض الشيلة عبد الحاجة، ولأجل
محدود، كمياومين مؤقتين وهكذا صوبت حكاية خسائر فرجيب،
وحبوب الدود المعجبة، ومراحض ليلة الميلاد وصدر قرار المحكمة
المعجب. فقد أهدت المحكمة بكل هذه وقار أن لا وجود لعمال
وإنعجز الإضراب العام الكبير وتأثرت الزراعة بتوقف موسم القطاف

في منتصف الطريق وأصبحت العواكز بالنعم، ويقبب القطارات ذات
لثة والعشرين عزم واقعة على الخطوط الفرعية لسكة الحديد، وهدجت
القرى والمدا بالعاطلين عن العمل وعاد إلى شارع الأتراك بهاؤه بعد أن
صبح بسبت طويل دام بصحة أيام وصطر المشربون على قاعة البلياردو،
في فندق جاكوب، لتنظيم بونات للعمل على مدار الساعة وهناك كان
خبره أركاديو الثاني، يوم أعلن أنه قد أركلت إلى الحبش مهمة حفظ
النظام العام.

لم يكن خوزيه أركاديو الثاني عن يفتدون بالساعات، ومع ذلك فقد
كان ذلك التبا عنده كثيراً بالموت، الذي كان ينتظره منذ صباح ذلك اليوم
البعيد، عندما أخرج له العقيد جيرينيدو ماركيز أن يشهد تعذيب محكم
الإعدام ولكن البأ والإشارة لم ينالاً قط من وقاره وعزمه. فتأكد الضربة
كما سبق له أن خطط لها، دون أن يفسد ذلك عليه شيئاً

وبعد قليل، تنهى إلى مسعاه ذوي فرع الطبول العيب، مصحوباً
بعواء أوبرق النعير، بحسناً بأصوات الناس ووقع أقدم عظامهم الحية
وهو لم يشه بعد من لعبة البلياردو، كما لم يشه من اللعبة الصامتة
الوحيدة التي كان يمارسها بينه وبين نفسه منذ أمد طويل، أي منذ صباح
تعذيب المحكم بالإعدام.

خرج إلى الباب وشاهد صفوف الجنود كانوا ثلاثة ألوية، تهتر
الأرض تحت وقع أقدامهم، ويتظم خطوهم مع أصوات فرع الطبول،
وكانها طبول المحكومين بالأشغال الشاقة تصدح عنهم أنفاس كأنها هي
أنفس تنين متهدد الروس والوجوه، فتألا جو الصباح العاصي يبحر
كبهار الطاعون.

كانوا أنصاراً غلاظاً أنظاظاً مترحشين، يتصيون عرفاً كالخيل في الخمر
لهم رائحة ننته كرائحة لحم تعفن في الشمس، هيتاتهم جريئة، عنفة،

صامئة كهيات رجال الهضاب العبد، أو كالهضاب ذاتها واستمر
المرص العسكري، من أوله إلى آخره، بقاء وساعة متبادر للمشاهد
أنهم مرمية صغيرة كانت سور حور، نهاراً، بشدة أشبه يما بينهم، كأنه
ولديهم أم واحدة، فأرضعتهم نفس لبناء الذي يبدو عليهم جميعاً، وهم
يحمون جمع العسكر وأكياسهم ومظلاتهم، وعار يادقهم المنتهية
بحراب تبرر قرب مؤانها، ووباء الطاعة العمياء، وللعهم الخاطيء لمعى
الفتش

سمعت أرسولا كل ذلك، وهي في سرير ظلامه وعماله، فصالت
بصعبيها وعادت سبات صوفيا (القية) إلى العمل الذي تجلت عنه
حينها، فالتحت على عطاء مطررت نكويه وفكرت بابها حورية أركاديو
الثاني، الذي يرب المرص العسكري، حتى آخر جندي، أمام فندق
جاكوب، دون وجل، ودون أن يرتفع له قلب.

كان الجيش، بعد إعلان لأحكام العربية، يستطيع أن يؤدي دور
الحكم في خلاف، ولكن أحداً لم يكن يفكر في محاولة الصلح. فانتشر
جود جيش في كل أنحاء مكدونو وبعد أن ضمرو ينادقهم رتبوها في
أماكنهم، ثم انصرفوا إلى قطع المور وتحميله. وبذلك أعادوا تسجير
القطارات. وب كان من العمال الذين كانوا حتى ذلك حين يرتبون ما
يجري متطرين، إلا أن نهضوا إلى الجبال، لا يحمون سوى مؤوسهم
ومرعاتهم التي هي أدوت عملهم. وشرعوا يقطعون الطريق على هذا
التحريب ليدمر لحياتهم فأحرقوا المزارع والمزارن، ودمروا خطوط مكة
الحديد ليمسوا تحريك القطارات التي كانت تنس طريقها تحت وابل
الرصاص ودوي المدافع الرشاشة، وقطعو خطوط البرق والهاتف

واضططعت مياه الأنهار بالدماء واضطر السيد جاك براون - وكان ما
يرال حياً، يعيش في ديرة الدجاج المكهربة مع بعض صواطييه - إلى

الخروج من مكدونو فوضعوا تحت حراسة الجيش وأوشكت الأمور أن
تتحول إلى حرب أهلية دموية غير متكافئة. فدعت السلطات العمال إلى
اجتماع في مكدونو وأعقب، في مساء عدم، أن حاكم الإقليم المدني
العسكري، سوف يصل يوم الجمعة التالي بتوسط في الخلاف الناشب
بين العمال وشركة المور

كان خوريه أركاديو الثاني بين الحشود التي تجمهرت أمام المحطة مند
صباح يوم الجمعة الباكر. وكان، قبل ذلك، قد شارك في اجتماع نقابي
أوكس إليه وإلى العقيد جافيلان أن يختلط بالناس، وأن يوجههم حسب
مقتضيات الظروف وأحسن بأنه على غير ما يرام، فأخذ يحرك م بين
لسانه وسقف حنكه عجيبة طعمها مالح، منذ أن رأى مرفض اندافع
الرشاشة، التي نصبها الجود حول الساحة الصغيرة، والمدافع التي
ركزوها خلف الأسلاك الشائكة، يندفع عن مدينة شركة المور. كان عدد
المعتقلين، عند الظهر، نحو ثلاثة آلاف من العمال النساء والأطفال
جميعهم ينتظرون قطاراً لا يجيء. وارتداد تراجم الناس، حتى صاقت
بهم الساحة أمام المحطة فأغاصوا على الشوارع المؤدية إليها، والتي كان
الجيش قد سدّها بسياج من اندافع الرشاشة.

ثم يكن المشهد مشهد استقبال وحسب، بل عبيد يضحج بالحبيوة
ولمحر. فقد انتقلت إلى المكان بسطت باعة المقنيات والمشروبات من
شارع الأتراك واحتل الناس، بشجاعة وصبر، على الانتظار تحت أشعة
الشمس الحارقة. ولم تقرب الساعة الثالثة بعد الظهر، مرت بين الناس
شائعة معاهد أن القطار لن يصل تن العد. فسدت عن الجمهور المتعب
تهيدة قروء وعندها اعتنى ملازم من الجيش بفتح المحطة، فحيط به
أربعة مدافع رشاشة منصوبة إلى الخشد، وتربع جرم يدعو الناس
للسكوت.

- هؤلاء الأوباش أهل لاد يطلقوا النار فعلاً

ولم يتسع الوقت لخوريه أركاديو الثاني كي يعلق على قولها، إذ ارتفع في تلك اللحظة صوت انعقد جافيلان الأجش، مردداً كلمات المرأة بصراح رهيب. وأصيب خوريه أركاديو الثاني بما يشبه السكر بسبب التوتر، وعمق الصمت البليغ. وكان يؤمن بأن لا شيء يمكن أن يهزك ذلك الخشد الهائل الذي شده سحر الموت. مروع خوريه أركاديو الثاني بعينه، حتى بات فوق رؤوس «ساسة الواقعين» أمامه، ولأول مرة في حياته، صاح بصوت جهوري.

- أيها الأوباش! حدوا ديفتكم الإضحية، وسدوا بها أدياركم.

وما إن ارتفعت صيحه حتى حدث شيء ما لم يجلب الرعب فحسب، بل سبب نوعاً من الهلوسة. أصدر النقيب أمره بإطلاق النار، فاستجاب له. في الحال، أربعة عشر مريضاً من مرابض للدفع الرشاشة ولكن ما جرى إلا كاب أشبه بتعشية هربة. حتى لكان المدافع الرشاشة كانت محشوة بدخيرة خلب، أو بأسمهم نارية للاحتلال. ذلك أن الناس سمعوا معقبتها اللاهنة، وشاهدوا بصانها الباري، ولكن أحداً لم يشهد أي رد فعل بها. فلا صوت، ولا أهة تدت عن خمصور المتراص، وكأنّ مناهة غير عادية قد ألصقت الناس بمفهمهم ببعض.

وفجأة، انطلقت من صوب اللحظة صرخة موت، قهرقت سحر الموقف ددعة واحدة
- آح، يا أمي.

وفلا ذلك ما يشبه هره أرضية، وتعجرت حمم بركانية، وحدث انهدام في وجه الأرض. وانعرج كل ذلك في وسط الجمهور، وانتشر بين الناس بسرعة هائلة. ولم يجد خوريه أركاديو الثاني متسعاً من الوقت لأكثر من أن يرنع الطعن، بينما غابت الأم وطعلها، الآخر بين أمواج

كانت بالقرب من خوريه أركاديو الثاني امرأة مديّة، حاذية القدمين، وبصحبته طفلان أحدهم في السابعة، والآخر في الرابعة من عمره. لمحلت الصغير بين ذراعيها، وحسبت من خوريه أركاديو الثاني - وم كاتب تعرفه - أن يرفع الآخر لعله يسمع ما سيقال. مروعاً هذا وأحمه على كتفه. وبعد طل هذا الطعل يروي لورته، من بعد، دون أن يصده أحد، كيف شاهد «اللام»، ويده يوق لتكوير الصوب، وهو يقرأ على السلس المرسوم رقم ٤، الذي أصدره حاكم لإقليم ادمني العسكري. وكان المرسوم بتوقيع اللواء كارلوس كوريس فارغس وأمير سره الرند أنريكو جارسيا إيريرا. وهو يشتمل على أربع وثلاثين كلمة، وردت في ثلاث مواد. ويصف المفسرين عن العمل بأنهم عصاة من المشاعين، ويحسب صلاحية إطلاق الرصاص على أساس الظن والشبهة.

بعد قراءة المرسوم، هتت في ساحة الساحة موجة صمّاء صاخبة من صرخات الاحتجاج والاعتراض. فحلّ نقيب مكان الملازم على سطح اللحظة. وأشار بيوق تكبير الصوت إلى أنه يريد أن يتكلم. تخيم السكوت على الخشد من جديد. فقال النقيب بصوت ضعيف قاتر متعب

- سيداتي - سيداتي! أمتحكم حمس دقائق مهلة لكي تنصرفوا وتحلوا الساحة

وضاع ريب البوق الذي أصدره «المهلة»، بين الصفيير والصراح العيف. فلم يتحرك أحد من مكانه. فاستأنف النقيب كلامه بالههجه والحدة ذاتهما، قائلاً:

- انتهت الدقائق الخمس. دقيقة أخرى ثم نطلق النار.

وتجدد خوريه أركاديو الثاني وهو يصيح عرقاً برداً. ثم أرن الطغل عن كتفه، وأعطاه لأمه التي تحتمت فائدة:

الخشود التي راحت تدافع خوفاً وهدأ

وظل الطفل سيرا طويلاً، من بعد، يروي ما جرى، حتى جاء وقت انهم فيه حيرته أنه شيخ خرف فقد صوابه. كان يروي كيف حملته حورية أركاديو الثاني، ورفعه فوق رأسه، وكيف تافسه الأيدي في الهواء، كأن رفعة رعب الجماهير، فظفا فوقها باتجاه شارع جانبي وأدرك الطفل مكانه المرتفع فوق رؤوس الناس، عندما وصل به الجمهور انصاع إلى زاوية الشارع العم. لاحظ كيف تحت لدافع الرشاشة أشداً بالبار، وعبت أصوات لا حصر لها في لحظة واحدة

- إلى لأرض، انبطحوا أرضاً

وانطرح صغوف الجماهير الأولى أرضاً، ولكن بعد أن كانت يران المدافع الرشاشة قد حصدتها وسلاً من أن يلقي الذين دخلوا أحياء بأنفسهم أرضاً، اوتدوا إلى الساحة الصغيرة، حيث لسهم الرعب، كأنه دب تنير، يشواط من دار الفاهم أمواجاً متراصة في بحر هائج متلاطم كان مرئياً من الجهة الأخرى للساحة تحت وطأة لسعات موجعة أخرى من دب التنير. فقد كانت مرابض المدافع الرشاشة الأخرى تحصدتهم حصداً وحوصر الناس في ما يشبه الدائرة الصغيرة، يلفهم زعزاع هائل مجنون. وضائق حلقة الدائرة، بصعل ضمط السرد من محتداف الجبهات، وتحجورت حول بؤرة الانهدام. بالقدر الذي تقطعت فيه أوصال الإحار الخارجي. فكان الخشد كأنه بصله تقشرها سكين الرشاش تقشيراً لا ترحم فيه ولا تشع منه. وشاهد الطفل امرأة جالية على ركبتها، وقد صبت يديها على صدرها، في بقعة خالية، كأنما كانت تقيها قوة خمية من غرارة الرصاص المهرج

وهناك، في تلك البقعة، وضعه حورية أركاديو الثاني، وانهار على الأرض دامي الوجه محطوماً، قبل أن تدفع إلى ذلك الصراع الجموع

الهائلة لجبهة المتجموعة بالدار، فتكسبه هو والمرأة الخالية، والصو الهابط من فوق، وسماء لقيط لجلوده، والعالم الداعر الذي دعت فيه أورسولا الكثير من الحيوانات الصغيرة المصنوعة من حيوانات الكراميل

عندما أفاق حورية أركاديو الثاني من عيونه، ألقى بصره مضى على ظهره في ظلام داس، وكأنه مسافر في فائله صامته ليس بها نهاية وكان شعره قد شعث كلاً متلاصعة بفعل الدم المتحتر، وشعر داللم يسعث من كل جزء في عظامه وهدت عليه الرغبة في النوم وشرع يعد بصره لنوم عميق، يعرق منه ساعات بعد أن تحرر من الرعب والهلج فاصطح على جبه الأفل إيلاً له. وعندها اكتشف أنه يرفد فوق جثث القتلى الذين غصب بهم عرب القطار، حتى لم يبق فيها مكان خارج عدا المر الذي كان في وسطه. وقدّر حورية أركاديو الثاني أنه كانت قد انقضت على الحيرة عمة ساعات، لأن حرارة الجثث كانت كحرارة الجبس في أيام الخريف، وقد تماسكت بعضها ببعض كما يتماسك الربد إذا تجلد. وقد رتب المعيون اخنث ومقوها تسيقاً تاماً، لم يكن يفسهم به الوقت ووضعوها في الاتجاه الصحيح، وعلى أحسن هيئة ممكنة، تماماً كما تنضد قهوف الموتى.

وقدّر حورية أركاديو الثاني أن يمر من هذا الكابوس فراح يجر نفسه من عربة إلى عربة، باتجاه سير القطار. وتكهن، خلال انسحابه تلك، وبب الأصواء اسرية من بيوت القرى النائية على جانبي سكة الحديد، عبر ألواح الخشب الجانية في القطار، من رؤية الموتى عن كثب فرأى الموتى من الرجال والنساء والأطفال، الذين كان ينقدهم القطار إلى البحر، ليلقمهم فيه كعب تلقى تطوف المر العاسدة ولم يمر من بينهم سوى امرأة كانت تبغ لمرطبات في الساحة، والعقيد جافيلان الذي كان ما يزال مسكناً بحرهم اللورينا، برأسه المضي، وقد لفته على يده عندما

حاول أن يشق به لنفسه طريقاً ساعة الجنون الكبرى

ولما وصل حورية أركاديو الثاني إلى العربة الأولى، في مقدمه القطار،
قمر من القطار في الظلام الدامس، وبدأ هو في حفرة، فظل راقداً فيها
حتى مر القطار بعرباته كلها وكانت العربات تشكل أكبر قافلة رأها في
حياته، فتكاد تدب مئة عرب، تشدها قاطرات ثلاث واحدة في المقدمة
والثانية في الوسط، والثالثة في المؤخرة. وكان القطار يسر سرعة بليّة
خفيفة بلا دور فسم يستعمل حتى انور الأحمر والأزرق في المواقع
وكان حورية أركاديو الثاني، من موقعه في الحفرة، يرى أشباح الخود
الدهمة على سطوح عربات القطار، وهم يهضون على مدافعهم الرشاشة
في وضع قتالي.

بعيد منتصف الليل، انهمر مطر غزير كأنه طوفان. وكان حورية
أركاديو الثاني يحلج المكاب الذي هو فيه ولكنه كان يدرك أنه إذا سار
في الاتجاه المعاكس لسير القطار فسوف يصل إلى ماكويديو

مناطق يسير في الظلام الدامس، على غير هدى، يتقاسم وثلاث
ساعات وقد بدد المطر حتى بلغ منه العظام واشتد عليه الألم في رأسه
فكان يطرّحه أرضاً وأخيراً استطاع أن يمر البيوت المتطرفة على أشعة
الصبر عبر الجديب وجذبته رائحة العهوة المنبعثة من أحد البيوت، فدخل
إلى مطبخ، رأى فيه امرأة تحمل بين ذراعيها طفلاً، وقد انحنت فوق
الفرن تعمل شيئاً، فخطبها بقوة قائلاً:

- مرحباً. أنا حورية أركاديو الثاني بونديا.

وذكر اسمه كاملاً، وهو يشدّ على مقاطعه، ربما ليقيم نفسه أولاً أنه
ع يزال فعلاً على قيد الحياة وقد كان على حق في ذلك، لأن المرأة
ظلت، وهي ترمقه في الباب، كئيباً، قلواً، مهدماً، وقد تلطخ رأسه
ونباهه يقع الدم، وخيم عليه شبح الموت؛ ظلت أنها إذا تشاهد رؤيا في

حسبها وكانت المرأة تعرفه فجاءته بغطاء يتلصق به، ربما يضع ثيابه
بعد الوقت كي يجف وسحت به الماء كي يعمل جرحه، ولم يكن أكبر
من عودش بسيط ثم ناولته رباطاً نظيفاً يضمده به رأسه وقدعت له
مجاناً موهة ملا سكر. فقد كانت تعرف أن آل بونديا يشربونها هكذا
ويعد أن شرّ ثيابه قريباً من النار. فمضم قاتلاً:

- لا بد أنهم ثلاثة آلاف.

فاستفسرت سائلة:

- ماذا؟

فأوضح لها قائلاً:

- الموتى. أظن أن جميع من كانوا في المحطة قد ماتوا.

نظرت إليه المرأة نظرة إشفاق، وقالت

- ثم يمت أحد في هذه الساحة المحطة الصغيرة، فمشاهد طاولات
يحدث شيء في ماكويديو وأعاد عليه هذا القول نفسه جميع من رأهم
في المظليخ الثلاثة التي تربط في طريقه.

ثم يمت أحد

ومر حورية أركاديو الثاني بساحة المحطة الصغيرة، فمشاهد طاولات
بعدة انصليات مضدة بعضها فوق بعض ولم ير هناك أي أثر للمجررة
معد كواب الشوارع مقفلة، وكان انصر بهطل عرياً، وكانت البيوت
معلنة، لا يندع أي مظهر للحياة وكان أول دليل على وجود الإنسان
دبك جرس الذي قرع إبداناً بموعده الصلاة طرق باب العقيد (فيلان،
فصحت له الباب امرأة حبلى، طمأناها ثم أغلقت في وجهه، وهي
تقول مدعورة:

- لقد رحل، عاد إلى بلاده.

وكان عند نائب قرى الدجاج الكبير، اعطاه بالأسلاك الشائكة، شرطيات محليان، يعتمدان لحودتيهما، ويترملان بمطفيهما المشععين وحدهما بهما المطاطيين، جامدين بلا حرارة، وكأنهما استحالوا إلى تمثالين وكان اليهود الربورج السود، في شارعهم الجاهلي، يرملون مرمرير سبهم الدمية

فصر حورية أركاديو الثاني من فوق سباح نهار، ودخل إلى البيت من اللطيف وحدهما رأته أمه سالت صوفيا (النقية) : قالت له بصوت خفيض - حاذر أن تراك فيرناندا. لقد نهضت من سريرها قبل لحظة

ثم، وكأنه تعي بعهد لم تعسه، قادت بها إلى غرفة الأوصي، حيث رتبته له سرير ملكيادس القديم المنحلق مد زمن بعد - وعد الساعة الثانية. بعد الظهر، ويبعث كانت فيرناندا في قبولتها، دعت له من الساعدة طبق طعامه.

وإذاً، لمطر أوريبيانو الثاني وهو في البيت، فدام. وكان م يزال هناك عد الساعة الثالثة بعد الظهر، ينتظر توقف المطر فأحبرته سانتا صوفيا (النقية) سرّاً بوجود أخيه في البيت. مضى بزيارته في غرفة ملكيادس

ولم يستطع أوريبيانو الثاني، ولم يشأ، هو أيضاً أن يصدق قصة المهررة، ولا كايوس القطر الذي شحم فيه الموتى ليمضى بهم في غيبوبة اليم فأمر مساء قرأ الناس إعلاناً بشر في كل البلاد، يحيط الناس علماً بأن العمال قد أعدوا بلأمر الصادر بهم بإحلال المطعة، وقد عادوا إلى بيوتهم في مظاهرة سلمية وجاء في الإعلان، أيضاً، أن القادة النقابيين استجابوا، بمافع من حصص الوطني العالي، فاختصرو مطالبهم إلى اثنين، هم إصلاح لخدمات الطبية، رياء مساكن في المناطق السكنية وشاغ، ميم بعد، أن القادة العسكريين، عهدهم حصصو عني موافقة العمال، أسرعوا بنقل محتواها إلى السيد براون، الذي أعلن، بدوره، أنه

لا يمكنه بصون الشروط المحددة، بل راد على ذلك سأل أقام وليمة لسكران جميعاً، دامت ثلاثة أيام، احتفالاً بانتهاء الروع وعنى الرضم من ذلك، عذب إليه العسكريون تحذيد موعده لتوقيع لاتفاق منظر من الناعدة إلى الجوى، الذي كانت نومص فيه البروق، وتأمل طويلاً، ثم قال وكأنه يتوقع أمراً محتوماً :

.. عندما يتوقف المطر - فما دام المطر يههمر سوف معلق لأعمال والأشعة جميعاً.

وقد مضى على توقف المطر ثلاثة أشهر، وقد اشتد الخفاف في المناطق. ولكن، ما إن أعلن السيد براون قراره ذلك، حتى تمدن راس كأنه طوفان غمر مناطق الموز كند. وهو المطر الذي واحه حورية أركاديو الثاني في طريقه إلى مكوندو. وانقصى أسرع على ذلك التدرج والمطر يههمر مدواراً وكثرت الحكومة إعلانها برسمي آلاف المرات، وعصمته على كل أرجاء البلاد، وبكل وسائل الاتصالات التي تملكها، حتى انتهى لأمر بالاس إلى تصديق ذلك الإعلان - ثم بحث أحده - وقد عاد العمال، راضين قاعين، إلى عائلاتهم. وقد علفت شركة الموز كل أعمالها حتى ينقش المطر واستمر العمل بالأحكام العرفية، برولا عند الحاجة الناشئة عن الظروف الطارئة، والإجراءات التفسيرية اللازمة، بسبب الأمطار الدائمة. ولكن جرد كانوا داحن لثقتانهم. وكانوا في الهار يسيرون في الطرقات، حائضين في السيون التي كانت تغمرها طاولين أرجل باطليهم ويعبرون بروارق الصغار مع الأطفال. أما في النيل فكان الجنود يحملون أبواب البيوت، في ساعات منع التجوكر، بأحقاب بنادقهم، ويداهمون المشركين في أسرة نومهم، عيقتونهم ويخرجونهم من بيوتهم، ثم يصحبونهم في رحلة لا عودة منها

كانت عمليات البحث والمطاردة والإعدام، لمس كانوا يسمون

المشاعيين، والقنذلة، ومثيري الفتن، ومشعني الحرائق، وسواهم من الخارجيين على قلبيان، الذين شملهم المرسوم (رقم 4)، عاتراك متواصلة وعلى أشدها ولكن نمسكيين كانوا لا يمتروهم بما يصلونه حتى يدوي الضحايا، الذين كانوا يحتشرون أمام مراكز القيادة العامة بحثاً عن الأحرار كان الضباط يقولون بهم ويمدون العول

- لا بد أنكم كنتم تعلمون، فلم يحدث في السابق، ولا يحدث الآن، وس يحدث شيء في مأكومو هذه بلدة سعيدة وهكذا استطاعوا، بهذه الطريقة، القضاء النام على القادة الثقيين

لم يبق من القادة الثقيين واحد على قيد الحياة سوى خوزيه أركاديو الثاني وفي ليلة من ليالي شهر شباط (فبراير)، سمع أهل البيت الضرب بأعقاب البنادق على باب الدار قوياً مدوياً وكان أوريليانو الثاني م يرال يتظر ريثم يتوقف خطر كي يعذر البيت ففتح الباب، وإذا به أمام ستة جود بامرة ضابط كانوا مبتهين من البطر، ويقطرون ماء وودون أن يعوه واحد منهم بكلمة، فتشروا الدار غرفة عرفة، وخزانة خزانة، أيداه باللقاعتين وانتهاه باهرون. وأحانت أورسولا عندما أصابوا الور في عرفتة فلم تس بكلمة، ولم تدع نفسها يعلو على مأكومو، وأبقت على إصبعيها منصليتين طوال فترة التفتيش، تدبرهما بالجماء الجود، حيثما يقتشون، تبعهم بهما في غدوهم ورواحهم واستطاعت سائنا صوفي (التيمة) أن تلخ خوزيه أركاديو الثاني، الذي كان مثمماً في غرفة ملكيدس ولكنه أدرك أن «مرربات مستحيلاً» فأعفت سائنا صوفي الباب، بينما ارتدى هو قميصه وحده، وجلس على حافة السرير ينظر قدوم الجود كانوا امدك يقتشون مشعل الصبيحة، فبعد أن أمر الضابط يطلع النمال، أدار نور مصباحه في أرجاء الغرفة، وشاهد الطاولة، والخزانة الصغيرة، ومووير، الأحماص، والدورق ولادوات، وما زال كن

مها في المكان الذي تركه فيها صاحبها فأدرك أن أحداً لا يسكن تلك الغرفة

وسأل الضابط أوريليانو الثاني سؤالاً ذكياً، ما إن كانت مهته الصبيحة ما أوضح له الأخير أنه الآن يدع في مشعل العقيد أوريليانو بوسيدا معنى الضابط قائلاً

- ه ه ه هو إيدنا

ثم أضاء الأثور جسيماً، وأمر بإجره بحث دقيق، حتى لم تفتهم السمكات الذهبية الثماني عشرة الصغيرة التي لم يتم صهرها، وكانت مخفية وراء الزجاجات والقوارير في صبيحة التث. فتصحبها الضابط واحدة واحدة، على الطاولة، وعادته، في تلك اللحظة، إنسانيشه، فقال

- لو أن أحد واحدة منها إن سمحت، فقد كانت، في وقت من الأوقات، دليل تعارفه، بين الثوار ويكنه، لأن تراث أثري

وكان ذلك الضابط شيئاً، أو بالأحرى يافعاً، ليس فيه سمة من سمات الجين، وفي طبيعته شيء من الود والحنق الطيب، وإن كان لم يبد عليه حتى ذلك الحين. فأعطاه أوريليانو الثاني السمكة الصغيرة ودسها انضباط في جيب قميصه، وقد لمعت عينه بفرح طفولي، وأعاد السمكات الصغيرة لأخرى إلى الصبيحة، ولرحمها إلى حيث كانت. وقال :

- إنها لحظة وذكري لا تغدّر بشي فقد كان العقيد أوريليانو بوسيدا واحداً من أعظم رجالنا.

ولكن إنسانيته المعاجنة لم تعذك شئاً من سلوكه الوظيفي وتشبث سائنا صوفيا (التيمة) بأخو أس لها أمام غرفة ملكيدس، بعد أن أحادت

[علاقته بالعالَم، وقالت :

- مد غرد لم يسكن أحد في هذه العرفة

ولكن الضابط أمر بفتحها، وأجال فيها ضوء مصباحه وشاهدت صامت صوفياً (المتقية) وأوريليانو الثاني حسي حوريه أركاديو الثاني الغريبتين لحظه من النور على وجهه وأدركا أن تلك المحطة كانت نهاية فنق وبداية فنق آخر، وألا راحة لهذا، بعد ذلك، إلا بالرضا بى هو وانع وتناح الضابط إجابة ضوء للمصباح في العرفة، معشاً فلم يبد عليه أي اهتمام ذي معنى وقد اكتشف الأثني والسبعين بناء المكسدة في الخرائط، بعضها فوق بعض وعنده أضواء نور العرفة وكان خوربه أركاديو الثاني ما يزال جالساً على حافة السرير، متلعباً بنقمر إلى خارج العرفة، مهيباً جيللاً حلاً أكثر منه في أية ساعة من ساعات حياته

وبانت في موحدة العرفة الرفوف الكثيرة، وقد صفت عليها الكتب القديمة المتهترقة، وفراطيس الورق، وطاولات العمل المنظمة، ولحبر الذي كان يبدو جديناً في الصابر وكان الهواء يعبق بنفس النقاء، وباحصانة وإساعة صد العيار والخرابية مما عرفه أوريليانو الثاني في طفولته، وروحه العقيد أوريليانو بويديا لم يتركه ولكن الضابط لم يكرث إلا بالأواني، فسأل

- كم شخصاً يعيش في هذه الدار.

- خمسة

وكان واضحاً أن الضابط لم يفهم. مرتف هامتاً، وقد استقر نظره على المكان الذي يرى فيه أوريليانو الثاني وسات صوفياً (المتقية)، اللذين كان يريان خوربه أركاديو الثاني، الذي كان يدرك بدوره أن الجدتي كان يظفر إليه دون أن يراه ثم أطفأ الضابط النور، وأعق الباب وأدرك أوريليانو الثاني، عندما سمع ما قاله الضابط للجنود، أن ذلك الضابط

الشاب كان يرى الغرفة بعيني العقيد أوريليانو بويديا. فقد سمعه يقول للجنود

- من الرضخ أن أحداً لم يسكن في تلك العرفة منذ مئة سنة على الأقل. فلا بد أن تكون هناك أفاع تعيش فيها لأن

وعندما انعق باب العرفة، أيقن حوريه أركاديو الثاني أن الحرب قد انتهت. فلقد حدثه العقيد أوريليانو بويديا لسير خلته، من سحر الحرب، وقدم له أمثله استقفاها من حيراته وآمن بأقواله ولكنه، في تلك الليلة، عندما نظر إليه العسكريون، جالساً أمامهم، دون أن يصبروه، وهو يهكو بالعرب والتونر الذي علناه في الشهور، لأخيرة، والحياة البائسة التي قصاها في السجن، توصل إلى نتيجة مفادها أن العقيد أوريليانو بويديا لم يكن مهرجاً أو غيباً مغفلاً، ولقد ذكر كلاماً كثيراً كي يوضح ما كان يشعر به في الحرب، مع أن كلمة واحدة كانت كافية، وهي الخوف، وقد خبر حوريه أركاديو الثاني الخوف في تلك الليلة وقبلها فعي غرفة ملكيلاس، ويسمى كان النور السواوي يحميه، وعلى وقع سائط المطر، وتحته وطلة الشعور بأنه لا يرى، شعور بالراحة التي لم يعرفها لحظة واحدة طوال حياته الماضية، على الرغم من أن حوربه من أن يدهن حياً كان ما يزال يسيطر عليه.

وواح بى كان يعمل في صدره من مشاعر إلى مديناً صوفياً، يسما كانت تنقل إليه طعامه، كما أنها بومياً، فوعده بأن يبدل ما تستطيع كي تبس على يد الحياة أضواء مما تبيحه بها قواه، تنظمش إلى أنه لم يدهن إلا بعد موته. وعندما تحلص حوريه أركاديو الثاني من ذلك الخوف، كرس نفسه لقراءة صحائف هيكليدس ورفعه، المرة تلو المرة وكان استمتع به يرداد أريداً مطرداً مع ازدياد حوصها حيه وانعلاها على

دهمه

وإعداد صورت هطول المطر، فقد غدا عده. بعد شهرين، صورة أخرى من صور السميت ولم يكن يكسر حدة وحفنة سوى دحون سائنا صوفيا وخروجها ولهذا رجاء أن تصعب له الطعام على حانة الشباك، وأن تعيد العمال إلى البيت.

وهكذا بسيت بقية العائلة، بمن فيهم هيرمانده، التي لم يرم بها مع مقدمه في البيت، خصوصاً بعد أن علمت أن جود نظروا إليه دود أن يروه وبعد ستة أشهر من العزلة، رحل الحيش عن ماكوندوه، فاسترخ أوريلانو الثاني العلاء لأنه كان بحاجة بلحديث مع شحص آخر ريشما يتوقف هطول المطر وعندما فتح الباب صمغته رائحة الأواني القدرة، لأنهم استعملت جميعاً غير مرة ولكن خوزيه أركاديو الثاني، وقد أصابه داء الثعلب، لم يكن ليأبه تلك الروائح الكريهة التي أحالت جو العزلة إلى جو ممتع غير قابل للتنفس فاستمر في قراءة صحائف ملكيادس المبهمة، وإعادة قراءتها وكانت تصبئه لأتوار الملائكة ولم يكن يرفع بصره عن الصحائف إلا نادراً، وخصوصاً عندما يحسن بفتح الباب.

وقرأ أخوه أوريلانو الثاني، في نظرنه قدر جده المحتوم وأصبحاً حديقاً في عيني أخيه تلك خوزيه أركاديو الثاني كانوا أكثر من ثلاث آلاف أن عسى يقين أنهم جميعاً تروءدوا إلى الحظوة

ولم يصف إلى ذلك كلمة أخرى.

(١٩)

استمر هطول المطر أربع سنين وأحد عشر شهراً ويومين اثنين. وتحدثت هذه امددة فترات كان المطر خلالها يتساقط رذاً، يتعمد الناس به. وكانهم يملكون بما يشبه البقعة من مرض ألم بهم فاحتفلوا بروال المطر ولكنهم عتادوا، بعد ذلك، أن تلت الفترات من توقف المطر لم تكن دليل تكسات فقد كانت السماء تلقي ما في جوفها، اندلاق المياه من أنواء القربيه في جلجنة وهزيم وعدد ووميض يرق، وعواصف وروابع لا تنقي ولا تدر، ويرسل الشمال عاني هوائه لتقتلع مقوف السوت، وتهدم جدرانها، وتستأصل الأشجار من جذورها وكما كان يحدث أيام مرض الأرق الذي تذكرته أورسولا كثيراً في الأيام الأخيرة، كان البلاء نفسه يقود إلى استداع الرميصة للتعطب على الأسام. وكان أوريلانو الثاني من أكثر الذين يندو جهوداً جبارة للعب على المراع وقد مرّ بالبيت، ذات يوم، بسبب غير ذي بال من الأبواب وانفق ذلك مع الليلة التي أطلق فيها السيد جاك براون العنان لعاصفه المجررة فقدمت له فيرماناً مظلة مديرة عثرت عليها عن أحد الرفوف، عده يتقي بها لمطر في أثناء عودته ولكنه قال بها لا حاجة بي إليها سوف أمكث هنا حتى يتشبع الغيم ويتوقف المطر

ولم يكن مضطراً لذلك، إذ كان يستطيع أن يلعب. ولكنه اختار

البقاء وحلال إقامته في البيت، كان يجمع ثيابه كل ثلاثة أيام، سما يبقى في السرور، ريثم يعمل ملائمه، لأن حوائجه كلها كانت عند بيتر كوتيس. وقد عمدا إلى التسلة والتسرية عن نفسه، لعله يرجي أوقات فراغه، بإصلاح ما حارب في الدار. فأصبح معضلات الأبواب ومفاصلها، وشحمت الأقفال والملاط، وشد براغي المزالج ومساميرها، وعكد ما كان مائلاً منها. وقد أمضى بضعة أشهر، ينتقل من مكان إلى آخر في الدار، وهو يحمل عليه الأدوات، التي يظن أن العجز قد سوهها. هالك أيام خوزيه أركاديو بويتيا.

ولسبب علف من الأسباب، يمكن أن يعمرى إلى الرياضة القسرية، أو إلى السأم الشتوي، أو ما نشأ من لإسلاك عن تناول الطعام أو الرغبة عنه، بدأت سمته تنحف تدريجاً، وكأنه قربة ماء جديدة أصابها شيء من التفسخ. وغدا وجهه أشبه بملحفة دعرة لها وشحت فعايت الدموية من عروقها. وحف الانتفاخ لمردوح تحت دقه، وبدأ جسمه أنزل تشوهاً وصفاً، وصار يستطيع ربط سير خذاته بنفسه.

وعندما شاهدته فيرماندا ريثم مقابلين الأبواب، ويصلح الساعات، دهشت وتساءلت في نفسها ما إذا كانت قد استهوت عدة صبح لأشياء وفكها وتركيبها، كما كان يفعل العقيد أوريبانو بوسيدا في مسكاته الذهبية الصغيرة، أو كما كانت تفعل أمارات بأزوار ثيابها ثم يكفها، أو كما كان يفعل خوزيه أركاديو الثاني بالرقق والمصالح في عركته، أو، أخيراً، كما كانت تفعل أورسولا بذكر ثيابها.

ولم يكن الأمر كذلك، فالذي حدث هو أن انظر كان يؤثر في كل شيء. فتمس الأهرار والأصحاب بين صجلات الآلات إذا لم تترك مرة كل ثلاثة أيام. كما كانت أسلاكها تصاب بالصدأ، ونمو اشتال الرصاص على العيل الرطب وفي المطارح الرطبة. ولم يكن الجورطياً وحسب،

فقد فاصت به في كل مكان، حتى صار يوسع السكك أن يسبح دحلاً من الأبواب، منتقلاً بين المقروء، عارحاً من المواقف.

استيقظت أورسولا ذات صباح، وهي تشعر سدور خفيف وأدركت أن بهاها قد أمرت. فطقت أن يوم لها يلاب أنطوسيو إيرميل، حتى ولو جني به محمولاً. ولكن سأت صوب اكتشف، بعد فترة، أن طائفة من العنق كانت تعطي ظهرها، فاسرعوها لها، وحده بعد الأخرى، بكيها بأخديد الحمى، من أن تقتص دسها. وفرض على أهل الدار أن يحمروا في ساحتها قنوات لنصريف لياه، ويحلين النار من المصدع والحرث مائية الأخرى. وبدلت قبة أرض الدار والعرش، ويمكن عدها رفع قطع القرميد بي وضعت تحت هوائيم الأسرة بسبب الماء، كما يمكن لأهل البيت أن يتغوا بأحديتهم فيه.

واستعمرى ذلك العمل أوريبانو الثاني، وملا كل وقته، حتى إنه لم يفت إلى علامات الشحوحه التي بدأت تظهر عليه. وحين يوم عادت شمه مبكرة، بينما كان يتأمنها، وإد به فجأة يذكر سر كوتيس دون أن ترجع به حارحة. وكان عدها ثم بعد بجد غصاصة في الرجوع إلى حبه فيرماندا المسقيم، بعد أن أمضا تقدم العمريه أصبحت إلى جمالها. ولكن بواصل لطر كان يسحب من مرق العواطف، ويروده بصدء الشمس، الذي كان بدوره يسعري بهمه. واستلم للأمين في ما كان يمكنه أن يفعل في أنه خطول المطر، الذي كان قد مضى على يديه قرابة عام.

كان أوريبانو الثاني من أوائل الذين استوردوا مصانع التث إلى ماكوسو. سبق بذلك شركة المور، إذ كان له العسل يجعل استعمالها في البيوت أمراً مألوفاً ومرغوباً فيه. ولم يكن غرضه، جيداً، أبعد من أن يعطي بالمصانع عرفة نوم بيتر كوتيس، يسعد بإحساسها العتيق.

بالحب والمودة والرفقة. لدى سماعها أصوات تساقط المطر عليها ولكنه ظل مبتدئ الحس إزاء الذكريات البهية العائدة لأيام شبابه الطائش وكان أحريات حملاته المدججة قد استعصت كل ميله الموروث إلى السدح والتبذير فلم يبق له من دنس سوى القدرة على تذكره دون مراره ودون عذاب الضمير. وكان الطرفان قد قررا له فرصة للحل إلى نفسه والتأمل في أحواله. وكان حمى أدوات التصحيح حركت في بعض طاقات كاتبة فيه لممارسة حرف ومهن كثيرة كان يستطيع مراولتها؛ ولكنه لم يعمل طوال عمره إذ لم تمكنه ظروفه من الاحتيار والقرار. وأخبرته الحياة العالمية الهائجة، وطوى عليه ميل للاكتماء بديسور، مع الانصراف كليا إلى التأمل في الحياة.

ولم يكن «ميل» وليد ساعتها، فقد كان مروراً فيه مذ زمن بعيد، وجاء المطر ليبيسه من جوف باطنه. وكان سبق لهذا، لميل أن غا وترعرع في الفترة التي كان يقرأ فيها، في غرفة ملكيادس، القصص عن ساط الرياح والحيتان الهائلة التي تلتهم السفن بركابها، وغيرها من قصص العجالي.

كان خروج أوريليانو الصغير إلى الشرفة، خلال لحظة إهمال من فيرماندا في يوم كسوف اليوم. وعندها علم جده بسر وجوده. فقص له شعره، وألبس ثياباً، وعرفه الأبحاف الناس بعد اليوم. ثم ما لبث أن تسب أن ذلك الصغير شبيه كل الشبه بالعقيد أوريليانو يونديا، بوجتيه البارزين، وبظفرته الساحمة الداهلة أبداً، وسلوكه الانفرادي المتوحد.

وهذأت وساوس فيرماندا، وهيماناً بالها. فقد أدركت، منذ وقت طويل، أنها كانت قد تبادت في غرورها وكبريائها. وودت لو تستطيع أن تصلح لأمر، ولكنها لم تعرف إلى ذلك سبلاً. كانت دائمة التكبر في محسوس، ولكنها لم تجد حلاً واحداً مقبولاً. فلو أنها هدمت، من قبل،

أد أوريليانو الثاني كان من الممكن أن يحمل لسائلة محمل العاطفة، ويتقبله بحب وجد الطيب، لأنها أُنحى أن تحب نفسها العناء. وحذبت سنة بكاسهم من الرود ومحاولات التهميه في التوابع على الآخرين.

وقد وجدت أمدارات أورسولا، التي بدأت أستاذتها بالظهور، في ابن أختها سلوى رائعة بها من الميل الذي يسهل تواصله بطول المطر. وتذكر أوريليانو الثاني «موسوعة» (الأنسكلوبيديا) الإنجليزية في غرفة ميمي القديمة. فبدأ يعرض الصور على الطفلين ولا سيما صور الحيوانات، ثم الخرائط الجغرافية وصور البلدان النائية، والشخصيات المشهورة. وما كان يجهل اللغة الإنجليزية جهلاً تاماً، ولا يستطيع أن يميز سوى المدن والشخصيات المشهورة، فقد جعل يبتدع لأسماء والقصص الخرافية، عنه يشبع رغبة الأطفال في حب الإطلاع، التي لا تعرف الحدود.

كانت فيرماندا على يقين شبه تام من أن زوجها، أوريليانو الثاني، لا يد عائد إلى محظيته، ولم يكن ينتظر سوى توفع المطر. ولكن كانت محسنة، في شهور المطر الأولى، أن يحاول الدحون عبيد في غرفه نومها، فتعاني من معة إعلامه بأنها، منذ ولادة أمارانتا أورسولا، لم تعد قادرة على إرضاء رغائيه. ولقد كان هذا الأمر سبب مراسلاتها المصومة مع الأطباء المهجولين. وقد انقطعت تلك المراسلات نتيجة للكلواث التي حلت بالبدنة وعطفت البريد. وكان سبق لها في الأشهر الأولى من الاضطرابات، التي شاع فيها أن الاضطرابات كانت تخرج عن حطوطها، أن استلمت رسالة من الأطباء المهجولين تعيد أن رسائلها لا تصلهم.

وما توفقت صلات التراسل بين فيرماندا والأطباء المهجولين، فكرت جدياً بأن تضع على وجهها نزع السر الذي لبسه زوجها يوم المهرجان الدامي، لكي يعحصها أطباء شركة «مور»، بعد أن تتحد بها امحاً مستعزاً، فلا يعرفها أحد. وحال دون تعيد تلك الحطة أن واحداً من

الدين اعتادوا زيارة البيت، لينقلوا أحبار الطوفان إلى أعنه، قد أعلمها أن شركة المور قد تكونت مستوصفها ونقلته إلى مكان تقل فيه الأمطار وعندها فقدت بيرناندا، لأمل، وهررت أن تنتظر توفع، لأمطار، وعودة خدمات البريد وحلال فترة الانتظار، كانت تعمد إلى تحميم ألامها ومجانقتها المكبوتة بوسائل من اسكارها فقد كانت تفضل الموت ألف مرة على الطبيب الوحيد الباقي في مأكوفديو. وهو طبيب فرنسي غريب الأطوار، يتعدى بالعشب كاحمير

ونقرت بيرناندا عن أورسولا، عليها تمجد عنها علاجاً لمحطم فيها ولكن عادت في الأثوة، وعدم تسعة الأشياء بأسمائها، كانت تجمعها تعكس لأشياء، فتقدم ما يسعي أن تؤخره، وتستعمل «أخرج» أو «نعي» بدلاً من «فوق» أو «الحجم»، و«أخرى» بدلاً من «التدفق»، و«الأخراج» بدلاً من «الانتهاج»، لعبها تحف يدك من خجلها مما تحدث عنه فاستتجت أورسولا من حديثها عن مرضها أن لأعراض أعراض مرض معوي لا أعراض مرض مهلي فتصحبها بك تنارت، قبل الطعام، جرعة من الكالوميل

والواقع أن المطر لو لم يهطل، فيرد من آلام بيرناندا ويسبب انقطاع مراسلاتها، فما اختلف الأمر عنها كثيراً فقد أصبحت حياتها يطوبها وكان المطر متواصل لا يقطع أدناً ولم يكن مرض فيرناندا مما يسبب لصاحبه حجلاً، بل إن كان مصاباً أصلاً بمرض الخجل وهكذا، لم تعدك فيرناندا مسار حياتها اليومية فقد رفعت طهولة الطعام على ألواح من القرميد، ودمعت الكرسي على قطع من الخشب، لتجنب الطاعمين بلل أقدامهم ولم تس أعطية الكناك والأواني الصنية والشمعانات وقت العشاء.

كان من رأيها أن الكوارث الطبيعية لا تستأهل أن يغير الإنسان تقاليد

الرفة

وسم يعرج أحد من الدار خلال ثمت العشرة. ولو كان الأمر بيد ميرناندا، لما أدت لأحد بالخروج حتى قبل أن يهطل المطر برص طوين ذلك أن الأبواب، عندها، قد حُرعت لكي تظل مغلقة أي حب النظر إلى ما يجري في الشوارع فقد كان عندها من عادات الساقطين والساقطات وعلى الرغم من ذلك، كانت هي أول من نظرت إلى ما كان يجري في الشارع عند وصولها بأمرور جنازة العقيد جيريسندو ماركيز يومها حصلت قرب النافذة، وهي نصف مفتوحة، تشهد الحارة، وقد غمرها حزن شديد، ولكنها أثبتت نفسها، عن بعد، وأسفت أسماً شديداً وأفقها مدة طويلة، بسبب لحظه الصنف تدك التي مرت بها

لم يكن بوسع فيرناندا أن تصور جنازة في مثل بؤس تلك الجنازة، أو تشر ما أثرت من الحزن فقد وضع العشب على متن عربة تجرها الثيران، ونجلاه هبة مبية من أوراق شجر الموز. وكان المطر يتهمز غزواً مما يجعل الشوارع مذبذبة بالروح والعشيرة فتتعمق عجالات العربة بين الحفورة والأحري، وتكاد تهدم القبة المرفوعة فوق العشب. وكانت جنائز المطر الخرس المنهورة تعسل العلم المرفوع فوق العشب. وهو ذلك العلم معه المنطق بالمدم والشراب ومسحوق البارود، والذي طمدا كان يكره أشجع الحارين المضمضين وقد ركز فوق العشب أيضاً ذلك السيف المعروف بمدياته الحاسية والغضبية، وهو السيف معه الذي كان العقيد جيريسندو ماركيز يعتقه على المشجب في الصلاة، قبل أن يدخل بلا سلاح إلى مشعل خياطة أماراتها.

وكان يسير وراء العربة بعض الحفاعة، وقد دفعوا أرجل باطيمهم وهم آخر الأحياء من شهداء معاهدة الاستسلام في بيرلانديا كانوا يهوضون في الوحل، يحمل الواحد منهم بإحدى يديه عصا، هي مهماز العلاج،

ويحمل باليد لأخرى إكبل وهر أفسد المطر ألوانه. فكانوا يبدون، من بعيد، كأنهم سرب يراهي في الشارع الذي ما يزال يحمل اسم العميد أوريبانو بويديا. وقد ما قاربوا من العميد ألغوا نظره عليها قبل أن يصدوا إلى رابية الساحة العامة وهناك صلبوا العمود من لأخرين. كي يسعدوهم في إخراج العربة من الوحل الذي عثقت فيه

في تلك اللحظة، ظلت أورسولا من جانب صوب أن تحملها إلى عتبة الدار، حيث نابتت مسير الجذرة باهتمام شديد، لم يكن يوسع أحد أن يقدر معه أنها كانت لا مري وقد رعت يدها ثلاثكة الرسالة تحركها على وقع عجالات العربة ثم صاحبت قائلة

س وداعاً يا جيسريدو وداعاً يا بي. بلغ بحياتي لأحيائي، وألمعهم بأنني صوف أراهم عندما يتوقف المطر عن المطول.

وأعده أوريبانو الثاني في العودة إلى سريره، وسألها، بحرجه المعتود معها، عن معنى ذلك الوداع فقالت له :
- إنها الحقيقة. فلما لا أنتظر إلا توقف المطر كي أموت.

سارعت حالة الشوارع الحرة انتبه أوريبانو الثاني ونهته مقدر طلق، أحمرأ، بشال مصير حيواناته فوضع وعاء مشتمعاً على رأسه وكعبه، ومضى مباشرة إلى بيت بيترا كوتيس فوجدها في فناء الدار، وقد غمرتها المياه حتى خصرها وهي تحاول تعويم جثة حصان نافق فتدور أوريبانو الثاني رافعة حديدية، وساعده في تعويم الجثة مدار الحيوان المسترخ حول معه كالجرس، ثم أترق في سيل الطين لما تع

كانت بيترا كوتيس تحضي وقتها كله، منذ ابتداء عطول المطر، بإخراج الحيوانات، ميتة من حظائرها في ساحة الدار وقد أرسنت، خلال الأسابيع الأولى، رسائل كثيرة إلى أوريبانو الثاني، تستدعيه لمساعدتها في معاشرة الأمر ولكنه كان يجيب بأن لا لزوم للسرعة، إذ إن الوضع

لم يبلغ درجة الخطورة، وبأنه مسفر يضمن معين عند يتوقف المطر ويصفو الجو. ثم أخبرته أن المراهي قد غرقت بدياء، وأن الحيوانات صارت تلجأ إلى الهضاب حيث لا يوجد غذاء كاف لها، وحيث تتعرض لهجمات الذئاب قد سلمت من المرض. فأجابه أوريبانو الثاني : لا نستطيع حمل شيء. وسوف تولد حيوانات أخرى عند يصفو الجو ويتقطع المطر

وهكذا شهدت بيترا كوتيس موت طعان كاملة من الحيوانات، جمادات جمادات، ولم تكن تستطيع أن تدبج لها، لأن كان يعرض ويلتق في الوحل وقد شهدت الطوفان، وهي لا حول لها ولا طول على فعل شيء، يقضي بلا رحمة ولا رأفة على ثروة كانت، حتى عهد قريب، أكبر ثروة وأقربها في ماكوندو. ولم يبق لها من كل ذلك الآن سوى رائحة النثر. وعندما فرور أوريبانو الثاني أن يذهب إليها ليرى ما كان يجري هناك، لم يجد سوى جثة احصان، وسعة عجمه تنتظر في خرائب الإسطبل.

ظفرت إليه بير كوتيس، وهو قدم بحوها بلا دهشة ولا فرح ولا حقد. ولم تعبر عن الموقف والحال التي كانت فيها إلا بمتسامة ساخرة وقالت

- إنه الوقت المناسب تقريباً. ولم يكن بالإمكان أفضل مما كان.

لقد شاحب بير كوتيس، ولم يس منها سوى جلد والعظم. وحينها التلتان كانتا كحريتي رمح، أو كعيني ذبة معترسة، صارتا حريتين بعد أن دحهم طول التحديق في المطر. وأقام أوريبانو الثاني عندها يوماً وثلاثة أشهر، ليس لأنه شعر بأن حاله عندها كانت أحسن من حاله لدى أهله الذين كانوا في انتظاره، بل لأنه احتج إلى كل ذلك الوقت لكي يتحدد قراره بأن يضع ذلك الوعد المشتمع على رأسه وكعبه كان يردد ما كان

يقوله في البيت الآخر

— لا حاجة للعجلة، فانتظر، لعل المطر يتوقف في الساعات الآتية
وقد بات، في الأسبوع الأور، قادراً على أن يالف آثار الرمي والمطر
على وجه حيت وفي صحتها ورويدا رويداً عاد ينظر إليها ويراه كما
كانت من قبل. فتذكر دلالها ومرحها وما كان عشقها يولده من
خصوصة غريبة في الحيوانات وليقلها من مومها، ذات لينة في الأسبوع
الثاني، في دعوة لشيء من الحب، بشيء من اللطافة والمداينة
للمحبتين. فصنعت بيتراً كوتيس ولم تستجب، فالتفت بصوت حفيف

— عد إلى نومث. فليس هذا لأن الماسب لثل هذه الأمور

وحانت نظرة من أوريليانو الثاني، فشهد نفسه في مرآة السقف،
ورأى عمود بيترا كوتيس الفقري، كأنه سلسلة من حلقات نُبتت في
مقود منعقد من أعصاب مهترئة داسه، فأدرك أنها كانت على حق، لا
بسبب الرمي، بل بسبب منها ومنه، بسببهم معاً، لأنه لم تعد تشدهما
تلك الأمور

وعاد أوريليانو الثاني إلى بيته حاملاً حقله، وهو متيقن أن أهل
ماكورندو جميعاً، وليس أورشولا وحدها، كانوا ينتظرون انقطاع المطر كي
يموتوا. كان يشاهد من عابرين، أو قابعين في فاعات جنوسهم، تائهة
أبصارهم، وقد صالوا أيديهم على صدورهم، وهم يشعرون بأن الرمي
كان يحضي دمة واحدة، وهو رمن لا يرحم، لا يبعد فيه تقسيمه إلى
شهور وسين، وأيام وساعات، من دم المرء لا يستطيع فيه أن يصح شيئاً
غير أن يحدث ويطين السحديق في المطر، وأن يتأمر ويظيل السأم في
المطر

واستقبل الإعلان أوريليانو الثاني بفرح عامر فأحد يعرف لهما على
الأكورديون السقيم ولكن جلسات الموسيقى لم تشلهم كما شلتهم

جلسات الإطلاع على الموسوعة أو الجلسات الأسببكلوبية فاستأنعها
معه في عرفة ميمي ولعب حيال أوريليانو الثاني بالصور لعبته فصار
المنطق الوجه فيلاً طائراً يبحث عن مكان يرتد فيه بين الميموم ووقع
نظره، ذات يوم، على صورة مارس مهيب غريب الأبهة، تشبه هيئته
هيئة آل بوينديا فمامه طويلاً، وتوصل إلى أن الصورة هي صورة العقيد
أوريليانو بوينديا وأراه لميراندا فوافقت على التشبه بين العارس
والعقيد، بل سنه وبين كل أفراد عائلة بوينديا، ولو أنها أضافت أن الأمر
لا يشعدي كونه محارباً تريباً

وهكذا، راح أوريليانو الثاني يمضي وقته بين هملاق رودس ومحررة
الأناعي. وبجاءته زوجته مرة تعبيرة أنه لم يبق في مخزن البيت سوى
كيلوغرامات من اللحم وكيس واحد من الأرز. فألها

— وماذا ينبغي أن أفعل؟

فأجابت قائلة :

— لا أدري، فهنا شأن من شؤون الرجال.

فقال أوريليانو الثاني :

— لا بأس سوف تتدبر الأمر عندم يتوقف المطر وعاد إلى الموسوعة
الإنجليزية، يهتم بها أكثر من اهتمامه بتلك المشكلة البتية. وقد بلغ به
الوضع أن اضطر للاكتفاء، في غذائه، بقطع صغيرة من اللحم وقيل من
الأرز. وكان يدأب على القول

— يستحيل أن يفعل الآن شيئاً ولكن المطر لن يدوم طوال العمر

وكان كلما أجال نظره في حاجات المؤونة الملحة، ردادت لميراندا
غضباً فكانت تخرج حيناً، وتعارض حيناً آخر، ولكنها تنفجر حيناً ثالثاً.
ثم تحوكت تلك الروايات المعارضة إلى سيل عارم من التمرد والثورة وبدا

تعبيرها عن ثورتها، صباح ذات يوم، كنعم هادئ عن قيضة ذات وتر وحيد، وراح يرتفع مع مصي النهار ويشند مع تقدم ساعاته وكانت ثورتها تتحد شكل تعبير، لا يهدأ ولا يتقطع، لأوريليانو الثاني ولم ينته الأخير إلى تلك الطريقة في تعبيره إلا بعد ظهور اليوم التالي، فقد سمع تلك الدفعة التي لا ينفك صدها يتردد في أرجاء البيت ثم صفا الصوت ويان، مرتفعاً فوق هسهسات المطر وكان الصوت صوت فيرناندا، وهي تروح وتجيء، صاحبة في البيت، شاكبة من أنها نشئت وريث كمنك، وانتهى أمرها إلى خادمة في بيت مجاني. فزوحها رجل كسول، وثني، داعر ينام ملء جفنيه غير مبال، ويتظر أن تملأ السماء بته خيراً وسماً وعسلاً، بينما تكذب هي وتشفق، حتى تعدم كليتها وهي تحاول أن تنفذ من العرق بيتاً لم يعد يمسك بعضه إلى بعض سوى بقية باقية من دبابير الصمادات والأربطة الملهلة أما العمل في البيت يبدأ بعد بزوغ أشعة الشمس لأولى، ويكون متواصلاً لا يطاق ولا يسهي حتى يحل الليل، تتردد فيرناندا في سريرها منهكة، وقد امتلأت عيناها قذى وخباراً وهو كذا ذلك ويعد لا يجهد من يقول لها كلمة طيبة لو من يحييها تحية صباح الخير، أو يهتم يسألها ما إن كانت لديها هادئة طيبة لم يكثر أحد به ليائها، مثلاً، خاداً يسو وجهها شاحباً أصفر، وغاد تظهر حوالي عينيها، في الصباح، دوائر بفسجية ولم تكن فيرناندا، بطبيعة الحال، تتوقع مثل تلك الأمور من أفراد عائلة ما اعتكث تعسرها من المعصيات والمزعجات، أو خرفة نالية عتيقة تستخدم للمقبض على القدر على النار، اتفاقاً لحرق تلك العائلة التي كانت ترى فيها ما يشبه قرعة مرسومة على جدار، وسم عليها في زوايا الدار، فخنعتها ثرة بالمدينة الوردية (لأرة الكيسة)، وتارة أخرى بالعربية وبداية القصور المتعجرة الوقحة.

حتى أماراتنا معها، يرحمها الله، تجمرات عيناها مرة، ووعت بصوت حال أنها تحلط بين قفاها وجمجمة العظيمة، أستمع الله، لقد سمعت كل ما يمكن أن يسمعه الإنسان، وأسوأ ما يمكن أن يتظن واحتمت كل ديث، دون أن تنفعل بكلمة واحدة، وأسلمت أمرها للآل الألي، ربه، وبكنها لم تستطع أن تحتس ما لوق ذلك، حين رعم ذلك الشرير خوريه أوكاديو الثاني، أن ساد العائلة واللمعة التي حلت بها قد مجها عن أنها سمحت بالدخول عليها لامرأة دعية جبيه ناهية - تحبوا أباها الناس - دعية ناهية جيلية كانت وحدة من بنات المناطق العالة - ماذا بقي يا رب؟ - دعية دمها أزرق، من جنة الأوماش ابنه الجمال الذين جلسهم الحكومة كي يذهبوا العمال، ترى، هل كان يعني شخصاً غيرها؟

ويصاح رعمه مائلاً فأحبروني، مشراً إلى فيرناندا، عن تلك الت التي كان هرابها دوق ألباء، وعن سيفة من تلك السلالة كدت تسب الأضراب في أكباد زوجات رؤساء الجمهورية بسب العيرة، سيدة مثلها سيلة دم سين، غمك حق التوقع بأحد عشر اسماً كله من الوطن الأم، أيبيريا، وهي الكائنة حية الوحيدة الباقية من بدة حافه بالقطء، والتي ما كانت لتترك باستعمال ستة عشر طقمًا من أدوات الطعام العضية عندما تراه، حتى إن زوجها الماهر يكاد يموت ضحكاً، فيما بعد، وهو يقول إن هذا العدد من الملائق والشوكات والسكاكين سم يقصده به أن يكون لبشر، بل للرواحف وهي الوحيدة التي كانت تستطيع أن تخبر، وعياها معضات متى يقدم البيد الأبيض، ومن أية جهة، وفي أي كأس، ومتى يقدم البيد الأحمر، ومن أية جهة، وفي أي كأس وهي ليست كالعلاحة أماراننا - يرحمها الله - التي كانت تظن أن البيد الأبيض يقدم في النهار، فيما يقدم البيد الأحمر في الليل، وهي

المرأة الوحيدة، في منطقة الساحل، التي يمكنها أن تعمر بأنها لم تقص
 قط حاجتها إلا في إساءة مذهب. ومع ذلك تجرأ العقيد أوريليانو بونديا -
 رحمة الله عليه - معاً لها بلومه وخبثه للسوئي، من أين لها ذلك.
 وكيف استعجلت هذا لامتياز، وما إذا كانت تخرج برازاً عادياً أم أنها
 تخرج ريحاناً (حقيقاً) - فتأملوا هذا الكلام بعينه حتى رياتا، ابتها
 ذاتها، احتبأت مرة وراقبتها وهي تتغوط في غرقها، وقالت لها إن
 «إساءة فعلاً ذهب حائض وعليه شعار العائنه، ولكن ما به ليس سوى
 غائط عادي، غائط عصوي، لا يختلف عن غائط أي من الناس إلا بأنه
 أسوأ، لأن صاحبه دعيه سحيمة من بات الأراضي المرمعة فتأملوا.
 حتى ابتها هي كان هذا موقفها منها - لماذا كانت تتوقع من سائر أفراد
 العائلة ونكها، على الرغم من ذلك، كانت متعلقة في أن تتوقع من
 زوجها بعض الاحترام، لأن قدمية الزوج تجعله شريكاً لها في السراء
 ونصراء، وحامطاً لحقوقها، وفاضلاً شرعياً لكرامتها - وهو الذي أحد على
 عائقه، يكن حرية وإرادة ووقار، المسؤولية الكبرى ببحرهما من قصر
 أهدا العتيق، الذي كانت تعيش فيه دون أن تشعر باخروها إزاء أي شيء
 أو بالأحرى من أي شيء. ولئن كانت تعمل فيه من سعب الحنن أكالييل
 جنائرية، فم يكن ذلك إلا من لذة ومثعة وهواية تزجي بها أوقات
 فراغها. ذلك أن عرايها نعه قد كتب رسالة وقعه بينه ومهرها بحامته
 الشمعي على الغلاف، من أجل أن يقول إن يدي ابتها لم تخلق لأعمال
 هذا العالم (الأرضي)، بل للعرف على آله الكلاسان الموسيقية. وعلى
 الرغم من كل ذلك، أخرجهما زوجها المعتوه من بيتها بالتهديد والوعيد،
 وحدها إلى هذه المنطقة الشبيهة بهمهم، وكأنه ندر حديدية موضوعة
 على النار، شدة حرارتها التي لا يستطيع الإنسان فيها أن يلتقط أنفاسه
 ومع ذلك، تركها وحدها، قبل انتهاء صوم العنصرة، وإحلاً حاملاً معه
 صديق الشاب وأله الأكواديون الخاص بمجونه، كي يستمتع بالرد مع

عشيقته شقية، يكفي أن يطر امرء إلى نقاه - الذي قيل فيه ما قيل - ليرى
 حركة شبيهة بحركة مؤخرة العرس، فيستعج أنها امرأة. فقد كانت
 الصورة العكسية تماماً لغيره، التي كانت تعرف كيف تظل سيده،
 وتصرف كسيده، سواء أكانت في القصر أم في الإسفل، على مائدة
 الطعام أم على السرير. فهي سيده ماجدة من سلالة ماجدة، تحشى
 الرب وتلمز بتعاليمه، وتحصم لمشيئته ولكنها ليست المرأة التي تقبل
 بالخلاعة، أو ترضى بالعيش عيش الحفافة التي يعيشها مع عشيقته التي
 تقبل بأي شيء، تماماً كالنومسات المرسيات، بن هي أسوأ منهن، لو
 كان به عقل يعكر به، لأشبه صداقات مع أنفسهن، على الأكل، فيضع
 لمصاييح الخبيثة باللون الأحمر على أبوابهن كل التعاهدات
 والساعات. - تحيدوا - وبأملوا - فلم يكن ينقص غير هذا، ليت
 الدوريات أروته والدون فيرباندو دين كارسو العريضة الخبيثة - وأحص
 بالذكر طبعاً، الإنسان القديس الذي يعد من أرقى طبقات المسيحيين،
 والعصر من الحامل يومم القبر لنفسه، والمتحمي بطقه الأحبار الذين شاء
 الله لهم أن تبقى أجسادهم سبعة صبيحة، كما هي، لا تبلى في
 قبورها، وأن تبقى جلودهم نظيفة لامعة كطبلسان ثوب العروس، وأن
 تبقى غيرهم حية صافية كحيات الزمرد

وهو قاطعها أوريليانو الثاني وشلاً

- ليس هذا صحيحاً - فعدت هي به إلى هنا كان قد بدأ يتعشع
 ونفوح راحته.

فقد حمل الاستعاع إليها النهار بطوله، حتى أصك بها، مثله،
 في هذه المنطقة، ولم تكترث هي بمصاعبه وموله، ولكه حمت
 صوتها. وتابعت في إساءة عند وقت العشاء، فكانت دمدمتها بالشكرى
 تطمى على أصوات تماطط ظهر وناون أوريليانو الثاني فليلاً من

الغذاء حافضاً رأسه، ثم اتجه إلى غرفته مبكراً.

وفي اليوم التالي، عند المظورة، كانت هيرمانا ترتجف، وتثير هيئتها إلى أنها قد أصبت لينة سينة. ولو أنها أراحها عن قلبها عبثاً كان يثقلها وعلى الرغم من ذلك، وعندما سألتها روحها ما إذا كان يستطيع أن يأكل بيضه مسلوقة، لم تكتب بالقول إن البيض قد بعد قليل أسود، بل اندمعت بتأنيب وجهه مقدم مرّ لرجال الدين لأنه لهم سوى النظر إلى سرّة، بلغة، ثم يطلبون أن تعدّ لهم وجبة طعام من كبد الطير

وعنده، صاحب أوريليانو الثاني الطفلين، كالعادة، المتبعة النظر في الموسوعة (الأنثيكلويديا) الإنجليزية. وتظاهرت هيرمانا بأنها كانت تريد ترتيب غرفة ميجي، كي تسمعه ما يقوله من أنه لا بد له من قسوة كبرى على الرياء والكذب حتى يرغم للطفلين المنكبين أن صورة العقيد أوريليانو بريس هي لموجوده تعلقاً في الموسوعة. وعندما أوى الطفلان إلى مكان قيلولتهما، لاد أوريليانو الثاني بالشرقة، حيث جلس وحده، فلاحقته هيرمانا إليها فوخرته بكلامها وعثقت وفرعته، وهي تواصل الدمنة بالشكوى، كندبة وراحت تصفه كيف يجلس متأملاً هضون المظر كسلطان فارسي وليس في البيت ما يدور به لأن في فم فهو زير ساء حامل كسول، لا يصح فيه ولا قبعة له، وهو كقصبة قطن، تعود أن يعيش على حساب النساء، ثم أفلح نفسه أن بنى بزوجته كأمراة يونس التي كانت مقنعة بقصة الخوف. واستمع إليها أوريليانو الثاني على مدى ساعتين دون أن تند عنه كلمة كأنه بات أصم. ولم يقاطعهما حتى ساعة متأخرة من بعد الظهر. وعندها غلب عليه، ولم يعد يطيق سماع صدى صوتها يرن في أذنيه كعطن نحاسي يؤلم رأسه ويصيب له الصداق فرجها قائلاً:

- اصمتي، وجاء.

ويلاً عن أن تصمت، وقعت صوتها عاتية

- ليس هلاً ما يدعي من سكوت. ومن كان لا يعحه أن يستمع إليّ يستطيع أن يذهب إلى مكان آخر

وها فقد أوريليانو الثاني السيطرة على أعصابه، فوقع دون عجلة، كما لو كان يتمطر، وأمسك، بغضب وحق هادئ مكتوم مظم مدروس، بأصبعي اللورد وأواني الأرهاض من البيججويب والغشور والأوريس. فالتفت بها الواحدة بعد الأخرى أرضاً وحطمتها تحطيماً تاماً ودعرت هيرماندا، التي لم تكن تدرك حتى ذلك الوقت ما كان يمكن أن يكون نقولها من أثر دحني هائل. ولكن إدراكها ذلك جاء مآخراً، حتى باتت إمكانية التراجع والتصحيح أمراً عسيراً. وكان أوريليانو الثاني، مثلاً يتأثر العصب الحرق، فكسر رجاح الوجهه. وفي منهي النياط والهدوء، رح يتناول أواني المائدة، لأية بعد الأخرى. فبلغني بها أرضاً تشظى أمامه قطعاً صغيره شفر في كل مكان. وفأفص ما يكون السابق والهدوء، في الأداء، وبسرودة الأعصاب التي يتن بها، من قبل جذوره الدار بالأوراق المالية، انطلق يحس الكريستال البوهجي بضرب قطعه باختائه، وكحدث يعمل بالألوي والهرياب المرحفة باليد، وتسمها بلوحات العندري المارحات، في الحذرلات الخمسة بالرهور، فأنرايا ذات الأهر الذهبية، ثم كل ما يمكن تكبيره، ابتداء بقاعة الجلوس والفرد، وانتهاء بالخابية (الحرة الكبيرة) القابعة في المطبخ. والتي أحدث اضطرابها في وسط الدار دوي انفجار هائل مكتوم

ثم حصل أوريليانو الثاني يديه، وألقى الغطاء المشمع فوق رأسه وكتميه، وعاب. وعاد إلى البيت تيب متعصف الليل بقليل، وهو يحمل بعض قطع اللحم المالح المغمى وبضمة أكياس من الأرز والدررة المخلوطة بالسوس، وبعض مطوف الور للتعص. ومنذ ذلك الحين لم يعد البيت

يعرف النقص في العدا.

كانت فترة الأمطار الموسمي والطوفان فترة سعيدة في حياة أمارانتا أورسولا وأورييانو الصغير. فعلى الرغم من قسوة ميرواندا، كما يحوصان في المستنقعات الموحدة في أرض الدار، يصطيدان السمك في قطعانها إرياً، وينظراهما بتسليم الثوريات بإلقاء أجحة المراس فيهما، عندما يعمل عليهما سائتا صوب. وكانت أورسولا أفضل تسلية لديها، فقد كانت عندهما لعبة كبيرة متهاكة، يجربانها في البيت من راوية إلى أخرى، ويموهانها بهن بحرق عتيقة مونة، ويدهان وجههن بالمحام أو مستحب السمك. وكذا، ذات يوم، يعقن عبيها بالنقص، كما يعلان ببيوت الصفاح. ولم يكن يفرحهما تعريهما وحديثها.

والواقع أنه كان قد حث شيء ما في عقل أورسولا، في السنة الثالثة من زمن المطر. فقد بذلت تعقد الإحساس بالواقع شيئاً مشيئاً، وصدرت تحلظ بين حاضره والماضي البعيد من حياتها. فقد نكت مرة بكاء متواصل دم ثلاثة أيام، حراً لا يقبل العراء، بسبب موت جدة جديتها، بيثروليانا إيوران، وكان قد مضى على موتها ثيف وقرن. وانتهى به الأمر إلى شيء من الضياع العريب فكانت ترى في أوريلانو الصغير عينا العقيد أوريلانو في الفترة التي صحبه فيها أبوه كي يشاهد الجليد، وترى في خوريه أركاديو، الذي كان يدرس في المدرسة الراهبية، منها البكر للذي رحل مع القجر.

وكثر حديث أورسولا عن العائلة وأفرادها وضيقها، حتى جعل الطفلان يمثلا أناساً يجيئون لزيارتها، وهم أناس ماتوا منذ زمن طويل. لو عاشوا في فترات مختلفة من عمرها. وكانت أورسولا تجلس في سريرها، مغتبطة سعيدة، وقد غطي الرماد شعرها، واحتجب وجهها وراء منديل أحمر، تصفي لأخبار الأقارب الموهومين، والطفلان يرقبانها،

فلا تفوتهم ملاحظة دقائق الأمور وتماسكها، كما لو كانا يعيشانها وتشرع أورسولا بمحدثه أجدادها عن أحداث سبق ملادها. تسعد بما تسمع من أخبارهما أحياناً أخرى. وما لبث الطفلان أن أدركا، من ملاحظة لقاءهما مع الأشباح، أنه كانت دائماً تطرح سؤالاً تسمس فيهما عن جنب إلى البيت التمثال المصروع من الجبس للقدس خوريه، بالحمم الطيعي، وطلب منها أن تحفظه له حتى يوتف المطر.

وهكذا، تذكر أوريلانو الثاني، بهذه الطريقة، الثروة المصودة في مكان ما من الدار، والتي لم يعرف موضعها أحد غير أورسولا. فراح يلقي عليها أسننه كثيرة، ذهت كلها عشا، وكذلك ذهبت المناورات والحيل الذكية التي استخدمها. فقد كانت، كما يبدو، لا تزال تحببت بقية من الإفراد، والوعي، تمكنها، في ضيقها، من الدفاع عن سرها ندي لا يوح به إلا لمن يثبت أنه صاحب الذهب المدفون فعلاً. وقد حافظت على مهارتها وقوة ذاكرتها. فعلم أوريلانو الثاني واحداً من أصعبه ورفاق مدلاته كيف يمثل أمامه دور الرجل صاحب الثروة، استطاعت أن توفعه في عدة أخطاء حين استجوبته طويلاً بأشنة مليئة بانصائد والمكائد الذكية.

وأخيراً، أيقن أوريلانو الثاني أن أورسولا سوف تجعل السر معها إلى القبر. فاستأجر مجموعة من الخفارين، متدرباً يحفر أقبية لتجفيف هذه النار والساحة الخلفية، وبدأ يسير عور الأرض بمعاول الحديد وكل أنواع الأدوات ولأجهزة المعروية الخاصة بالكشف عن المعادن. ومضى عليه ثلاثة أشهر، على تلك الحال، دون أن يعثر على ذهب أو ما يشبه الذهب، على الرغم من الحفر والتقيب المضني.

فلعب إلى بيلار تيرير، لعن أوراق اللعب تكشف ما لم يكشفه الخفاريون. وأكدت بيلار تيرير وجود الكره، وزادت على ذلك بأن

حددت ملهه بسبعة آلاف ومئتين وأربع عشرة قطعة، مدبره بثلاثة أكياس من القصب المطلي بالقار، وقد شُدت بأسلاك نحاسية، ووضعت في دائرة نصف قطرها ثلاث مئة وثمان وثمانون قدماً، ومرورها سرير أورسولا وأصابعها إلى ذلك فولد إنهم لم يعنوا على ذلك الكبر لا بعد أن يتوقف المطر، وتعود شمس حزيران (يونيو) تنطبع أشهر ثلاثة متوالية، فتجبل الطين إلى خبر

ويبدأ أوريليانو الثاني أن المعومات التي قدمتها بيلار تيرير كثيرة، دقيقة التفاصيل في غموضها، حتى إنها تشبه قصص الروحيين وحكايات مناجاة الأرواح. فبدأ في محاولاته، مع أنه كان في شهر آب (أغسطس)، وكانت أوراق اللعب تقضي بانتظار ثلاث سبب. ولكن الذي أدهش أوريليانو الثاني، وواد في اختلاط الأمور عبده هو أن المسافة بين سرير أورسولا وجدار المساحة الخلفية كانت فعلاً ثلاث مئة وثمان وثمانين قدماً تماماً

وحاولت فيرناندا أن يكون روحها مجنوناً، كأخيه التوأم، عندما شاهدته مكياً على قباياه، وازداد خوفها عندما سمعته يصدر التعميمات للحقائير بأن يجعلوا لأقية أعمق من السابق بثلاث أقدام

وسيطر على أوريليانو الثاني نوع من الدور، وثي، من حتى الاكتشاف يمكن تشبيهه بذلك الذي أصاب جد أبيه عندما شرع يبحث عن طريق الاختراعات. وهكذا أصبح أوريليانو الثاني أواخر طبقات اللحم والدهن الكامة في جسمه من الماضي، وعاد إلى الشبه بأخيه التوأم بوضوح تام. ولم يكن شبهه بأخيه البعيد من حيث قامته وحسبه، ولكن من حيث الهيئة المنفردة، والموقع على البات والاشعاع من حياة الناس أيضاً. ولم يعد يهتم بالطعنين كما كان يفعل من قبل، وصار يأكل في أوقات غير معددة وغير منتظمة، يبدأ الرحل

يعطيه من قنعة رأسه إلى أحمص صدره، في زاوية من رؤياها المطيع وبادراً ما كان يجيب عن الأسئلة التي كانت سانتا صوبي تطرحها عليه وعندما رأت فيرناندا يعمل على تلك الشاكبة التي لم تخطر ببالها من قبل، على بال، ولم تتصور أنه يمكن أن يكون قادراً عليها، ظلت أن عادته داب ومنابرة، وأن طمعه تضحية، وأن هذا رأسه اجتهد ومواظبة تناولت وتقر قلبها أسفاً لأنها عنته بسبب ما ظنت كلاً فيه

ولكن أوريليانو الثاني لم يكن في وضع يجعله يقبل مصالحة أو اعتذاراً دامعه الإشعاع عليه، وقد سقط مرة، فحاص حتى عتفه في صوحة كبيرة تشكلت من الفروع اليابسة والأعصان اليابسة والأزهار ولأعشاب المتعفة. وبعد أن فرغ من هاء النار الخلفية، قلب عالي الحديقة سامها حتى إذا انتهى من كل ذلك، راح يحفر تحت جناح الشرفي من البيت، ويذهب في العمق. وأفاق الناس ذات ليلة مذعورين ظناً منهم أن الذي سمعوه كان هرة أرضية، شحة الارتجاج وأصوات التشقق الخفيف الذي أحدث فرقعه هائلة. وقد نتج من ذلك أن انهارت ثلاث من العرف، وظهر تشقق محيط كان يمتد من الشرفة حتى حرفة فيرناندا وعلى الرغم من ذلك، لم يتوقف أوريليانو عن الحفر والتقيب

وعندما تلاشت آخر آماله، ولم يبق له سوى النكوص إلى البؤسة التي أشارت إليها أوراق اللعب، عاد إلى أساسات البيت التي خدعها فدعها بالإسمنت، وصد الشعر التي أحدثت. ثم بدأ الحفر تحت جناح البيت الغربي. واستمر في ذلك العمل حتى الأسبوع الثاني من شهر حزيران (يونيو) من السنة التالية. وعندها بدأ ينظر يخف تدريجاً وبدأت العيوم ترتفع والسحب تنفث شيئاً شيئاً، وازدادت آمال الناس في أن يتوقف المطر بين لحظة وأخرى. وذلك يوم جمعة، قرابة الساعة الثانية بعد

الظهور، ظهرت الشمس على البلاد والناس يوزعوا يابسة حشيش،
كعباء الفريد، طري كح ذو كان يحمل رقاد ماء وتوقف المظر ولم
تظهر السماء بعدها طوال عشر سنوات طوال.

بعد المظر الطويل، استحال ماكوندو إلى خراب فشاوعها
مستقعات مليئة بالآثاث العظيم، وقد على جثث الحيوانات
وبقايا عظامها رفاق حمراء وكانت تلك آخر الآثار من جموع العرباء
التي هجرت ماكوندو فربما نفس الجود الذي جاء به إليها

صارت المساكن التي برزت فجأة، أيام حمى المور، خاوية خالية
وأزالت شركة المور جميع مؤسساتها، فما بقي من مدينتها القديمة المسيجة
سوى الخراب، فكان البيوت الخشبية والباحات التي كانت أمامها، تشهد
بعد الظهور لعب الورق بهوس، قد مر بها عصر مجنون فسها ومجدها،
كما سيجو ماكوندو نفسها من وجه الأرض بعد سنوات من ذلك
التاريخ فالأثر الإنساني الوحيد الذي بقي بعد العاصفة، هو قصر
ليانسيا براون، مهجور في سيارتها التي خطتها، لأرهاق البرية أما المنطقة
التي اكتشفتها خوريه أركنديو بويلدي في فترة وليس القرية، وازدهرت
أيام زراعة القطن، فقد استحالت إلى مقالع للجنود لشعمة، ولكن
المرد يستطيع أن يرى من خلال أنفها شج البحر الهادي

في يوم لأحد الأب، الذي استطاع فيه أوريديانو الثاني أن يرتدي ثياباً
جافة، خرج يستطيع أوضاع اللدة وأخارها، لعاش أزمة قاسية، وعمره
حرب شديد فالسكان الذين نجوا من الكارثة كانوا هم أنفسهم سكان
ماكوندو الأصليين قبل أن تهر بلدتهم عاصفة شركة نور وقد رآهم
أوريديانو الثاني يجلسون وسط الشوارع، يعرضون أجسامهم لنور
الشمس، وما زالت على أحسادهم حصرة لأش، تنوح منها رائحة
الحبس وعفن البدن ولكن المرء يستطيع أن يلمح على وجوههم المرح

وأخيراً، استعادوا بلنتهم مبسط رؤوسهم.

وعند شوارع الأثر إلى ما كان عليه من قبل، عندما كان العرب
ياحفاصهم ولأقراط في قلوبهم، يجوبون العالم، يبدلون بالبيعات
الألعاب، أيام وجدوا في ماكوندو بقعة صغيرة من الأرض يحفظون
الرجال منها، ويترجون من عاء وحيلهم التاريخي ونحوالهم في أنحاء
المعمورة

كانت الضائع في لأسواق، خلال سبي المظر، تساقط كالحساء،
وتنزل المعروض منها على الأبواب بالوان الطحالب والطينيات. وقد
عاش الدود بواجهات الخشب، وتأكدت الجدران بعمل الرطوبة ولكن
عرب الحبل الثالث كانوا يجلسون في المكان نفسه، في الموضع الذي
جلس فيه أبؤهم وأجددهم، صامتين، لا يهرهم الخطر، ولا يال منهم
الرمي، ولا نصصهم الكارثة فقد طلوا، كعهدهم، بعد وباء الأرض
وحلال حروب العقيد أوريديانو بويلدي لائيس والثلاثين هم لا يهتمون
في حالي الحياة والموت فقد أظهروا قوة روحية عجيبة، صامدين أمام
بقايا موائد اللب، وعربات مائة اللببات، وسفحات الصوب وإصابة
الهدوء، وفي الشارع الصغير الذي كانت تمر فيه الأحلام وقرأ
لستقل

وعندما سألهم أوريديانو الثاني، بطريقته المرحبة، للكونة، عن الوسيلة
لخفية التي استعانوا بها كي ينجوا من الكارثة العامة، ومدا دعوا حتى
سلموا من ادوب عروماً، أجابوه جميعاً واحداً بعد الآخر، ومن باب
ليان، وهم يشتمون له نيتهم الدكنية، ويظفرون إليه بظرفهم إحالة
بجواب واحد، دون أن يحقوا عليه، قالوا له :

بالباحة

ربما كانت ييترا كوتيس الوحيدة، من السكان الأصليين، نتي كان بها

مومها، حيث التهمت لأغطية القطية، والسجاجيد الفارسية، وقطائف
السريرة، والستائر الخمدية، ومظلة السريرة الملوكي المطرزة بخيوط الذهب
والمنمقة بالشرابات الحريرية

فب عربى فقد شهدت كيف خربت الخطائر الأخيرة، وكيف دمرتها
العاصفة ولكنها جمعتت كي يطل البيت قائماً وفي السنة الأخيرة
بعثت برسائل مستعجلة إلى أوريليانو الثاني تستدعيه فاجابها بأنه لا
يعرف متى يعود إليها، ولكنه سوف يحصل إليها، عند عودته، مشوقاً
علوياً بالقطع المعينة تكفي لقرش غرفة نومها كلها وعندها عاصرت
المسكنة بقايا عروق فيها، واستمدت منها قوة تمسح صمغاً يملكها من
الحياة إلى ما بعد الكارثة. وكظمت غيظها واستعانت بالصبر وأقسمت،
فيما بينها وبين نفسها، أن تعيد بناء الثروة من جديد، تلك الثروة التي
بذرها عشيقها، وأزال بقاياها الطوفان.

وكان قرارها حازماً، حتى إن أوريليانو الثاني، عندما عاد إليها بعد
لثمانية شهور من أحر رسالة وصلته منها، وجدها مغمورة لم تترك
شعرها عيناها غائرتان في محجريهم، وقد عاث الحرب في جلدها
ولكنها كانت تسجل على وريقات أرناماً لتجمع منها لعبة الخط
«اليتعصب»

وقد أوريليانو الثاني أمامها مشدوهاً، وكان كئيباً سحياً قدراً،
فأدركت يثراً كوتيس أن القادام كان يبحث عنها، ولكن هيئته جعلتها
تظن أن الرجل لم يكن عشيقها وحبيب صمغها، بل أخوه التوأم. فقال
لها

لا بد أنك قد جنت، إلا إذا كنت تريد أن تلعب البانصيب على
العظام

فطلبت منه أن يلقي نظرة على غرفة النوم. وهناك رأى أوريليانو
الثاني البعنة كانت عجماً جساً وعظماً كصاحبيتها، ولكنها، مثلها
أيضاً، حية وحارمة فقد أطعمتها يثراً كوتيس من غيظها رحنها، بعد
أن لم يبق لديها علف ولا ذرة ولا جنود وعندها استضافت في غرفة

كان على أورسولا أن تبذل جهوداً جبارة كي تستطيع تفهيد وعدها بلوب عندما يشوقه المطر. وقد بدأت ومضات الوضوح، التي كانت تارة أيام المطر، تزداد عدداً، بدءاً من شهر آب (أغسطس) عندما جعل الهواء الجاف، الذي قضى على الورد المرمرى وجفف مستنقعات الطين والوحل، يقذف على مأكومدو عياراً حاراً، عطشاً إلى الأبد مطروح بيوتها من التوب، المتأكسة وأشجار اللوز التي بلغت من عمرها مئة عام وعدم نبتت أورسولا أنها كانت، على مدى ثلاثة أعوام، لعمه بين يدي الطغاة، حرمت حرماً شديداً وعلت عليها البكاء ثم غسلت وجهها بالمصبوع، ونحلت من أسطرله القماش الراهية التي كانت معصوية على رأسها، ومرت من جسمها السحالي والصنادع الجافة، والصابغ والقود العريية القديمة التي علقوها على جسمها كله وأخيراً عذرت السرير، للمرة الأولى منذ موت أمارات، دون أن يساعده أحد، لكي يعود إلى مشاركه في حياة العائلة. وكانت قوة مهب، الذي لا يقهر، تقوده في عياصب الظلام. وكان الليل يلحظون تعثر خطواتها، ومن تصطدم بهم في طريقها، وهي تسير رافعة يدها الملائكية إلى مستوى عيها، يعرفون ذلك إلى مرضها وتعبها الجسدي. ولكن لم يفكر أحد البتة في أنها كانت حمياء. فلم تكن بحاجة إلى النظر لكي تعرف أن أصغر الزهور، التي رعت بمعاية كسيرة لدى إعادة بناء الدار، كانت قد

حطمها المطر. ثم جاءت الحفريات التي قام بها أوريليسو الشامي، فقصت على ما بقي منها، أو لتذكر أن الجدران والأرض الإسلامية قد تشققت، وأن الأثاث قد تفكك وحال لونه، وأن الأبواب قد تحجعت وبارحت مصاليمها معصلاتها، وأن العائلة كلها كانت تترجح تحت وطأة العود واللا مبالاة التي لم تكن مقبولة أو حتى معهومة في أيام حبها.

كان ينشر الطريق واسطحتها لتسفل بين عرف الدار المربعة، فسمع قروص الديدان والحشرات المسمر للأحشاش، وحبوت إيمان العث فكاً بالخرش، وصحب العمل الأحمر الهائل الذي تكاثرت من الطيور، وأخذ يبعث في أثاث البيت قسماً وتحصياً

وقد أتت يوم صحت أورسولا صندوق نياها، حيث ثياب القديس، فاصطرت لاستدعاء سائت صوف (الثقية) لتعجنها في السحس من الصراخ التي بعثت بجسمها، بعد أن تصدعت من الصندوق حيث أحالت الثوب الموجودة فيه إلى غار وصاحب فائت

لا يمكن لإنسان أن يعيش في مثل هذا الإهمال، فإذا استمرت حالاً على ما هي عليه سوف تصرنا الحيوانات والحشرات.

ومد تلك اللحظة، لم تعد تعرف طعم الراحة فكأنت تستيقظ فجراً، وتحشد كل الطغاة الممكنة، وتستعين في ذلك بالطغاة فأحرحت إلى ما الدار بقية أثواب التي يمكن لبسها، وعرضتها بشمس، وراحت تحارب الصراخ بمبيدات الحشرات، وتكشط اللود وبقاياها وأوساخ من الخرائش ولأبواب ومصاريح النود، وتقصي للسل بالكلس الحية متقصي عيه في أركانها

وقادتها حتى الترميم والتصليح إلى العرف، المهجورة من رسم، وبدأت يزيله الركاب ويوت العاكب في العرفة التي أضاع فيها حوربه لركاديو بننديا عقله وهو يبحث عن حجر العلاسه وأعدت ترتيب

مشعل صباغة القصة الذي عشت به لجود، وجعلوا عاليه سامه وأخيراً، طلبت معاتيح غرفة ملكيادس لتنفذ الحالة التي أكت إليها

وحاولت سالت صوميا، بكل الوسائل وأخيراً، أن تنهي أورشولا عن عزمها، حفاظاً منها على رعية خوريه أركاديو الثاني، الذي مع الدخول إلى تلك الغرفة حتى تظهر له علامه حقيقية تبيته بموعد موته ولكن تصميم أورشولا، الذي يأبى الرضوخ، حتى ألا تدع لسحشرات رابوية مائة في البيت، حتى ما كان منه غير متعمم وغير قابس للاستعمال، جعلها تنصر على طلبها، وتحظى بجميع العقبات التي كانت توضع في طريقها وبعد ثلاثة أيام من الإصرار والعناد، استطاعت الحصول على المفاتيح، وفتحت لها الغرفة.

ومما سكت عنده، مستندة إلى مصراع الباب، كي لا تسقط بعض الرائحة الكريهة التي وحلتها ولم يستغرق الموقف أكثر من ثابنتين حتى تذكرت أن أواني التبول اللتين والسبعين، التي استعملتها بنات المدرسة، كانت ما تزال هناك، وأن دورية الخسود التي جاءت، في ليلة من أوائل ليالي المطر، وفتحت البيت بحثاً عن خوريه أركاديو الثاني، فلم تستطع أن تراه وهو جالس أمامها، وعندها هفتت قائلة:

- تبارك الله حامياً،

وكأنها كانت ترى كل شيء

- لا يعقل، بعد كل ما بذلناه في تربيتك، أن ينتهي بك الأمر إلى أن تعيش كحزير

كان خوريه أركاديو الثاني ما يزال يقرأ الرقاع فلا يستطيع المرء أن يتيسر منه، في غاية شعره ألثك الكثيف، سوى أسنانه التي وشحتها خطوط من الجبرار، وعيبيه الجاهدين بلا حراك. وعندما تنأى إليه صوت جمة جده، استدار نحوها، محاولاً الابتسام، ثم أهدأ إلى أورشولا

جعلتها التي فلتتها في الماضي، دون أن يعرف أنها لها. فنتم فائلاً

- وما الذي يمكن أن يتظر والمرس بمضي ما جيت أورشولا قائلة:

- هكذا تسير الأمور. هنا صحيح، ولكن، ليس إلى هذه الدرجة

وعندما ذكرت هذه الكلمات، تذكرت أنها قد أجابته بما كان قد أجابها به العقيد أوريليانو مومبيا عندما كان سجيناً في الزنزانة التي مات فيها وأصابتها قشعريرة لإدراكها دليلاً جديداً على أن الزمن لا يسير. وهي الحقيقة التي انتهت إلى الإيمان بها - بل يدور حول مصه في حلقة مفرغة ولكنها لم ترضح هذه المرة كعادتها فوبخت خوريه أركاديو الثاني، كما لو كان طفلاً، وأصرت عليه أن يشتم ويعلق لحبته، ثم يساعدها في إتمام إصلاح البيت وسبغت على خوريه أركاديو الثاني حروف شديد من مجرد التعكير في معاداة الغرفة التي عرف فيها السلام. فصرح قائلاً بأنه لا توجد قوة إنسانية تستطيع إخراجه من الغرفة، لأنه لم يكن ينوي أن يشاهد قطار المنتي عربة المشحون بجثث الموتى، وهو يمدد ماكوندو كل يوم قاصداً البحر عند الغروب.

وراح يصرخ قائلاً:

- إنهم كل الذين كانوا في المحطة كانوا ثلاثة آلاف وأربع مئة وثمانية وعندها أذكرت أورشولا أن عالم الظلام الذي كان يعيش فيه كان أشد حلقة من عالمها، فمر عالم منعزل ومتقوقع ومعلق كعالم جد جده فتركته في الغرفة. بعد أن أفضته بضرورة ألا يقبض بالعمال وأن تنظف كل يوم، وألا يبقى فيها سوى إناث واحد للبول، بما يلقى بياني الآنية خارجاً، وأن يظل هو مطلقاً ولا يمتد كما كان جد جده في عزته الطويلة تحت شجرة الكتاء

ولم تر فيرماندا في كل ذلك، في البداية، سوى دليل جيون عاجز

عصم، وبكها أكرهت معهما، بصعوبة، على كظم عظمها ولكنها، هي ذلك الوقت ذاته، وصحتها رسالة من حورية أركاديو، في روما، يحبرها فيها أنه قد قرر الهجر إلى مكدونو بل أن يكرّس ويقسم العمل الأخيرة وناخث حماسة لهذا الغرض، فراحب ثمضي يومها في حركة دائبة لا يعرف الهدوء، حتى كانت سقي الزهور في الدار أربع مرات في اليوم، لكي تجمل مظهر البست جصلاً، فلا تترك لدى أيها انطباعاً سيئاً وجرها السرقب، وراذ مشاطها، معادب إلى مراسة أطباؤها اجهلثي وملك الموني أرهد، الأريحاك وانسرحس، واليهوب، حتى قل أن تعلم أورسولا أن أوريليانو الثاني كان قد قطعها في ثوره عصيه، ثم دعت العفصيات، واشرب صحافاً من السيرايك، وأواني وملاعق من التوتياء للحساء مدت سيطرة فقيرة حرابه الأواني التي كانت تردحم بصحاف شركة الهد النفسية والكريستال البوهيمي

وكانت أورسولا مانعاً بحث الجميع على العمل وتصبح بهم قائمة - اهتموا الأبواب والبواب، واطبخوا اللحم والسفت، وانسرو، أكبر السلاحف المرجودة ويحصر العريه إلى الدار، ويهترشود روي الساحة، ويجوبوا على شجيرات الورر، ويصططوا على مائدة الطعام، ليأكلوا، المرة تدو لمرة، ما يتلهم وطاب، وليتجشؤ، ويتكلموا ما شافوا، ولوسوحوا كل شيء بأحديتهم وليتعلموا ما يشاقون فتلك هي الطريقة الوحيدة التي نجد بها المزاب

ولكن ذلك كله لم يكن إلا وهماً وعشاً فقد كانت أورسولا في اردل العمر ولم بعد مدرة على استئناف معجرتها في صبح حيواتها، على هيئة حيوانات الكراميل الصغيرة ولم يوث أحد من سلالتها طاقها وقوتها، وهكذا ظلت الدار مغلقة نهيداً لأرمر فيرباندا

وحل أوريليانو الثاني بأسنعه إلى ست بيترا كوتيس، ولم يكن لديه ما يفيض عن مجردة نجيب عائلته الموت جوعاً ولكنه ينجح هو وبيتر، كوتيس، ببحرانهما سحب قرعة اليانصيب على البعثة، في شراء مزيد من الحيوانات وبذلك تمكنا من تأسيس مشروع متواضع لليانصيب. وراح أوريليانو الثاني يتقل من مكان إلى آخر، هارفاً لأبواب، الواحد بعد الآخر، حاملاً مصائد البانصب الصغيرة، التي أعدها بعده ولونها بالونك محتففة من الحمر، كي تكون جمانة معربة بالشراء ولكنه لم يتبين أن الكثيرين م كانوا يشترونها إلا عرفاناً بالحيل، وأن أكثر الناس كانوا يشترونها بدافع الشعقة ولكن المشتريين - على الرغم من شرائهم بلاقم الإحسان والشعقة - كانوا يرجون أن يربحوا خنزيراً بعشرين سناً أو عجلاً باثين وثلاثين، وكان ذلك أمل م يبعث فيهم الحماسة فما إن يحل مساء يوم الثلاثاء حتى تردحم بهم دار بيترا كوتيس، حتى تضيق بهم، وهم يرفبون الحفلة التي يُحتار فيها فعمل عشوائياً، كي يسحب من الكيس الرقم الرابع

ثم ما لبث هذه العملية أن تحوكت إلى ما يشبه السوق الأسبوعية فعد مئات تظهر الضاولات في ساحة بدار، ملاً انمصر، لأكل المقنيات وتناول الشراب وكان كثيرون من يواتيهم أحفظ يصحون ماخرون اندي يربحون فور إعلان البعثة، شرط أن يقدم الآخرون الموسيقى وانشر ب وهكذا وجد أوريليانو الثاني بعده، دون قصد منه، مدفوعاً للعرف على الأوردبون، وللشاركة في جولات النهم للتواضعة

وأدرك أوريليانو الثاني كم هدأت حدته وحف حذقه، وهو المعروف بهمه، عندما جعل يقارن بين حفلات الماضي المترفة وحفلات الحاضر التواضعة الباهتة فقد كان يزن، عندما تحذته المرأة - العيلة، مشين

وأربعين رحلاً (١) وقد تناقص وزنه حتى وصل اليوم إلى مئة ومئة وخمسين رحلاً (٢) كان وجهه، ندباً، أشبه بوجه سلحفاة سميت طيبة القلب، وبعد لأن أشبه بوجه إيموانا (٣)، ويشعر دائماً بأنه متوتر وعلى وشك التعب والفجور

أما بيرس كوتيس فلم تكن علامتها به على ما كانت عليه قبلاً، وقد باتت شعورها نحوه مريجة من الشفقة عليه والحب به، مستحماً بالحاجة إلى المعاول التي تعرضها حاله الفقر التي كانت توحيدهم ولم يعد سريرهما، الذي خلا من كل مظاهر الريح والبرق، مطروح له ومتمعه، بل ملاد يستلوا، واحد منهما الآخر فيه شجونه ويجتر ذكره بانه باعاً المرأة التي كانا يتراءيان فيها، في فرد العشي، كي يشتريا شمشها حيوانات تقدم جوانر للغانرين بقرعة البانصيب، وبعد أن انتهت البعثة البعثة السائر الدمشقية الخمية المنيرة لشهوة، باتا يقضيان ليلهما، بطوله، بلا نوم، عجورين يريثن بمضيق الليل في حصة أموالهما، ويرجيان الرزق في تقبيل فئوسهما من كومة إلى أخرى، ذلك الوقت الذي كانا ينتهانه في اغتراف لذائذهما ويهرفان فيه حديثهما.

وكثيراً ما كانا يتومان إلى رشحهما، يبههما صبح الديكة، فيدركان أنهما قد أمضيا الليل وهما بكدمات قطع النقود في كومات صغيرة، ما يمشان أن يريلاه، ثم يرفعان من كومة يضيئ إلى أخرى. هذا جره لسد مفاصل هيرماندا، وهذا جره لشراء حذاء لأماناتا أورسولا، وهذا آخر يعطى لساب حروبيا (نقده)، التي سم تشتري بها ثياباً داخية مثل أديم العر والعشي وهذا جره ربيع من النقود من أجل شراء ثابوت لأورسولا عندما

(١) حوالي مئة وعشرين كيلو غراماً.

(٢) حوالي ثمانية وسبعين كيلو غراماً.

(٣) حيوان من الرخاء في أميركا الجنوبية حجمه بين الطودون والتمساح الصغير.

تموت، وهذا جره حامس بشره إلى الذي كان يرداد معونه مستأ لئلا رطل (صنف كدو غرام تقريباً) كل ثلاثة أشهر وهذا جره سادس لشراء السكر الذي يصادق تحليه، وجره سبع للخبث الذي كان ما يزال رطباً بعد أمطار الطوفان، وثمان لشراء الورق والخبر نقود تصنع بطاقات البانصبيد وما ما بقي من النقود فكان يخصص من أجل سد المعجر الذي منه موت المعجر في يسكان (أفريك)، ولم ينظمه إنقاذ جندته، لا بأعجوبة، على الرعم من ظهور أعراض النجم عليه. وكان كل ذلك بينما كانت بطاقات البانصبيد عنه قد نعت كلها تقريباً وهكذا كانت سهراتها صديوت فقر بقية بريئة، تم فيها طقوس توزيع الفقر، ويخصص النصب الأكبر منها هيرماندا، ليس تكبيراً عن سب أو شعوراً ببروم الصدقة والإحسان، بل لأن بقاها في حالة حيدة كان أهم لهما من بقائهما كذلك. فقد كان شعورهما تجاه هيرماندا، دون أن يدرك أي منهما ذلك، أن كليهما كان يرى في فيريماندا لاشه التي كان يتحنى هو كانت له، ويمكن ذلك لم يكن. وبعد وصل الأمر بهما إلى درجة أنهما، في بعض الأحيان كان يكتبان بأكر العتات طوال ثلاثة أيام، لكي يتمكن هي من شراء عظمة هولندي للطارلة

ونكهما، على الرغم من إرهاب عيشهما بالعمل، وعلى الرغم من التفسير على معيشتهما، ومن انشروعات التي كانا يكتبان فيها، فقد كانت الملائكة ترعاها في عمة عمت، وقد أصابها التعب، بينما كانا يحسنان النقود ثم يخرجانهما، محاورين ألا يبعثا أكثر عما يوفرا لهما الكفاف وقد كانا، في ساعات يقظتهما، وعندها تسمى حساباتهما، يصحبان لما حدث في العالم، حتى لم تعد الحيرانات تتأمل وتنكأثر بالذبح والسرعة السابطين، ولما تسلب النقود من بين أصابعهما بهمة السهولة والكثرة، وإذا صار الناس الذين كانوا قبل خرة صغيرة لا

يعبزون بحرق روم المال أو معشرتها على مآكلهم ومشربهم، يعبرون
دنت نعم، اليوم، صرباً من السرفة والهب، حتى ماتوا يترددون في
دمع اثني عشر سناً في بطاقة ياتصيب على ست دجايات

كان أوريليانو الثاني يعتقد، في داخل نفسه، أن الذنب لم يكن دنت
العالم، وأن دخصاً لم يكن في الناس، ولكنه في مكان ما خفي في قلب
ييرا كوتيس العاصم المجهول. فلا بد أنه قد حدث لقبها، أيام الطردان،
حدث أدى إلى عقم الحيوانات وضيق المال. وقد حار في أمر ذلك
الس، وود لو كان يدرك أنه ما كانت تكة ستر، كوتيس، في أعمار
فلبها، من مشاعر وعواطف. وقد ألح به التفكير حتى ألقى الحب الذي
يعيه. وصار همه محصوراً في أن تحبه هي كما يحبه. فعشقه عشقاً
شديداً. أما يير كوتيس فكانت تردده يوماً شيئاً بشياً بقدر ما كانت
تحس بإزدياد حبه لها.

وهكذا استسببت يير، كوتيس، في أوح الخريف من عمرها، لوهم
الشباب الذي يقضي بأن تكون النهاية بهية عاشقة. فراحا يستعيدان
ذكريات حفلاتهم المبهجة، ويصن الثروة عبيهما، وانعاسهما اللام
محمود في اللعب الأرض والمجور، وكأنما لم تكن سوى حو جر
سهما. فأسمان لذلك المضي الذي دفعهما إليه أن اكتشفا أن اخته هي
في وحدة عشقين.

وهكذا، جن كل منهما بحب الآخر. وإذا بهما بعد سبي هيشهما
المقيمة معاً، يعمد عشق كل منهما، الآخر بشكل لا يعرف حدوداً،
على المائدة، وفي السرير، ويصلان لحظات السعادة، الواحدة بالأخرى،
حتى انتهى بهما اللطاف إلى هجورين نالعين. ولكنهما يدهران كاريير
صحين، ويداعب أحدهما الآخر كجورين ليقين.

لم تتحسن قط علاقات اليانصيب. وقد كان أوريليانو الثاني، في

الداية، يعصي ثلاثة أيام سوعياً في مكتبه القديم لتربية الحيوانات، وهو
يرسم، بمهارة أولية، برة صغيرة حمراء، أو خيراً أصغر أحضر، أو
بضع دجايات صغيرة برقاء. حسب العدد المطلوب لياتصيب. وكان
أحياناً يحاول تقيد حروف الطبعة، في كتابة الاسم الذي إحارته يير
كوتيس دوستهما. فيانصيب العناية للإلهية، ولكنه شعر، بعد فترة
قصيرة، أن رسم نحو ألفي بطاقة في الأسرع عمل يتعبه كثيراً. فصرم
أختاماً من امطاط للحيوانات ولأسماء والأرقام. وهكذا قصر عمله على
يل الأختام بوع الخير المطوب، ثم طبع الأختام على البطاقات

وخطرت لهما، في السوات التالية، استبدال الأحاجي بالأرقام،
وتقسيم الحائزة بين الذين يجدون حل الصحيح. ولكنهما سرعان ما تسنا
أن تلك العملية معقدة، وأنه يمكن أن تؤدي إلى إهمالها كشيء.
تحتيا عنها بعد التحيرة بشانه

وتابع أوريليانو الثاني العمل على نشر سمعة يانصيبه وتدعيم شهرته،
فاسرق ذلك كل وقته، حتى لم يعد يجد متسعاً لرؤية أبيه. وأدخفت
فيراند ليتنها أمارات أورسولا مدرسة حصة لا تقبل في الصف أكثر من
سنة طلاب، ورفضت أن يدخل أوريليانو المدرسة الرسمية العامة. وقد
اعتبرت أنها قد تارلت عن الكثير من مبادئها حين سمحت له بمبادرة
المعرفة. وعلاوة على ذلك، كما لا يقص في المدارس الحكومية، في تلك
العشرة، إلا الآباء الشرعيون مولودون نتيجة لروح كاثوليكي. أما
أوريليانو فقد جيء به إلى القيت، وشهادة ميلاده المعلقة إلى صدارة تعين
أنه فقط. ولذلك أوكل أمره إلى رانة سانا صوبيا وبروت أورسولا،
واكتشف عالم البيت من شروح جنتيه. وشأ الصغير رقيقاً لطيفاً،
مهيأ، طليمة تشبه أسنفة الكبار، ولكنه كان يعلب عليه الدهول، ويبدو
عليه القلق. ونحلت نظره عن نظرة العقيد الماحضة الصاعدة عندما كان

في عمره.

ولبما كانت أماراتا أورشولا تمضي وقتها في روضة أطفال، كان أوريلياتو الصغير يلاحق ذلك الأرس، ويطارده حشرات ويعلبها وقد هاجمته فيرناندا، ذات مرة، وهو يلتقط العقارب، ويحبسها في عسة معه، لكي يدرسها، من بعد، في فراش أورشولا فسجته في غرفة ميمي (والدته)، حيث راح يمضي ساعات وحدته وعركه بمشاهدة الصور واللوحات في فائرة المعارف (الأنثولوجيا). وهناك صادفته أورشولا، بينما كانت تجوب البيت، في عصر أحد الأيام، وترثه بلاء المقطر، وتشر فيه باقة من نبات قارض (قرص) فسألته عن يكون، على الرغم من لفتاتها به كثيراً. فقال لها :

- أنا أوريلياتو يونديا

فأجاب

- هذا صحيح ولقد آن الأول لكي تتعلم صياغة العقبة

ثم عادت بحظ يمين أسها من جديد. لأن الهواة الذي جاء بعد الطوفان موسم عقلها ببعض مصفات الصحو والوصوح العابرة، كان قد مر وانقضى ولم يعد لها عقل، قط. من بعد مما كانت تشغل غرفتها حتى تلتقي ببسرويا إيموران وقد أرادت غراطة الكي بوليس الثقيلة وصداكر البوليرو المرصع بالملون الذي كانت ترتديه كلما ذهبت إلى موعد، أو تجدها جنتها ترانكوليا ماريا ميباتا الكوكه يونديا، وهي مقعدة جالسة في مقعدها المتحرك، تلوح أمام وجهها برفشة طاووس، وجدها أوريلياتو أركاديو يونديا وهو يرتدي شتره تشبه شتره حرس نائب الملك، وتلتقي أباه أوريلياتو إيموران الذي اخترع دعاء يقتل دود البقر ويخرجه منها، وتلتقي أمها النورعة، وإن عمها ذا ذنب الخنير، وخنوريه أركاديو يونديا وأبناؤها الذين ملأوا جميعاً وهم جالسون على كراسيمهم

المستند إلى الحدوان وكان ذلك كله لم يكن عندها عشاء رباره عذبة، بل سهرة عند رأس ميت

وكانت تبضع من الأشياء حديثاً طويلاً كثير الرخوة والتفصيل، وتغرق على أحداث حوت في أمكة بعيدة وأرصة لا توافقها فإذا عادت أماراتا أورشولا من مدرستها، ويحب أوريلياتو من نقيب دائرة معارف، وجدها فاعة في سريرها، تحدث نفسها وعارقة في صياح موتى وفي أحد الأيام، صاحبت أورشولا مدعورة

- النار - النار

فشرت الدعوى في البيت كله وما كان الذي أعيت به سوى حروب اسطبل شهادته عندما كانت في الرابعة من عمرها

وبدستطاعت أن تغير بين أحداث الماضي والحاضر، في سرير أو ثلاث من مصفات الوصوح، عرفتها في أحريات حياتها قبل أن يماهمها الموت ولم يكن أحد لينري ما إذا كانت تتحدث، عندها، عما كانت تحس به في الحاضر أو تذكره من الماضي

وبلأ أورشولا تضام وتصلص وتضمصر قديماً، حتى عذت كأنها جين، بل كأنها كانت تسجد وهي بعد حبة ثم راحت تضمصر حتى باتت في الأشهر الأخيرة من حياتها كحوخة أو حة ربيب قدومه حافة تصنع في ثياب مبعص اليوم، بذراعها لمربوعة أنذا كيد مرائه وكانت تمضي بصحة أيام بطولها بلا حركة، حتى بأنها سالت صوب هتيزها لكي يعرف أنها م زالت على قيد الحياة، متفعدة في حصنها وتطعمها بلاء الطلى بمعمقة صغيرة وكانت تبدو صغوراً طفلة أو طفلة صغوراً ولدت تنوه وكانت أماراتا أورشولا وأوريلياتو يجرانها ويقلانها ويترجحانها بين غرف الدار، ويمسحنها فوق المنضج يتيقظ طولها بطول المسح الطمبل ولم تكن أكبر منه بكثير وقد حبسها ذات عصر، في حراته في الخزن.

فكادت تنتهيها خرداد. وفي يوم من أيام أحد الشعانين، اغسما فرصة وجود هيرماندا في الكنيسة، فدخلوا عروه أورسولا، وحملوها من رقبته وكاحنها، وقالت أمارتا أورسولا :

« مسكينة جدة حداثي، لقد ماتت من الشجوخة فبرعت أورسولا دعرأ، وهذا حث قللة

— أنا حية

محبت أمارتا أورسولا ضحكها، وقالت

— «أرأيت، إنها لا تنفص.

فصرخت أورسولا لمسكينة :

— ولكنني أتكلم..

فقال أوريليانو :

— وهي لا تتكلم. فقد ماتت كهر صبور صغير

وأدركت أورسولا لمسكينة الواقع. فقالت مدعنة بصوت خفيض

« يا إلهي، هذا هو الموت إذن.

وعندها بدأت تلاوة مرثية طويلة، بصوت مسعثر حزين متشجج عصبي، دامت أكثر من يومين. وقد حالت المرثية، من بعد، إلى مزيج من الصلوات لله، والنصائح العينية حول التخلص من المل، الأحمر كي لا يهدم البيت، وحول الانتباه إلى عدم إطعام الفاتوس المضاه أمام صورة ريمديوس، وألا يتروح أحد من آل بوميديا من واحدة أخرى من تلك العائلة. لكني لا يولد بهم أبناء بأذناب حناير

وحاول أوريليانو الثاني أن يستحل دورها والحالة التي كانت فيها، عليها نكده على المكان الذي دمت فيه الذهب، ولكن جهده ذهب هباء، إذ قالت أورسولا الدمجوز وهي في لحظات الموت :

— عندما يجيء صاحبه سوف يضيء الرب ذرية فيجده.

وأبقت سائتا صوبيا أن أورسولا منتمت بين لحظة وأخرى، لأنها لاحظت، في الأيام الأخيرة، إضطراباً في ظواهر الطبيعة مقد صبر لمرور رائحة الأس. وقد سقط من يدها وعاء فيه حمص، فبقت حبات الحمص على لأرض متحدة مسقاً هندسياً على هيئة نجمة البحر. ورأت ذات ليلة سلسلة من الدوائر تعبر السماء، وكانت ميرة بلون البرتقال.

وفي يوم الخميس المقدس، وجد أهل الدار أورسولا ميتة عند العجر، وكان، في آخر مرة ساعدوها في حساب عمرها أيام شركة الموز، قد تبين لهم أنها كانت قد بلغت ما بين مئة وخمسة عشر عاماً ومئة وأثنين وعشرين

وضمعوها في صندوق أكبر قليلاً من السلة التي جيء بأوريليانو بها، ودفنوها. وقد حضر جنازتها عدد قليل من الناس، ذلك أن الذين ظفروا يذكرونها كانوا قبلي العدد، ولأن آخر كان شديداً في مسعف ذلك النهار، حتى إن الطيور في الغضاء كانت تصلب بالدور، وترتطم بالحجران والأشجار كوابل من الرصاص، وتصطدم بالنوافذ متحطم أسرطتها، وتتهاوى ميتة على الأرض في الخارج، وعلى أرض النورف داخل البيوت

وظن الناس، أول الأمر، أنه نوع من الطاعون. فقد عانت ربات البيوت كثيراً من كس الطيور الميتة، وخاصة في وقت القبلونة. وكان الرجال يحضون الطيور الميتة في عربات ويلقون بها في النهر. وفي يوم أحد الصعود، أكد الأب أنطونيو ليريل، الذي كان قد بلغ المئة هم من العمر، من على مبر الكنيسة، أن موت الطيور قد سببه اليهودي الثالث الذي رآه في الليلة الماضية. ووصفه بأنه رجل وكذ من تصالب تيس وامرأة كاهنة، وبأنه حيوان جهمي، يفسد الهواء بنفسه. وإذا مزجي فسوف

يبدو فيه العرسان لحدود طروداً ولكن الذين أعادوا خطبته ورؤيته استبها
كانوا فيه. لا، أهل البلد، كانوا يعتقدون أن الخوري كان يهرف بما لا
يعرف بعد أنه يبلغ من العمر عتياً

ولكن امرأة أنظفت الناس في الساحة الأولى من حجر يوم لأربعه،
عندما اكتشفت آثار كائس دي رجلين جديهما مشعبد. وقد كانت آثار
في عايه الموضوع، فيمن الذين دعوا لرويتهم بوجود كائس محيف شبه
ي، وصحة الخوري واقفوا على أن يقبوا بين ييولهم شر كاً ومصادد
وهكذا استعدوا القبيض عليه

بعد أسبوعين من موت أورسولا، استيقظ أورسولا الذي وبينوا
كوتيس مدعويين على حوار عجول في حوار. ولا بهما وجد جماعة
من الرجال، وكانوا عدها يحاربون، خرج الوحش، الذي توفى عن
الخوري، من بين الخراب المسونة التي كانوا قد وضعوها في قعر حفرة
عصوه، سوق الشجر الخفاف كان أشرف ورماً من نور ضخم، مع أن أنه
حسم فتى وكان يسيل من خراجه سائل أحضر ذهبي ويمطي جسمه
شعر حش كتيب، تتخلله فجوات واضحة تعوها طقة من الخشب
كعراشف السمك. ولم يكن يختلف عن وصفه الأب أنطونيو إيرابيل،
إلا أن أجره جسمه الإنسانية كانت أقرب إلى أعضاء ملاك من جيل مريض
منه إلى أعضاء وجل عكائب يداه رقيقتين، عمتين كيدي مشعود،
وكانت عباها واسعتين مكشهرتين، وعلى كتفيه نذير يدل على أثر
ساحل مريض. وقد اندمل الدب وقسا مظهره، وقد بعد أن قطعهم
سجل خطاب.

علقه الناس من كاحليه على شجرة لورد، في الساحة العامة، وأبعدوا
على تلك الحال كي ير، الناس جميعاً. وعند مدح جسده وسأ
يهتري، وصعوه على كومه حطب وأحمره، ولكنهم لم يستظفوا

تحميد طيعته العريضة العجيبة، أهو حيوان يلقي به في النهر، أم مسبحي
يسجنى في قبر، ولم يشته، فيما بعد، ما إذا، كان هو سبب موت
الطيور، ولكن العرسان الجدد لم يلدوا طروداً حسب ما ذكرته البيوة،
كما أن درجة الحرارة لم تنحس ولم تفتت حديثها.

ماتت روبيكا في نهاية ذئب العام، واستعانت أرجيبيدا، التي بقيت
في خدمتها طوال حياتها، بالسلطة الهنية لتعيها على فتح باب غرفة
ميدنها، التي لم تعادها منذ أيام ثلاثة. وعندما فتح الباب وجدت
روبيكا متوقفة في سوبر عرنتها ووحدها، وكأنها سمكة الفريديس لشدة
تقلص جسمها. وكان القرع قد ذهب بشعره، وقد وضعت إبهامها في
فمها

وهم أوريلينو «الثاني» بمراسم الدفن. وقد فكر في أن يرمم البيت على
يسعه. ولكن الخراب كان قد سبقه إلى ذلك، معاث فيه دماراً، حتى
صار كأن الدمار جره به فكان كلما طلى الحدران تشققت وتساقت
عها الدهان. ولم يستطع الإسمت، مهما كثف، أن يحمي وجه
الأرض من الأعشاب البيرة الصلبة، ولا أن يحمي السقف والأعمدة
والدعائم أمام هياج بات الليلاب للشمس.

هكذا كانت الحال، وكان سير لأمره، بعد الطوفان. وقد حتم
الكسل على الناس، ودهمهم البيان الذي راح يصفي رويناً وروداً، بلا
رأفة ولا رحمة، على جميع الذكريات قديمها وحديثها، صغبرها
وكبيرها. فقد وصل إلى ماكودر، في تلك الفترة، مبعوثون من قبل
رئيس الجمهورية، بمناسبة ذكرى توقيع معاهدة بيرلاند الجليدة، وكانوا
مكهم بتسليم أوصحة العقيد أوريلينو بويديا، التي كان قد رفض
استلامها في حياته مرات كثيرة. وقد أنقى الرعد وقت ما بعد ظهر يوم
نطوله بحثاً عن يديهم على واحد من سلاته. وكاد أوريلينو الثاني

يقبل بالأمر، طمأنه أن الأوسمة كانت من الذهب الخالص ولكن يثراً
كثيراً أفضت ياد في قبولها مساماً بالكرامة، بينما كان المبعوثون قد
فرغوا من إعداد بعض الإعلانات والخطب للاحتفال بالخدمة

وفي تلك الفترة نادى تقريباً، عاد المعمر، آخر وريثة معرفة ملكيادس
وعلموه فوجدوا البدة قد انطفأت ونقهرت، ووجدوا أهلها مائس
عن سائر الناس في العالم حتى راحوا يتحللون الناس، ويتنقون بين
النور، وهم يسبحون حمدهم قطع الحديد المعطية، وكأنها آخر ما
توصل إليه العلماء الباسيون الحكماء في العلوم والمعرفة، وذكروا لأشعة
الشمس على محور عدستهم الكبرى، فما حدثوا من الناس من معرفاه
شديداً عذب تساقطت المقالي والتدور، وقد عذبوا من يدع حمسين
صتاً، كي يشاهد، مدعشاً ومغصراً، عجيبة تشرع ظلم أسنانها من مسها
ثم بعيداً إليه

وحل قطار أصغر غشيل - لا يقبل بصاعة ولا يحمل مسافرين، ولا
يتوقف في المحطة الخالية إلا ما بدر - محل القطار الماحر الذي كان السيد
براون يعصر عربته ذات السقف البوري ومقاعد الوثيرة، وهوائل الثمار
ذات اثنتي عشرة عربة، التي لم يكن يتابع مرورها يتوقف طوال وقت
ما بعد الظهر

وحاء مرفدون من الحاكم، لكي يحققوا في مأساة الطيور، ونصحية
اليهودي الشائه، سراً الأب أنطونيو يرايين يلعب لعبة القمصينة أو
الاسمعية مع الأطفال، وقتاً منهم أن روايته كانت من حلومات
الشيحوخة، نقوه إلى أحد مأوي المعجرة وبعد فترة وجيزة، عيوا بدلاً
منه الأب أوغستو أمجيل، وهو صليبي من الجليل الحديدي، متعصب،
شديد الثقة بنفسه إلى درجة العزور، جري، لا يردد في قرع الأخراس
نعمه عدة مرات في اليوم، كي لا يتيح للنعام فرصة التسلل إلى

النوم وكان يقرع أبواب الناس، كي يوقف الخانعين في وقت فيولتهم
فيذهبوا لصلاته، ولكنه لم يمس عليه عام حتى رحف السراحي إليه
وعنه الحمول الذي يصرع والته في الهواء، والمعبز الحرق الذي يجلس
الشيحوخة بلاشياء، ويدفعها إلى الرغبة في النوم، وكبرات النجم التي
تقدم في طعام العشاء في أوج حرارة القيومونه التي لا تطاق

بعد موت أورسولا - آلت الدار مرة أخرى إلى الإهمال الشديد الذي
لم تستطع حتى إرادة أمانانتا أورسولا القوية الصرامة أن تنقدها منه

وقد استطاعت أمانانتا أورسولا - تلك امرأة السعيدة، المعصية،
التي لم تكن تحمل الضعفات والهموم، بل كانت راسحة العريضة، تمتع
الأرواح والوافد كي يهرم الخراب - استطاعت أن تستلح البيت، وأن
تقضي على الس الأحر الذي كان يسرح ويمرح بحظوظه التي لا تستطع
عبر الشرفة في وضوح النهار وقد حاول، عبثاً، أن تحمي عادات
النسابة المسبة فقد شكّل حب ميرندا الشديد خياله العربة سباً مبعاً
في مراحلة ستة عام من الأماح والصفين خلال حياة أورسولا، فلم
نكتف، بعد مرور رياح الحفاف وانقضاءها، برقص منتج الأبوس
والوافد، بل إنها عملت إلى إقصال الوافد بالوابع من الحطب المسببة
سمرتها عبيد، وكأنها كدت بذلك، إذ تستجيب لرغبة دويها الكامة في
أن يدنو جميعاً وهم أحياء - وقد انتهت مراسلاتها الباهظة التكاليف،
مع لأصاف ههوليين، إلى الفصل فبعد الإرجاء والتأجيل المتكرر،
والله طله الدائمة، أعتقت على نفسها باب عرفتاه، في التبريع والساعة
لحذير، حسب الأثني، وقد لعبت معها بذات أبيض، ووجهت
رأسها صوب الشمال، وأحسب في الهرب الأخير من الدين بأحد حرفة
بيلله بسائل جليدي كانت توضع فوق رأسها.

وعندما استيقظت، كانت أشعة الشمس تسرب من حلق ثقب

السادة وكانت هي ترتدي قطعة قمماش مميكة على شكل قموس تلتصق
عليها من الخوص إلى القمص الصدري وقيل أن تمضي فترة الاستراحة
المقرر، وصلها رسالة من الأطباء لجهوليين عجيبة عربية فقد ذكروا
بها في الرسالة أنهم فحصوها خلال ست ساعات، ولم يجدوا شيئاً من
الأعراض التي حدثتهم عنها مراراً وتكراراً، ووصفها بهم بدقة وصابة
والواقع أن عذتها السيئة، التي جرت عليها، في ألا تسجي الأشياء
بأسمائها، قد أوقعتهم في حرج شديد، وأركنت تشخيصهم لحالتها
بحرية فلم يجد أولئك «خارجين» عن بعد (النباتيون) عليها غير هبوط
في الرحم يمكن علاجه بجهاز الرفع

أصبحت يرمونها بإحباط شديد، بعد أن خاب أملها، ف راحت تسمى
بالحصون على مرشد من «معلومات المتصلة والدقيقة» ولكن الأطباء
لجهوليين لم يعبروا رسائلهم اهتمامهم، ولم يردوا عليها. وعز عليها أن
توصف حالتها بأنها «عربية» فحزمت أمرها وعزمت على أن تتعب
على حجلها فقررت أن تستعمل عن الجهاز الرفع. فالتفت بأن الطبيب
العربي كان قد شق نفسه بإحدى حشوات السيف، لثلاثة أشهر
حزب، وأن أحد رفقاء المعبد الراحل أوريليانو بويديا في السلاح قد
تولى دفة خلافاً لإرادة البلدة كلها

وعند ذلك لادت بيرناندا بابنها خوزيه أركاديو، فوضعت ثقتها فيه.
وأرسل لها ابنها الجهاز الرفع من روم، وورده بشرة عن طريقه
استعماله فحفظتها عن طهر قلبه وألقب بالشرة في المرحاض لكي لا
يعرف أحد شيئاً عن طبيعة مرضه ومشكلاتها ولم يكن له الاحتياط
وذلك اخبر من محبي، لأن احداً لم يكن يهتم بأمرها، حتى من كانوا
معها في البيت ما كانوا ليعيروا همومها الكثير من اهتمامهم

فقد كانت سائداً صعباً تعيش في حرية الشجوخة ووحدها، وتمضي

العيل من رومها في أن يعد لهم ما يأكلون من راد قليل، ونكرس حن
وقتها لخدمة خوزيه أركاديو الثاني

وكانت أمرات أورسولا وقد ورثت الكثير من جمال وعينديوس
الحمله. تقضي في تحضير دروسها الوقت الذي كانت تمضيه في اللعب
بأورسولا المعجور. وقد بدأ يظهر عليها من ضعفه الذهني والانصراف
للدراسة ما جدد في أوريليو الثاني الأمل الذي سبق أن وُعدته عنه ميسي
فوعده بأن يرسلها إلى بروكسل كي تتبع دراسها، كما كانت العادة في
أيام شركه أور. ودفعه هذا الزهم إلى العمل على إعادة الحياة إلى
أرض التي دمرها الصوفان. فبدأ لا يأوي إلى البيت إلا نادراً. وكان
كل همه أن يرى أماراسا أورسولا وحسب فقد عاد عربياً عن فيرماند،
وكان أوريليانو الصغير يزدد انزواء كلما قرب البلوغ

كان أوريليانو الثاني مسبقاً من أن الشبح حوخته صوف مدين قلب
فيرماند، فتسمع للورد (أوريليانو الصغير) بأن يندمج في حياة البلدة،
ولم يكن فيه من يكثرث بشؤون مومسه وف أحاق به من طوف. ولكن
أوريليانو معه كان قد بدأ بعص العزة والوحدة، فم يبادر إلى أيه حينة
كي يتمكن من التعرف إلى العدم الذي يبدأ، عنه، بعد عته البار

ولما فتحت أورسولا المعجور باب غرفة مكيف دس، كان يقف حولها
ويرى إليها قرب الباب نصف المنسوج، نظرات مملها الأسعراب وحب
لاستطلاع. ولم يدرك أحد بعد كيف أو متى بدأت علاقه الود بينه وبين
خوزيه أركاديو الثاني. ولم يكشف أوريليو الثاني ذلك الأمر إلا بعد
بعض الوقت، حين سمع الطفل يتحدث عن مبعضة الخبطة. وقد حدث
ذلك في ذات يوم، على فائدة، حين أحد أحدهم يشكو حاله الخراب التي
أصابها أبده بعد رحيل شركه أور. فعدسه أوريليانو الصغير بعدد
صافراً في رأسه عن حبرة ووضيح لا يكونان إلا لرجل راشد واع. وكانت

حقته في موله تختلف عما كان متداولاً ومتعارفاً في الرأي العام. فقد كان يرى أن ماكويدو - وهي أرض حصص - ظلت تعيش حياة هائلة رضية حتى وصلت إليها شركة المور. مزعت فيها الفوضى، وأندست حياتها، وعصرتها وامتصت خيرها كما تعصر وتغصن ثمرة يانعة. وما كان الطوفان إلا من نعل مهندسها الذي صنعوه ذريعة كي يتخلصوا به من الرواء بوعودهم وتعهداتهم للعمال

وكان أوريديو الصعير يتكلم بحماسة وقوة حتى ظلت فيرناندا أنها كانت أمام صورة من مشهد المسيح مع العلماء واختباء قوصف الولد، بتعصبين دقيقين مقيم، كيف أطلق بحيش النار على ما يريد على ثلاثة آلاف عامل محاصرين في المحطة، وكيف نقلت جثثهم إلى قطار مؤلف من ستة عربات لكي يلتقي بهم في البحر

كانت فيرناندا، كأكثر الناس في لإقليم، مصدق المقولة الرسمية لعمله، بأن شيئاً من ذلك لم يحدث. فساورتها الطوب بأن الطفل قد ورث نزعة الفوضويين من العقيد أوريليانو بونيب. فأمرته بالسكوت. ولكن أوريليانو الثاني أعلن أنه مؤمن برواية أحم التوأم للحادثة

والصحيح أن حوربه أركاديو الثاني كان، عند ذلك، أدنى من مي بدلو. ولو أن سكان الداو قد اتهموه بخون. وقد علم أوريليانو الصغير القراءة والكتابة، وساعده في دراسة الصحائف والرقائق القديمة، وعرس فيه القدرة على التعميل والتحصيل الشخصي. لم كانت نغمة شركه المور بالنسبة لماكويدو - حتى إن الناس، بعد مضي من ذلك، وعندما جعل أوريليانو يحتفل بهم ويشارك في عابهم، كانوا يظنون أن روايته من صنع حياله. لأنها كانت تتعارض، حملة ومقصلاً، مع الرواية الكادية المتداولة التي تبناها اللاروخون ودونوها في الكتب المدرسية

كما يجلسان في العرف المعروفة الكنيسة، التي لا تدخلها الريح خيفة،

ولا يبعد إليها العباد، ولا تطلها أحراره. يستعيان رؤى كانت تتكرر في الظهور لهم. فيريدان رجلاً عجوزاً، يضع على رأسه بعة على شكل جاح العرباب. وكان يتحدث عن العالم مديراً ظهره إلى الباعة فيتحدث عن زمن أقدم من ميلادهم كليهما

وقد اكتشفا معاً أن العرفة التي تشهد فيها الرؤيا تظل ذاتها، لا تتغير، وأن ذلك يحدث في يوم الإثنين من شهر آذار (مارس) وعندها أيضاً أن حوربه أركاديو بويديا لم يكن أنه معتوهاً كما كان يروي أفراد العائلة، بل كان الوحيد، في العائلة، الذي مكه وصروح دهنه وصعدوه من أن يستشف، بحقيقة الأيدي، وهي أن الرعان يتعثر ويحفل بالحوادث، وأنه يمكن أن يتشخص فيدع في عرفة ما وحده جريئاته السرمدية لخللته وقد استطاع حوربه أركاديو الثاني، علاوة على ذلك، أن يصنف الرموز والخروب التي في الصحائف والرائع. كان مبقاً من أنها لا بد أن تغلب حروف هجائية (ألف باء) مؤلفة من سبعة وأربعين إلى ثلاثة وخمسين حرفاً. مؤلفاً عرب كل منها على حده بدد كحيوط العناكب وأثار أقدام الدباب. ولكنها تدو، بحظ ممكن من الدقيق، جميل، كعميل مشور على جبل. وتذكر أوريليانو أنه رأى لوحة شبيهة بهذه في دائرة المعارف الإنجليزية. فعاد به إلى العرفة كي يقارنها بسك التي كانت مع حوربه أركاديو الثاني، فكانت مثلاً تماماً

في تلك الفترة التي خطرت فيها لأوريليانو الثاني فكرة تنظيم يانصيب الأحاجي، كان الرجل يستيعظ وفي سلفه قصة وعقدة، فكانما كان يحاول مقاومة برعة في الكاه

وأدركت بيترا كوبيس أن سبب اضطرابه، الذي لا يتهي، يعود إلى وضعهما السيء، فعمدت، على مدى عام، إلى دهر سقف حنكه كل صباح معن الحل. كما جمعت تسعة شراب المعجل. ولكن العقدة

أُخِذَتْ عَلَى أوريلىانو الثاني، حتى كان بعد صغوية في التسع. فذهب إلى بيلار تيريرا العليا معه على عشب تخفف له ولكن تلك الجسدة المحرور انصلدة، التي لا يحطمها شيء، والتي كانت عليها تدير بيتاً سرّاً بلدعة - أخبرته أنها لا تشي بأوهام المدواة - ثم استطلعت ورق الذهب في عثقتها. فراءت حق (ميت الديباري) وقد نقبها سيف (شاب السباتي) فاستتجيب من ذلك أن ميرمانا كانت تحارب إرجاع روجها إلى البيت فاعتقت بذلك طريقه ستمه، وهي غرر الديباريس في صورته ولأنها لم تكن حيوية بموت السحر تلك، سببت له ورماً داخياً ولم سم يكن لأوريلىانو الثاني إلا الصور التي أخذت له بحسبة رواجه، وكانت جميع النسخ في مجموعة الصور العائسة، فقد راح سحت عنها في كل أرجاء السب، مستغلاً فرص انشغال روجته بشؤونها. وقد ناده البحث إلى أن كتشف في أسفل خزانته نصف درنة من أجهزة الصعظ الزراعية التي كانت ما تزال في عيب مشنها

وظن أوريلىانو الثاني أن حنققات المطاط تلك كانت من أدوات السحر، فأحرق واحدة منها فيجيبه كي يريها لبيلار تيريرا. ولم تستطع بيلار تيريرا تحديد هوية الحديقة، ولكنها شكت ميسها، وظلت منه أن يحصر لها الباقيات وأحرقته جميعاً في نار كبيرة أوقدتها في الفدر وصعدت أوريلىانو الثاني، لكي يتقاضي عصر الذي أولدته له ميرمانا، أن يعمس في الماء وحاجة حاضيه، ثم يذهبها حية تحب شجرة الكتك. بعد الوصية موقاً بجاعتها. وب أن انتهى من دمه وإدخاله التراب والأوراق بجاده عينا حتى شعر أن تصبه صار أفضل من السابق أما ميرمانا فقد عرت حياء الحفقات إلى انتقام الأنثى المجهولين منها، فخطب في دهن صدركها جميعاً أخمصه تحت البطانة، ووصمت ميه لأجهزة الجلدية التي أرسلها إليها.

وبعد مضي سنة أشهر على دفن الدجاجة، استفاق أوريلىانو الثاني في منتصف الليل، وقد ألح عليه سعال متواصل شديد، حتى أحس بأن شيئاً ما يحقنه من داحنه بمخالب سرطانية. فلدرك، عندئذ، أن إحراق أجهزة الصعظ الرديئة السحرية، وتعاويد أصحابات الدجاج لا فائدة منها أمام الحقيقة الوحيدة لحرته، وهي أنه ميت لا محالة. ولم يحدث أحداً بمخاوفه. وخاف ألا يستطع إرسال أماننا أورشولا إلى بروكل لمثابة الدراسة، قبل أن يموت. فجد في العمل أكثر من أي وقت في حياته، حتى صار ينظم سحب اليانصيب ثلاث مرات في الأسبوع بدلاً من مرة واحدة. وكان لمن الله يشاهدونه وهو يجوب الأحياء، حتى يصل أبعده وأقربها، وهو يبيع بطاقاته الصغيرة مدفوعاً بحماسة للمارقين باخوت. وكان في تجواله، يصيح بصوت عال

- هنا العاية الإلهية - لا تدعوا الفرصة تفوتكم، فهي لا توافي إلا مرة كل مئة عام

وكان يخاف جهاداً أن يحتفظ بحرحه ولطفه وخفة ظله. ولكن مجرد النظر إليه، وهو يشعرق شاحباً مصفرأ، كان يكفي للحكم بأنه كان يبدد ما لا طاقة له به

كان، في بعض الأحيان، يجيد عن الطريق، فيتنحى إلى أرض خالية لا يراه فيها أحد، حيث يقعد ويستريح من تلك المخالب التي كانت تفرق داخله حتى في منتصف الليالي، وهو في أماكن البهو الحمراء، كان يحاول لتليل النساء اللواتي كن يشعرن بالوحدة والياس، يملهن بالخط الكتي، وهن يتتبعن قرب الحاكيات (العنوضيات) ذات الأبراق فتراه يقول لهن

- هذا الرقم لم يظهر في المسحب (سم يريح) منذ أربعة أشهر لا تدعن الفرصة تفوتكن. فالليلة أقصر مما تصورن.

وانتهى الأمر بالناس إلى الكف عن احترامه صارو يسعرون منه وعرفوا في الشهور الأخيرة عن عادتهم في مذابح باليونان أوريثانو، حتى بات بعضهم يسميه، في وجوده، باليد «العبادة الإلهية» وبذلك البشر في صوته، حتى أفتت منه بواربه ثم انطلقا انصوبت أحياء حتى بات كأنه أنس كذب ويمكن حالته لم تنه عن الإسراع في إجره سحب بجوائز الكبرى في دار يتر كوتيس وحين طال فقدان صوته، وأدرك أنه لم يعد يستطيع احتمال أنه هته أطول، أيقن أنه س يمكن من إرساله انتة إلى بروكسل ي كان يعود عليه من يانصب الخنزير والمجول. فعمد إلى تنظيم اليانصب الهائل على كل الأراضي التي أتبعها الطوفان، ويستطيع أصحاب رؤوس الأموال أن يستلجروها.

وكانت تلك مبادرة عظيمة هلل بها رئيس البلدية، وعبر عن امتداده للإعلان عنها نفسه وتألعت خميمات لشراء البطانات بعشرة بيزو للطاقة الواحدة وبيعت المبيعات كلها في أقل من أسبوع وفي ليلة الحب أقام القاترون بالخاصة الكبرى حفلة لم يشهد لها مثيل فكانت كواحدة من الحفلات التي كانت تنظم أيام شركة المور المشهورة وعرف أوريثانو الثاني، للمرة الأخيرة في حياته، على الأكوارديون الحان فرانسكو الرجل مسية. ولكنه لم يتح أن يؤديه عتاه

وبعد شهرين من ذلك الحدث، سافرت أميرات أرمسولا إلى بروكسل وأعطاهما أوريثانو الثاني كل ما ربحه في ذلك البانصيب الكبير، وما كان ذخره في الشهور السابقة، وأضاف إلى ذلك ثمن البيت لأكي والكلاسلد وسائر المحف التي باعها بعد أن عقدت في البيت يومتها

كان ذلك مثالاً طبقاً لحساباته - كافياً لدراسة بته، فلم يبق عليه إلا أن يوفر أجر سفر عودتها إلى البلاد.

وعرفت ميريناك تلك الرحلة حتى آخر لحظة فقد أزعجها التفكير في أن بروكسل قريبة من بلد الصنع باريس ولكن لأب أنجيل هدأ من روعها بأن ردها يرسله إلى مدرسه داخلية سادت الكاثوليكية تديرها الراهبات ووعدها أميرات أرمسولا بأن يعيش فيها حتى يهيه الدراسة واستطاع الأب أنجيل أخيراً من تسفيرها مع جماعه من راهبات الصرانبكناد، كانت في طريقها إلى صيطله، على أمل أن يجدن أناساً يوفق بهم فيصحبونها إلى بلجيكا

وسما كانت المراسلات المستحالة سير بطريقة رائعة، لكي يتم تسيق حوائث كل تلك الأمور بعضها مع بعض، كان أوريثانو الثاني، ويترا كوتيس يرسل أميرة أميرات أرمسولا وهي نفس اللله التي فرغ فيها من ترتب أشياء الطفلة في أحد صناديق زفاف ميريناك القديمة، كأنه الطفلة تحفظ عن ظهر قلب الثياب التي ستلبسها، مع الحذاء الخشبي الواطئ، والتي ستقطع بها المحيط الأنسي، وتعرف مكان المعطف الأزرق بالأررار النحاسية، وحده الجند القرطبي الذي ستتعله عندما تصل الشاطئ.

وقد تعدت كيف تشي وهي تصعد الجسر الممتد بين الرصيف والسفينة، كي لا سقط في ماء وأدركت أنها يسمي الأتعارق الراهبات، والأتخرج من حجرتها إلا لساول الطعم، وألا تحجب عن أي سؤال يلقيه عليها مجهون من أي حسين كان، ومهما كان السب وظلال الرحلة

وقد صحبت في جمعيتها حقاً صغيراً فيه سائل لملاج دوار البحر، ودمراً كتب فيه الأب أنجيل، يحط يده، ستة أدعية ضد العاصفة وحاطت لها ميريناك حراماً من قماش سميت تحفظ به مألها، وعلمتها الطريقة التي تصنع بها، فلا ترعه حتى عندما تمام وأرادت منها أن

تأخذ معهم إبناء العرقة الذهبي (الخاص بالتبول) بعد أن غسك وطهرته وعقمته ولكن لمدتها أورشولا خشيت أن تسخر منها رعباتها في الكعبة

وبعد أشهر من ذلك التاريخ، تذكر أوريبانو الثاني، وهو عن فراش الموت، آخر مرة وآها فيها، وهي محبوبة عشقاً أن تنزل النافذة المقابله لمعددها، في عربة الدرجة الثانية من القطار، كي تسمع آخر وصيه من فيرمانا

كانت يومها ترندي ثوباً من الحرير اللوزدي، وقد صغرت عن كتفها الأيسر باقة زهر صبرية من أزهار انباني (أدكريي) الصاعدة، ولبست حذاء من جلد قرطبة وأظفء الكعب، وجرايين من الأظفاس يتهيان برباطين مطايعين يتعمقان فوق رجليها سافليها

كان جسمه رقيقاً وشعرها طويلاً يتحرك بحرية وكانت لها عيان كيمي أورشولا الخادبة جلد في مثل صمرا، وكانت لها طريقتها أيضاً في قول «وداعاً» دون أن يبكي أو يتسم، فتبدل للرائي قوة شكيمتها دون فزع

كان أوريبانو الثاني يمست بيد فيرماندا، كي لا تسقط على الأرض، ويسير وليها بجوار القطار، الذي بدأت حركته تتسارع، حتى لم يستطع، إلا بعد لأي، أن يجيب بإشارة من يده، على القبة التي أرسها له ابنته على أطراف أصابعها وبقي وروجه جامدين بلا حراك، في أشعة الشمس الحارقة، حتى غدا، تقدر نقطة سوداء في الأفق، وقد تشابك ذراعاهم للمرة الأولى في حياتهما منذ رواحهما

في اليوم التاسع من شهر آب (أغسطس)، وقبل وصول أول رسالة من بروكسل، جلس حزيه أركادير الثاني وأوريبانو الصغير، في غرفة ملكيادس، يتبدلان الحديث في شؤونهم العادية فقال له دون أن يشعر

بما كان يقول :

- تذكر دائماً أنهم كانوا أكثر من ثلاثة آلاف، وأنهم قد ألقوا بهم في بحر البحر

قال هذا وسقط وجهه على الرق الذي كان بين يديه فحات وهياه معترحات

وفي اللحظة عيها، وفي سرير فيرماندا، انتهى أخوه التوام (أوريبانو الثاني) إلى نهاية المطاف من كصاح طويل مرير مع محاليل السرطان الفولاذية التي كانت تلتهم حلقه شيئاً فشيئاً وقد عاد إلى البيت، مذ أسوخ، بلا صوت وهو مجهد غلبة الإجهاد. وقد نحل حتى بدا جلدًا وعظمًا، وهو يصطحب حقائبه المثقلة وأكورديون حملاته وكان محبته لكي يفي بوعده فطمع على نفسه بأن يموت عند زوجته

أعانت بيترا كوييس في جمع أشبهه، وودعه دون أن تدرك دمة، واحتفظت عندها بحذاءه اللامع الذي كان يروى أن يديه في معشه، فلم تسمح به به

وعندما علمت بموته ليست ثياب اخذها السوداء، ولقت الحذاء بجريدة، واستمحت فيرماندا لكي يرى جثة ولكن فيرماندا لم تسمح لها بأن تعبر عتبة باب الدور، فحاطبتها بير كوتيس بتوسل قاتلة.

- غمي بعسف في مكاني، وتصوري كم كنت أحبه حتى أتقبل مثل هذه الإهانة

ولكن فيرماندا أجابها قائلة :

- ليس في الدنيا إهانة لا تتحققها المظلمة فانتظري موت رجل آخر من هشائك، كي تضعي في قدميه هذا الحذاء

وودعه من سانت صوفيا بالمهد الذي قطعته، جرت رأس خوريه

أركاديو الثاني عن جثته بسكين المطبخ، لكي تأكد من أنه من يده حيًا
وضع جدًا الأخوين التوأمين في بعضين متماثلين، حتى تين دساس
أنهما قد عادا، إلى شبهتهما الناس وهما ميان، تمامًا كما كانا في
شبابهما

وحضر رفاقه أوريليانو الثاني في ملابته ونهوه، كي يصعوا على بعث
إكثيلاً من البره، ربط عليه شريط أرجواني اللون كتب عليه
- كمي، أيها البقر، لاختيار قصير

وسقط بيرنتف من فله أديهم واحترامهم، فألفت إكثيلهم إلى
الندبات

وفي رحمة المحطات الأخيرة، اختلط الأمر على الصكاريهروين،
فلم يعد يوسعهم غير أحد البعثين من الآخر فحملوهما من البيت
ودفنوا الواحد منهما في قبر أخيه.

ظل أوريبينو الصغير^(١) مسره طويلاً دون أن يصادف عرفة مليكاس
محفظ، عن ظهر قلب، كل الأساطير الخيالية العربية التي اشتعل عليها
دند الكتاب القديم المتهترى. وعرف التركيب الخاص بدراسات هيرمان
الكيج، والملاحظات الخاصة بعدم الشيطان، ومذبح الحجر الفصلي،
وبسوءت بوستوادموس^(٢)، والأبحاث الخاصة بالطاعون، فبلغ من الرشد
وهو لا يعرف شيئاً عن عصره، وإن كان هذا بالثقافة الأساسية للإنسان
العصور الوسطى.

كانت سات صوياء كمنه دحلت إلى غرفته، وجدته معسماً في
تراءته كمن تقدم به فحان القهوة امرأة عبد العجر، وبعدم به، تبيل
الظهور، خيط الأرض مع شرائح لمور مدلية، وهو الطعام الوحيد الذي كان
يعد في البيت عند موت أوريليانو الثاني وكانت تعي به تماماً فتقعن به
شعره، ونظفه من الصناب، ومصل له ما تجده في الصاديقي من نبات
دميه وعبد حط شرباه شعرأ أقرب إلى الرعب، جاءته عوصى وبناء
لما والهابون الذي كان للعقد أوريليانو بويديا

لم يكن أحد من أبناء العقيد أوريبانو يوسداً منسبه كمن مشبه
أوريليانو هذا، حتى ولا أوريبانو خسويه^(٣)، وخاصة بوجنتيه البارتي،
وشكل سمته الحارم الشديد وكما كانت أرسولا تظن أن أوريبانو
الثاني، وهو يموس في العرفة، إن كان يحدث بحسه، كدند كانت

(١) ابن فيسي، بنته ميرلندا وغوزيه أركاديو الثاني، من الميكانيكي مويديو بايلونيا.

(٢) صاحب طبوحت المشهور

(٣) من العقيد أوريليانو بويديا من بيلاريفوز

صادت صوفياً نظراً بشأن أوريبو هذا. وقد كان هو في الحقيقة يتحدث مع ملكيادس.

وفي ظهيرة أحد الأيام، وكان يوماً قاتظاً، بعيد موت الأخوين للتوأمين، رأى أوريباتو، في انعكاس البور على النافذة، ذلك الشيخ الآخرين، بقميصه الذي تشبه جناح الغرباء، وكأنه ذكرى تجسدت مائة في ذاكرته من قبل أن يولد.

كان أوريباتو، آنذاك، قد مرع من تصنيف الحروف الهجائية الخاصة بالرقاع. وعندما سأله ملكيادس ما إذا كان قد اكتشف السعة التي كتبت بها، لم يتردد في الجواب، قائلاً:

السيكرتية.

وأعلمه ملكيادس أن قرصه عودته إلى تلك المعرفة باتت محدودة، ولكنه سيحصى، بسلام واعتماد، إلى مروج الموت النهائي، وقد ارتاح ضميره، لأن الرمز الباقي أمام أوريباتو كان كائناً له لكي يتعلم «سعة» السيكرتية، فيحل رموز الرقاع المخطوطة، قبل انقضاء قرون على كتابتها. وكان ملكيادس نفسه هو الذي أشار عليه بأنه في الرقاق الصغير، الذي يؤدي إلى الهرم، وفي المكان الذي كان «تيتون» يتروون فيه عن المستقبل ويمسرون الأحلام، أيام شركة الموت، يوجد عالم كاتالوني يدير مكتبة فيها كتاب «مبادئ السيكرتية»، وأن العث سوف يأكل الكتاب قبل مضي ست سنوات ما لم يبادر إلى شرائه.

ولأول مرة في حياتها، سمحت صانت صوف نفسها بالتمتع من مشاعرها. ولم يكن ذلك سوى الدهشة الغريبة التي أبدتها عندما علمت منها أوريباتو أن ثابته بالكتاب. وقد وجدته له فعلاً بين كتابي «تحرير القدس» و«أشعار منتون»، على آخر الطرف الأيمن من الرف الثاني في خزانة الكتب. ولأنها كانت تجهل القراءة والكتابة، حفظت اسم الكتاب

هيباً. وباعت إحدى السمكات الذهبية السبع عشرة البنية في المشغل، والتي لم يكن يعرف شيئاً عنها أحد غيرها وغير أوريباتو، منذ الليلة التي فُش الجسد فيها البيت وهاثوا فيه قسداً.

تقنم أوريباتو الصغير في دراسة اللغة السيكرتية، بينما أخذت زوارات ملكيادس تقف وتتبعه تدريجاً، وأحد يأتى من الذهب شيئاً فشيئاً، حتى راحت صورته تحبب رويداً رويداً في ألوج ضوء النهار الساطع، وفي آخر مرة أحس أوريباتو بوجوده، ثم يكن سوى وجود ظير مرئي، وقد ختم قائلاً:

لقد عمت بالحصى على رمال سفاقورة.

ويومها زالت متاعه المعرفة ضد الحرارة والعباءة، وفي مقطورة الدود والسمك الأحمر، والعث والخشرات. فعزتها حتى كادت تحبل المعرفة والحكمة لميتونة في الرقاق إلى ما يشبه إشارة الخشب.

لم يعد البيت من مقص في الزاد. ففي اليوم الذي تلا موت أوريباتو الثاني، حضر إلى البيت واحد من أصدقائه، الذين حملوا إكليل الزهور فوق نعشه وعبى الكتابة الوقحة. وقد عرض ذلك الصديق على غيرماندا سداد دير كان بروجها في دمتة ومسددة، وفي كل يوم أربعاء، كان يصل إلى البيت رسول يحمل سلة فيها من الغذاء ما يكفي للأسبوع كامل.

ثم يدير أحد أن ييترا كوتيس هي التي كانت ترسل تلك الموت. فقد رأت في تقديم الإحسان، للمرأة التي أهانتها، خير طريقة ترد بها لها لإهانة. ولكن أحقادها وصغاشها سرعان ما فترت وأخذت تزول بأسرع ما فترت هي نفسها. وهكذا، لم تنقطع عن إرسال الزاد إليهم، في البداية، غروراً ومباهاة، ثم رافة وشعقة من بعد. فقد كانت هي بعض العترة التي تضعف فيها همتها، فلا تتمكن من بيع بطاقات البلاستيك،

أو يعرف الناس عهد، فلا يعيرونها اهتمامهم، تظل جائحة لكي تأكل
هيرماندا وما تحت بهذا العهد، الذي قطعت وحدها على نفسها، حتى
اليوم الذي مرت فيه جنازة هيرماندا أمام بيتها

أب سائنا صوفيا فقد وجدت في تناقص عدة سكان البيت شيئاً من
الراحة، التي أن لها أن تنعم بها بعد نصف قرن من التعب والعناء لم
يعرف عن تلك المرأة الكتوم الصابرة، قط، مرة أنها شكت أو يكت أو
سبت حظها، وهي التي بذرت في العاقلة بكرة ريميلديوس جميلة
اللائكة، ورزعت بها حلال خبره أركاديو الثاني الخفي أخيراً

أضحت عمرها في عوله وصمت، وهي تسهر على تربية أطفال تكاد
لا تذكر ما إذا كانوا أبناءها أو حفيدها وقد اهتمت بأورليانو الصغير وعيبت به
حتى لكانه خرج من بطنها، وهو لا يدري أنها جدة أمه ولم يكن ممكناً
لأي إنسان، من خارج البيت، أن يصدق أن سائنا صوفيا كانت تاد دائماً
على حصير من الخيزران، فيما تصلح الحردان حولها وتحوّل ثم تحوّل
عنى أن تحب أحداً أنها استعافت، ذات ليلة، ترتعد مرفأ، إذ أحسّت أن
حياً كانت ترمعها في نظام الدمار، ولم تكن تلك سوى عين أفعى
سامة كانت تسعى على بطنها

لم تكن تجهل أن أورسولا قد فاسمها سريها، وقد ذكرت لها هذا
المعروف وحديثها به ولكن ذلك كان في الأيام التي تكاثرت فيها أعمال
الخسر والطمع وكانت الحرب، آنذاك، في أوجها ولم تكن تربية
الأطفال تشغّل لغيره فرصة لأن يفكر بنفسه وسعادته ولم يكن ممكناً
لأحد أن يكثر شأن آخر إلا إذا صاح هذا في شرفة البيت بأعلى
صوته

كانت بيتر، كوبيس، التي لم تره سائنا صوفيا قط في حياتها، هي
الوحيد التي كانت تتذكره فقد حرصت دائماً على أن يكون لديها

أخذاء السب سحروج، وحرصت على أن تكون لديها الثياب اللازمة،
حتى في الأوقات المصيبة التي كانت تتعثر فيها عقمات النصب فلا
تسير أسودها إلا بمعجزة وعندما حلت هيرماندا في البيت، كانت كل
الأدلة تدلهم للض بأنها لم تكن سوى حدة قديمة منه حتى بعد أن
سمعت، صر ومرت، وعملت أنها كانت حمايتها وأم زوجها، ثم
يرده ذلك إلا أسعراً فما دخلت تلك الفكرة رأسها إلا لتعده من
حديد، وما كانت تلك صوفيا لتأه كثيراً لوضعها وتصور الآخرين بها
في المرة الدنيا فقد كانت، على العكس من ذلك، يمسو عليها كأنه
هي تسعد بالتقل وبخركة التي لا تهدأ في جوانب الست ومحتف
أنحائه، فلا تعرف الراحة ولا تظهر الشكوى.

كانت تسهر على البطانة، وتهتم بترتيب البيت الكبير، الذي شات
فيه وبرعرت مع حديثه، والذي كان، في عهد شركة نور، أقرب
إلى النكته منه إلى البيت

وعلى الرغم من كل ذلك، فقد حقّت حماسة سائنا صوفيا فوق
الإسبانية، منذ موت أورسولا، وفترت قدرتها العجيبة على العمل فقد
شاحت تلك المرأة الصابرة، وصنعت مواه وشيئاً وشيئاً، أعد البيت
يعاني معها من أزمة عجز مربية، مبدأ للأشنة والطحالب والسائب
الطمع تسلق جدرانها ثم ما لبثت الأعشاب الصار أن عطلت أرض
الغار كلها، وما لبثت أن تبتلع من تحت إسف الشرفة، شقعة، كما
يشقى فرجاج، وخرجت من بين شقوقه رحيات صفراء كذلك التي
وجدتها أورسولا، قبل فود من الرمز، في الكأس التي كانت يها أستاذ
ملكبادس الاصطاعه

ولم تكن سائنا صوفيا لتجد الوقت أو الوسيلة التي تمكنها من كبح
جساع الطمعة فوحت تقضي نهارها في فرد السحالي من عرف

البيت، لتعود هذه إلى العرف مع حلول الليل وقد شاهدت، في أحد الأيام، كيف أن الحمل الأحمر بدأ يتحلى من أساسات البيت بعد أن أنهكها قسماً، ويتابع رحلته عبر جبهة الأهرار، ثم يتعطف نحو الشرفة التي كانت تعطيها أهرار البيجوبيا المكسوة بعباءة الأثرية، ثم يطلق من الشرفة إلى داخل البيت.

حاولت أن تقاوم الحل الأحمر بالمكسوة، ثم بميد الحشرات، وأخيراً بالكس الحلي ولكنني كان ما يلبث أن يعود إلى المكان نفسه في اليوم التالي كان دويماً في هجومه، مثابراً قوياً صعباً لا يقهر كان كل ذلك يجري، يسماً فير ناداً تكتب الرسائل إلى بنها وابته غير أيهة بهجوم اقتراب والدعار.

وتابعت سات صوفيا الكعاج وحدها فكانت تحارب الأعشاب الصلابة كي لا تنكسح المطيع وتزيل شبات مسج العكب ولكن هذه وتلك ما تلبث أن تولد من جديد وتكشط الدود عن مواقع تكاثره ولكنها عندما لاحظت أن غرفة ملكي من كانت نظل تمج بالعبار وتردحم بسبيج العكبوت، على الرغم من أنها كانت تنظفها ثلاث مرات في اليوم، وغضب تبيت، على الرغم من حماسيتها الشديدة في الحرس على النظافة والترتيب، أن قدرتها وشجاعته باتت مهددة بالإحراق والإحباط، أيقنت أنها لا بد مهرومة أمام طابع اليأس الذي أدركه قلبها العقيد أوريليانو بويدي وذلك الضابط الشاب الذي قام بتفتيش البيت

عندئذ ليست ثياب لأحد القديمة المهترئة، وحذاء قديماً كان لأورسولا، وجرباً نصياً قدمته لها أمارتا أورسولا هدية، ووضعت الفياضين اللبائين لديها في صرة صغيرة، وخاضت أوريليانو الصغير قائلة :

- إني أعلن استسلامي ملا حفاقة لعظامي الضعيفة بالعمل اللازم لهذا البيت

وسأله أوريليانو عن الككل الذي تنوي الذهاب إليه، فرسعت له يدها إشارة عامصة تعني أنه لا نعرف إلى أين ترحل ثم حاولت أن تكون أكثر وضوحاً وتحدياً، بشكل أو بآخر، فذكرت أنه تريد أن تقصي بقية عمره مع ابنة عم لها كانت تعيش في ريوهانف. ولكن قولها ذلك لم يكن يبدو صحيحاً، إذ إنها قد فقدت كل اتصال لها بالقرية منذ موت دورها. فهي مد فاك الحين لم تتلق رسالة أو حبراً، ولم يسمعها أحد، فطقت، فتحدثت عن واحد من أقرانها

كانت تستعد للرحيل، وهي كما لاحظ أوريليانو، لا تلبث من حطام الدنيا غير بيرو واحد وخمسة وعشرين سنة. فأعطاه الأربع عشرة سمكة الدهنية، وراح يوقها، محذراً فيها، وهي تعبر الدار حاملة معها صرتها الصغيرة، تجر قدميها، وقد أختت ظهرها السنود وزانها وهي تدخل يده في فتحة الباب كي ترحل الملاح ودها. ولم يعد أحد، بعد ذلك، يعرف عنها شيئاً

عندما صمت صرماندا بمعدرة سباتا صوف (التقية) لعمري، رحت تولول وتصرخ، وهي تدفع الدار وغرف البيت، ذاهبة آية، لكي تطمئن أنها لم تحمل معها شيئاً وقد أحرقت أصابعها عندما حاولت إشعال العود، للمرة الأولى في حياتها. وتوسلت لأوريليانو أن يعلم كيف تمتد القهوة ومرت الأيام، وشيئاً فشيئاً آلت إليه مسؤولية إعداد الطعام في المطبخ فكانت فيرناند، متى استعظت، وجدت ظهورها جاهراً وما كانت لتفادر غروفها إلا لتحمل الصحاف والأطواق التي وضعها أوريليانو على النار لتضج، فتتظها إلى أمانده، حيث تجلس لتناول طعامها على سطح غلكتان، بين الشمعدانات، وحيدة، عند طرف الطاولة، وأمامها خصة عثر مقعداً خالياً

كانت فيرناند وأوريليانو (الصغير)^(١) يعيشان في عزلة عن العالم وكان كل

(١) هو صديقه، ابن أخته جيسي من الكاثوليكي بومبيو بارونيو

منهم يعيش في عزلة عن الآخر فهما لا يشتركان في شيء. كلاهما يقوم بعمله في عزله. يسم نتاج العساكب عملها، هي الأخرى، في سجع يومها، التي يابس شباكها غبل أشجار الورد، ويعطي أخشاب السمك، وشر سطوح الجدران

في تلك المرحلة حيل لفيرنسا أب الأشباح سكن الست. فقد يد لها أن الأنبياء، وبخاصة ما كان منها فيد الاستعمال، تبذل مواقفها فكانت تضي معظم وقتها وهي تبحث عن الشيء، كالقصر مثلاً، على الرغم من تأكد من أنها تركته على السرير وبعد أن تقب عالي البيت سامه، تجد المقص على رب المطبخ، وهي التي لا تذكر أنها دخلت المطبخ لأربعة أيام حلت وقد فتح درج أدوت المائدة مرة، فصاحاً بأن لا تجد فيه شوكة واحدة ثم تجد ستاً معها، فجاءة فوق المدح، وثلاثاً أخرى فوق المسلة وقد كادت هذه الأمور تدفعها إلى الناس فبدأت حلت لتكتب لاسها وبيتها، ووصعت الحفرة على يمينها، تجدها فجأة على يسارها وتبحث عن الشاة في كل مكان، لتجدها من بعد تحت وسادتها وتحتفظ الصفحات التي تكتبها لايها حورية أركاديو بالصعجات التي تكتبها لانتها أمارتنا أورسولا ولا تستطع، أحياناً كثيرة، تجنب مشكلة أخرى كبيرة، إذ تضع رساله حورية أركاديو في علاف أمارتنا- أورسولا وتكرر منها ذلك. يعني أحد الأيام فقدت ريشته، وإذا ساعي البريد يردها إليها بعد أن وجدها في جعبته، وتقل من باب إلى باب كي يستدل على صاحب الريشة

وحيل إليها، في البداية، أن كل ذلك إذا كان يعمل الأطباء للجوليين ورياد ظنها عندما أصابته، فبدأت بكتابة رساله إليهم، ترجوهم فيها أن يدعوها وشأنها بسلام. وتوقفت عن الكتابة لفضاء حاجة لها، فلما عادت إلى العزلة لم تجد الرسالة، وعلاوة على ذلك

زاياتها الرعية في الكتابة.

وتوجه ظنها، في وقت من الأوقات، إلى أوريلينو، ف راحت تراقبه مراقبة دقيقة، وتعددت وضع بعض الأشياء في طريقه، عندها تفاجئه في اللحظة التي يدخل مكنبها ولكنها سرعان ما اقتضت بأنه لا يهاجر غرفة ملكيادس إلا حين يدخل المطبخ أو بيت الخلاء. ويأنه ليس من الصعب الذي يحب المراح.

وهكذا، تأكد لدى فيرناند أن ما كان يحدث لها من أمور إذا كان شيئاً من أذى الأرواح والشياطين فجعلت تعس كل شيء في المكان الذي يمكن أنه تستخدمه فيه فربطت المقص عند رأس السرير، بالقرب من رأسه بحيث يحيط حول رزبط الريشة والشاة بقائمة «طاوله»، وثقت الحسرة، بالضمع، على سطح الطاولة، إلى يمين الفوضع الذي كانت تكتب عادة فيه ولكن ذلك كله لم يحسن حالاً لتلك المشكلات لليلة وحده فبعد بضع ساعات من ربط المقص بالخط، بدأ الخط قصيراً لا يمكنها من القص به فكان لأرواح تدفعه وحده الشيء ذاته لخط الريشة بل إن درعها نفسها فصرت عن ملوح الحيرة بعد فترة وجيزة من الكتابة

لم تعلم أمارتنا أورسولا في بروكل، ولا حورية أركاديو في روما، شيئاً عن تلك المعصاة الزائدة فقد كانت غير متدبرتها بأنها سعيدة، لسبب بسيط هو أنها قد تحررت من كل المسؤوليات والواجبات، حتى تكون الحيلة قد أعادتها إلى عالم دويها ولذلك لم يتأثر ولهاذا بمشكلات الحياة اليومية تلك، لأن الحياة، في خيالها، كانت حالية من المشكلات

كانت رسائلها المستمبضة، التي لا تنهي، تصرفها عن الإحساس بالزمان، وبخاصة بعد رحيل سباتا محبوب فقد اعتادت أن تحسب الأيام

والشهور والمنين وترتيبها، انفصلاً من معالم ثابتة في ذاكرتهم. وهي المواعيد المحددة بصوت ولحنها وعندما عبروا موعد هودتهم، المرة تلو الأخرى، أصيبت بالارتباك واحتطت عليها المواريج باختلاف المواعيد، وتشابهت عند الأيام، حتى فقدت الإحساس بمرور الزمن ولكنها بدلاً من أن يمد صبرها شعرت بسحر من العبث والسعادة في ذلك التأخير.

لم تقلق ميرندا حين أحسها بأنها خورية أركاديو أنه كان ينتظر لانتهاء من ندوة العشب في اللاهوت لكي يبدأ بالدراسات الدبلوماسية، على الرغم من أن يصح سبب قد انقضت على الموعد الذي حدده لأبيه القسم لأحبر فقد كانت تدرك أن طريق السرج اللبني المؤدي إلى كرسي القسيس بطرس كانت طريقاً صعبة ومعروفة بالعقبات. وقد كانت من ناحية أخرى، تتحسس لأمر يبدو غير ذات أهمية للأخريين، كأن تعلم، مثلاً، أن أبها قد شاهد البابا وقد عسرته سعادة عاتلة عندما أجبرته ابتها - أمارتا لوسولا أن حراستها سوف تستغرق وقتاً أطول عما كان معزراً لها، لأن علاماتها المتارة قد أهدتها بحسب على بعض الامتبارات التي لم يعتبرها أبوها حين أجرى حساباته.

كان قد مضى ثلث سن على الوقت الذي جلب فيه ساسا صوفيا كتاب العراء لأوريبانو، عندما جمع هذا الأخير في ترجمة الصحيحة الأوس من الرفاع ولم تكن النتيجة غير مبهمة، ولكنها لم تتجاوز الخطوة الأولى على طريق ضيقة لا يمكن التبرُّ بأجره. ذلك أن النص، في الإسبانية، كان بلا معنى فهو مجرد أسطر كتبت بالأرقام والرموز. ولم تكن لدى أوريبانو الوسائل لوضع أدلة تكشف له معانيها وأسرارها. ولكن ما دام مكيدس قد أعلمه أن مكتبة العالم الكاتالاني الحكيم تحوي جميع الكتب التي يحتاجها لتكشف عن معاني المخطوطات

والرفاع، فقد عزم على معانته ميرندا، عليها تسمح له بجيبه.

جلس في معرفة التي كانت تعاني من رجف حجاب عليها لا يمكن فهره. وجمع يعكر في البحث عن أفضل طريقه لتقديم طلبه ولكنه عذب التقى ميرندا وهي تعال الطعم من النار، وهي الفرصة الوحيدة التي يمكن أن يحدثها فيها، أرخح عليه حتى تكاد الكلام توقف في حلقه، فسي ما كان قد أعده، معد تعب شديد بهذه العاية، وصاع صوته.

كانت تلك هي المرة الوحيدة التي راقب فيها أوريبانو ميرندا فرح بصعي لخطواتها في غرفة النوم، ويسمع إليها وهي في طريقها إلى الباب تسير وصول الرسائل من وليها، وسلم رسائلها، الموجهة لهما، إلى ساعي البريد. وكان ينعث، حتى ساعة متأخرة من الليل، بصوت الريشة، الخش الشديد على الورق، إلى أن يسمع حركة انطفاء الضوء، وتنتصه الصوت في ظلام. وعندها كان يأوي إلى فراشه ينام، على أمل أن يحه العد الفرصة التي ينتظر. ويطاد متى النعم بأنها لن ترفض السماح له.

وفي صباح أحد الأيام، قصَّ شعره الذي كان يتشلى على كتفيه، وحلق خيته الشعشاء، وليس بنظراً غريباً وقميصاً ذياًة إضافية، لا يعرف عن وراثتها، وجلس في المطبخ ينظر أن تأتي ميرندا لأخذ فطورها. ولكن امرأة التي وصلت إلى المطبخ كانت غير المرأة التي كان يراه، كل صباح. كانت امرأة أخرى سم تكن امرأة التي عتاد أن يراه. راحة الرأس، متعجرف للشكل، حجرية اللامع، بل كانت حجراً متصاية دت جمال فوق عادي وغير طبيعي، تميز كتمثال، وقد ارتدت معظم سمور اصفر لونه، وجلب رأسها نباح من ورق مقوى مذهب تشير خطواتها إلى أنها سمعة، كأنها قضت ليها باكية بصمت وسرعة والونغ أن ميرندا قد دأبت، منذ أن وجدت تلك الحلة الملكية في

وقد كانت احتياجاتها منك أمراً لا ضروره له ولا نفع فيه فقد كان موسع أوريسانو، لو شاء أن يخرج من البيت ويعود دون أن تراه أو تعلم بأمره ولكنه عرله الطوبى في سجنه وجهده بالعلم وعادة الطاعة التي نأصبت فيه جميعها قد وأدت في منه كل بدور الثروة والتعدد

انكسأ أوريسانو إلى عرسته، يعيش في عركه يقرأ ويعيد قراءه الصحائف والرواق. ويصت إلى فيرباندا وهي تبكي في غرفتها حتى الهربح الأخير من الليل وفات صباح، جاء إلى المطبخ ليوقد الفرن حسب عادته، فوجد الطعام الذي تركه لها البرحة، كما هو فوق الرماد المطفى. وهذا ذهب إلى عرفة يومه، فألطف مستغنية عن السرير. وقد غطت نفسها بمطعم السرور. وقد بدت كأجمل ما تكون، بل أحسن ما كانت في أية لحظة من حياتها، حتى لكأنها استعالت صدقة من حرج

وبعد أربعة أشهر من ذلك، وعندما وصل ابنها، خوريه لوكاديو، وجد أنها ما زالت على حالها سليمة كأن لم يمسه شيء، وكان لم يصيبها أي أذى.

كان من استحيل أن يشبه رجل أنه كما كان خوريه لوكاديو كان يرندى حلة من النعناع العائنه، وميضاً به يده مستديرة فاسية، وشريطاً حريزاً ناعماً أحمره على شكل ربطة عنق كان شاحب اللون، متعب الهيئه، به نظره مرعة، وشفتان صعبتان. كان شعره أسود ناعماً مصقولاً، سرحه بحيث جعل في وسطه خطاً مستقيماً غارخاً، كفه من شعر تمثيل القديس المتعبر. وكان الظل المترقي على خيته التي حلقها بعناية واهتمام شديدين، يعكس على وجهه البارافيني ظن وجدانه وضميره كانت يده ساحلتين باهتتين، تيدو العروق الخضر ظاهرة فيهما،

حقائب ملابس أوريسانو الثاني، على أن نيبها بين الحين والآخر، على الرغم من أن العث كان قد أنهكه مبالاه. ولو أن أحداً رآه أمام المرأة، وقد بدت ملاصحتها الملكية، نظرها مجسوة. ولم تكن فيرباندا مجنونة مملأً فكل ما في الأمر أنها قد حوكت تلك العلام والإشارات الخارجية إلى آلة للذكريات

في المرة الأولى التي لوتدت فيها تلك الحلة لم تستطع كبح قلبها عن أن يتقبض وهيئها عن أن تمرورق بالدموع حدث أنها في تلك اللحظة نفسها، شمت رائحة صباغ الخلاء العسكري الذي كان يمسسه ذلك الرجل الذي جاء إلى أهلها وأخذها كي يجعل منها ملكة وعندها أشرنت روحها بالحنين إلى أحلامها الصائفة ولكنها أحست فجأة بأنها عجوز تقترب من نهايتها، وتبتعد شيئاً فشيئاً، عن أجمل ساعات حيلتها، فأسمعت وحررت حتى من أجل الساعات التي شهدت أسوأ الذكريات. وكنشمت أنها كانت بحاجة ماسة إلى صفات الأوريجان في الشرفة، وإلى أنفاس الزرود قبيل الغروب، بل إلى مروج العربء الحيراني الثقيل، لولتذ الذين كانوا يفلون إلى اللؤلؤ.

إن قلبها لمفعم بالرماد المكبوت، ذلك القلب الذي قاوم جميع صدمات الحياة الواقعية دون تعب أو كلال، قد انهار الآن أمام أوبى هبات أخير. كانت الحاجة للشعور بلحن قد أصبحت رديئة بعد أن أنهكتها السنون. ولكن العرلة قد جمعتها إنسانية، وبكنها، على الرغم من ذلك، عندما دخلت المطبخ في ذلك الصباح رأت فتى مرهقاً شاحب الوجه، معروق الهيئه، يعدم لها فتجان القهوة، وفي حبه تتلألا صبوة مشدودة، أحست بجرح يبلغ لكبريائها.

لم ترفض فيرباندا السماح له بالذهاب إلى المكتبة وحسب، بل عملت، صلبته، إلى حمل معاتيق الدار في الجيب الذي نحى فيه

وتنتهي كل منهما بأصابع كالطعيريات. وفي السبابة اليسرى من أصابعه خاتم ذهبي فيه حجر كريم ملون مستدير.

لم يحتج أوريليانو، عندما فتح له الباب، أن يسأله ضمن يكون، فقد كان واضحاً أنه قادم من مكان بعيد، وقد عبث البيت، عند دخوله يرائحة العطر الذي كانت تضعه أورسولا على رأسه، في صغره، كي تستلذ عليه في ظلال ما كانت تعيش فيه من ظلام. وقد ظل خوريزه أركاديو، بشكل يستعصي على التصغير، ذلك الطفل الخريمي المكتشف الحزين الوحيد

أنهم، من دور، إلى غرفة نوم أمه، التي كان أوريليانو قد دأب على تبخيرها بأخيرة الرئش المغلي، طوال أربعة أشهر، مستخدماً ورق جدّ جدد، لكي يحفظ الجثث حسب معاداة ملكيادس. ولم يوجه خوريزه أركاديو إلى أوريليانو أي سؤال بل قبل جبر أنه الميتة، وسحب من تحت ثوبها الجعبة المخبوءة في البطانة، التي كانت تحوي الثلاثة الأجهزة - الرافعة الصاعطة، وهي معد غير مستعملة، ومفتاح حرارة ثيابها، وود فعن كل ذلك بدقة وثبات لا يتوافقان مع هيئة المرحقة

وأخرج من الخزانة صندوقاً صغيراً مجللاً بالحرير الدمشقي، يحمل شارة العائلة. وقد وجد في داخل الصندوق، الذي ضاعته من رائحة حشيش الصندل، الرسالة الطويلة التي أراحت بها فيرباندا قلبها من عتاه الحقائق التي كانت تخفيها عنه. قرأ الرسالة وهو واقف، بثقة ووضوح ودقة، ولكن دون فهم ولا قلق. وتوقف عند الصفحة الثالثة فظفر إلى أوريليانو متفحصاً، كأنه يراه بعين جديدة بعيد بها تعرفه ثم قال له بصوت حاد قاطع كالنومس:

- أنت الذئب، إذن.

- أنا أوريليانو يونيليا

- فقال له خوريزه أركاديو .

- اذهب إلى غرفتك

مضى أوريليانو إلى غرفته، ولم يعادها مرة أخرى، بل سم يحرقه منها حب الاستطلاع، عندما سمع أصوات احتمالات الحارة التي لم يحصرها أحد.

كان، أحياناً، يرى، وهو في المطبخ، خوريزه أركاديو يدور البيت حيثة وذهاباً، مثلاً نكاد يحتق من بهت أنفاسه وكان يصانع سماع خطواته في عرف السوم المتهدمة، بعد منتصف الليل وقد مضت شهور طويلة دون أن يسمع له صوتاً، لا لأن خوريزه أركاديو لم يكن يوجه إليه كلاماً وحسب، بل لأنه كذلك لم تكن لديه أية رغبة في الحديث معه، ولم يكن لديه وقت للتفكير في غير رفاقه وضحاقتهم

لدى موت فيرباندا، أخرج أوريليانو السحكة الدهسه الصغيرة قبل الأخيرة، وقصد مكتبه العالم الكنانا الذي الحكيم كي يشري ما يحتاج إليه من كتب. ولم يكتشرك بكل ما صادفه في طريقه، لأن الأشياء لم تشكل لديه معالم، بسبب عدم ارتباطها بذكريات لديه يقارنها بها. ولذلك فقد بدت له البيوت نكتية الخارية، والشوارع المهجورة كما يحينها في الوقت الذي كان يود أن يبدد روحه في سبيل مشاهدتها ومعرفتها. لقد أحاز لنفسه الخروج من البيت، الذي رفضته نه فيرباندا، مرة واحدة وذهب واحد، وفي أقل ما يمكن من الوقت فكانه عبر، بخطوة واحدة، مجموعات البيوت الإحدى عشرة الممده في الرفاق، بين البيت والمكتبة، حيث كانت تفسر الأحلام في الماضي ودخل، مهكاً مبهوراً لأنفاس، إلى المكتبة الصغيرة المزدحمة، حتى لا يجد المرء فيها متسعاً للحركة

لم يكن المكان يدل على مكتبة. فقد كان أقرب إلى مجمع لمعانيات، غير أن تلك المعانيات كانت كتباً قديمة، مصغرة كبرعاً اتفق على

الرغوف، وقد أمنت لحشرات فيه قصصاً، فأتت على حراء منها
كان صاحب المكتبة حالاً إلى عذارة، في المسحة التي كانت
مخصصة بمرور وقد تكسب على طابقتها، منها مجندات صحن من
الكتب وكان يكتب أدباً شرباً مستعصاً بحط أرجوبي، يبدو ولعاً، على
أوراق صائفة من دفتر ملاسظات مدرسي

كان شعر رأسه، القضي الجميل يعطي حبيبه، فيبدو كعروق السماء
وتوحي عيناه الزرقاوان الحادتان، المظلمات قبلاً مرقة ونطف رجل مرأ تلك
الكتب جميعاً وكان يرئدي سرواً نصيراً، ويصح عروفاً ولم يتوقف
عن الكتابة ليبري الداخل إلى المكتبة

وعلى الرسم من تلك الصوضى، لم نجد أوروباسو صعوبة في العثور
على الكتب الخمسة التي جاء للبحث عنها ذلك أن مكيدس كان قد
عثر له مكانها، القديق فوضعتها، دون أن يسمو بكلمة واحدة، أمام
العالم الكائناتي، ووضح عروفاً سمكه الذهبية الصغيرة، برمتها العالم
الكائناتي متصصاً، وقد نقص جمعاً كحيواني البطيوس (١) وقال
بلغة، وهو بهر كنية

— لا بد أنك محبور

ثم ناور أوروباسو الكتب الخمسة والسمكه الذهبية الصغيرة، مصصاً
بالإسبانية

— إنها لثأً أظن أن حمر من قرأ هذه نكتب هو إسحاق الأعشى
والأخرى بك أن تفكر جيداً في ما تفعل

أصلح حوربه أركاديو عرفة ميمي (٢)، ونظف السائر الغميه ورمائها
كف أصلح تحرير كمة السري (السري، المكي) ورم عرفة الاستحمام
المهجورة، حيث كان مطبخ معظمها، معظم بطيئة قاسية من الوسخ

(١) من حيوانات الرخوية أو السمك الصفي C. lab.

(٢) هي كنية ولم يكن ينادي بذي وصفت في الذم

وجعل هذين المكتبين مجالاً إمبراطورته الصغيرة، على حشد فيها من
متحضرات غريبة، وملابس قديمة شبه بالية، وعطورات رائحة وجواهر
تقليدية رخيصة. ولم يكن يبدو عليه أنه نزعج من شيء في سائر أمدار
سوى ثنائيل القديسين التي كانت حول المذبح وهكذا، آخرها جميعاً،
في أصيل يوم من الأيام، ينار أوقدها في فناء الدار

كان ينام إلى ما بعد الساعة الحادية عشرة قبل الظهر، كل يوم، ثم
يلعب إلى الحمام. وقد ارتدى ستره صفراء قديمة مطررة ثنيات مدهة،
واتحل حده خميماً (حمية أو شحافة) بها أشرطة صفراء. وهناك يمارس
طقوسه الدقة التي مدكر، بدنها وطولها، بريميديوس الخميئة فكان
يعثر أخص قبل أن يسبح بأملح بحصنها في ثلاث عت من الدرر
ولم يكن يصغ الماء على حبه بالقرعة الخاصة بذلك، بل كان يعطس
في ماء المعطر، ويمدد فيه حتى الساعة الثاسة من بعد الظهر، وقد
استسلم للبرودة اللطيفة وتذكرى أمدارات

وبعد أيام من وصوله، سحلى عن برمة التفتا، بسب آخره التي تمليها
والتي لا تتفق مع حرّ اليده الشديد. ولم تكن لديه بره أخرى فاستبدل
بها يتفلاً ضيقاً شبيهاً بالباطيل التي كان يفسها ببترو كريسي خلال
دروس الرفص، وأرئى تمصصاً من حوربه حيث من حيوط دود القفر
الطبيعية، وقد ظهر على صدره الحرفان الأولان من اسمه.

كان يعمل ثيابه بداخله مريض في الأسوء، ويتنظر بالستره حتى
تعب لأنه لم يكن لديه سواها. ولم يتناول الطعام، فقد، في البيت
يحرج عتده يحب ليط وقت القلونة، ولا يعود إلا في ساعة متأخرة من
الليل وعندها يبدأ بممارسة السير في العرفة، فهدأ وأبانا، وقد علا
صوت أنفاسه، كقط نائم يحرم، وهو لا يفكر يفكر بأمدارات (١) فلم يبق
في ذاكرته من مسور البيت إلا صورته، صورتها وصورة القديسين

(١) هي حمة جلد.

ينظرانهم جميعه، على ضوء مصباح النوم الحيات فلعلنا نتح حبه، في
حرآب (أغسطس) في روم، بينما يراد عيه حم يضارع الحقيقة
فكان يرى أمداننا حارحة من حوص استحمم مرمرى متبوع الأكران،
وهي في ثياب الدانيلا الداخلية اشعانة، ويدها مريوطة، وقد صورها له
قلل متناه وأرقه بصورة غاية في المثالية.

لم يتصرف كما تصرف حورية أوريفياتو، حين حاول أن يحض
صورتها في مستنقع الحرب الدامي جهده في أن يحفظها حية في
ذاكره، بينما كان يتعرض في حماة الرديلة، ويحده أمه برسانه التي كان
يروي لها فيها، كسدا تفاصيل تقدمه في مهنة البايوية ولم يدر في خلده،
ولا في حلد أمارتاه، أن رسالتهما لم تكن من كليهما سوى محض
تصور وحيال. فقد ترك حورية أركاديو، بدى وصوبه إلى روم، المدرسة
الرهانية، ولكنه وظل على الرواية الخرافية المقتبسة من راسه اللاهوت
والقانون الكسي، لعله لا يمرض للحظر سمعته وميراثه الخرافي، بل في
طدا حلدته عنه أمه في رسالته الخيالية. فقد كان يعلم أن بقله دم
من حياة العاقبة والدم التي كان يعيشها مع رفيقين له في غرفة ضيقة
حقيرة في حي أرامتيفيري الصغير.

وعند تسليم آخر رسالة من أمه، فبربانده، تلك الرسالة التي أسلاها
عليها إحاسها بأن الموت وشيث لا ريب فيه، لطم في حقيقته بقايا
عظمته الكاذبة، وعبر المحيط في قصر سمينه نقل انهاجير، الذي كانوا
يتقوقعون على أنصهم كحيوانات مقردة إلى مسلح ولم يتلوق، خلال
تلك الرحلة، سوى المكنونة الباردة واجبة المتعة المتنة بالدود.

وقبل أن يقرأ وصية ميرناندا، ولم تكن سوى رواية تفصيلية متأخرة
لدقائق شقائهما، ومن أن شاهد الأثاث المهترى الصلح، والأعشاب
الطفيلية الصلابة التي ثمت في الشرفة وتحته، أدرك أنه قد وقع في شرك،

ولم يعد له ماض مما انتهى إليه، بعد أن احتار نفسه الانعقاد عن حياة
العصر الماسية، ومن هواء روما الربيعي العنان.

كان يعيش أرقاً مضيقاً، ويعاني من ربو يكاد يحس أنفاسه، ويحاول
أن يسبر أحداق شقائه، وهو يدرك البيت المظلم، الذي تعم فيه الخوف
من العالم، على صوت أورسولا المعجور الشبه بصوت عقات البحر
فقد كانت المعجور تحمده له رواية في العرفة، كي تهدي إلى مكانه في
الظلام، فلا يحيد عنها، لأنها الرواية الوحيدة التي يحجب فيها الموتى
الذين ما يتحركون يحويون البيت، بعد غروب الشمس وكانت أورسولا
تقول له

- ميلعني القديسون عن كل ما فعله

وانقصت أسباب حضوره المدعوره في تلك الرواية، وهو قاعد بلا
حرك حتى تحين ساعة النوم وكان في يومه يعيش لحرف ذاته، ويرقد
على كرسي صغير، ساجاً في عرقه، مدعوراً تح وطأ أنظار القديسين
الوشة الفسسية الباردة التي ترقبه ولم يكن بكل هذا التعذيب أية
ضرورة، ذلك أن حوزيه أركاديو كان يعيش في رعب داخلي من كل ما
حوله. وقد أعدته تربية الرعب تدث للحوف من كل ما كان يصاحبه في
حياته من الساء في الطرقات، الدواب قد يمسد دمه، والساء
القريب الملاتي يلدن أظفالا بأداب حاربه، وديكة القتال التي تؤدي إلى
مقتل الرحان، فتأنيب الضمير ما دم المرء على يد الحياة، والأسلحة
البارية التي ما إن تلمسها حتى تسب بعشرين سنة من حرب،
والمغامرات الطائشة التي تؤدي إلى مستقبل مرير، وإلى الحوف، ثم إلى
كل ما خلقه الله، بحكمته اللا متناهية، وأفسده الشيطان.

ويستقط حورية أركاديو من يومه وقد هصرته الكوايس، فلا يحصه
من الرعب والفرح، ولا شعاع الضوء يتسرب من ثنايا مصراع النافذة،

ومدعية أمواتنا له في الحمام، والدة التي يشعر بها حين ترش له
المحوق بين محديه بشرامة من حبر

وكانت أورسولا نفسها تبدو مختلفة وهي تنتقل بين أضواء البستان
الباهرة، لأنها لا تتحدث هناك عن الأشياء الخبيثة، بل تذكر به أساتته
بمحوق الضم لكبي تبدو إسناسه صافى رائحة كإسامة البيا، وتقص له
أطفاله وتفصل به حوائفها، كي تبدو ناعمة، فيدهش الحجاج القادمون
إلى روما، من جهات العالم الأربع، أسم نقد، يدي النسا وجمالهما،
حين يبركهم كانت تمسح به شعره وتسرحه كالنسا، وتعمسه بالما
المطر، كي يصوص جسمه وتضوح ثيابه برفحة عطر البيا

وتد رأى خوريه أركاديو البيا مرة في ساحة (كاستيل عاندولفو) وهو
يلقي خطاباً واحداً سبع لغات للمجهور من الحجاج، هذا استرعى انتباهه
لا يباح يديه، نفس كاس كما توذعت في ماء الكنس، ولعاد ثوبه
الصبي الباهر، ورائحة عطر الكولونيا الخفي التي تموج منه

أعصى خوريه أركاديو عاماً في البيت ولكي يؤمن طعمه وشربه،
اصطر لميع الشمعدانات العقيمة، وإنه الغرفة التليد المشهور. وقد تبين
به، في لحظة الحقيقة، أنه لم يكن في ذلك الإناء من الذهب إلا الطلاء
الخفيف على شدة العائنة وكانت سلواه الوحيدة، خلال العدم، أن
يجتمع أطفال البلد، كي يلعبوا عنده في الدار وكان يشاهدهم، في
وقت الفيلولة، وهم يتاثرون في البستان، ويقفرون على الحبال، ويعبون
في الشرفة، ويؤدون ألعاب التزلزل مستخدمين أثاث فدعه الخفوس أما
هو فكان ينتقل من مجموعة إلى أخرى، يعظهم ويشرح لهم قواعد
حسن السمك، واهتراء في تلك العثرة، بطالة الضيق وثوبه الخريبي،
فجعل يمس برة عادية يشترها من محارب العرب ولكنه حرص على أن
يحافظ على وقاره وكرامته المنعة وعداته البنية ومد سطر الأحداث

على الدار كلها، تماماً كما فعلت ربيعات ميمي في الماضي فقد كان
يسمع عدوهم ومراكبهم في أرجاء الدار حتى ساعة متأخرة من الليل،
يثرثرون ويعون ويرقصون، حتى غدا البيت أشبه بمدرسة داخلية تسودها
القصص

ولم يابه أوريليانو لهذا العزو طاماً أن الأطفال لم يقتربوا منه أو
يرعجوا في صومعته، في غرفة ملكيادس ولكنه، في صباح أحد
الأيام، فوجئ بطفلين يلعبان باب غرفته ودعرا الطفلان من مظفر رجل
منصر، حرير الشعر طويده، وقد أنكب على الرذاع المكتنسة على الطاولة
يحلل رمورها ولم يجز الطفلان على السحول، فراح يدوران حول
الغرفة، وشرافا نظرات عابرة إلى داخلها، وشرافا دون انقطع ثم م
لبيث أن شرع يرميان بعض الحيوانات الحية من إحدى الكرى وفي يوم
من الأيام ألقى الأطفال عليه باب غرفته والمساعدة من الخارج، فأقصى
أوريليانو نصف بهار في جمعها وسر الأطفال بأنه لا يعالف على
دب، فدخل أربعة منهم، ذات صباح، إلى الغرفة، وهو في المطبخ
آنذاك وأوشكوا على إتلاف الرقاع والصحائف، ولكنهم م إن أمسكوا
شك الأوراق الصمراء حتى رفعتهم قوة ملائكية خصة عن الأرض،
وتركتهم معلقين في الهواء، حتى هاد أوريليانو إلى العروة وانتزع أوراق
المخطوطات من أيديهم. وما تلك الحادثة لم يعد يجز أحد منهم قط
صلى لأدعاه

كان هؤلاء الأربعة الأكبر سناً بين الأطفال، يرتدون الباطيل القصيرة
على الرغم من كونهم على عتبة البلوغ، وكانوا يهتمون كثيراً، بل
يشعرون أنفسهم، بمظهر خوريه أركاديو الشخصي، يصوبون إلى الدار قبل
الأخرين، فيمضون الصيحة في توتب حبالته وتديك جسمه بالمشاف
الحارة، ونقلهم أظفار يديه ورجليه وصقلها، ويعطونه بماء الزهر وكثيراً

ما كانوا يدخلون معه إلى الحمام، ليعملوه بذلك والصابون، من ثمة رأسه حتى أحسن قدميه، يمسح يده في ماء المعطر سارحاً في تفكيره يحلم بأماراته ثم يجتمعونه ويؤشرون جسمه بالمساحيق ويدهونه في أوتداء ملابسه

وكان أحد الأولاد، وهو أشقر الشعر الجعد قرنيلي العين كالأسد، قد اعتاد النوم في الست وكنت الروابط التي تجمع بينه وبين خوريه أركاديو متباعدة جداً إلى درجة أنه كان يرفقه في أزمنة الربو التي تصيبه، دون أي كلام، ويرافقه في السير ليلاً متقللاً في أوجاع الست وفي ليلة من الليالي، وسعدا كانا متقللاً، دون كلام، شاعداً في العرفة التي كانت لوروسولا تنام فيها، برزاً أصفر يشع من خلال الإسمت الذي ستحل بونه إلى لون الكريستال، وكان شمساً كانت تسقط من تحت الأرض مبدلت أرض العرفة إلى لون السور حتى لم يشعر بالحاجة إلى إضاءة العرفة وهذا انبلاط المكسرة التي كان يحشم بونها سريعاً أورشولا، شمع في وجهيهما عريق نهر لقد اكتشفا الحب السري الذي أهلك نفسه أوريانو الثاني سبباً للمشهور عنه. ووجدوا في لغز أكياس لقب الثلاثة المرتبطة بسلك نحاسي، وفيها سبعة آلاف ومئتين وأربع عشرة مثانة ذهبية، تتلألأ كأنها جمر متوقد في الظلام.

كان اكتشاف الكبر كدورة بركان وبدلاً من أن يرحل خوريه أركاديو إلى روم يهدد الثروة لمناحته، التي كانت دروة أحلامه في أيام الشقاء، حول اللب إلى جنة مرفوعة مشهورة، تستبدل بالتأثير الصديقي ستائر محمية جديدة، وعبر كل السرير (الستارة أو المومياء)، ونظ أرواح الحمام، وعطى الجدران بطلاء خرمي مربع وصلأ خرائن عرفة الطعام بأنواع المربى المختلفة، وخم الخنزير، والتوبل المحفوظة بالخل وأصبح لغز، وكذس فيه أصاب الخصور ولقبالات التي يجيبها بنفسه من

معلقة سكة الحديد، في صناديق كتب عليها اسمه.

وفي ليلة من الليالي أقام حفلة لأربعة أكبر الأولاد، دامت حتى الفريغ الأخير من الليل وفي الساعة السادسة صباحاً، خرجوا من غرفة جميعاً، وهم عردة، فأخرجوا معطر الحمام، وملأوه بالشبانيا، وعطروا فيه جميعاً، وراحوا يعيشون ويلعبون بصوف الخمر، كسرب من العصافير الساحرة في سماء ثوبها نقاق عطرة، بينما كان خوريه أركاديو مستقبلاً على ظهره على هامش الاحتمالات، يحلم، وعشاء مفتوحان، بذكريات أموات وقد طبت هذه حاله، مكثراً على فاته متفرغاً على نفسه، يجتر مرارة مسراته العريضة، حتى بعد أن أنهك التعب الأولاد، معادوا صفاً وحداً إلى غرفة النوم وهذا سرعو الستائر الخفية، ليجمعوا أحسادهم به وفي حمى العوصى انفتحت كدوا يعيشون، كسروا مرارة الكريستال إلى أربع قطع، ومرققوا كنه السرير وحطموها طرفيه، قبل أن يتهادوا بعد أن غلبهم الإعياء والنعاس

وعذب عاد خوريه أركاديو من الحمام، وجددهم عاريين في يوم عقيق، وهم عبارة عن كرمه من الأجساد العارية بين حطام غرفة النوم البائسة فلم يشه مظهر التلث والخراب الذي أصاب الغرفة بقدر ما هره القرف المعروج بالخمر والرائحة لداته، حين وجد نفسه في فراغ مدلل فاندفع إلى حقيقته، التي كان يحتفظ في أسفله بأسوأ، مما يستخدم في تقويم عوج لمسيحي، ويمسح أو ثوب من الشعر، وأدوات أخرى للتعذيب والتوبة وتداول من تلك الأدوات ما وقع عليه يده، ثم انطلق نحو الأولاد فطردهم من البيت ولاحقهم، وهو يجمع كدوا، ويصب عليهم حمام غريبه بلا راحة ولا رحمة، وكان هو يطارده مطيعاً من الكلاب

ثم انكفأ خوريه أركاديو على نفسه يعاني من أزمة ربو امتدت بصحة

أيام، ولم تراكبه إلا بعد أن وسعته بسمة الفرح. وكاد يحنق بعد هذا ليال ثلاث، حتى اضطر أن يذهب إلى أوريليانو يرجوه أن يذهب فيأتيه بدواء من الساحق يشمه، من صيدلية قريبة

ولم يكن على أوريليانو أن يعبر أكثر من صعين من البيوت حتى يصل إلى صيدلية صغيرة، يعطي العيار ثوانها وفيها دوايق وزجاجات عليها أوراق كتب عليها باللاتينية وهناك شاهد فتاة ساحرة الجمال، كأنها حبة من النيل، تناولته الدواء الذي كان خوريه أركاديو قد كتب اسمه على قطعة من الورق

هذه هي سيرة الشابة التي يرى فيها أوريليانو البلدة المهجورة، بأصواتها الخافتة الصغرى وهي لم تحرك فيه من حب الاستطلاع أكثر مما فعلت المرة الأولى

وعلى خوريه أركاديو أن أوريليانو قد فر، وإذا به يعود لاهثاً مبهور النفس، بسبب سرعته، وهو يجزر رجله اللتين أضعتهما العرلة وقلة الحركه

سم يكن أوريليانو يهتم بالعالم خارج عرته مطلقاً. لقد غرق خوريه أركاديو، بعد أيام من تلك الحادثة، الوعد الذي قطعه لأمه، وسمح له بحرية الخروج متى وكيه شاء. ولكن أوريليانو أجابه قائلاً

ليس لدي ما أفعله في الخارج

ظل أوريليانو يحبس غرفته، مستغرقاً في رقعه حتى استطاع، شيئاً فشيئاً، أن يستخلص مضمونها، ولكنه لم يستطيع أن يفهم. ثم أخذ خوريه أركاديو يتردد على غرفته، حاملاً إليه، أحياناً، بعضاً من شربات لحم الخنزير، وبعضاً من مربى العلكة، الذي يحلف في العم مداقاً ربيعاً. وقد قدم له، في مناسبتين، بعض البيذ الندي

ولم يابه خوريه أركاديو للمزاج التي كان يعتبرها تملية مسيئة ولكن

الذي أثرو دهنته هو معرفة أوريليانو، لمعتول، بالعالم، وهي معرفة عجيبة لا تقبل التفسير فقد اكتشف، بعد ذلك، أنه يفهم اللغة الإنجليزية المكتوبة، وأنه، في أثناء تمحيصه للرقع، قد قرأ لفظة معارف (الأنكلويديا) بأجرائه السة، من العلاف إلى العلاف، كما لو كانت رواية عممة وقد عز إلى ذلك السبب في البداية، كون أوريليانو قدراً على الحديث عن روما وكأنه قد عاش فيها حين طرده ولكن سرعان ما تبين أن أوريليانو يعرف أسوأ ليس بها وجود في دائرة المعارف، كأسعار لأشياء، مثلاً، وحين سأله خوريه أركاديو عن الطريقة التي حصل بها على تلك المعلومات، لم يزد على قوله :

- كل شيء معروف

أد أوريليانو، من جهته، فقد دهش للاختلاف الذي تبينه بين خوريه أركاديو عندما يرى عن كتب، وبينه عندما يرى وهو يجوب غرف البيت بدلاً فقد كان قدراً على بضحك، وعلى أن يبدي ملاحظات، تعجب به حين، حول ماضي البيت وذكراته، وعلى أن يحرك وشأكم بحال اللبسة التي كانت عليها غرفة ملكيادس.

وقد تمكن المقارب بين ديك الفوحدين، اللذين يجمعهم الدم^(١)، دون أن تجمعها الصدفة، من إقترانهما على احتمال العرلة الحقيقة العوز، التي فصلها ووجدتهما في آن معاً بعد ذلك، صار خوريه أركاديو يدعو أوريليانو ليساعده في حل بعض المشكلات البسيطة التي كانت تواجهه وترعجه. وصار يوسع أوريليانو أن يجلس في الشرفة للقراءة، منتظراً وصول رسائل من أمارانتا أوسولا، التي كانت ما تزال تصل بدقة وانتظام. وصار يوسع أن يستعمل الحمام الذي أقصاه عنه خوريه أركاديو لدى وصوله.

في فجر يوم شديد الحرارة، استيقظ الاثنان مدعورين على صوت قرع

(١) خوريه أركاديو، هانا، هو عمال أوريليانو اعطالي (الصغير)

معاجري، وبيع على الباب الخارجي كان في الباب رجل عجوز أسمر اللون غامقه، وله عيان خصر اود، واستبان تمحان وجهه صباه موسموياً غريباً، وعلى جبهته صيب من رماد كانت ثيابه أسماً رقة، وحداه حفاً عرقاً، وعلى كتفه جمعة عتيقة، هي كل ما لديه يحاله لمره، من مطر، سائلاً (شحاداً)، ولو أن في هيشته وقداً يناقض مظهره كان يكفي أن يتأمله الناظر جيداً، ولو مرة واحدة، في ظلال قاعة الجلوس، حتى يدرك أن قوة جمعية هي التي مكته من البقاء صق قيد الحياة والعيش، وبم يكن تبتث بقوة هي غيرة حب البقاء، من عادة الخوف

كان ذلك أوريبانو أمادور، أو أورسانو العاشق، الابن الوحيد الباقي على قيد الحياة من أبناء العقيد أوريبانو بويديا السبعة عشر^(١)، وهو الذي تده في الأرض بحثاً عن ملاده في حياة العزلة الرهبان الطويل

أضحت من هويته، وتوسل إليهما أن يؤديه في السن الذي طمنا حتم به في حياة انتمى والتشرد التي عاشها، وكان يظن إليه كآخر ملاده في الحياة

ولكن حورية أركاديو ولوريبانو لم يذكراه وظناً أنه لم يكن سوى سائل غلبط، فطرده إلى خارج البيت. ومكنهما شهداً، عند باب الدار الخارجي، نهاية عاجلة لمأساة كانت قد بدأت قبل أن يبلغ خوزيه أركاديو سن الرشد برمس طويل فقد خرج من بين الأشجار، الممتدة على المقابر، شريطاً كان بلا حقا أوريبانو أمادور طوال سيره، يقتبع آثاره حيثما حل في أرجاء العالم، ككتبي صيد، فأطقت عليه رصاصتين من مسدسهما (المورر) خرقتا جبهته في مركز صليب الرماد تماماً

كان حورية أركاديو، منذ أن طرد الأولاد من البيت، ينتظر ورود أخبار عن مسميه حائرة للمحيط سوف تسافر إلى نابولي قبل عيد الميلاد وقد تحدث مع أوريبانو في هذا الأمر، وحفظه أن يترك له عملاً تجارياً

(١) وهو ابن عم جد خوزيه أركاديو الحالي

يضمن له العيش، لأن سلة العدة المدونة قد توقفت وزودها إلى البيت منذ دهن ميرماندا، ولكن هذا الحزم الأخير نفسه لم يتحقق ١١

ففي صباح يوم من أيام شهر أيلول (سبتمبر)، وبعد أن شرب حورية أركاديو القهوة مع أوريبانو في المطبخ، مضى لكي يستحم، كما يفعل كل يوم. وقبل أن يفرغ من ذلك، دخل عليه، من بين فجوات القرميد والبلاط، الأولاد الأربعة الذين كان قد طردهم من البيت فانقصوا عليه قبل أن يتمكن من الدفع عن نفسه، وفعلوا إلى الحوض يكامل ثيابهم فأمسكوه من شعره، وأخضعوا رأسه تحت الماء حيث تبتره، حتى تلاشت عن سطح الماء فقائع الهواء الدالة على تنفسه وانرق حشد وريت العرش، شاحاً صامتاً، إلى قعر الحوض ذي الماء المعطر ثم حملوا أكياس الذهب الثلاثة، التي ما كان يعرف محباها غيرهم وغير ضحيتهم

كانت العمية سريعة ومنظمة ووحشية وأشبه ما تكون بعملية عسكرية أما أوريبانو، حين صومعت في غرفة مكيداس، فلم يمر بشيء مما حدث. وعندما حل وقت ما بعد الظهر، ولما لم يكن قد رأى حورية أركاديو في المطبخ، راح يبحث عنه في كل أنحاء البيت. دعثر عليه طامياً على وجه الماء المعطر فوق مرايا الحوض، وقد انتعش وتورمت أوصاله، وما يزال يحلم بأماراتاً وعندها، وحسب، أدرك إلى أية درجة كان قد بدأ يحبه.

فككت إلى قطع صغيره ووضعت في عذبه حاصة فكنه من حملها كالة
الكلمان الكبيرة

لم تمح بسفها فرصة يوم واحد طراحه، بعد رحلتها بطريقه بك
فلت بعض ثياب ليكانك القديمة، التي جدها روحها معه، واندعت
في محاولة جديدة لترميم البيت وإصلاحه فبدأت بكافحه لمن
الأحمر الذي كان قد هرا الشرفه واستقر فيها فقهرته، وأعادته الحياة
إلى البرود الأحمر، ولوان العشب الطفلي الصار بعد أن أسأسته من
جذوره وعمرست نبات الرحسن والأوريجان من جديد، وأعدت روع
زهو البيجوب في الأصص على حواف الشرفه وعادت فرقة من
الجدران وأخذت في السماكة والبائس فرتقوا الفجوات والشعرات في
الأرض، وأعدوا تركيب مصاريع لأبواب والنواهد في مواضعها،
وجددوا لأثاث، ويصير الجدران وطوبها من الدحل والخارج

بعد ثلاثة أشهر من وصول أمارنا لأورسولا، صار موسم الإنشاء أن
يشم، مرة أخرى، جو العتوة والشباب والمرح الذي كان سائداً في تلك
الدار أيام اليانو الأولى. ولم تشهد الدار مثلاً شاطئاً ومرحاً فقد كانت،
على مدار الساعة، وأنى تحركت في أرجاء الدار، وفي كل مناسيه، تعي
وترقص، وهي تزيى من طريقها كل بائد، وتتقي في سدة المبهلات كل
الأنبياء المتحميه إلى غير تلك خيبه وهكذا استطاعت أن تنكس كل
الدكريات الخريته، والعلامم الجنازية، وأكدام النمايات العقيمة، والمولد
الخرافية، التي كانت مكدسة في الرويا. ولم تحتفظ إلا بصورة ريميدوس
الخميله، ودد لأورسولا، فأيقنها معلقه في قاعة الاستقبال وكانت تصيح
وهي معرفة في الصبحك

— حمة عمرها أربعة عشر عاماً.

وعندما روى لها أحد السائين أن الدار مسكونة بالأنبياء، وأن الوصفه

(١٩)

عادت أمارنا أورسولا مع أوائل ملائكة كانون الأول (ديسمبر)،
يدع شراعها نسيم البحر، وهي تجرور مع زوجها بحبل من حرير
مربوط حول عنقه. وقد وصفت دون أن يعلم أحد بمجيئها، ودون سابق
إنداء، وقد ارتدت ثوباً عاصي اللون، وعقدت في عنقها عقداً من لؤلؤ
طال حتى كاد يصل إلى ركبتيها، وأحابت أصابعها بحرائم مرصعة
بالحجارة الكريمة من الرمرد والأزرق الشهب (الترين)، وقد عقدت
شعرها الدسم خلف أذنيه ووربطته بشرط من ديل مسورة وثيق.

أم الرجل الذي نروجه قبل ستة أشهر، فكان بلجيكيّاً (ناطقاً
بالعصكية)، سجيل القامة رهيف الجسم، باضجاً راشداً، وله هيئة بحد
وما كان عليها إلا أن تدفع باب غرفة الاستقبال حتى تتحقق من أن
طول فترة عيابه، ومقدار الخراب الهائل الذي أصاب الدار، كان أكثر مما
يلعبه خيالها فصاحت والمرح يعالبل خوفها

— يا إلهي، . واضح ألا وجود لنساء في هذا البيت.

لم تكن الشرفه تتسع لكل أمتعتها فقد حملت معها، إضافة إلى
حقائب أمها فيرناند، التي شحنتها معها إلى المدرسة، محفظتين أخريين
من النوع الرأسي الطويل، وأربع حفاضات كبيرة للملابس، وكنيساً
للمظلات الساتية، وأربع علب للصبغات، وقصصاً هائل الكبر فيه
حمسون من طيور الكناري، ودرجه روجه الثلاثية العجلات، وقد

الوحيدة لظرده هي في البحث عن الكنوز الخبئة فيها، أجدبت، وهي مقهقهة ضاحكة، بأنها لا تؤمن بالخرافات، وأنه لا يليق بالرجال أن يكونوا خرافيين.

كانت عموية جداً، ومنحرفة تتمتع بروح حديثة حرة جداً، حتى إن أورميانو لم يدر ماذا يفعل بنفسه عندما رآها تصل إلى الدار^(١) أما هي ففتحت ذراعها له وصاحت، تعبيراً عن مرحها وسعادتها به، وقالت يا إلهي يا لهبوبي الهعجبي أكل لحوم البشر أنظر كم كبير وكيف صار.

وقيل أن يصدر عنه أي رد فعل، كانت قد وضعت أسطوانة الحياكي (الموسوغراف) السقال، الذي أتت به معها، ثم أخذت تعلمه إحدى أحدث الرقصات. وبعد ذلك أجبرته على تبديل بطلان الرث، الذي ورثه عن العقيد أورليانو بويديا، وأعطته بعض قصص الشباب المرحمة، وحساء حديثاً ذا لوبس. وعندما لاحظت أنه يحمي أكثر عما ينبغي من الوقت في غرفة ملكيادس، جعلت تمش على الخروج إلى الشارع كي يرى العالم في الخارج.

كانت نشيطة فعالة، وصغيرة، وعبيدة كأورسولا وتكاد تكون في مثل جمال ريميدوس الجميلة وإعرائها وقد وهبت الطبيعة غريزة ماهرة جعلتها تكون دائماً أسبق من أرباب الموسم والشهرة فكانت، عندما تصلها مجلات التعيين والخيطة الحديثة، تكتشف أنها لا تفهم كثيراً فهي تراجعها، وحسب، كي تطمح إلى أنها لم تخطئ في التصديق الذي إنكرته وخاطته على آلة الخياطة البدائية العتيقة التي كانت لأماراتا. كست على معرفة بكل مجلات الأزياء، وبالأخبار الغنية، والموسيقى الشعبية، التي تنتشر في أوروبا. وكان يكفيها أن تلقي نظرة عابرة عليها حتى تعرف أن الأمور في العالم، كانت تجري على ما تحببها عليه.

(١) أماراتا أورسولا هي عملة بوريدانو المحلي (القصير) من سويسرا

ولم يكن أحد يدرك لماذا وكيف احتارت امرأة مثلهما، وفي مثل حقيقتها وروحها، العودة إلى بلدة ميتة، يصحبها الغبار، ويسحقها الحر وبها روج يملك من المال ما يكفيها أن يمش عيشة رحيه راضية في أي مكان يصاره في العالم وهو يحب إلى الدرجة التي جعلته يقبل فيها أن تمهوه إلى تلك البلدة يرسم من حرير.

كانت رغبته في البقاء في البلدة تتوضح أكثر فأكثر، مع مرور الزمن فقد بدأت تفكر بمشروع كبيرة طويلة الأجل وجعلت تتخذ قرارات من شأنها أن تعد لها حياة هادئة ناعمة لشيحوخة مستقرة في مأكونديو وكان بعض طيور الكناري غير ديل على أن خطتها لم تكن مرغوبة أو وليدة ما هي فيه فقد ذكرت رسالة وصلتها من أمها، أخبرتها فيها بموت الطيور، فأخبرت رحيب بضعة أشهر، حتى تجد باخرة تتوقف في لجر السعيدة وهناك اختارت خمسة وعشرين روحاً من أجمل أنواع الكناري. لعبها تعيد الحياة إلى سماه مأكونديو. وقد حاولت محاولات كثيرة لتحقيق تلك الحاية ولكن هذه كانت أكثر مشروعاتها الكثيرة العاشلة إخفاقاً

كانت أماراتا أورسولا، كلما تكاثرت الطيور عندها، أطلقت منها عدداً معادلاً للمواليد الجدد من المراح ولكنها كانت، ما إن تنطق بحرية، حتى تادر إلى معادرة البلدة وقد جهدت طويلاً لأن تحبها يرج الطيور الذي تته أورسولا. يوم رحمت البيت وجددت بناءه، وصنعت لها أعشاشاً من بات الحناء على أشجار اللوز، ورشت لها الدرة البيضاء على سطوح المنازل. وهاجت الطيور الخبيسة في القعصر، حل صداحها يشي الطيور لتطبيق عن مررها ولكن، عيشاً فم كانت تلمح في السماء، حتى تدور به دورة واحدة، تكفيها لاكتشاف موقعها وتبين طريق العودة، ثم ترمم شطر لجر السعيدة

وعلى الرغم من مصي عدم عودته أمارات أورسولا، دون أن
 استطاع اتحاد أصدده أو إقامة حمته واحدة، فقد ظلت تؤمن بأنها قادرة
 على إبعاد أهل البلدة من الشقاء الذي أصابهم. ومن يشأ زوجها
 (عاصور) أن يعارضها، مع أنه أدرك مد هبوطه من نضار، في حو
 ظهيرة فاتية. أن ما أمي على روحه مراره لم يكن إلا حياء إلى
 سراب كان واقعاً من أن الودع سوف يعمرها، ثم يكف نفسه عام
 تركيب دراجته فاعتم بجمع أكبر بيوس الصاك من بيوتها التي كان
 يربطها بالبور، ليجمعها بين أخاها، ويأمل العساك الصغيرة التي
 تخرج منها بعد ست ساعات طويلة. وعندما لاحظ أن أمارتا أورسولا
 لا تتابع إصلاحاتها إلا من أجل الأتقن بالهزيمة، مرّ أن يركب دراجته
 الحسنة، التي كانت عجتها الأمامية أكثر بكثير من عجتها الخلفية. ثم
 كرّس نفسه لإصطباذ كل ما كان يصادده من الحشرات في المنطقة،
 بعددتها ثم يرسلها، في ألوان حافطة، إلى أستاذة القديم بلتريخ الطبيعي
 في جامعة ليس، حيث أتم دراسته العبد في علم الحشرات، مع أنه كان
 طياراً في مهنة

كان، عندما يركب دراجته، يرتدي بطلان بهلوان راقص على
 أصبال، وجرابي عذوق العرب، وقبعة بولس مري. كذلك المعروفة في
 قصص شيريك هومر. أم إذا سار ماشياً فكان يرتدي برء حوح طسعي لا
 عيب فيها، وبس حذاء أبيض، ويربطه عنق حربية، ويضع على رأسه
 قبة بحري، ويحمل بيده عصاً من حيراز

كانت عينه الشاحشان تؤكداً هيئة الملاح فيه، وكان له شاربان كأن
 هما من صوف سحاب. وكان يكرّس زوجته بحمسة عشر عاماً، ولكن
 مراحه الطفولي، وعمره العتي على جعلها سعيدة، إضافة إلى مؤهلات
 المعاشق التي يتصف بها، كانت جميعاً معوضاً العزق في المس والوابع

أن العبد كسانوا يظفرون إلى ديك الرجل الذي يبع الأربعين من
 العمر، المتحفظ في سنوكه وعاداته، يحمل خريز حول عنقه، ويدرجته
 الشبهة بدرجات السر، ما كان يحظر لهم، أو أن يتحيلو، أنه قد وقع
 مع زوجته الصغيرة عمداً. وما كان لأحد أن يتخيل أنه كان يعمره،
 كما يعمرها، لقاء انصاحته في أقل الأمكنة مسية بذلك، وكلما أحسا
 بالذاع إلى ذلك.

فقد صلا كم كان في أرى نقه لهما، شلتهما الواحد إلى الآخر،
 عاطفة ما بعث تصرمها، يوماً بعد يوم، أحداث غير متظرة، فنعقها
 وتريداً أواراً. ولم يكن عامتور بالمعاشق العيف وحسب، ولم يكن ذا
 حكمه واسع وحيال رجب وحسب، ولكنه رب كان، كذلك، الرحن
 لأور، في تزييم سوء الإنساني، الذي قام بعميه هبوط اضطرارية، كاد
 يلافي وحبسه فيها بلوب، من أجل هدف واحد، وهو أن يتبدلوا الحب
 في حقن من أزهار البنج

لعد نهاراً قبل ثلاث سوت من رواجهما وكان في ذلك اليوم يقوم
 بطاوته، ذات الحشويين، بالأعب يهوانه فوق كلية أمارتا أورسولا،
 وجرب، عبوره جريشة، أن يجانب سارية عم الكنية، معن إطار الرابة
 القديم وصفيحة لألومسيوم بسب الطائرة بفعل بعض الأسلاك
 الكهربائي

ومد ثلث الحادثة، جعل يمر بالكنية، في نهاية لأسبوع، كي يخرج
 مع أمارتا - أورسولا، من سكن الراميات نباحي حيث كانت تقيم،
 وحيث لم يكن الأنظمة متشددة، كما كانت فيراندنا تريد لها. وكان
 يصحبها إلى ناديه الرهي، وبدأ الحب بينهما، وهما على ارتفاع ألف
 وخمس مئة قدم، في جو يوم أحد، فوق الأراضي الغمر. وكان جهما
 يزداد بلزدياد صغر الكائنات على الأرض

كانت محدثه عن ماكوسو، أبهى وأهدأ بلدة في العالم، وعن بيت
 كبير يعبر بمرآحة الأوربان، حيث تنسى أن تقضي شيعوتها مع روح
 وفي وصبيين عجيبين تسميهما: روبريو وقوانزولو، لا أوريليانو ولا
 خوربه أركاديو، ويت تسميهما رجبسا، لا ريميدوس. وقد أبدت
 بدكرياتها تلك حرارة وحياً وتعلقاً بالبلدة التي جعلتها دفين ورفقتها
 الماطقة، فأدرك عاستون أنها لن يقبل الزواج منه ما لم يوافق على
 إحادتها إلى ماكوسو. وافق على ذلك كما وافق من بعد على ربط
 الخرب (الرس) في عنقه، لأنه اعتقد أن تلك مجرد رهاب يتكلم الرمن
 بعك حدثها والقضاء عليها

ولكنه بدأت تظهر عليه علامات الضيق، بعد أن أمضى عامين في
 ماكوسو، وما تزال أماراتنا أورسولا في مثل سعادة اليوم الأول
 لوصولها. كان خلال تلك المرة قد اصطاد وشرح كل ما يمكنه اصطاده
 وتشرجه من حشرات المنطقة، وتعمم الإسبانية فتحدث بها كأهل البلدة
 الأصيبين، وحر كل الكلمات المتداولة في المجالات التي كانت تصله
 بالبريد. ولم يكن يوسع أن يتذوق بالطقس للإسراع بالرحيل، لأن
 الطبيعة قد منحه كيداً يكيف للعيش في المستعمرات، تحصل دون جهد
 مقاومة الداس في وقت القيلولة. كما تحمل المياه المشرقة بالفضليات
 وقد أحب الطبخ الوطني كثيراً، حتى إنه أكل في أحد الأيام، عقوداً من
 أكتين وثعابين بيضة من بيوض الإيكون في جلسة واحدة

كان كل ذلك، بينما كانت أماراتنا أورسولا تستقدم، عن طريق
 القطار، الأسماك والخار في صناديق مربعة، وكذلك اللحم المحفوظ
 وشراب الصراكة، لأنها لا تستطيع أن تأكل سودها كما وأظنت على
 متابعة لیس الأزياء الأوروبية وتلقي الماداج بالبريد، ولو أنها لم تكن
 تذهب إلى أي مكان، ولا ترور أسداً ولكن روجها، في ذلك الوقت لم

يعد يحتمل أن يعجب بشبابها الخمرية والقصيرة، أو يشعنها العملية
 وعقودها ذات السبعة أطواق. كان سرها يكمن في قدرتها دائماً على أن
 تجهد ما تشغل به نفسها فكانت تحل مشكلات البيت التي تواجهها
 بنفسها أو تصحح اليوم ما قصده في الأمس، بحماسة فزعية تذكر بأمر
 ميرندا، أو بأفة مروثة تتصل بتركيب الأنبياء لا شيء، بل أعفها من
 حديد

وظل حب الحفلات، والبراعة فيها، حياً في نفسها فكانت، كلما
 وصدها أسطورة جديدة، تدعو عاستون بسهر طويلاً، في الصلاة، كي
 تعيد معه خطوات الرقص التي وصفتها لها، بالرسم، رفيقاتها في
 الكنية. وكما عالياً ما يتجهان إلى أن يناما معاً، ويتبدلان الحب، على
 الأرائك المصنوعة الهزأة، أو على أرض الصلاة العارية. ولم يتقصها،
 لتكتمل سعادتها، سوى ولادة الأطفال. ولكنها كانت تحترم العهد الذي
 أبرمت مع روجها، بالألا يكون بهما أطفال، بل بعد مصي خمس سن على
 روجها

وسعيًا من عاستون للعثور على شيء يرحي ساعات فراغه به، بدأ
 يعتاد قضاء الصباح في غرفة مكيا داس، مع أوريليانو الخبي التحبول.
 فقد كان يستمتع، وهو يستعيد معه أقصى الروايات الخبيثة الجميلة في أوس
 وفده، والتي كان أوريليانو يعرف عنها كما لو أنه قد عاش فيها رماً
 طويلاً. وسأله غاسون من أين حصل على تلك المعلومات التي لا توجد
 في دائره المعروف (الأسبكلويديد)، فأجابه بالجواب نفسه الذي رده
 على سؤال خوربه أركاديو:

كل شيء معروف.

معلم أوريليانو، علاوة على اللغة السبكرتية، اللغة الإنجليزية واللغة
 الفرنسية، وبعض اللاتينية والإغريقية. وبعد أن بدأ يخرج من البيت كل

يوم عصراً، في تلك الفترة، وبدأت أمارات أرسولا تنحصر به مديناً
أسرعاً، لمقاتلته الشخصيه، تحولت عرفته إلى ما يشبه فرعاً من مكتبة
الكنائس الكاثوليكيين، وكان يقرأ بهم حتى الهرب الأخير من الليل، ولكن
غاضباً أكثر، من خلال الرجوع والاستناد إلى قراءاته، أنه لم يكن
يشترى نكت ليعتصم منها، أو ليريد من معرفته، من لكي يتأكد من
صحتها وحده، وأن آياً من الكتب لم يكن يهمه أو يعنيه كما كانت
تهمه وتعيه الرفاع، التي كان يكرم لمطالعنها معظم أوقات انصباح

أحبّ غاستون وروجه أن يدمج أوريانو في حياتهما العائليه، ولكنه
كان يبدأ مضطراً على ذاته، تخيط به عيعة من الأسرار والعموم، ما
تتلك تكاليف مع الزمن، كان مراحه صعب الإدراك وقد أحفقت جهود
غاستون لتقرب منه، فرح يبحث عن سبيل أخرى يرحي بها ساعاته
البقيه. وقد حرصت له، في تلك الفترة، فكرة تنظيم برود جوي.

لم يكن ذلك المشروع بالأمر خديد عليه، فالواقع أنه كان قد قطع فيه
خطوط دة شأن من أن يتعرف إلى أمارات أرسولا، ولكن تصميم
الذي كان في ذهنه لم يكن من أجل ماكودو، بل من أجل الكونفر
البيجيكي، حيث تمت عاقبت أسهما واستثمارات في ريت الحيل
وكان الروح السب في تأخيه، إذ هزم على أن يقضي بعهده أشهر في
ماكودو، لعله بذلك يبعد روجه ويدخل السرور إلى قلبها، ولكنه،
صدمت تبن أن روجه كانت مصممة ومعاذرة، وأنها تفكر في تأسيس
جمعية لتجديد والتحسين العام، بل أنها ضحككت وسحرت منه عندما
ألحق إلى اجتماع العودة، عندما أدرك أن الأمر سيؤول له واستأنف
اتصالاته وعلاقاته مع شركائه المسيرين في بروكسل، طناً أن يكون الإنسان
رائداً في الكاريبي لا يقل قيمة عنه في أفريقيا.

ويبدو كأنه خططه تقدم في ذلك الاتجاه، بدأ يعدّ مدرجاً لهبوط

الطائرة، في الإقليم القديم الساحر، الذي كان يسو في ذلك الوقت
سهلاً مكوياً من حجارة الصوان المحونة ودرس تجاه الرياح،
وحصرة الساحل، وأفضل الخطوط ملائمة لملاحة الجوية، ولكنه لم
يتسه إلى أن مثاربه الشبيهة بمثارة السيد هيربرت قد أيقظت في البسة
شكوكاً خطيرة. فقد انتهت الصور بالناس إلى أنه لم يكن يسوي وضع
خطوط للطيران، وإنما لزراعة الموز

وتحضر غاستون تلك الفكرة التي تبرر له إقامه في ماكودو، فسافر
إلى عاصمة الإقليم عدة مرات قابل فيها المسؤولين، واستحصل منهم
على الإذن الخاص بذلك، ووقع اتفاقيات خاصة ووظف، في الوقت
نفسه، على مرسله شركائه في بروكسل مواظبة تذكر بصيرائنا وتراسها
مع أطباء الجهوليين. وقد تمكن، بإصراره، من إقناعهم بأن يوسلوا طائرة
مفككة على أول سفينة قادمة، على أن يرعاها ميكاسكي حبيب مجرب،
ليركب قطرها، المعصية في أقرب مرفأ، ثم يقوده ويأتي بها جواً إلى
ماكودو.

ومضى عام على تأملاته، ومياساته وحساباته الجوية النظامية، وقد
وثن بوعود مراسليه المفكرة، اكتسب خلاله عادة السير في شوارع
- وهو يربق السماء، ويصغي لطيف السيم، ويظهر تخلف الأمل
بظهور الطائرة

أحدثت عودة أمارات - أرسولا تغيراً جذرياً في حياة أورليانو، على
الرغم من أنها لم تنبه لاندث. فقد مات، بعد موت حوزيه أركاديو،
عملاً مواظباً في مكتبه الكاثوليكي الحكيم. وقد أيقظت أخيرة، التي نعم
بها أجيالاً، ووفت الصراع الطويل الذي كان لديه، بعض الرغبة في معرفة
البسة التي بدأ يكتشفها دون أية مساعدة. مراح يسير في الشوارع العمراء
المغمرة، وهو يشغص باهتمام علمي أكثر من إسائب، داخل البيوت

المهدمة، وحديد السواحل تتأكله بفعل الأكسدة، والطيور المائية، والبشر الذين سحقتهم الذكريات حاول أن يبني، في خياله، أصحاح مدينة شركة المور المهدمة، وقد صارت أثراً بعد حين، وجعل مسبحاً وميناء، إلى حافته، بأحذية الرجال والساء القديمة المهترئة. ووجد بين أحلال بيوتها الخربة عظام كلب راع أكاني، عازال مربوطاً بعرقه المولادي، وسمع هاتماً يردد: يرد يرد. وعندما رفع الساعة سمع، على الطرف الآخر، صوت امرأة تنفق تسأله، من بعيد، بالإنجليزية: فأجابها: نعم، لقد إنتهى، الأضراب، وإن ثلاثة آلاف قتيل قد ألقى بهم في البحر، وإن شركة مور قد رحلت نهائياً عن مأكودو، بسلام منذ عدة سنين، وإن مأكودو أخيراً قد عمت بالسلام بعد سن طويلة.

وقاده التحول إلى سحي الدعارة، وقد انحط إلى النوك الأسفل، فالحظ الذي كانت تحرق فيه الرزم المالية لإحياء المحلات قد عدا متاهة شوارع كل واحد منها أشد كآبة ومؤامراً من الآخر. وما زالت بقايا فنادق حمر مضادة فيه. أما ماعاد المحلات الراقصة فبانت يباباً تزيده بقايا أكاليل الزينة القديمة، تستظر فيها ساء بدميات سميات، لراجل أولم يتروجر، مهترلات، والجذاب العرسيات ولأمهات البايديات، كلهن ينتظرن قرب أجهزة الحاكي (الفيوغيرامات) القديمة.

لم يصادف أوريليانو أحداً يذكر عائلته، حتى ولا العقيد أوريليانو بونديا، من عهد العجزة من الربوع اليهود العرييين. وكان يسهم شيخ عجور كان رأسه الأبيض القطني يجعله يبدو كالتسوخ النابية للصورة (السودة). وكان هذا ما يرال يشد عند باب بيته للزواجر الخربة الخاصة بالعروب.

كان أوريليانو يتحدث معه بلغة (البايامتو) الخاصة التي تعلمها خلال بقعة أساييج كعب كان يقاسمه، أحياناً، الشروب المطبوخة

برؤوس الديكة، تبعدها له حفيذة ابنته. وكانت هذه امرأة سوداء ضخمة اجتهت، قوة البنية، لها رعدان يشبهان مؤخرة الفرس، وهناك كبطيختين مسحركتين، ورأس مستدير كبير، تحيط به حودة من الشعر الشبيهة بالأسلاك، فيبدو كرأس درع صارب في القرون الوسطى. وكان اسمها بيجرومات.

كان أوريليانو يعيش في تلك الفترة من بيع لأواني الفضية والشمعدانات وبقية الأدوات التي ما تزال في البيت. وكان إذا أفلس، وتذك كانت حاله في معظم الأوقات، يقصد لحانات المتفرقة المحيطة بالسوق، يطلب من أصحاب رؤوس الديكة، التي يرموها عادة مع السميت فيحملها إلى بيجرومات، فعنده له بها حبة، تضيق إليها البقلة وتعطرها بالعمع. فلما مات والد جسدتها، انقطع أوريليانو عن زيارة ألت، ولكنه كان يصادف بيجرومات تحت شجرات اللوز القائمة المحيطة بالباحة العامة، حيث يتحدث بصفيها، الذي يشبه صمير حيوان بري، نقايا يوم الليل، أي رواد الليل. وكثيراً ما بقي معها، يتحدثان بالبيامتو عن حماء رؤوس الديكة وسواها من مميزات اليؤس لأخرى. وكان يود لو يراقبها دائماً لولا أنه أفهمته أن صحبته تبعه الرئاس. وعلى الرغم من أن الشهوة أغرتة أحياناً كثيرة بأن يدم معها، وعلى الرغم من أنها نفسها ربما تكون قد بدت له نهاية طليعية لسوء من الحين والشوق المشترك بينهما، إلا أنه لم يفعل ذلك.

وهكذا، كان أوريليانو ما يرال يتولاً عذرياً عندما عادت أمهاتنا - أوروسولا إلى مأكودو، وعانقته عناقاً آخرياً بهر أنفاسه فكان كلما رآها، وأسوأ من ذلك كلما عمت رقصه حديثة، يحس كأن عظامه إذ تترلق كقطعة من الإسفنج، تماماً كما أحس حدة الثالث يوم تدرعت بيلار تيريرا بورق اللعب وأخنته إلى الخزن. وجهه في أن يعرق في وحدته ويحفظ

من عذابه، فانعس أكثر وأعمق في صحائفه ورفاقه، وحاول أن يتحاشى دعايات خاله البرهة، التي معكر ليليه وتسبب له الاضطراب برواتها العربية. ولكنه كان كلما حاول الفرار منها لزدادت حتى انتظاره وترعبه مصحكه الصاحب المجهج، وصبيحاته التي تشبه صبيحات عظة تفصرها السعادة، وأعانيه المجره من بشوتها وسمائها، ومعاناته العذبة وتعبساتها الصاخبة وهي في ذروة تعاطي الحب في أي ساعة من ساعات النهار، وفي أي مكان من البيت، حتى تلك الأماكن التي لا تحظر على بال

وفي ليلة من الليالي، وعلى بعد ثلاثين قدماً من سرير، وعلى مضطه مشعل الصياغة العضية، هاج الزوجان فكراً المنضلة والحزنة مما فيها من دوارق وسوائل وعقائير، وإنتهى بهما المطاف إلى ممارسة الحب في بركة من أسيد المورياتيث. ولم يغمض لأورليانو جفن في تلك الليلة، وقضى اليوم التالي محموراً يكي غيظاً وتأوه هيجاً وفي الليلة الأولى انني أنتظر فيها ييجروماتنا، في ظل أشجار اللور، خيل إليه أن دهرًا قد مرّ قل أن تصل يسما كانت إلى الفلق الجليدي غمرته، وهو يشد يده على البيرو والخمسين سنًا التي كان قد طبعها من أمارات - أورسولا، لا لأنه كان بحاجة إليها، بل من أجل أن يمسسها، وأن يعط من قدرها، وأن يهتورها، بأن يجعل لها دورًا، بطريقة ما، في المعامرة التي يقدم عليها

جرته ييجروماتنا إلى غرفتها، حيث أوقدت شعبة من الشمعدان الرائع. ثم قادته إلى سريرها القلاد، الذي اتسخ من تكرار ليليلها بتعاطي اجس القلور، ثم شدته إلى جسد ككلية شرهة، قاسية بلا روح، كأنه هي تنتظر متى تبعدة كضعل يرتجف قرعاً ولكنها فجأة وجدت نفسها أمام رجل حارق القوة يطلب أن تبلد أحشاؤها حركة

لؤلؤاته كي تستطيع مواكبته والانسجام معه.

وهكذا، صبر، عشيقين فكان أورليانو يمضي الصبح في دراسة الرقع، ويذهب في ساعة القبوله إلى غرفة النوم التي تنتظره فيها ييجروماتنا، لكي تعلمه كيف يلزم بالسر أولاً كدوء الأرض، ثم كالمخرون، وأخيراً كالسرطان، إلى أن تضطر لتركه، وتستقي في انتظار تصيد عشاق الليل

ومضت أسابيع قبل أن يكشف أورليانو أنها كانت تضع حوون حصنها طوقاً أو حراماً رقيقاً يبدو كما لو كان وترًا من كمان لأنه فاس كالغولاذ وهو قطعة واحدة لا أثر فيها بلوصر أو اللحام فكانه قد ودد معها وكبر معها.

كانا دائماً يأكلان بين الضجعة والأخرى، وهما عريان في السرير، في أنون الحررة الشديدة، ووقوفهما نجوم بهارئة تتكون من لمعان الصدا المحبق بسقف التوتياء

كانت تلك هي المرة الأولى التي يكون بيتا لييجروماتنا رجل عشق ثابت، رقيق بيت، كما كانت تقول هي نفسها، وهي معروفة في الضحك بل إن قلبها بدأ يعزل أوهماً حين صرح بها أورليانو بالعاطفة التي تغلغ في حناياه محو أماراتنا - أورسولا، وبأن النعويص معها لم يشعه من عاطفته سث، بل زاد في تحرقه من ادخال، وما يعتك دث المرون يردد بالقمر الذي تسع فيه أمان تجربته في العشق.

ومسند بدأت تستقبله بنص الحراره والشرق، ولكنها جمعت تأحد منه آخرًا لا هوادة فيه فإذا جاءها أورليانو ولا مال معه، جعلت الملع ديباً عليه، يحطوط تحمرها بظفرها على الباب لا بالأرقام، بل بالعلامات والخطوط. وعندما يهبط الظلام، تتحد بها موقعاً في الساحة العامة، تراوع في ظلال الأشجار، يسامع بها أورليانو، فيدخل النار، ويعبر

الشوة كالعرب، فيحيي أمدانكا - أورسولا وغاستون نحية حية عابرة، وهما يتناولان عشاءهما، على عاداتهما في تلك الساعة، ثم يمضي إلى غرفته ويعلق ألباب على نفسه، لا يخطر أن يقرأ أو يكتب ولا أن يفكر، لأنه يجد نفسه في حائل من الإضطراب والقلق تسببها له الصعوبات والهمسات والمداخيل والنكسب، ويعلعه الفرح والمرح، ثم تأوهات الشوة لدى بلوغ الشوة في الحب، مما كان يملأ ليلي الدار

لذلك كانت حياة أوريليانو على مدى سنتين، قبل أن يبدأ غاستون انتظار الطائفة وكذلك كانت حياته في عصر ذلك اليوم، الذي ذهب فيه إلى مكتبة الكونغرس الحكومي، ففقي أربعة فتيان رضاء صحبيين، يتناقشون بحماسة حول الوسائل التي كانت تستعمل لقتل الصراصير، في القرون الوسطى. كان المكتبي المعجوز يعرف ميل أوريليانو إلى الكتب التي لم يقرأها غير (بيدي) المحترم فدعاه بإتسامة، فيها حيث الكبير المحتر، للإشراك في المناقشة فشرح لهم، دفعة واحدة ودون أن ينشط أنصاسه، أن الصرصور هو أقدم ما ظهر على الأرض من الحشرات المجحة، وأنه كان ضحية للضرب بالأحنية الخفيفة، في أيام العهد القديم ولكنه جس يقاوم كل المبيات، من شرائع البدورة التي ترش باليوراكس، إلى الدقيق لمروج بالسكر ذلك أن أنواعه، البالغة ألفاً وست مئة وثلاثة، قاومت أقدم وأقوى ما صنعه الإنسان، منذ وجوده، لاضطهاد الكائنات الحية، ومها الإنسان نفسه حتى تستطيع أن تمر، عند نصف الإنسان بقريرة التكاث، بأنه لا بد من إضافة صفة به، أدق والزم، وهي غريزة قتل الصراصير، التي لم تسلم من وحشية الإنسان وشراسته إلا بلجونها إلى الظلال فهي الغدعة اكتست العصفة بالخلاص من الموت لخوف الإنسان المعنوي الوراثي من الظلام. ولكن الصرصور، بالمقابل، ضعيف أمام البور ولذلك تبين منذ القرون

الوسطى، وهذا ما يراد مستعاً، منذ مرور وقرود، وحتى اليوم أن الرئيسة المعلة الوحيدة لقتل الصراصير والتخلص منها هي سطوح أشعة الشمس

وقد نشأ عن هذه المصادفة المعرفية الأسيلوكويدية صدافة عظيمة متابع أوريليانو حرص على الاجتماع، كل عصر، بأوتك لأربعة المناقشين الصرور، وجيرمان، وألموسو، وعابريل فكان هؤلاء أول وآخر من عرف من الأصدقاء في حياته كانت تلك الجلسات بالسنة إليه، وهو مسجون الحقيقية المكتوبة، التي تبدأ في المكتبة فراءة ساعة السادسة، قبيل المساء، وتنتهي في حي الدعارة قبيل الفجر، نوعاً من الكشف فلم يكن يعتقد، من قبل، قط أن الأدب أمض حيلة احتريها الإنسان لسخرية من الآخرين. وقد يبرهن الصرور هذه الحقيقة في ليلة صاحبة. وقد تبين أوريليانو، بعد لأي، أن حير مثل على هذا الأمر المختلف عليه هو الكاتب البي الحكيم فقد كانت معرفته جهلاً ضائعاً فهي لا نفع فيها ما لم يؤد إلى إختراع طريقة جديدة لإعداد العسقي

في تلك الليلة التي حاصرها أوريليانو من الصراصير، انتهت مناقشة في بيت الميات اللاتي يقدمن أجسادهن لقضاء الطعام، بسبب الجوع، وهو ما يشبه بيت دعارة في إحدى هواحي ماكوننو، وكانت صاحبة البيت قوادة دالعة الابتسام، يعلبها هوسها بصنع الأبواب وإعلاقها. وكانت ابتسامتها الأولية تبدو كأنها ويلة غياه الزبائن، الذين سلموا بوجود بيتها كشيء لا يرقى إليه انك، مع أن وجوده لم يكن من نسج الخيال ذلك أن الأشياء المادية المعنومة فيه لم تكن واقعية دلائل يتخلع إذا جلس أحد عليه. ومكبر الصوت مكسور وترقد فيه دجاجة حاضرة، وعلى الأرض أزهار من ورق، والنقودات (الروزامات) المعلقة فيه تنتمي لسبق سبت زمن شركة المور، والإطارات تحيط بصور مقتطعة

من مجالات لم يعرف الصدور والنساء اشترفت الصغيرات في الس
حيات ثلاثي كن يتركهن من احرار، عندما يخبرهن صاحبه الممت
بقوم الربيع. ثم يكن. لا يحسن احلاق

كن يأنس فلا يلقى التحية، وهي برنين ثياب قصيرة موزنة ومعد
عليهن مد يد يربد على حصى سبي، شرعهن ويرتدنها نفس انهارة
والخفة والبردة وكن يصح في دروه شوه خد اي لنداء انظر
كف بسقط ذلك السقف وحن يستنم البرو والخمس سنا، يندل
مال يرعيف حبر ومقطعة حبر، يبعثهن من صاحبة البيت، وايتنامتها
أعرض ما تكون، لأنها الوحيدة التي معهن أن الراد لم يكن حقيقاً. ثاماً
ككل ما في البيت.

أف أوربيانو، الذي كان عنده، حسن ذلك الوقت، يسدأ برفع
مديكيس وينتهي في عرفة يجرومات، فقد وجد في تردد على بيت
النداء الخيالي الموهوم الصغير حبر علاج حقه كان يرعجه في
اليدي، فلا يصل إلى النداء، أن يكون في العرب التي مدخلها لمديرة،
في ألد حفلات الحب، فتدق ما طاب لها التعليق على جمال المتصاحمين
وحسيتهم رحيبهم ولكنه تكيف، مع الزمن، نشرهات لحياة
الصغيرة وفي إحدى العيالي البعيدة تعري من سلابه في صالة
الاستقبال الصغيرة، غير است من أوله إلى آخره، وهو يرفع على ذكره
رحاحه من البيرة متورمة دون أن يسقط أو تميل كان هو الذي بدأ هذا
سرغ من آخرات العربة الشادة التي كانت المديرة، بايسامنها الأبدية،
لا تعرض عينيها ولا تغمض نه فلا ترحب بها ومثل ذلك ما حدث في
يوم الذي أراد فيه جيرمان أن يحرق البيت كي يشك أنه لا وجود له، أو
يوم كسر أغموسو حق البقاء ورماء في القدر التي كانت تعلو فيها طبخة
دجاج بالخضراوات.

كان أوربيانو يحس أنه أقرب إلى عابرين من الآخرين، وبو أنه كان
يرتبط مع الآخرين بنفس بود والصداء، فلا يفكر فيهم، لا وكأنهم
شخص واحد وقد وجدت نبت العري، ذات لينة، صدم ذكر
أورليانو، اتفاقاً، انعقد أوربيانو بويدي فكان مخبريل الوحيد الذي
اعتقد أنه لم يكن يسخر من أحد حتى المديرة نفسها، وهي التي اعتادت
أن تدخل في أحاديثهم ومفاساتهم، احتدت واعتصت بمناظرة امرأة
الشديدة، وأصحة أن العقيد أورليانو بويدي، الذي سمعت الناس
يتحدثون بأمره مرات كثيرة، لم يكن سوى شخصية اخترعتها الحكومة
دربعه تقتل نفسها الأحرار أم عابرين، من ناحية أخرى، فلم يشك
قط بحقيقة العقيد أوربيانو بويدي، نسب بسيط هو أنه كان رفيق سلاح
وصديقاً لا يفصل عن جد جده العقيد جيرميندو ماركيز.

وكانت تلك المبادلات، وبما حكاه الفاعرة تلك، تلعب أنسي
مراحمها عندما يصل الحديث إلى مجررة العمال فكانت المديرة، وبعض
الأشخاص اسين، كما تظفر أوربيانو إلى ذلك موضوع، برفصون
شنة حكاية العمال الذين حوصروا في المحطة، والقطار ذي الشتي عربة
الحمل يدورن ويسمكون بالتالي، هو وارد في ملفات القضاء
والكتب المدرسية أي أن شركه لم توجد قط وهكذا انجنع
أورليانو وعابرين، مشتركين، على دلائل حقيقة لا يؤس بها أحد
سواهما، ولو أنها وسمت حياتهما، فإنها على الهامش، قد تنقدهما
موجة مرتدة من عالم انتهى، لم يبق منه سوى احين

كان عابرين ينام في المكان الذي يعس فيه وقد استضافه أوربيانو
عنه مرات في مشعل الصياغة، فلم يعمص به جس طوال الليل، بسب
الموني الذين يقصود الليل، وهم بروحون ويحيون، من عرفة إلى
أخرى، حتى الفجر وأحيراً سمعه إلى يجروماتنا، التي كانت مأخذه

إلى غرفتها، المشحولة كثيراً، حين تصرع من رباثتها الكثيرة وتسجل ديباً على حاسبه، خطوطاً عمودية صغيرة وراء الباب، هي الأمانة الخاطئة من ديون أوريليانو صاحبه العزيز.

كانت تلك الجماعة، على فساد حياتها، تشحذ الهمة لتبدع شيئاً حالماً ترضي به رغبات الكاتالوني الحكيم، الذي ما فتى يبحث على ذلك. وكانت دانيه عبيهم من تجربته وخبرته فقد كان أستاذاً للأدب الكلاسيكي في الماضي ويريد في ذاته ما كان لديه من كتب تادوه فقد حملهم يقضون ليلة كاسفة في البحث عن الوصح الدرامي السابع والثلاثين، في يده لا يتمكن أحد من أهلها من تجاوز مرحلة الدراسة الابتدائية

وعندما سُحر أوريليانو باكتشاف الصدفة، وأدهمه ما في العالم من سحر، هذا العالم الذي حرته من وضاعة فيرناند، توقف عن دراسة المخطوطات في الرق، عندما بدأت تتكشف له عن أنها يرمات في آيات شعر كلها أرقام ولكنه حين اكتشف، من بعد، أن الرمز يتسع لكل شيء، دون أن يتخلى عن بيوت الدهارة، عاودته الشجاعة للعودة إلى غرفة ملكيديم، وقد عزم على ألا تغتر إردته حتى يكتشف آخر الفاتيح وكانت تلك هي العترة التي بدأ فيها غاستون يتنظر وصول الطائرة، والتي وجدت فيها أمارات - لورسولا معها وحيدة وفي صباح أحد الأيام، دخلت إلى غرفته، وقالت له :

مرحباً، يا أكل لحم البشر لقد عدت إلى كهفك من جديد !!

كان جمالها هادئاً لا يقاوم، وهي ترتدي ذلك الثوب الذي صمته، وتضع في عنقها ذلك العقد الطويل الذي صمته بنفسها من فقرات السمك. فقد توفقت عن استخدام طوق الحنجر، بعد أن وثقت من وفاة

زوجها، وبدأت، للمرة الأولى منذ عودتها، تبيع لنفسها لحظة من الراحة. وما كان أوريليانو بحاجة لأن يراه كي يعرف أنها قد وصلت إنكأت على مصدة العمل بمرفقها، لا حاجز يحول دونها أو يقبها، حتى كان توسع أوريليانو أن يسمع صوت عظامها الخفي العميق ولدت اهتمامها بالصحنات والرقع.

حاور أوريليانو أن يتعصب على إصطرابه، فاستعاض صوتها الذي كان قد فقد، واسترد حياته التي غادرتها، واستنهض ذاكرته التي تحوت إلى حيوان متحجر. فحدثها عن العصر الرياني لنصوص السكرتية، وعن إمكان رؤية المستقبل علمياً، عن شعاعيه الزمن، كما يرى الرياني ما هو مكتوب على ظهر ورقة (إذا وضعت أمام السور، وعن ضرورة حل رموز البومات كي لا تفقد قيمتها أو تزول، وعن قرون توستراداموس المتبسة المشهورة وعن دمار كاتالون الذي تنبأ به القديس ميلانوس

ومعجاة، ودون أن يتقطع أوريليانو عن الحديث، ركائف دفعت قوة خفية ضاية من خلفه، وضع يده على يده، ظاناً أنه يقرره النهائي ذلك يصح حملاً لهجره وشكوكه وعندها أمسكت أماراتنا أورسولا سائته بأسلوب الدعامة الرينة الذي كانت تمارسه معه أيام الطفولة فقد كانت تفت عابدها وظلت تمسكه بسائته وهو يجيب عن أسئلتها واستمررا هكذا، توجد بينهما سبيلان جليديان، لا تنقل شيئاً في أي من الاتجاهين، إلى أن استعانت من حكمها الأني، وغسرت جيبها بأطراف أصابع يدها، وصاحت قائلة - النمل -

وعندها نسيت كل شيء عن الصحنات والمخطوطات، وخرجت من الباب بخطى راقصة، وظهّرت لأوريليانو، من موقعها، ومن على رؤوس

أصابعها، قبلة، هي نفسها التي طيرتها لأبيها عصر ذلك اليوم الذي
سافرت فيه إلى بروكسل. وإنصرفت وهي تقول له :
- بمكنت أن تخبرني فيما بعد - فلقد سبت أن اليوم هو موعد صبي
الكلمن أخني في بيوت الحمل.

دأبت أمريتا - أورسولا على دخول العرفة بين الخبز والآخر، في
الأوقات التي يعمل فيها حولها أو قريباً منها، فبقى يصبح دقائق سريعة،
بيما كان زوجها يتابع سير أرجاء السماء - وشجع هذا التعبير أورسولا
فجعل يسأل طعامه في البيت، وهو أمر توقف عنه منذ الشهور لأرض
لعودة أمريتا - أورسولا - ومصرغاستون بذلك التبدل فكأنه، في
لأحدث التي تلي تناول الطعام، وهي كانت تستمر أحياناً حتى تتجاوز
الساعة، يشكو شركائه الذين يحدوه - فقد أخبروه أنهم قد شعروا
الطيارة في البحارة، ولكن سحره لم تصل قط - وفي الوقت نفسه، كان
مرسلوه البحريون يؤكدون له أن الباخرة لن تصل، بسبب بسيط، وهو
أنه ليس في قائمة التبوخر القادمة إلى الكاريبي - ويصر شركاؤه على
رغمهم بأن عملية الشحن قد غب مداه، حتى وصل بهم الأمر أن الحوا،
بشكل غير مباشر، إلى أن غاستون قد يكون كادياً في رسائله - وإنتهى
المطاف بالرسالة إلى زوج من الشك المتبادل، فلانقطع صبا غاستون،
وجعل يفكر في احتمال القيام برحلة سريعة إلى بروكسل، كي يهزم
الوضع ويصححه، ثم يعود بالطائرة.

وسقط المشروع سد المحطة التي كررت فيها أمريتا - أورسولا نراها
الحازم في ألا تغادر ماكوندو حتى ولو بقيت بلا زوج.

خلال الأيام الأولى بدأ أوريليان يميل إلى مشاطرة الرأي العام وجهه
بنظرة في أن غاستون كان مجبوراً على دراجته، فأحسن شعور غامض من
الشعقة عليه ولكنه، حين جمع، في بيت الدعارة، مرهقاً من لمبومات

عن طبيعة البشر، أدرك أن حزم غامسون قد تكون به أصول تعري إلى
مصاحبه، مفرحة - فلب عرفة صبره أفضل، وحد أن طبعه الحقيقي
يختلف عن سلوكه الاستسلامي الخانع - وإرتاب بأسره، حتى ذهب به
الظن إلى أن انتظاره الطائفة سم يكن سوى فصل قشلي - وقال في نفسه
إن غامسون ليس عباً إلى أحد الذي يبدو على هيئته فهو، على العكس
من ذلك، رجل ذؤوب مثابر ماهر، لا حدود لطاقته وصبره، فهو قد قرر
إحراز النصر على زوجته بأن يتعبه بلطفه اللين، وبألا يقول له إلا
لداً - وهكذا عزم على أن يمثل الرضا عن الحدود، مدعها تنقلب في
ست العكس الذي يحيط بها، إلى النوم الذي تسام به من أوهامها،
وتحل رمانة الحياة، فمحرم حقنهم بنفسه للعودة إلى أورسولا - فتحوّلت
شعقة أوريليانو السابقة عليه إلى برع من المداء الخفي السيف - فقد بدأه
أن طريقه غاستون مؤدية ومؤثرة، فتجراً وأندرها أمريتا - أورسولا ولكنها
هزئت بشكها للرصني، وشعقة الحب المشجعة، وعلائم القلق وقصيره التي
ينضح بها حديثه - ولم يحضر لها بعد أنها يمكن أن تشر في أوريليانو غير
العاطفة الأحوة.

وصلت خان على هذا لسوال حتى اليوم الذي حارحت فيه يدها،
وهي تسبح علته دواق - فاندفع إليها كالسهم، وانكب على يدها المغروحة
يخص دمها بهم وتصحية ونادى، حتى يشعر حدها - فصاحت به
شاحكة مضطربة :

أوريليانو - حذر - فأتت نكاد تكون مصاص دماء كخفاش
« مضطرب أوريليانو، وشعر بالخدال - ثم أخذ يطعم في راحه كدها
أخريه فلا صغيرة ملتفة، حتى كشف عن أعرق حمياً قلبه الدفينة،
وأخرج كل م في أمعائه المشعشعة، ونحيوان الطفيلي الرهيب الذي
ترعج في عذباته.

روى لها كيف كان مستظف في متصف الليالي، ويكي غبطاً وحنناً
وحرمناً فوق السحابات الداحية التي كانت تتركها لتتحف في الخمام.
وقصّ عنها كيف كان يطلب من ديجروماتنا، بهجة وقلق، أن تود
كالقصة، وأن تجهش وتساو وهي تردد غاسوب. غامسون في أدبه،
وكيف كان يحتال حتى يسرى، عن رجاحات عطورها، بعضاً من
روائحها المعقنة، لعله يشم منها أثراً على أعناق العتيات بصعيرات
اللواتي كنّ يهينه أجسادهن لكي لا يقصين حوماً

دعرت أموات - أوسولا من شطط تلك العاطفة المتعجزة، فاطبقت
أصابعها، وضغطتها على راحتها بدت يدها كحيوان صدي، حتى كأن
يدها الجريح مرتت من الألم ومن كل آثار الشفقة، وعوكت إلى عقد من
الرمرمة والشعيف من الحجارة الكريمة، وعظيمات حجرية لا حشّ فيها
وصاحت به، وكأنها تبصق في وجهه

- غيبي! سوف أبحر في أول باخرة إلى بلجيكا

في أصيل يوم من أيام سنك المسرة، جاء العادري إلى مكتبة الكنائس لوبي
لحكيم، وهو يعلن، بأعلى صوته، عن أحدث مكتشفاته بيت للدعارة
على هيئة حديقة للحيوان. وكان ذلك المكان يدعى «الطنن الذهبي»
وهو عبارة عن قاعة كبرى مشرعة تدريج، يشرف فيها ما لا يقل عن مئتي
ظافر من طيور الواق (١)، تسرح على هوائها. وكانت هذه الطيور تند
على الوقت بأن تقول: مرة كل ساعة تماماً، بصوت قوي يضطر الناس
معه لوضع أصابعهم في آذانهم ويستطيعون مشاهدة أن يرى، في
الأفصاح، المنيجة بألوان حديدية، الهبطية بعلمة الرقص، بين أشجار
الكديليا الأمازونية، طيور مالك الحريس الملونة، وغاميح سمعينة

(١) حمار من فصيلة مالك الحريس.

كالخنازير، وأدعي ذات اثني عشر جرماً، وملحمة لها هيكل صدي
مدحّب تعوض في بحيرة صناعية. وكان يوجد في المكان كتب أبيض
كبير، يستخدم لتحسين نوع الكلاب مقابل ما يقدم له من طعام.

كان جواً المكان يعبق بكثافة بريث جديدة، كأنها الصانع قد انتهى لشوة
من صنعه. وكانت البسات الخلابات الجميلات يتظرون، بيأس وتوطأ،
بين تيجان الزود الدامية، يسما تصدح أسطوانات حاكيات القديمة،
وتقدم طقوساً وطرائف للذهب عرنها الإنسان وتحلى عنها في جنته
الأرضية

في الليلة الأولى التي زارت الجماعة فيها مشتل الأوهام ذاك، شعرت
المديرة العجوز المعطية الصامتة، وهي جالسة على مقعد الخيران الهرز،
أن التاريخ يعيد نفسه، وأن الرمس عاد إلى أصوله الأولية - حدث ذلك
عندما شاهدت بين القادحين الخمسة رجلاً يلقى العظام، جزائري اللون،
له وجنتان كثرتان، وقد وسم بشكل لوني وسرمدي بداء العرلة فتأوهت
وغتمت قائلة:

- يا إلهي، يا إلهي، أورييلانو!

كانت ترى فيه العقيد أورييلانو بويندا، تماماً كما رآته على ضوء
القلبين قبل الحروب برمن طويل، قبل عرلة المجد وفي تقشاع الأوهام
في ذلك العجر البعيد، الذي جاء فيه إلى غرفتها يصدر أول أمر له في
حياته الأمر بأن تضاحيه

كانت تلك هي يلاز تيريرا - قصدي سنس مضت، وعندما بلغت سن
الثقة وخمسة وأربعين عاماً، توغمت عن عادة حساب عمرها السيئة.
وتابعت عيشها في زمن راكد هادئ على هامش ذكرياتها، في مستقبل
واضح مولى مطلق الكشف، وأبعد من كل مستقبل يمكن أن تؤرقه
أحاييل ورق اللعب وفرضياته الوهمية.

مد تلك الليلة ، لادأوريانو (الصغير) برثة جذة جذة لطفها ولطفها ونعمها
وإدراكها الشفيع كانت تجلس في مقعدها الأخيراني الهرر ، وتستعيد
ذكريات الماضي ، ويعرض في خيالها عظمه نعلته وعرفه ثم شقدها ،
وأحساد مأكوسر التي باتت يابا .

وبينما كان يمارو يحف التماسيح ويجعلها بقعقة ضحكة الرعد ،
ويخترع ألفوسو حكايات مرعبة من طيور الوبق التي مقأت بمائيرها
عيون أربعة من الريش اللببي سم يعرفوا كيف يحسوف التصرف والعامل
معهم في الأسرع ، صاصي ، ويحتو عابرييل بقفه خلاصة كثيرة الشرود
والتأمل ، في عرفتها ، هم تكن تطلب لعد خدماتها مالا ، بل وسائل إلى
صديقها غريب ندي كان سحبا على بصفة الأحرى من بهر
(لورسوكو) ، لأن حراس الحدود سقوه مهلا وأجلسوه على إنه الكبر
فحلا برزاً وماساً كان بيت الدعارة الصحيح هب ، يصاحته خون ،
هو العالم المني كان أوريانو يحدم به خلال أسره الطويل فقد شعر به
أنه ينغ عايه لانسجام ، والصحية الكاسية ، حتى لم يعد يفكر في ملجأ
أحر يأوي إليه ، في عصر يومه ، بعد أن أحالت أمارات أوريولا أوهامه
أثراً بعد عبي . فكان يلود بذلك المكان يحمص عن عسبه بالكلام ، لعل
أحسا تستطيع أن يريجه من العقد التي تضغط على صدره . ولكن ذلك
سم يحدث ، هم يحرر أوريانو ، لا بعد أن دوف دموعاً حارة مريحة في
حصى ملار تيرير ، فقد تركته يكي ويتأوه ، يسما هي تمسك كتفيه وترتبت
على رأسه برؤوس أصابعه . وقد عرفت منه ، دون أن يفصح لها ، أنه إن
كان يكي الحف بعد كانت تعرف بسرعة ، من حيرتها ، أقدم الدموع
والأوهاب في تاريخ الإنسان . فقالت له تواسيه وصحف عه

- حساً يا صغيري . ولكن أحريري من هي تلك التي نيكبها ؟

عذب اعترف أوريانو ، الصغير ليلا تيرير ، وأخبرها بسر ، صحت

ضحكة صميقة مدوية ، من ذلك الضحك القديم العريض الذي بات
شيهاً بسجع اليمام . هم يحدث أن كان في قلب واحد من آل بونديا
سرّاً واستطاعت أن تنفذ إليه . فقد عدهم فرد من الأخيرة ، يورق اللعب
والشجرة ، أن تاريخ تلك العائلة كالة على عجه لا يمكنها تجنس الدوران
والتكرار فهي عجلة يمكن لها أن تستمر في الدوران إلى ما لا نهاية ،
بولا التآكل المتزايد ، والذي لا يمكن علاجه ، في محور المعجنة ابتست
وقالت له

- لا تنق ، . فهي في انتظارك الآن حيثما كانت

كانت الساعة الرابعة والصف بعد الظهر ، عندما خرجت أمارات -
أوريولا من الحمام . وشاهدها أوريانو ثم سب غرخته ، وهي يضع على
جسدها عثراً شقافاً ناعماً رفيق الطبات ، وقد لعت مشعه حول رأسها
بدت كأنها عمامة . تبعها بحفة ، يكاد يسير على رؤوس أصابعه متعشراً
يسكره . ودخل إلى غرفتها الروحه في اللحظة التي كانت تفك المتر عن
جسمها ، فأعددت لقه على نفسها وهي خائفة . فأشار إشارة صامتة بإتباعه
العرف الملائقة ، حيث كان الباب نصف مفتوح . وحيث كان أوريانو
يعلم أن غامستون جالس هناك ، وقد بدأ يكتب رسالة فقالت له بلا صوت
تقريباً

- اخرج من ها

انهم أوريانو ، وتناولها ، من خصرها ، وعصرها بيديه كتيهما ، ثم
رفعها كأنها آية زهر اليبجوسا وألقى بها ، على ظهرها ، فوق السرير
وجردها من مشرويه بعنف وحشي ، قبل أن يتسنى لها دفعه أو رده أو
حتى مقاومتها . ثم أطلق بجسده عديها ، فوق هوة عريها التي اغتسلت
لتوها ، حيث أخذ العاري الذي سم يكن فيه شيء . من تن أو عيب ،
يشوب الكمال ، فلك الجسد العاري الذي لم تكن فيه بقية رعب ولا حال

جمال حمي، لا تحب، من قبل، في ظلام العرف لأخرى

ردت أماراتا - أورسولا عن نفسها بصدق ما أدلت، واستعملت كل وسائل الأذكىة وحيلها فانزلت بجسدها الرشيق البدن الممطر، كحد صبية عروس، وهي تحاول أن تقنع كليته بركيته، كما حاربت أن يرق وجهه بأفكارها ولكن أحداً منهما لم يدع بناءً لو يهده تخرج منه، فلم يصدر عنهما ما يتجاوز نفس من يتأمل المصاء من نافذة مفتوحة، في مساء يوم فاطر من شهر نيسان (أبريل)

لقد كانت معركة شرسة، بن كانت معركة حتى الموت ولكنها كانت تبدو حالية من العنف، لأنها تم تعد الهجمات المتعرة والاحتياح الشجي، وتقهقر الشاطئ المهدل المرائع، الذي بدأت تظهر عليه ظلال الحمال الحزين وكان يتحلل تلك الهجمات والثر جعات من الوقت ما يكفي لشجيرات البستوبيا كي تبرعم، وما يكفي لغصون كي يسي أحلام حيرانه في الفرة الجاورة. وكان الأمر لا يتعدى حبيس متخاصمون يحولان أن يتصالحا في قعر حوض ماء شعاف، في ذروة تلك الحرب الضارية الحاملة بما يشه الطفوس.

وادرک أماراتا - أورسولا ألا يبع لاستمرارها في الصمت، لأنه يمكن أن يوقظ شكوك وجه القريب، أكثر مما توقظه أصوات المعركة التي كانا يحولان كتنها وعندها جمدت تضحك، وشتمناها مطبقان، ولكن دون أن تتوقف عن الكفاح والمقاومة. فأخذت تدافع عن نفسها بمصات حلية كاذبة. ثم بدأت لتحلل جسدها قليلاً قليلاً، حتى بدأ كلاهما يشمران أنهما متعاديان ومتوافقان في أن معاً، وتلجى الأمر عن جوله حب ومجون حريق، وتحولت الهجمات الشرسة إلى مناهيات عابثة

ومجدة، وبحركة لعوب، وبأدرة شيطنة أخرى، تخلت أماراتا -

أورسولا عن المقاومة والدفاع عن نفسها. ولما حاولت العودة إلى المقاومة، بعد أن فرغت من جميعته نفسها ممكناً، كان ذلك منها متأحراً فرأت أن لا تنص. فقد استقبلت دفعة قوية، أشبه بصدمة هائلة، في مركز ثقلها، حررتها في مطوحها، لتلاشت تماماً كل إرادة الدفاع فيها، أمام الرعدة الجاححة القاهرة في أن تشب الصغير البرقالي، والكترات الخفية، المنتظرة على ضفة الموت الأخرى، وكاد ألا يتسع لها الوقت، لولا قليل، لتبحث بأصابعها الواتية المتباطئة عن مشعة تضئها بين أسنانها لتكبح صان الموج بأنات وأهات ومبرحات، شبيهة بمواء قطرة صغيرة. فكان قد بدأ يرق فضاءه في داخلها.

ماتت بيلار تيريزا في مقعدها الخيري في الهزار، في ليلة من ليالي الاحتفالات، بينما كانت تشرف بنظرها على مدخل فردوسها الجديد وبناء على رغبتها الأخيرة، في وصيتها، لم توضع في نعش، بل في مقعدها الهراز الذي أنزله بالحبال ثمانية من الرجال، إلى حمرة عميقة هائلة في وسط حنية الرقص وأصبحت الساعات الخلاسية بالكآبة والشحوب، واصفرت وجوههن لطول ما يكن حروماً عليها وقد يس انثياب السوداء حداثاً، ورحن يبتكرن طقوساً طلابية غامضة، فيترعن الأعراس من آذانهن، والديابيس من شعورهن، والخواتم من أصابعهن ويقفن بها في قبر بيلار تيريزا قبل أن يهال فيه التراب، ويسد إلى الأبد، ويصب فوقه حجر شاهد بلا اسم ولا تاريخ، ثم يعطى كل شيء تكريمه من زهور الكاميليا الأمازونية

وبعد أن ستم الحيوانات، أغلق الأبواب والمواد بيلاط القرعيد والطير، ونفقت في أنحاء الدنيا، يحملن معهن صناديق أمتعتن الخشبية المزدانة بصور القديسين، والرسوم المعتنقة من المجلات، وصور بعض الأجنة في شترات عبدة من الرمال، مائية مراد الخيال، أو تلك الأجنة الذين كان بعضهم يثير مأساً، وبعضهم الآخر يأكل أكلة لحم البشر، أو يتجرجع ملكاً في ورق اللعب في أهالي البحار

تلك كانت النهاية فعلى قبر بيلار تيريزا، بين المزاهر وجواهر العهر والدعارة الرجعية، تنمض أندر أمانسي، وهي البقية الباقية بعد أن أغلق الكاتب الروسي الحكيم مكتبته ورحل إلى قرية على ساحل البحر الأبيض المتوسط، حيث عرفت عباءة النوم، وقد غلبته النعومة وشبهه أخيراً إلى الربيع المائم وبم يكن أحد يتوهم به ذلك القرار فقد جاء إلى ماكوسو في لوج حرها، أيام شركة المور، فداراً من إحدى الحروب متلاحقة الكثيرة. وقد ظن، يومها، أن أفضل ما يمكن أن يفعله هو فتح تلك المكتبة، التي كانت تحوي على كتب تعود إلى عهد بداية الطباعة، وسبح من مؤلفات باذرة ومصادر أصلية بأعداد مختلفة فكان الرواد العرب من الرباين الطوائف يتصفحون تلك الكتب بشيء من الرية، وكأنها مخطوطات الكتب بيم كاسر، يصطغون أرنالاً، أمام البيت المقبل، في انتظار أدوارهم لتصر أحلامهم. ومضى الرجل نصف حياته، جالساً في مؤخرة محبته (المكتبة) يسود بحظه يده «الأيمن» بحبر لرجواتي، على أوراق كان ينسجها من دفاتر الملاحظات المدرسية ولم يستطع أحد أن يشي بقياً ما الذي كان ذلك الرجل يكتبه

وعند التقى به أورليانو، للمرة الأولى، كان قد ملا صدوق من بيت الأوراق التي كانت ترحر بصحائف ملكيادس وردعه وعند تلك المرة حتى رحله ملا صدوقاً ثلثاً، في يده بقياً على أنه لم يفعل سوى ذلك خلال رقاعته في ماكوسو وبم يشي أية علاقة مع أحد، باستثناء أولئك لأصدقاء لأربعة الذين كان يستعمل معهم أسلوب نقايضة، فيستبد بالكتب حديثهم^(١) ويبرائهم قورقية فيجمعهم يقرؤن (ميسكا) و(أويد) وهم، بعد، تلاميذ في المرحلة الابتدائية

كان الكاتب الروسي الحكيم يتحدث عن الأدباء الكلاسيكيين القدماء الكبار بكل بساطة ويسر، ودون تعقيد، وكأنهم قد كانوا، خلال حقبة أو

(١) مختلفون جميع حدود، ومولعة لندة للأطفال وتسمى في بعض بلاد الشام «البيل» أو «البيلاد» وهو قطعة من خشب أو سوك مثبته الرأس بقفص عبي خيط، ويغنى بربو على الأرض بسرعة

أخرى، وفاق سكه فكان يعرف عنهم أشياء كثيرة يسفي ألا تكون معروفة فقد كان يذكر، مثلاً، أن القديس (أوصتي) كان يلبس تحت ثيابه معطفاً من صوف لم يخلعه طوال أربعة عشر عاماً، وأن (أربالدو فيلاتونا) الساحر كان هاجراً منذ طفولته بسبب لسعة عقرب

كان حبه للكلمة المكتوبة، وحماسه لها، أمراً يستدعي الاحترام والوقار، ويستثير في الوقت ذاته كثرة الأقاويل حتى مخطوطاته نفسها لم تسلم من تلك الأزدواجية فحين تعلم (ألفونسو) اللغة الكاتالانية كي يترجم تلك المخطوطات، وضع معطفاً منها في جيبه مع ما كان يملأه به دائماً من قصائد الخرائد والكتيبات والأدلة الخاصة بالمهن النادرة العربية وفي إحدى الليالي، فقد اللب عند العتبات الموصلة للآتي كن يقدم أجسادهم لقاء الجوع ولا علم العجز الحكيم بذلك، أغرق في الضحك، بدلاً من أن يعاتبه - كما كان يحشى منه - وقال معلقاً «أذنت هو انصير الطبيعي للأدب» ومن ناحية أخرى، لم تستطع قوة إنسانية أن تقعه بالأحلم صديقه الثلاثة معه، حين قرر العودة إلى مسقط رأسه وقد ألغى ما في جعبته من مبادئ وشتائم، باللغة الكاتالانية على معتشي مكة لحديث الدين حاولوا إرسال العناديق بالشحن ولكنه توصل، أخيراً، إلى إقناعهم بيقظتها معه في غرفة الركاب المسافرين. وقد قال عنها :

- سوف يتحلل هذا العالم إلى الدرك الأسفل، عندما يسافر الناس في الموجة الأولى، يسبح يوضع الأدب في مركبه الشحن.
وكان ذلك آخر ما سمعه الناس من كلامه.

لقد قضى أسبوعاً أسود مضياً وهو يعد آخر ترتيباته للرحلة. وكان كلما أوقف الموعد استشاط غيظاً، وطفئت عليه الفوضى، فيضع الشيء في مكان ليجمده في مكان آخر، حتى لكأنه كان يواجه نفس الأرواح

الشريفة التي هذبت فيرناندا. فيصرخ لاهناً شاهماً

- مستعمرون. أبول على المرسوم (٢٧) يحمل لندن المقدس

اهتم به خيرمان وأوريلانو وساعده ساعده كما لو كان طفلاً. معقف التذكر ووثائق السقر الخاصة به، فوق جيوبه بداييس محكمة وأعباً له قائمة معقدة، يسعى عميه أن يفعل، منذ اللحظة التي يمدد لها مأكولودو حتى يزل في برشلونة. ولكن ذلك كله لم يحل دون أن يفتي، بين التفتتات، نطالاً كان يحوي نصف ثروته (مالية)، دون أن يبري.

في الليلة التي سبقت الرحلة، سحر الصناديق، ورث ثيابه في حنية الخلاس نفسها التي جلسها معه يوم جاء، وقطب حاجبيه الشمسين بالسرطان، وأشار يده، إشارة مبركة نضة جوام، إلى أكندس الكتب التي استطاع بها احتمال متناه. وقال لأصدقائه
- أيها الناس، أترك لكم كل تلك القاذوريات.

بعد ثلاثة أشهر على رحيله، تلقوا من علماً كبيراً به سبع وعشرون رسالة، وما يره عن خمسين صورة تجمعت له، في ساعات قراعه، في أثناء رحلته في أعالي البحار كانت توريح كتابه الرسائل وضيعة، مع أنه لم يذكر عن أي منها أي تاريخ فقد كان في الرسالة الأولى يتحدث، بسحرته المألوفة، عن حوادث الرحلة، وعن رغبته في أن يلقي إلى البحر برمان البخرة الذي حاول منعه من إدخال الصناديق إلى حجرته، وعن مصف سيدة أفزعها أن يكون رقم حجرتها (١٣) ولم يكن ذلك نتيجة لتظيرها من الرقم، وإنما لأنها كانت تعتقد أن هذا الرقم كان ينقصه شيء ما. وكان يتحدث عن الرهان الذي ربحه في أول عشاء، عذب عرف أن اداء الذي يقدم على الباهرة له طعام الشمندر

يدلي الخاضع يسايح (ليريدا) ونكهه، مع مرور الأيام، لم يعد يهتم
بواقع الباحرة وم يجري على ظهرها ذلك أن أبسط الأحداث أحدثت
تستبد به وتستثير حسيه فطفت على ذاكرته الكآبة، وأخذ الحزن يستبد
به، وتزداد وطأة ذلك عليه بازدياد ابتعاد الباحرة وقد بنا الحنين لثرياد
واضحاً في الصور فقد كان في الأوسى منها يبدو سعيداً بقميصه
الرياضي، الشبه ثياب المستشفيات، وباصيته المكللة بالفتح، تحت أشعة
شمس تشرين الأول (أكتوبر) الكارمية أما في الصور الأخيرة فكان يبدو
منزعجاً بمعطف دافئ، ووشاح حريري وهو شاح الوجه، وقد أصمته
الصاب على متن مركب الحشرات والحزن، الذي يحمر اليه، كمن يسير
وهو نائم، عبر المحيطات الخريفية

كان حيرمان وأوريليانو يجييان من رسائله وقد أكثرا من الكتابة في
«الأمهر الأولى التي تلت رحيله، حتى شعرا أنهما أقرب إليه منهم خلال
أداة التي مضاه في مأكوسو ولذلك بدأ حزنهم لمرافقه وغضبهم بسفره
يحبب تدريجاً وقد حدثهم كثيراً في البدايه فذكر لهم أن كل شيء كان
ما يزال على ما كان عليه قبل رحيله إلى مأكوسو مع يزال عده في
الثبت المحزون الوردي بعينه، وأن سميت الزئفكة (١) المصنف ما يزال له
الطعم بعينه على شطآن الحبير، وأن الشلالات في القرية ما تزال تعمق
برائحة العطر، كما هدها، عند حصول الظلام.

كانت رسائله ما تزال على صفحات من ورق دفاتر ملاحظات
المدرسية السابقة، تنساب عليها الكتابة الأنيقة بالخط «الأرجواني» القديم
بعينه، وعلى الرغم من ذلك، كانت تلك الرسائل التي يتمالك فيها
بعينه، ويشجعهم بها ويستثير حماسهم، دون شعور منه، تتحور

(١) من أنواع السورين.

تدريجاً إلى بوح من الرسائل العاطفية الشبهة باشعار الرعاة الرومانسية
فهي إحدى بيالي الشتاء، وبينما الخفاء يعني فوق بار موفده بدأ يشعر
باحتين إلى الدفء وحراره حيث كان يحس في موحرة مكبسه، وإلى
دفع الشمس على أشجار الدرد العبره، وصغير القطر المروي خلال
تراخي الناس في وقت القلوبة كمن كان يحس، في مأكوسو، إلى
الحساء الشتائي في لورد، وأصوب باعة العهدة المتجولين، وأسرب
القبرات والخسامين في ليدم الربيع

واضطرب الكاتالوني حكيم، وهو يحد نفسه صائغاً بين نوعين من
الحنين متعابين، يودعه أحدهم لآخره كمراتين متواترتين، فأصابع
شعوره بالألم واللامعقور وأنهى به الأمر إلى توحته الصبح إلى
الأصحاب بأن يعادروا مأكوسو حصعاً، وبأن يسوا كل ما علمهم بينه
على معالم والنفس الإنسانية، وأن يسور على (هوراس)، وأن يسدروا
دنياً، التي كانوا، أن الخاضع لم يكن سوى كده، وأن لا عودة للذاكرة،
وأن كل ربيع يحضي لا يمكن أن يستعاد، وأن أعف الحلب وأطونه وأيقنه
لم يكن في النهاية سوى حقيقه عابرة

كان أمارو لوب من من الصبيحة بمعادرو مأكوسو فباع كل شيء،
حتى السر المدهش الذي كان يعبط طاراً في ساحة داره ثم اشترى تذكرة
سفر دائمة في قطار لا يتوقف عن السفر أبداً وكان، في البطافات التي
أحد يرسلها، يصف لمطبخ التي كان يعبرها بجبال شرو وعجبات عبر
محدود، ويصف ما كان يشاهده لها سريعاً، من قاعدة المطار باستنظاره
واسهاد فكان كأنما هو يجرون قصيدة الروا الطويلة إلى تمت يلتقي
بها في رواب السيان، فكان يصف «الروح السود في حقول القطن في
ديريدا، والخير الميمه تروح في مروج العشب الأزرق في كنتيكي،
والعشاق البيزانيين في أوقات الغروب الالهة في أيرود ويصف العناية

التي كانت توتدي الكنزة لخمراء، وترسم المناظر بالألوان المائية قرب البحيرة في ميتشمان، وكيف وقعت فرشاتها التي تلون بها إشارة أمل لا إشارة وداع، لأنها لم تكن تدرى أنها كانت ترقب قطاراً غائباً من يهود

بعد ذلك، رحل ألفونسو وجيرمان في يوم السبت حتى أن يعودا يوم الإثنين الذي يليه وانتطعت أحبرهما إلى الأبد. وهكذا، لم يبق بعد عام من رحيل الكاثوليكي الحكيم عن مأكوندو سوى غابرييل، وهو في مهبط الريح، يعيش على إحسان بيجروماتنا المتقطع حسب الظروف، ويجب من أسئلة في مسابقة طرحتها مجبه فريسيه، وكانت المجازة الأولى بها، رحله إلى باريس. وكان أوريليانو، وهو صاحب لاشراك في الحقبة، يساعد غابرييل في وضع الإجابات، أحياناً في بيته، وفي معظم الأوقات وسط قوافير السيراميك، في الصليبية الروحية الباقية في مأكوندو، في جو مشح برائحة الدواء والتراكيب الكيميائية، حيث كانت تعيش (موريسيس) صديقة غابرييل السريّة. وكان ذلك آخر ما تبقى من الخاصية، ذلك الخاصية الذي يتلاشى شيئاً فشيئاً، فيغدو ليللاً، تتأكل من داخلها فهي تنتهي، أو تكاد، في كل لحظة، ولكنها لا تنتهي الإتهام، ولا تقوى على الروال

فقد بدفت البلدة أقصى حالات الحبول، إلى درجة أن غابرييل، بعد أن صار في المسابقة ورحل إلى باريس، وهو يعمل غسّارين من الملائكة، وحده، ومولفات (رأبليه) الكاملة، قد اضطر إلى أن يشير إلى سائق القطار كي يتوقف ويأخذه معه. حصار شارع الأتراك القديم، في تلك الفترة، رواية مهللة مهجورة، حيث كان بقايا الحرب يستلمون لأدب الموت الراحقة، وهم ما يزالون على عداوتهم القديمة في الجحش عند ملأخل بيوتهم، على الرغم من أنهم قد باهوا، من زمن بعيد، آخر دواع من أقمشتهم العنبرية ولم يبق ظليل واجهات للعارض والحوايت إلا

شخص العريض المهشمة

أما مدينة شركة دور، التي ربما تكون باثريشي براون قد حاولت استعادة أحبار تاريخها بروايتها لخدمائها، في ليالي القبط التي لا تعدد، وهي تحلل الحضر في (برافيل) من (ألاباما) أما تلك المدينة فقد عُدت مرجعاً عسيفاً برقاً

أما الكاهن القديم الذي حل محل لأب أنجيل، والذي سم يهتم أحد حتى بمعرفة اسمه، فكان يتظر رحمة الله، مستيقاً في أرجوحته، يعاني من داء المفاصل وأرق الشك، بينما كانت السحالي والجرفان تتداع ميرات الكنيسة المجاورة

في مأكوندو تلك، للمسيه التي هجرتها حتى العصور، وتراكم عليها الغبار، واستبد بها الحزن، حتى لم يعد يستطيع أحد فيها أن يتمس إلا بصغره بالغة، كانت أماراتا أورسولا وأوريليانو يعيشان سجين العرلة والحزن، وزهني عرلة أخيه، في سرور يستحيل أن يقدر إنسان فيه أن يحضر عبيه، بسبب هدير الحمل الأحمر ولكن أوريليانو وأماراتا - أورسولا، على الرغم من كل ذلك، كذا الكائنات الوحيدتين الصعيدين، بن أسعد مخلوقين على وجه الأرض

بعد عاد غاستون إلى بروكسل فقد أعياه انتظار الطائرة وذات يوم، وضع في حقيقته الصغيره ما لا يستعني عنه من حاجاته الضرورية، وعلف مراسلاته ثم سافر وهو عادم على العودة جواً، قبل أن يحسر الامتياز لمجموعة من الفيزيين الألمان، الذين تقدموا لسلطات الإقليم بمرحس يشتمل على مشروع أكثر طموحاً من مشروعه

وتابع أوريليانو وأماراتا - أورسولا، منذ أول عصر التقيا فيه، اقتصر كل لحظة كان الروح يعمل فيها عندهم، ولو أنها كنت ندية، فيبتلان على ممارسة الحب بينهم مشبوب المواقف والشهوة وكثيراً ما كانت

عوده الروح لمجشة تقطع ما تراعى من جماعهم من أحياء
وحيدى في الدار غرقاً في انساب ما فاتها من حبه تجرفها عاطفة
ملتبه. لا يعرف الإثراء، ولا يحكمها تعقل، ترد لها مراتع هيربنا
في قبرها، حتى كاد ما من جموح العاطفة في موت فاتهم. وكانت أهد
أمارات أورسولا، وسواها، وتلوها، وصرخات معاناتها، وأعاني
شوتها، تضي متفجرة في نحو الساعة الثانية بعد الظهر على لائحة في
قاعة الطعام، كما تنعمر في الساعة الثانية قبل العجر في الخور. وكثيراً
ما كانت تصبح ضاحكة

— أشد ما يؤلمني هو الزمن الطويل الذي ضيعته

ورأت أماراتا - أورسولا - وهي في ذروة عشقها ومشوبها، قول
انبل الأحمر لتوصيه الهائنه، وهي تمسح البستان، وتشمع بهمها الذي
يرجع إلى ما قبل التاريخ، يقرض أعمدة البيت وأحشب الدار الأخرى
شاهدت ذلك السبل العدم، من الحسم الحيه، يحتولي على الشرفة من
جديد. عدم تكثرت، ولم تبال برة ذلك الاجباح حتى وصل العرو إلى
عرة يومها

وأهمل أوريليانو الصحائف والرتاع، ولم يعد يخرج قد من
الدار وكان يجيب، كيما اتفق، من رسائل الكاتالوبي الحكيم

ولقد كلاهما معنى الواقع، ومهموم الراس، والصلة بالحياة العادية
ووقعها وسد الأبواب والنوافذ، كي لا يصيبها شيئاً من الوقت في ارتداء
الثياب وخيمها فكانا يرحان في البيت، يروحان ويجيشان، كما كانت
ريميدوس الجميلة تشهي أن تعص. وكانا يعيشان عاريين، ويتذرحان
فوق التراب وفوق اللوح في ماء الدار عاريين، حتى كذا، ذات يوم
عصرًا، يعرقان في الخوض وحلال فترة نصيره من الرماد، حرًا في
البيت أكثر مما خرب الملل الأحمر فقد حطما أثاث الصاله ومرفق، في

جوبهما لحارق، أرجوحة العقيد أوريليانو يومئذ، التي صمدت تحت
وطئة غراميات الحرب الحزينة. وقطع العرشات وأمرغ حشونها على
الأرض، حتى كادا يحتجب في ربيع من العطر

كان أوريليانو عاشقاً بهماً، وكانت شريكته مثله ولكن أماراتا -
أورسولا - وهي التي كانت الأمرة الهية، في ذلك العرودوس المتكرب،
بعقرتها الخرفاء وظمتها الخالي، حتى لكأنها أهدت في الحب طاقة لا
تقهر، حافة تصارع حافة جدتها الثالثة التي هدير في صغ حلويت
الكراميل على هيئة حيوانات صغيرة.

وبما كانت أماراتا - أورسولا - لا تعي شوة وسعادة وتكاد ثوت صحكاً
لأفيسها في مواقف «حب» كان أوريليانو يتحول شيئاً فشيئاً، إلى إنسان
صامت منظر على نفسه، لأن عاطفته بدأت تكفي على فاتها، وكانت
شديدة محرقه

قد بلغ معاً أقصى الأمان، وأكثر الأوصاع عجباً وتطرفاً، حتى
طوح بهما جوبهما، وأنهكتهما إثارة ما كانا فيه، فكان يستعلان حالة
إجهادهما إلى أبعد الحدود. وانتهى بهما المطاف إلى عبادة جديهما
فاكشما أن شراب الإسرة في المصاحبه والحب تطوي على
«حتمالات» وقمع أمد لم يعرف بعد، وهي تفوق في متعتها وحما على كل
صوف الشهوات والرجال. فيما كان أوريليانو يذغدع بهدي أماراتا -
أورسولا - لأشيع ويدلكنهما برلال البيض، أو يهري برب جمر الهند
بعديه البصير وردمها المكورين كحيتي دراق ويطها المساب كالسفع،
كانت هي تلاعب ذكره وبعث به كائنه دمية. فتروسم له عيين كعيني
المهرج بأحمر شعيتها، وشارباً كشارب التركي بقلم كحيتها، وتضع في
عقه عقدة كأنها ربطة من حرير، ثم تصعب على رأسه بعة من ورق
الفضة

وحدث به، دها جسميهما، من قمة الرأس حتى أخصى القدم،
بحوى الدراق، وحس كل منهما جسم لأخر لعمق ككثير، ثم عرفا في
الصباحة وتبع علي احب كصحبين على أرض الشرفة في الدار ولم
يوظفهما من مشورتهم إلا سبل من المل أكل النجم. كان على وشك أن
يمرقهما ويثمنهما حين

كانت أمارات - أورسولا برد على رسائل زوجها غاستون في فترات
الراحة المشاعده التي كانت تبجلها لها الشوة في حياة الحب. وكان لديها
شعور طبع بأنه بعيد ومشغول، وأن رجوعه مسجل وقد كتب لها في
إحدى أوائل رسائله يحبرها بأن شركته قد أرسلوا له الطائرة معلقاً، ولكن
أحد وكلاء الشحن في بروكل أرسلها، خطأ، إلى تامبايكا، حيث تم
تسليمها إلى قبيلة الماكويروس لمشره هناك وقد نشأ عن هذا الخطأ
مضاعفات وصعوبات كثيرة، حتى إذا استرداد الطائرة قد يحتاج إلى مدة
سنتين وهكذا أصبحت أمارات - أورسولا من دهنها إمكان عودته في
وقت غير مناسب

أما أريستو فقد انقطعت صلته بالعالم الخارجي، إذ لم يبق هناك مما
يصله بحارج الدار سوى رسائل الكاثالوبي الحكيم، والأخبار التي كانت
تصله من غابريل عن هريك ميريس، الصيدلانية الصاعدة وقد كانت
تلك الأخبار، في البديهة، حقيقية وحدث معنى، ولكن غابريل أهاد
تذكيرة رحلة العودة إلى شركة الطيران واسرد لهما، كما يسقى في
بريس، يبيع الجرائد والصحف القديمة والزجاجات الفارغة التي كانت
الموادم تلقى بها خارجاً، من مدق كتيب قائم الخو في شارع (دوبس)
وكان أوريليانو يتحينه، بكثرته ذات الآفة العالية التي لا يخلعها إلا عندما
تردحم مقاهي (المونبارلس) بالعشاق الريعين. كان يقضي نهاره نائماً،
ويكتب في الليل كي ينسى الحرج ويعد شبعه به، في تلك الغرفة التي

كانت تبحث فيها رائحة القبيط للمعلي، والتي قدرد (روكساندور) أن
يجوت معها ثم بدأت رسائله ترداد محموساً، تدريجاً، وصارت أخباره،
شيئاً فشيئاً، أقل يقينية. وغدت رسائل الكاثالوبي الحكيم قبيلة متباعدة
وكثيرة حرجة. فاعتاد أوريليانو أن يعكر في أخبار صاحبيه كما كانت
أمارات - أورسولا تعكر في زوجها. وظلاً معاً يهومان في عالم خارج من
كل شيء، سوى حقيقة واحدة، يومية حادثة، هي الحب.

ودور سابق إندره، وصل بأ عودة غاستون. فكان له وقع الصاعقة
في عالم اللاوعي السعيد. فتح كل من أوريليانو وأمارات - أورسولا
عيه، وغاص كل منهما في روح الأخر يسير أعضائه، ويد كل منهما
على قلبه وهم يصدقان في الرسائل. وعنده أدركا أنهما كانا من القرب
والهبة، حتى غدا كل منهما الآخر، فكان لفصلان الموت على الانفصال
وعنده كتبت أمارات - أورسولا إلى زوجها رسالة حاملة بالوقائع
المتناقضة وأكدت به، في الرسالة، حبها، وأنها قد عدل صبره برؤية
ولكنها أعدت له، في الرسالة، عصها، أن القدر قد كتب عيهما ألا
تستطع الحياة دون أوريليانو

وخلالاً لما توقعه أوريليانو وأمارات - أورسولا، أرسل إليهما غاستون
رسالة جوابيه مطوكة، في صفحتين كبيرتين، كانت في غاية الصفاء
والهدوء، حتى كانت تبدو مصححاً لهراً، فقد كرّس معظم الرسالة
لتحذيرهما من الاتساق وراء العواطف، ومن كبوات الجموح وحتم
الرسالة بمقرة غنى لهما فيها، دون يس أو زيفهم، أن يكون سعيدين كما
كان هو خلال حيرته الزوجية القصيرة

وهم يكن ذلك الموقف مشوتعاً منه، ولا سيما من قبل أمارات -
أورسولا. وشعرت بالآهانه لأنها بدت كما لو أنها قد هزمت لزوجها
الذريعة التي كان يتنظرها كي يدعها ويمضي، تاركاً لها تواجه مصيرها

وتعمق حقيقته، ولزادت صبرها حين أرسل إليها رسالة من ليونيدس، بعد سنة من ذلك، وبعد أن توصل إلى استلام الظلوة، يطلب منها فيها، ببساطة، أن ترسل له دراجته، لأنها الشيء الوحيد الذي بقيت له قيمة عاطفية لديه، من كل ما تركه في مأكولنو.

احمل أوريليانو، بصبر، عصب أمارانتا أورسولا وحققه الشديد، وبس كل جهد ممكن، كي يثبت لها أن نوسعه أن يكون روحاً جيداً في أيام الشدة والعسق، كما كان في أيام الفرح والسعة. أم مواجهة الحجاب اليومية التي بدأت تلغ عليهم، بعد أن بعدت بقية الأموال التي تركها غاستون، فقد أوجدت بينهم رابطة من التضامن، لم يكن بها ذلك الخصال ولا تلك الإثارة التي كانت تعاطف، ولكنها أقدريهما على أن يحب أحدهما الآخر، وعلى أن يظلا سعيدين، كما كان في أيام محبتهما وعشقتهم الحسني احمج. وعندما ماتت بيلار بيريرا، كان يتظران طفلاً لهما.

حاولت أمارانتا - أورسولا، خلال فترة التشاغل والحمل التي رافقت حملها، أن تشاء مشروع عمل، يقوم على صنع القلائد والعقود من فترات السمك. ولكنها لم تجد رناناً يشارك قلائدها بامتلاء ميسيدس، التي اشترت اثنتي عشرة قلادة منها. وأدرك أوريليانو، سحره الأولى، أن موهبته في اللغة، ومعرفته الموسوعية، ومقدرته النادرة على تذكر التفاصيل عن الأحداث القديمة في التاريخ والأمكنس النائية، دون أن يراها، كانت كلها لا تسمى ولا تعني من جوع، تماماً كصندوق المحارة الكريمة الحقيقية الذي كان عند زوجته، والذي، كان يسمى أن يساوي كل مال الذي يستطيع جمعه كل من تبقى من سكان مأكولنو. وعلى الرغم من ذلك كان يعيشان بصعوبة حياة الكفاف.

لم تحل أمارانتا - أورسولا عن طرفها وخفة روحها، ولا عن مواهبها

وعبقريتها في أمين الحب. وكانت قد نعدت، شيئاً فشيئاً، أن تجلس في الشرفة بعد الغداء، لكي تقضي بعض سويقات القيلولة، يقظاً حنة. وكان أوريليانو يصحبها كأنها يقصيان معظم الوقت، أحياناً، صامتين، حتى هبوط الظلام، جالسين وحماً لوجه، يحدق الواحد منهما في عيني الآخر، ويتبادلان الحب القديم الحسني حموض. ثم اشتد عنيهما عدم الاطمئنان بمشغل، مما علق قلوبهم بأدبي فتخيلاً نفسيهما في حبه الطوفان المفقودة، بخصوصيات في حيات الدار الموحلة، ويتخلل السحالي كي يعنفها على أورسولا المعجزة، ويتظاهران بأنهما بريان دوه حنة. وقد كشف بهم تلك الذكريات أنهما كانتا دائماً سعيدين معاً، ومنذ أن كانت لهما ذكريات تجمع بينهما.

وبسبب كانت أمارانتا - أورسولا تيش ذكريات الماضي، تذكرت ذلك العصر الذي دخلت فيه إلى مشعل صياغة العضة، وأن أمها قد روت بها أن أوريليانو الصغير لم يكن له أب، أو لم يكن ابن أحد منهم، لأنهم وجدوه في سنة صافية على وجه ماء الطوفان. وعلى الرغم من إيمانها بأن تلك الرواية لم تكن صحيحة، إلا أنهم لم يكن سيهمها، من المذمومات، ما يدحضها ويوصلهم إلى السأ الصحيح. والشيء الوحيد الذي كان عني يقين منه، بعد مراعاة كل الاحتمالات، هو أن ميرناندا لم تكن أم أوريليانو. وقد رجحت أمارانتا - أورسولا الاعتقاد بأنه ليس بستره كويس، التي لم تحفظ عنها شيئاً سوى القصص فضجة المعيبة. وقد أحدثت ذلك لأفراض، في أعماقها انقباضاً وكآبه، وفي قلبها رعباً هائلاً.

أما أوريليانو فقد كان يحده خوفه من يقينه بأنه آخر زوجته. وبذلك سارع إلى الكيسة، لكي يبعث، في أكدامس لأرشييف المتروطة التي يبعث فيها العث قضاً ومماذا عن دبل يتصل بأبويه وأنسبه. وكانت

أقدم شهادة عمداً، عثر عليها، تعود إلى أمارانت بونديا، التي عمدها الأب ميكائيل ريسا، عندما بلغت سن الرشد. وكان ذلك في الحقبة التي كان يحاول فيها أن يثبت وجود الله بالجور إلى وسائل الاحتمال بالشوكولاتة.

ثم ابتدأ أوريليانو بالتوهم أنه كان واحداً من أبناء العقيد أوريسيانو بونديا السبعة عشر، الذي كان كل منهم يدعى لأوريليانو. فبحث عن شهادات ولادتهم في أربعة مجلدات، ولكنه تبين أن تواريخ عمادهم ترجع إلى أوقات قديمة بالنسبة إلى عمره. ولما رأى الكاهن، المريض بناء القلب، وهو صانع في مشاهدات البحث عن القرابة والنسب، يرتجف قلقاً بسبب شكوكه ووساوسه، وقد كان يربيه من أرجوحته، سأله بلفظ وودٍ عن اسمه، فأجابه قائلاً:

- أوريليانو بونديا

فقال الكاهن بشفقة تامة

- إذن، لا تتعب نفسك بالبحث. فصل زمن بعيد، كان يوجد هنا شارع بهذا الاسم. وقد اعتاد الناس، في ذلك الوقت، أن يسموا أبناءهم بأسماء الشوارع

فامتشاط أوريليانو غضباً وصاح قائلاً:

- هكذا، إذن، فأنت لا تصدق الأمر أيضاً!!

- أصدق ماذا؟

فأجاب أوريليانو -

- إن العقيد أوريليانو بونديا قد خاض اثنتين وثلاثين حرباً أهلية وخمسها جميعاً. وإن لجيش قد حاصر ثلاثة آلاف عامل وحصلهم بنار رشاشاته، وإن جيشهم قد شحبت، في قطار مؤلف من مئتي عربة،

يُنقضي بها في البحر.

وحقق فيه الكاهن بإنسحاق حزين عميق، وتلوه وهو يشمله، طويلاً وعرضاً، وقال له

آه سيّ يكميني لك أكون على يقين بأنني وإياك موجودان فعلاً في هذه اللحظة

وهكذا سئل أوريليانو وأمارانتا - أورسولا قصة السلطة، لا لأنهما أما بها بل لأنها تخصهما من الوسواس والشكوك التي كانت تحيق بهما وكان، بالمدد الذي يتقدم به حمل أمارانتا - أورسولا، يكادان يستحيلان كائناً واحداً، ويكتمان للعللة في البيت، ويندمجان فيها، وهي الحالة التي كانت لا تحتاج، إلا إلى القشة الأخيرة التي تقصمها فتهدوي واقتصرنا، من البيت، على مجال سبق يكفي للمصوري من العيش، كانت حديثه حرفه ميراندا، التي عرف فيها سحر الحب، وبديه الشرفة، حيث كانت أمارانتا - أورسولا تجلس، وهي تمزج أحذية وقسمات من سبيج الصوف لطف من انتظار، بينما يجلس، قبالتهما، أوريليانو يجيب عن رسائل الكاتالوني الحكيم

أما سائر الدار فكان عرصة للمحارب الداهم، مسلماً للروايات اهتمام وعاب مشعل صياغة القصة، كما غدت عرفة ميكيداس، ومملكة سائنا صروي (التقية) الصامتة، في أعماق الأدغال، المتشابكة في الدار، حتى لم يعد أحد يجرؤ على دخولها

وهكذا، كان أوريليانو وأمارانتا - أورسولا يعيشان محاصرين بقسوة الطبيعة، ويتابعان قطع أزهار الأوريكان والبيجوبيا، ويمسحان عن عملهما الخاص بخطوط حدودية مرسومة بالكس، وكانهما يشدان آخر خنادق الحرب التاريخية بين الإنسان والممل

تهدك شعر أمارانتا - أورسولا الطويل الملهمل، وظهرت على وجهها

بقع شاحبة، وتورمت وجلاها، فثشوره جسم تلك الخلقة الرائعة الجمال، المعري باحث والعزل، وتعيّر مظهره الذي كان يتعجر طاقة وحيوية شباب يوم وصلت إلى الدار، ومعها قمص طيور الكاري مبثثة الخط، ومعها كذلك زوجها لأسير ولكن كل ذلك التعبير لم يغير حيوية روحها. فقد كانت تقول، ضاحكة، أحياناً

- البعثة من كان يصدق أن مسهي فعلاً إلى العيش كأكنة خم البشر.

وإنّ آخِر خيط كان يربطهما بالعالم الخارجي، حين وصلتهم رسالة، وهي في الشهر السادس من حملها - وبم تكن تلك الرسالة، قطعاً من الكاتالوني الحكيم كانت الرسالة من برشلونة، وخط العلاف عاديّ بالخبر الأزرق، يذكر بالكتابة الإدارية - وقد كانت الرسالة ذات مظهر بريء، حياديّ، وليست لها ملامح شخصية عدائية فخطها أوريليانو من بين يدي أمارنت - أورسولا، وهي تحاول فتحها، قائلاً لها - لا يا عزيزتي لا تفتحي هذه الرسالة فإن لا أريد أن أعرف ما فيها

كان إحساسه صائباً والكاتالوني الحكيم لم يكتب قط من بعد، مرة أخرى - وقد ظلت الرسالة العربية، التي لم يقرأها أحد، تحت رحمة العث، راقدة على الرف الذي سبت عليه فيرماند، ذات يوم، خافها ظلت الرسالة تاكل ذاتها، متهمة، تحترق بمار أجيالها المشوومة، بينما كان العاشقان، المسترحمان في عرينهما، يحمران صد ثياب تلك الأيام من فصول، مسرحية الأخيرة، تلك الأيام ذات، لأوقات المشوومة المحسومة، وهي تمر بهما، فيحاولان، عبثاً، أن يعرفها إلى فيافي زوال الأوهام والسيان.

أحسن أوريليانو وأمارنت أورسولا لم كان بهتد وجودهم، تأمض

الأنهر الأخيرة بمسك أحدهما بيد الآخر، لعل المشروع الذي بداهه مجبور جامع مجنون يكتمل في حب هادي بريء كان إذا رقد في الفراش، لسرم، يحتضن الواحد منهما الآخر، ويحيطه بلذاته، فلا يحسنان المتعجز المل من هياج الأرض تحتها، ولا ضجيج العث، ولا الصعير الذي لا يتقطع، يند عن الأعشاب والطفيليات الضارة النامية في الفرة المجاورة. ولهذا كانت توظفهما تحركات الموتى الصمومة - فقد سمع أورسولا، مرة، تصارع قواص الخلق كي تحفظ سلاتها، وسمعا خوزيه أركاديو بويديا يبحث عن حقيقة الاختراعات الكبرى الموهومة، وفيرماند، تصبي، والتقييد أوريليانو بويديا يعاني معسفاً في وهم ذاتي، أمام إحدى حططه العسكرية، وردد السمكات الذهبية الصغيرة، وأوريليانو الثاني يموت من العرلة، رويداً رويداً، في حمى دور ولائمة المجرمية المفضية - وعنده عرفا أن الوسولس الكبرى المسيطرة يمكن أن تغلب على الموت - وعدا إلى الشعور بالسعادة في حياتهما، وهما على يقين من أنهما سيطلان عاشقين، يحب أحدهما الآخر، حتى عندما يعدون شخصين، وإلى زمن أبعد من ذلك الذي تظهر فيه ملالات أجناس أخرى من الحيوانات، فتسلب من الحشرات جمة البؤس التي استطاعت الحشرات أخيراً أن تسلبها من الإنسان.

وفي الساعة السادسة من بعد ظهر ذات أحد، أحسّت أمارنت - أورسولا بلزهاصات الولادة الممتشه ببداهات معاناة الخاص - فوصلت إلى البيت تلد امرأة الباسمة، صاحبة اللون الذي كان يؤوي السمات فوصلت الموتى كن يقدم أحدهن نقاء طعامهن. فأضجعت، على طرد غرفة الطعام، واعتلت فوق بطنها، وأخذت تعدو فوقها بطريقة مظه، حتى عطى على صراخها وصياحها ثمة طفل ذكر شديد عظيم، واستدعت أمارنت - أورسولا أن تشاهده، عبر دموعها، وأن تلاحظ أنه من أنضل

سلالة آل بويدي فقد كان كثيراً وشديداً وعبداً مثل حورية أركاديو، وانه
جبان معنوس حداثا النظر كعبي أوريليانو وقد كان فيه كل ما يفسد
مداية جديده لهذه السلالة، ينفقها من كل آفاتنا السلية السيئة، وبعدها
من عورتها، لأنه الوحيد الذي نشأ مخلصاً، وولد من أخيه، عبر قرن من
الزمان. فعملت ثقله.

- إنه أكل بشر حقيقي، وسوف ندعوه وودريجو وعارض روجها
قديراً.

- لا سوف ندعوه أوريليانو، وسوف يتصرف في اثنين وثلاثين حرباً
وبعد أن قطعت به القابضة حين الخلاص، بدأت تمسح، بحرقه، ما
كان عاقلاً به من الدهن المروق، الذي كان يعطي جسمه، يمس كان
أوريليانو يحمل بيده مصباح، فمس كعائته على بطنه، ظهر له شيء
يحتجب فيه عن بقية الشر، فتربوا منه واتحرو بيروه جيداً لقد كان
ذلك دس حبيب

لم يحب أوريليانو وأملرات - أورسولا، ولم يترعج بذلك فقد كان
يجعلان تلك الحالة كسابقة في العائلة، وما كانا ليذكرنا تحذيرات أورسولا
الخفية. وهذان القابضة من روعهم، راحة أن ذلك الفلسف يمكن قطعه
والتحصين منه عندما يلح الطعن عمر ظهور الإنسان. ولم يتح لهم وقت
لنتفكر في الأمر، من بعد، لأن أملرات - أورسولا كانت ترق دمها
شقة، ولم يبق من سبيل للإيقاف التزيف

حاول أن يساعدها باستخدام رذاب من سيج العكيوت وضمانات
معبأة بالرماد، ثم بكرت من الرماد ولكن ذلك كله كان كمن يحاول
منع سيج بالبين وقد جهدت المسكينة، في الساعات الأولى، أن تحافظ
على مراسيها المرح فأحدث بيد أوريليانو، حين رآته حائضاً، وبولت
إليه ألا يقلق ولا يبتس، لأن من كان مثلها من البشر لا يجب إلا إدارته،

يسمى كانت تنفجر ضحكاً، حتى تكاد تحتق من تلك البوسائل الوحشية
التي كانت تستخدمها القابلة ولكنها كانت، بالقدر الذي كان الأمل
يهجر فيه أوريليانو وتركة حطاماً، تتلاشى شيئاً فشيئاً، كما لو أن انور
الذي كان يسلط عليها بدأ يبدل ويغمر حتى أدركها سبت عصبي عرفت
به

في فجر يوم الإثنين، جازوا إليها بامرأة تلوح عند رأسه صلوات النجاة
التي لا تغفل في علاج الإنسان والحيوان، ولكن دم أملرات - أورسولا
العاشق الحبيب ما كان يقيد فيه إلا الحب.

ففي أصيل ذلك اليوم، وبعد أربع وعشرين ساعة من الكفاح اليائس،
عرفوا أنها ماتت لأن دق الدم قد توقف دون علاج، وغدا عارضها
شعباً بحيلاً، وعام وجهها ورحمت منه الحفرة الوردية، فالت إلى فجر
من مرمر، ثم إنها أبتست من جديد.

عند هذه المرحلة أدرك أوريليانو كم كان يحب أصداءه، وكم كان
يعفدهم، وكم كان على استعداد لأن يذم كي يكون معهم في تلك
اللحظة

وضع الطفل في السنة التي أعدها له أمه، وغطى بالدفار وجه الحنة،
وراح يتبى في طرقات البدة، يسير على غير هدى، وبلا هدف، وما
يبحث عن مقعد يؤدي به إلى المصبي.

طرق باب الصيدية، التي انقطع عن زيارتها في العترة الأخيرة، فوجد
مكانها مسجراً فتحت له الباب امرأة عجوز، بيدها قنديل، فرقت لحالة
بهيج التي كان فيها، وأصرّت على أنه لم تكن قط هناك صيدية، وأنها
لم تعرفه، في حيلاتها، امرأة ذات جسد ناضج أبيض وعينين مدعستين،
تدهى ميرميسس.

وكي أوريليانو، وهو يسد وجهه إلى باب المكان الذي كان يوماً

مكتمة لىكتاتورى الخكم بكى، وهو يدرك أنه كان يدور كل ما فاته من دموع على موت أثر الأيكىه في حبه، لعله لا يفهم عرى سحر الحب وحطم قبضتيه على حذران للهى المعروف «الطغر الذهبى»، وهو ينادى ييلار تيريزا، غير أنه بدوثر القصور اليرقاني أشعه، التي كتب تعز النساء، والتي عدل بأملها في ليالي الأعياد، دهشة طفولة، وهو قائم في ساحة طيور الكروان.

في آخر حفنة مفتوحة امامها حي الدعارة ذو الأصواء الخمره، المقعر الآن من الناس، عرفت مجموعة من آلات الأكورديون الموسيقية أصابي وألحان رومانيل إسكالونا ابن أخي لطران وورث أسرار مرسيسكو الإنسان يومها. قدم به صاحب خان، اندي نقوس دراعه وشلب لأنه رفعها مرة في وجه أمه، حلية مشروب كحولي خفيف، ورد له أوريليانو الدهره بأن قدم له هو لأحر عليه أخرى. وحده صاحب الخمر عن سوء الخط انماثر الذي أصاب درعه وحده أوريليانو سوء الخط انماثر الذي أصاب نفسه، اندي أصابه الدبول وتمرس وحده بشكل أو بآخر، لأنه تصدى لأخته وتتهى بهما لمقام إلى البكه معاً، وأحسن أوريليانو، بحفلة، أن أنه قد رال ولكنه، عندما وجد معه وحيداً من جديد، في آخر حجر ماكوسو، فتح دراعيه في وسط الساحة، مستعداً للإقبال العالم كله وصاح من أعماق أعماقه ويكل ما أوتي من قوة
- الأصدقاء حصبة من أبناء الحرام

تدفقت يمحرومات فانقدته من مستقع في دموع تنقته إلى عرنتها، حيث غلته ونظفته وبعث له كاساً من الخساء وظلاً منها أنها تواسه، تناولت قطعة من اللحم، ومسحت كل دبرون الحب، التي كانت لها عليه، ولخدمة خدم اباب ثم تطوعت بالخليل عن دروة حرنها وكبتها في عرنتها، وعن خيانتها في الحب، لعلها تسري عنه بالأندعه

وحيداً مع أحرانه ودمرعه. وعندما أفاق من نعاس غابر، وعرة قصيرة، صبح أوريليانو على الصداق بكاد بمجر رأسه. ففتح عسه وتذكر الطغل ثم يجد أوريليانو سلفه الطغل فعمره فرح مصاحي، غارم، فقد ظل أن أماراتنا أروسولا عادت إلى الحياة كي نهم بأمره وتعسي به. ولكن الحنة كانت ككومة من الحشرة تحت العطاء. وتذكر أنه وجد باب العرمة معسوحاً، صدم دخل مسر من الشره التي تعيق بعض الأوريجان الصباحي، ثم وصل إلى عرفة الطغم، حيث كتب ما تراك هيها آثار الولادة القدر الكبيره، والياضات، منطحة بالدم، وأواني الرمال، وحبل حلاص الطغل. الخشون على مرشحة ممدوده على الضالوة من المقص والرياط

حبل إليه أن القابلة قد عادت في الليل كي تأخذ الطغل، شعر بشيء من الهسوء، وحاول أن يفكر بوضوح فتهاوى على المقعد الهرز الذي كانت رويكا تجلس فيه، في العهد الأول من حياة السب، كي تعم دروس التصير، والذي كانت أمارات تعب فيه لعبة الدماة (الشطرنج الصيني) مع العقيد حيريدو ماركير، والذي حافظت فيه، أحياناً أماراتنا - أروسولا ثياب الطغل. وحلال تلك اللحظة الخائفة من الرضوح، شعر بأن روحه لم تعد قادرة على أن تقاوم كل أفعال ذلك «الغبي السحيق».

كان يبدو جريحاً، عذت فيه حراوب الحب الثقلة، ما كان مهذاً ذاتياً، وم سبه له لآخرون فراح يتأمل، بإصحاب، صعود بيوت المناكب المنسوجة على شجيرات الزرد البتة، ومناير، نبات الحودار وصبره، وهود الهوا وصفاه في ذلك العصر لائق من شياط (ميرير)

وعندها رأى الطفل كان كقبرة منسوجة جافة، وقد تجمع عليه كل غل الدنيا يحاول كل سرب مه أن يسحبه نحو وجره تحت الأرض،

سالكاً ذلك الرهيف المجري المعتد في الستار الصعبر ولم يستطع أوريليانو أن يبدي أية حركة، لا لأن الدهشة قد ميّنته، أو لأن الخوف قد شلّ حركته، بل لأن معانيه ملكيادس النهائية قد تكشفت له في تلك اللحظة العجيبة فقد رأى صورة الصحائف والرقع جلية واضحة، وقد توضحت تماماً في نظام زمان الإنسان ومكانه :

«أول السلالة مربوط إلى شجرة، والأخير منها يلتهم الحمل»

لم يكن أوريليانو (الصعبر) في أية لحظة من حياته، في مثل ذلك الوصرح الذي سطع عليه في تلك اللحظة فقد سبي موته وكل ما يتصل بموته وسي كل آلام موته. وعهد إلى أبواب البيت وأنوافذ مسقما بموارض هيرماندا الخشبية، كي يحزن دون أن يرعبه أي إغراء يتسرب إليه من العالم الخارجي ذلك أنه كان يعلم، الآن، أن قدره مدون في رفيع ملكيادس.

وجد الرقع سائفة، لم تُس بادى، بين الساعات الأقدم من التاريخ، والمستنعمات التي يبعث منها البحار، والحشرات البراقة، التي أزلت من المعرفة كل أثر لوجود البشر على الأرض.

لم يطق صبراً حتى يخرجها إلى الضوء فعمد إليها، وهو ثابت في مكانه وريح ينهمج نوعة بلعنه وصيحه وبم يجد فيها أدنى صعوبة، حتى لتكأنها كانت مكتوبة بالإسبانية، وكأنه كان يقرأها في وصح أشعة الشمس الباهرة عند الظهيرة. فبدأ يحل رموزها ويقرأها بصوت عال.

كان ذلك تاريخ العائلة، كتبه ملكيادس، فحصل به حتى سمعته أدق تفاصيل الحياة اليومية، مهما بدت تافهة وبسيطة ويعود تاريخ الكتابة إلى مئة عام من الآن. وقد كتب ذلك التاريخ باللغة تسكريتيه، لغته الأم، ورمز الأسطر أو الأبيات الشفعية أو الروجبة بالرمز الشخصي للإمبراطور أو غسنت، والأسطر أو الأبيات الثورية أو الفردية بالرمز

العسكري اللاسيديموي.

وكانت آخر عفة قد بدأ أوريليانو بتعطيلها والتماد منها، يوم صعدته حب أمارتا - أورسولا، هي أن مكندس لم يرقب الوثائق والأحداث حسب الزمن الذي تعارف فيه البشر فقد يتابع الأحداث اليومية عبر قرن كامل من الزمان، ويركزها بطريقة تحصى بها جميعاً، وتعرض كل ما يحدث منها في آن معاً، على الرغم من اختلاف المكان.

وأدهش ذلك الاكتشاف أوريليانو، فرح يعز بصوت جهوري، دون أن يقهر عن سطر واحد، تلك الأهاريج العائنية، التي كان ملكيادس نفسه يسمحها لأركاديو، والتي لم تكن، في الواقع، سوى السوء الخاصة بأعدائه

ووجد أوريليانو السوء بميلاد أجمل امرأة في الدنيا، وهي تصعد إلى السماء جسداً وروحاً وعثر على السوء بميلاد التوأمين المرحومين اللذين تحلوا عن دراسة الرقع وحل رموزها، لا عن كسل أو تقاعص مقدرة، وإنما لأن محاولتهما كانت سابقة لأوانها

وعند هذه المرحلة، لم يعد أوريليانو يطيق الانتظار حتى يعرف أصله، فغفر عن مقطع في الصحيفة من الرقع وعندها تحركت الريح دافعة ورطبة شديدة، ملأى بأصوات من الماضي، وهجمات من العنابق (١) الحمراء القديمة، وتلوهات للحلاص من البحر والوهم كأنها الرؤيا التي تسبق أعتى خسوف الخبي ولم يلحظ كل ذلك، لأنه كان، في تلك اللحظة، قد بدأ يكشف أوائل مؤشرات وجوده، وانتباهه الكيوي إلى حد شهواني يسعى إلى لدته، اتدفع، محرقاً بطيشه، إلى حفصة خردية، وهو يبحث عن امرأة غنية في الجمال ولكنها لا يمكن أن تجعله سعيداً

(١) الخرفى نوع من الثبات الأصغر الثاني يسمى إيزه فرامي

العسكري اللاميديوتي.

وكانت آخر عقدة قد بدأ أوريليانو بتحطيتها والتماد مهلاً يوم صمعه
حب أمرات - أوسولا - هي أن مكندس لم يرتب الوقائع والأحداث
حسب الزمن الذي تعارف عليه البشر. فقد يتابع الأحداث اليومية عبر
قرون كامل من الزمان، ويركزها بطريقة غصبي بها حبيماً، وتعرض كل ما
يحدث منها في آن معاً، على الرغم من اختلاف المكان.

وأدهل ذلك «لاكتشاف أوريليانو، فراح يقرأ بصوت جهوري، دون أن
يقهر من سطر واحد، تلك الأهازيج العنانية، التي كان ملكيدس معه
يسمها لأركاديو، والتي لم تكن، في الواقع، سوى البوذة الخاصة
بإعدامه.

ووجد أوريليانو البوذة بميلاد أحمل امرأة في الدنيا، وهي تصعد إلى
السماء جسداً وروحاً. وعشر عس البوذة بميلاد التوامين المرحومين الذين
تحلوا عن دراسة الرقاع وحل رموزها، لا عن كسل أو انعدام مقدرة،
ولما لأن محاولتهما كانت مائة لأوانها.

وعند هذه المرحلة، لم يعد أوريليانو يطبق الانتظار حتى يعرف أصله،
فقهر عن مقطع في الصحيفة من الرقاع وعدها تحركت الريح دفعة
ورطبة شديدة، ملأى بأصوات من الماضي، وهمسات من الغرائب (١)
الحمر الغديمة، وتأوهات للحلاص من السحر والوهم كأنها للزوي التي
تسبق أعنى غروب الخنجر. ولم يحفظ كل ذلك، لأنه كان، في تلك
اللحظة، قد بدأ يكتشف أوائل مؤشرات وجوده، واتسمائه الكيوني إلى
حد شهراني يسعى إلى لغته، اندفع، معجرفاً بطيشه، إلى هضب خرافية،
وهو يبحث عن امرأة عاية في الجمال ولكنها لا يمكن أن تجعله سعيداً.

(١) الغريز، نوع من الذئب الأحمر الغاني يسمى ليرة الرابي.

سالكاً ذلك الرصيف الخجري لحصد في السندان الصمير. ولم يستطع
أوريليانو أن يدي أية حركة، لا لأن الدهشة قد قيدته، أو لأن الخوف قد
شل حركته، بل لأن معاتيج ملكيدس النهائية قد كشفت له في تلك
اللحظة العجيبة. فقد رأى بوذة الصحائف والرقاع جيبه واضعة، وقد
توضحت تماماً في نظام زمان الإنسان ومكانه.

فأول السلالة مربوط إلى شجرة، والآخر منها يلتهمه الحمل.
لم يكن أوريليانو (الصغير)، في أية لحظة من حياته، في مثل ذلك الوضوح
الذي سطع عليه في تلك اللحظة. فقد سي موته وكل ما يتصل بموته
وسي كل آلام موته. وعهد إلى أبواب اليت والوافد فقرأها بمواضع
ميراثها الخشبية، كي يحول دون أن يرجعه أي إقرء يترب إليه من
العالم الخارجى. ذلك أنه كان يعلم، الآن، أن قدره مدون في رقاع
ملكيدس.

وجد الرقاع ساقطة، لم تُمس بأذى، بين سبانات الأقدم من التاريخ،
ولم تستفدت التي يبحث عنها البحار، وحشرات البركة، التي أزلت من
العرقة كل أثر لوجود البشر على الأرض.

لم يطق صبراً حتى يحرقها إلى النضوء فعمد إليها، وهو ثابت في
مكانه. وراح يلتهمها فراءه بدهنه وعيبه. ولم يجد فيها أدنى صعوبة،
حتى نكأها كانت مكتوبة بالإسبانية، وكأنه كان يقرأها في وضوح أشعة
الشمس الباهرة عند الظهيرة. وبدأ يحل رموزها ويقرأها بصوت عال.

كان ذلك تاريخ العائلة، كتبه ملكيدس، فحصر فيه حتى لم تفته أدق
تفاصيل الحياة اليومية، مهما بدت تافهة وبسيطة. ويعود تاريخ الكتابة
إلى مئة عام من الآن. وقد كتب ذلك التاريخ باللغة العسكرية، لغته
«الأم»، ورمز الأسطر أو الأبيات الشمعية أو الروجية بالرمز الشخصي
للإمبراطور أو غشت، والأسطر أو الأبيات الوترية أو الفردية بالرمز

وقد عرفه أوريليانو، وراح يتابع مسارب ملاله الخفية، وصولاً إلى ولادته التي يكتشفها الغموض. واكتشف اللحظة التي تم حملها فيها، مضطحة في رحم أمه، في جو تحيق به العقارب والفراشات الصفراء في غرفة الاستحمام المسائي، حيث كان عامل ميكانيكي يشيع شهوته مع امرأة كانت تمتد جسدها بسبب حمورها.

وكان مستغرقاً في ما هو فيه من اكتشاف، فلم يشعر بهمة الريح القوية الثانية، التي فتتعت قوتها العاصفة الأبواب والنوافذ من مواقعها، وطوت بسطح الجناح الشرقي، واتلعت الأساسات.

عندها، وحسب، إكتشف أوريليانو أن أصواتها - أورسولا لم تكن أخته بل خاتمة، وأن السيد لرانسيس دريك قد هاجم ويوهاشا لسبب واحد هو أن يمكنهم من البحث عن بعضهم، في معارج تبه الدم الشائكة، حتى يكون بإمكانهم إغجاب الحيوان الجرافي الذي يضع حداً للسلالة كلها.

وكانت ماكوندو قد استعالت، عندئذ، إلى زويدة رهيبة كالإعصار من القبار والذمار، يلجروها غضب توراتي عاصف. فقلب أوريليانو إحدى عشرة صفحة، قافزاً عنها، كي لا يضيع الوقت في وقائع وحقائق يعرفها تمام المعرفة. وبدأ يحل رموز اللحظة التي كان فيها، يحل رموز اللحظة التي كان يعيشها وهو يعيشها، فيتنبأ عنه، في فعله ذاته، وهو يحل رموز آخر صحيحة من الصحائف والرقاع المخطوطة، فكان كأنما هو ينظر في مرآة ناطقة.

ثم قفز قفزة أخرى، وتخلّى عن بعض الرموز والكلام، كأنما يتمجج النبوءات، كي يتأكد من تاريخ موته، والعلامات التي تسبقه، والعلامات التي توافقه.

لكنه، قبل أن يبلغ البيت أو السطر الأخير، كان قد أيقن أنه لن يغادر

الغرفة التي كان فيها أبداً.

فقد كان مريباً، أكثر مما كان متنبأ به، أن مدينة المرايا، أو مدينة السراب، سوف تحتشها الريح العاتية من الأرض وتحو آثارها، حتى تنفيها عن ذاكرة الإنسان في تمام اللحظة التي ينتهي فيها أوريليانو بايلونيا (١) من فك طلاسم الرموز في صحائف الرقاع. كما أدرك أوريليانو أن ما كان مدوناً في تلك الرقاع لا يقبل التكرار. فهو أزلّي محشوم منذ بداية الوجود، وهو سرمدى سوف يظل إلى الأبد. فالسلالات التي حكم عليها القدر حكماً حتمياً، يزمن من العزلة بمئة سنة عام، لن تكون لها فرصة أخرى للعيش على وجه الأرض.

د. محمد الحاج خليل

انتهت الرواية

(١) نسبة إلى آيه: مورييسو بايلونيا.

قيل في هذه الرواية

قليلة هي الروايات التي تغير حيلة الناس. وهذه واحدة من تلك الروايات.

«و. ل. و. ب. الغارديان»

هذه رواية كاسحة، تتسم بالتألق الغرضوي. وهي أقرب إلى الشعر منها إلى النثر، بل هي ملحمة موسيقية لا متناهية.

«التايمز»

هذه الرواية عمل أدبي غني، مكثف كالأدغال، حافل بالوهم الخوض، زاخر بالفعل، ثري بالمرح الحزن، يتدفق بالأحداث والفلسفة والتأمل، حتى ليدفعن إلى العجب.

«صنداي تايمز»

رائعة من الأدب الكلاسيكي الرفيع، حتى لو كان كاتبها ساحر فعلاً.

«ميكتاتور»

هذه خيرة لا تعلوها، في الغنى، خيرة أخرى.

«فاينانشل تايمز»

تصححو بعد قراءة هذه الرواية الرائعة كمن يصحو من حلم: عقلت وخيالك جامحان بل منتهيان. وأمامك غابرييل غارسيا ماركيز العملاق كخياله وجبرته وعظمته. فهو الرواية مذهشان.

«نيويورك تايمز»

هذه الرواية من أجمل ما قرأت. وهي، على الرغم من سمة العزلة، التي تنسحب عليها حتى إختارها لها كاتبها إسماء، وعلى الرغم من

الحتمية التي ينظر بها المؤلف للأمر من زاويته، أشبه ما تكون بالحياة: شائقة وشائكة، بسيطة ومعقدة، صافية ومكدرة، مفرحة وعزلة، مشرقة وكثيية، متفائلة ومتشائمة، حلوة ومرّة. إنها، ككل الأدب الرفيع، جديرة بأن تقرأ، وككل الحياة تستاهل أن تعاش.

«الدكتور محمد الحاج خليل»

مؤلف الرواية

غابرييل غارسيا ماركيز

ولد في بلدة صغيرة هي قرية (سياناجا) في إقليم (أراكاتاكا) من كولومبيا ، في العام ١٩٢٨ م . وتخرج في الجامعة الوطنية في بوغوتا ، وأصبح صحفياً ، وسافر كثيراً . أقام في الفترة الأخيرة بضع سنين في برشلونة مع زوجته وولديه . من مؤلفاته الأخرى مجموعات من القصص القصيرة ، منها «أرستيدرا البريئة» و«لا أحد يكتب للكولونيل ...» و«خريف البطريق» ، و«وقائع موت معلن» و«في ساعة نحن» .

هو واحد من أبرز الأدباء المعاصرين في أميركا الجنوبية . يؤمن بأن الأدب الجديد يجب أن يكون ملتزماً يعرض القارئ ويوعيه دون وعظ أو تلقين . وهو لذلك ملتزم بقضايا مجتمعه ، بل بقضايا الإنسان في العالم بأسره . فاز بجائزة نوبل للآداب في العام ١٩٨٢ م .

وقد كان المدعوون الحقيقيون ، أمثال ماركيز ، دوماً رواداً يتقدمون الصغوف في الدفاع عن حقوق المظلومين ، كما يقول جلال النحاس في جريدة «العرب اليوم» الأردنية (العدد ١٧٢٨ بتاريخ ١٦ شباط / فبراير ٢٠٠٢ م) . وهو ما يصدق على هذا الكاتب الكبير ، الذي أصدر بياناً يعلن فيه تضامنه التام مع الشعب الفلسطيني ، مستنكراً الممارسات القاسية والاستعمارية والعنصرية والصهيونية ، ومبدأً استنزازاً وإدانةً للسجائر التي ترتكبها إسرائيل في المناطق الفلسطينية المحتلة ، ومعلنًا إعجابه الشديد ببطولة الشعب الفلسطيني الذي يقاوم الإبادة ، ويناضل من أجل كرامته ووطنه .

هذا البيان الإنساني الصادق الجريء جدير بكاتب كبير مناضل ضد الظلم عُرف بإبداعه ورواياته كدُمثة همام من العسلة ، التي تمباوزت (ماكوندو) وكولومبيا وأمريكا الجنوبية ، لتعمل الناس في كل مكان ، كملاحم خالدة تضيء الحياة .

مترجم الرواية

الدكتور محمد خليل الحاج خليل



ولد في بلدة الكابري قرب عكا في الجليل - شمال فلسطين ، في أواخر العام ١٩٣٧ ، تلقى بعض تعليمه الابتدائي في الكابري ، وأكمل تعليمه في لبنان ، الذي هاجر إليه مع أهله إثر الاحتلال الإسرائيلي لبلده في العام ١٩٤٨ .

نال البكالوريوس في اللغة الإنجليزية والأدب في جامعة الليسانس في اللغة العربية والأدب العربي ، والمجستير في الأدب العربي من الجامعة اللبنانية في بيروت . ونال الدكتوراه في التربية وعلم النفس من جامعة بيروت العربية - فرع جامعة الإسكندرية ، ودرجة الدكتوراه في التربية من جامعة ساحل كليفورنيا في الولايات المتحدة الأمريكية .

انتقل مع أسرته من لبنان إلى الأردن ، بانتقال منظمة هيئة الأمم المتحدة / الأونروا ، التي كان يعمل فيها ، في العام ١٩٧٦ .

عمل جلّ حياته ، وما يزال ، في ميدان التربية والتعليم : معلماً ثم خبيراً مع وكالة هيئة الأمم المتحدة (الأونروا) في لبنان والأردن ، وخبيراً دولياً ومستشاراً تربوياً مع منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم

والثقافة (اليونيسكو) في الجمهورية اليمنية ، وسلطنة عُمان ، ومملكة البحرين ، ودولة الإمارات العربية المتحدة ، والجمهورية العراقية . كما عمل مستشاراً تربوياً في الشركة العربية الأردنية لتطوير التعليم الخاص / كلية ومدارس روضة المعارف ، وعضواً في مكتبها الدولي ، ومحاضراً غير متفرغ في الجامعة الأردنية .

أكثر مؤلفاته ومترجماته المنشورة في اللغة ، والتفكير ، والتربية والإدارة التربوية ، والمناهج وطرائق التعلم والتعليم ، والثقافة العربية الإسلامية ، والأدب ، والكتب المدرسية . له كتابات أدبية : شعرية ونثرية ، ومنها مجموعات قصصية ، معظمها غير منشور حتى الآن .

من مؤلفاته المنشورة كتاب «التعلم السريع» و«التقويم الذاتي في التربية» و«إدارة الصف وتنظيمه» ومن مترجماته «مئة عام من العزلة» و«السلوك الإنساني في الإدارة التربوية» و«جون ملتون والثقافة العربية الإسلامية» و«الصديقان» و«شجرة الببؤب» .